القراءات المتواترة

في تفسير الزمخشري

دراسة نقدية

إعداد

محمد محمود الدومي

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد علي حجازي

التفسير وعلوم القرآن

٢٥/رمضان/١٤٢٥هـ

٨/١١/٢٠٠٤م

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري : دراسة نقدية

إعداد

الطالب محمد محمود محمد بني دومي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن الكريم في جامعة اليرموك، اربد - الأردن

وافق عليها

محمد علي حجازي .... رئيسا

أستاذ التفسير في كلية الشريعة - جامعة اليرموك

سمير شريف استيتية .... عضوا

أستاذ اللغة العربية في كلية الآداب - جامعة اليرموك

إبراهيم محمد خليفة .... عضوا

أستاذ التفسير في كلية الشريعة- جامعة اليرموك

غانم قدوري حمد .... عضوا

أستاذ اللغة العربية في كلية التربية - جامعة تكريت - العراق

أحمد خالد يوسف شكري .... عضوا

الأستاذ المشارك في التفسير في كلية الشريعة- جامعة اليرموك

تاريخ تقديم الأطروحة

١٢/محرم/١٤٢٦ هـ

٢٠٠٥/٢/٢١م

الإهداء

إلى والدي العزيزين مع أجمل باقات الحب والعرفان...

إلى زوجتي الغالية التي شاطرتني عناء إعداد هذا البحث

إلى ولدي (عمر) .. وابنتي (لين)...

إلى كل طالب علم يبتغي بما قدم وجه الله تعالى

أهدي ثمرة هذا البحث

الشكر

من لا يشكر الناس لا يشكر الله... اعترافاً مني بجميل الفضل أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد علي حجازي الذي حباني دعمه وتوجيهه وكان لرعايته وحسن معاملته لي أكبر الأثر في خروج هذه الأطروحة بهذه الحلة الجميلة المشرقة وأسأل الله تعالى أن يبارك له في علمه وعمله ورزقه وذريته إنه سميع مجيب الدعاء.

كما لا يفوتني في هذه المناسبة المباركة أن أتقدم بجزيل الشكر وخالصه وعظيم التقدير إلى الأساتذة العلماء أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم علي بقبولهم مناقشة وتقويم أطروحتي لتكون على الصورة التي تليق، فلهم مني دوام الدعاء بالبركة في علمهم ورزقهم ممزوجاً بالمحبة والعرفان بالجميل.

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى جامعة اليرموك وأخص كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ممثلة بعميدها وأعضاء الهيئتين التدريسية والإدارية وأخواني الطلاب.

والشكر الجزيل لكل من مد لي يد العون أو ساعدني في أي عمل أعانني على إعداد هذا البحث.

والله ولي التوفيق

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب الثاني

الملخص

الدومي، محمد محمود، القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري: دراسة نقدية، رسالة دكتوراه بجامعة اليرموك(٢٠٠٤) المشرف الأستاذ الدكتور محمد علي حجازي.

تناولت هذه الدراسة موضوعاً هاماً من موضوعات علوم القرآن الخادمة لتفسير القرآن الكريم وبيان إعجازه ذلكم هو موضوع القراءات القرآنية، ولما كانت مباحث القراءات القرآنية متعددة متشعبة لا تستوعبها رسالة ولا اثنتان ولا ثلاث رسائل آثرت أن أبحثها عند فارس من فرسان علم التفسير المتقدمين احتدم حوله النقاش في موضوع القراءات القرآنية، ذلكم هو العلامّة الزمخشري وتفسيره الكشاف الذي لم يخل كتاب تفسير جاء بعده مما ورد فيه.

وبدأت الدراسة بتمهيد حول الزمخشري وكشافه، تناولت مولده ونشأته في بيئة خوارزم ثم تحدثت عن حياته العلمية وشيوخه الذين أخذ منهم وتأثر بهم وتلاميذه ومؤلفاته وما خلفه من ثروة علمية كما تحدثت فيه عن ثقافته وعقيدته التي أخذها من أهل خوارزم.

وانصب الحديث في الباب الأول على أهمية القراءات في تفسير الزمخشري مهدت لذلك بتمهيد حول القراءات معناها ونشأتها وتطورها وأوجه الاختلاف بينها، وعرّفت بالأئمة العشرة أصحاب القراءات المتواترة ورواتهم.

كما تحدثت في الفصل الأول من هذا الباب عن اهتمام الزمخشري بالقراءات واستشهاده بها وإكثاره من ذلك، وتوظيفه لها في تفسير آي القرآن الكريم، الذي تجلى أي هذا التوظيف للقراءات في الفصل الثاني من الباب ذاته بما يكشف عن براعة الزمخشري وقوة عارضته في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها بما يظهر ثراء النص القرآني وإعجازه سالكاً سبلاً متعددة لتحقيق هذا الهدف منها الجانب النحوي ومنها الجانب اللغوي ومنها الجانب البلاغي.

ويمثل ما سبق ذكره أعني الباب الأول النصف الأول من هذه الأطروحة، وكان إن صح التعبير يمثل الجانب الإيجابي في تناول الزمخشري للقراءات في تفسيره. أما النصف الثاني منها فمثل الجانب النقدي السلبي للقراءات فحمل الباب الثاني عنوان: نقد الزمخشري للقراءات وكان الفصل الأول منه في الحديث عن موقف الزمخشري في أخطر قضيتين من قضايا القراءات هما نشأة القراءات ومصدرها وقضية رسم المصحف. وذكرت أقوال العلماء في الزمخشري وموقفه من نشأة القراءات وناقشتهم وبينت وجه الحق في ذلك مستدلاً فيما ذهبت إليه بعشرات الأمثلة من تفسير الزمخشري وفعلت مثل ذلك في قضية رسم المصحف.

أما الفصل الثاني من هذا الباب فخصصته للقراءات التي طعن فيها الزمخشري ولحّنها واتهم القراء والرواة فيها بالجهل أو السهو والخطأ، وأرجعت صنيع الزمخشري في ذلك إلى أسباب منها ما يتعلق باللغة كتعصبه لمذهب البصريين في النحو أو الوصول إلى الصورة البلاغية، ومنها ما يرجع إلى اختلاف لهجات العرب في شهرتها وانتشارها، فالزمخشري يقيس على الأشهر والأفشى شأنه في ذلك شأن جميع رجال مدرسة البصرة، ومنها ما يرجع إلى اعتزاله وشغفه في الانتصار لهذه العقيدة والترويج والدعوة لها، فناقشت الزمخشري في كل ذلك ذاكراً حجته فيما ذهب إليه أولاً ثم تفنيد ذلك بالاستناد إلى القرآن الكريم وقراءاته وما ورد من حديث النبي ﷺ وما في بطون كتب اللغة شعراً ونثراً مما ذكره أساطين اللغة وعلماء البيان.

ثم جاءت الخاتمة التي أودعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة ومسجلاً كذلك أهم التوصيات.

الكلمات المفتاحية: علم القراءات القرآنية، القراء العشرة، القارئ، الراوي، أصول القراءة، الفرش، القراءة المتواترة، القراءة الشاذة، الاحتجاج للقراءات، توجيه القراءات، عزو القراءة، رسم المصحف، اللهجة، المعتزلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمـــد لله الــذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فإنه لم يحظ كتاب من الكتب المعروفة بمثل العناية التي أحيط بها القرآن الكريم في تدوينه وحفظه ونقله وتفسيره وبيان معاني آيه الكريم، فقد قيض الله تعالى له العلماء والحفاظ الذين تعاهدوه في كل ذلك على مر التاريخ والأيام، كيف لا وهو النور الــذي لا تنقضـــي عجائـــبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تشبع منه العلماء. والإمام الزمخشـــري من فرسان هذا الميدان وتفسيره الكشاف من أنفس كتب التفسير لكنه على إبداعـــه ونـــبوغه فـــي التفسير والإعجاز إلا أنه كان هدفاً للطعن والانتقاد تارة بسبب اعـــتزاله وتارة أخرى بسبب تعصبه لمدرسة البصريين، ولطالما قرأت في كتب بعض العلماء قولهم: لا تأخذوا القراءات من الزمخشري فإنه من أجهل الناس فيها. ولكنني في الوقت ذاته كنت أرجع إلى تفسير الزمخشري فأجد التوجيهات السديدة للقراءات كما أجد الفصول المطولة التي يعقدها في ضبط وأداء قراءات القرآن الكريم. ولا أخفي أن ذلك شكل عندي دافعاً لدراسة القراءات عند الزمخشري، وكانت البداية بدراسة أولية أخذت الطابع الاستقرائي المسحي وكانت نتيجة هذه الدراسة ملفتة للنظر حيث إني وقفت على آلاف القراءات في تفسيره الكشاف ووجدت توجيهاته لبعضها غاية في العمق والإبداع، ولا تخرج توجيهات كثير ممن جاءوا بعده عن توجيهاته، وفي الوقت ذاته وجدته يطعن في بعض القراءات المتواترة وعلى ضوء هذه الطعون وصف بالجهل بالقراءات وبأنه يرى أن القراءات تؤخذ بالاجتهاد وليست سنة متبعة يأخذها اللاحق عن السابق.

ومن خلال دراستي لكشاف الزمخشري واجهتني بعض المصاعب، خاصة فيما يـــتعلق باخـــتلاف القـــراءات فيما يرجع إلى النحو أو اختلاف لغات القبائل ولهجاتها

ويعـــترف أهل اللغة أن هاتين القضيتين من أكثر مباحث اللغة تعقيداً خاصة في تناول القـــراءات القرآنية لخضوعها إلى عوامل عدة منها الفشو والانتشار واختلاف المعنى، والـــذي زاد مـــن صعوبة الأمر قضية التعصب للمدارس النحوية. وهناك قضية ثالثة اخـــتص بهـــا الزمخشـــري وهي قضية الاعتزال ومحاولته لي عنق الآيات والقراءات لتوافق مذهبه المعتزلي، وخلط المتواتر بالشاذ وتقديم الشاذ على المتواتر في تفسير الآية إذا اقتضـــت الضـــرورة والمآرب عند الزمخشري إلى غير ذلك من المصاعب التي لم يكن من السهل على الباحث اجتيازها دون نظر عميق وتحقيق وتدقيق، وإذا أضيف إلى ذلك الطبعات غير المخدومة للكشاف وخلوها من الضبط والتحقيق في جانب القراءات بـــل وجود الأخطاء المتكررة في ضبط القراءات، الأمر الذي كان يكلفني إنفاق الكثير من الوقت في ضبط القراءات من مصادرها الأصلية، المتواترة والشاذة لأن الزمخشري لم يكن يفرق بين المتواتر والشاذ غالباً، إلى غير ذلك من الأسباب التي أدت إلى طعن الآخريـــن فيه، ولا أعدو الحقيقة إن قلت إن هذا التشويش في تناول الزمخشري لبعض القـــراءات ساهم في إيجاد البيئة المناسبة للطاعنين في القرآن من جهة القراءات ولهذه الأســـباب ولغيرها جاءت هذه الدراسة التي اقتضت طبيعتها أن تكون في مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

أمـــا المقدمة فقد أودعتها أسباب اختيار الموضوع ومنهجي في البحث والدراسة ومن ثم عرضاً لمحتويات الدراسة.

وأمـــا التمهـــيد فتناولت فيه اسم الزمخشري ومولده وحياته العلمية والثقافية وما أثـــاره كشافه من نشاط فكري، وختمته بإبراز القيمة العلمية للكشاف من خلال ما ذكره العلماء فيه.

وانصـــب الحديـــث فـــي الـــباب الأول على أهمية القراءات القرآنية في تفسير الزمخشـــري. مهدت لذلك بتمهيد تناولت فيه معنى القراءات القرآنية بوصفها فناً مدوناً

ونشـــأتها وتطورها وأنواع القراءات وأوجه اختلافها ثم عرّفت بالأئمة العشرة أصحاب القراءات المتواترة ورواتهم.

وخصصـــت الفصل الأول للحديث عن اهتمام الزمخشري بالقراءات في تفسيره في ثلاثة مباحث أولها في استشهاد الزمخشري بالقراءات وإكثاره من ذلك. والثاني في عزو الزمخشري للقراءات والثالث في توظيف الزمخشري للقراءات في تفسير القرآن.

وســـلط الفصل الثاني من الباب ذاته الضوء على احتجاج الزمخشري للقراءات وتوجيهها لغوياً ونحوياً وبلاغياً.

ثـــم جـــاء الباب الثاني من الدراسة في نقد الزمخشري للقراءات أوضحت في الفصل الول منه موقف الزمخشري من القراءات ورسم المصحف، فكان المبحث الأول في حقيقة تفسير الزمخشري للقرآن على قراءة أبي عمرو البصري وتناولت في المبحث الثاني موقف الزمخشري من القراءات القرآنية نشأة ورواية وفي المبحث الثالث موقف الزمخشري من رسم المصحف.

وأمـــا آخـــر فصـــول الدراسة فخصصته للحديث عن القراءات التي طعن فيها الزمخشـــري أو لحـــنها أو قلل من شأنها في مباحث خمسة. أولها تناول القراءات التي طعن فيها الزمخشري بسبب مذهبه النحوي البصري، والثاني كان للقراءات التي طعن فيها الزمخشري بسبب البلاغة، والثالث كان للقراءات التي طعن فيها الزمخشري بسبب المعـــنى اللغـــوي، والـــرابع كان للقراءات التي طعن فيها الزمخشري بسبب اختلاف اللهجـــات وخصصـــت المبحـــث الخامس للحديث عن عقيدة الاعتزال عند الزمخشري وأثرها في توجيه القراءات.

ثـــم جـــاءت الخاتمـــة التي أودعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وأهم التوصيات التي يأمل الباحث أن توجه أنظار الطلبة إليها.

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في تحقيق الأهداف التي من أجلها كانت هذه الدراسة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القراءات المتواترة في تفسير

الزمخشري (الكشاف)

دراسة نقدية

تمهيد

دراسة حول الزمخشري وكشافه

المبحث الأول: اسمه وكنيته، مولده ونشأته.

المبحث الثاني: حياته العلمية، مؤلفاته، ثقافته، عقيدته.

المبحث الثالث: ما أثاره الزمخشري من نشاط فكري.

المبحث الرابع: القيمة العلمية لتفسيره الكشاف.

المبحث الأول

اسمه وكنيته، مولده ونشأته[١]

اسمه وكنيته:

هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ويكنى بأبي القاسم ولم تذكر كتب التراجم له كنية غيرها. لقب بجار الله لأنه أقام في مكة المكرمة سنين مجاوراً بيت الله الحرام واشتهر رحمه الله تعالى بهذا اللقب، وذكرت له كتب التراجم لقباً آخر هو: (فخر خوارزم). ولكن شهرته بالأول أكثر.

---

(١) انظر ترجمته في: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق عمر فاروق، بيروت - لبنان، مؤسسة المعارف، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م. ٧/٩١-٩٧. وابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ٩/٢٠، والقفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة - مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٥٥م، ٣/٢٦٥-٢٧٢، وابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت - لبنان، دار الثقافة، (د. ت) ٥/١٦٨-١٧٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٢٠/١٥١-١٥٦، واليافعي، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ٣/٢٠٥-٢٠٧، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١٢/١١٧، وأبي الوفاء، عبد القادر بن محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٣/٤٤٧-٤٤٨، والعسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق محمد المرعشلي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، ٦/٦٥١-٦٥٣، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م، والداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ص(٥١٠-٥١١)، والحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٤/٢٨٠-٢٨٣، وطاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري، القاهرة - مصر، دار الكتب الحديثة، د. ت، ٢/٩٧-١٠١، وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق - سوريا، مطبعة الترقي، ط١، ١٩٦٠م، ١٢/١٦٨.

مولــــده:

ولــد الإمـــام الزمخشـــري إمامــنا صاحب تفسير الكشاف يوم الأربعاء السابع والعشـــرين مـــن رجب سنة سبع وستين وأربعمائة من الهجرة النبوية الشريفة الموافق (١٩ آذار ١٠٧٥) من التاريخ الميلادي[١].

وكـــان مولده بزمخشر، وهي قرية من أعمال خوارزم، وإليها ينتسب هذا الإمام العظـيم، قـــال الســمعاني في الأنساب: (زَمَخْشَري: بفتح الزاي والميم، وسكون الخاء المعجمـــة، وفتح الشين المعجمة وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى زمخشر وهي قرية مـــن قـــرى خـــوارزم كبـــيرة، والمشـــهور من هذه القرية أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشـــري اللغـــوي كـــان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو... وكانت ولادته بزمخشر في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة) [٢].

وقـــد نقـــل يـــاقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) قولاً للزمخشري يؤكد ما ذكـــره أهـــل الـــتراجم وهـــذا نـــص كـــلام الزمخشـــري (أمّا المولد فقرية من قرى خـــوارزم مجهولـــة يقـــال لهـــا زمخشر، سمعت أبي قال: أجتاز بزمخشر أعرابي، فســـأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له: زمخشر والرّدّاء، فقال: لا خير في شرٍّ وردٍّ، ولم يلمم بها) [٣].

وعلـــيه فالإمـــام الزمخشـــري من بلاد العجم أو ما يسمى ببلاد ما وراء النهر وهـــي بـــلاد إيـــران ومـــا حولها ولم تذكر كتب التراجم شيئاً غير ما سبق ولا خلاف في ذلك.

---

(١) انظـــر، الحمـــوي، معجـــم الأدبـــاء، ٩٢/٧، والقفطي، انباه الرواة، ٢٦٦/٣، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٥٠٧/١.

(٢) الســـمعاني، عـــبد الكـــريم بن محمد، كتاب الأنساب، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـــ -١٩٩٩م، ٣٧٣/٢.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان ، بيروت – لبنان، دار صادر، ط، ١٣٩٩هـــ -١٩٧٩م، ١٤٧/٣.

نشأتـــه:

نشـــأ الإمـــام الزمخشري في بلدته التي ولد فيها (زمخشر) في بيت علم ودين، فـــأبوه إمـــام مسجد البلدة، وقد تعلم الزمخشري القراءة والكتابة على أبيه وحفظ القرآن على أبيه وبعض شيوخ البلدة(١).

ولـــم تتطرق كتب التراجم للحديث عن أسرته ولا نعرف عن هذه الأسرة إلا ما ذكره الزمخشري عنها شعراً أو نثراً، فقد ذكر رحمه الله تعالى شيئاً من صفات ومناقب والده فقال في رثائه:

فقدتـــه فاضـــلاً فاضـــت مآثـــره	العلـــم والأدب المـــأثور والـــورعُ
أخـــا طـــباع مصـــفاة مناســـبة	مـــاء الســـحابة ما في بعضها طبعُ
وذا حقـــائق لا فـــي لحظـــه طلبٌ	لغـــير رشـــد ولا فـــي لفظـــه قذعُ
لـــم يأل ما عاش جدّاً في تقاه يرى	أن الحـــريص علـــى دنـــياه منخدعُ
صـــام النهار وقام الليل وهو شجٍ	مـــن خشـــية الله كابي اللون ممتقع
مـــن المـــروءة فـــي علياء متسع	صـــدراً وإن لم يكن في المال متسع
قريـــب عهد بوخط الشيب عارضه	إثـــر الشـــباب ووصف الليل متبع(٢)

فـــي هـــذه الأبيات يذكر الزمخشري شيئاً عن صفات والده ولا بد أن تكون هذه الصفات تعكس صورة أسرة الزمخشري كلها.

فأبوه صاحب فضل وعلم وأدب فهو إمام مسجد البلدة كما عرفنا ويتصف كذلك بالـــتقوى والورع، وفي تعاملاته مع الآخرين وتصرفاته يظهر الرشد والاتزان، كما أنه لـــيس في كلامه الألفاظ البذيئة أو الشتائم المقذعة، وهو كذلك واسع الصدر حليم، وفي

---

(١) انظر: طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ٢/٩٩-١٠٠.

(٢) ديـــوان الزمخشري، نقلاً عن كتاب: الجويني – مصطفى الصاوي، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، القاهرة – مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٩م، ص٢٦.

جانب العبادة نجده يحرص على تقوى الله تعالى ويعمل لما بعد الموت ولا يغتر بالدنيا وزينــتها. فتراه يصوم النهار ويقوم الليل يخشى الله تعالى في كل أمره. ويخبرنا أخيراً أن أباه مات في أواخر شبابه وفي بدايات ظهور الشيب في عارضيه .

هذه هي صفات والد الزمخشري المعلم الأول له في بلدته أو لنقل الشخص الذي أثَّر فيه ودفعه نحو طلب العلم ودراسة القرآن، وكانت الأم على سيرة الأب من الحرص علــى امتــثال أمر الله تعالى واجتناب معاصيه والناس يشهدون لهذه الأسرة بذلك يقول الزمخشري:

هات التي شبهت ظلماً بشمس ضحى ... لـــو عارضـــتها لغطـــتها بإشـــراق

اســتغفر الله أنـــي قـــد نســـبت بها ... ولـــم أكـــن لحمـــياها بـــذواق

ولـــم يذقهـــا أبـــي كـــلا ولا أحـــد ... من أسرتي واتفاق الناس مصداقي[١]

فنشـــأة الزمخشـــري كانت في أسرة محافظة وبيت علم وقد أثر ذلك في شخص الزمخشري فنشأ محباً للعلم وأهله ساعياً لطلبه غير متردد ولا متكاسل في ذلك.

وثمة أمر آخر دفع الزمخشري لطلب العلم لا يقل أهمية عن السبب الأول، إن لم يكن هو الأهم من وجهة نظري، فالزمخشري ولد ونشأ في بلاد خوارزم في وقت حكم الســـلاجقة لبلاد المشرق الإسلامي، وتحديداً في عهد السلطان جلال الدنيا والدين (أبو الفـــتح ملكشـــاه)[٢] الذي امتد حكمه بين عامي (٤٦٥-٤٨٥)هـــ[٣] وفي هذه الفترة ولد الزمخشـــري، وقد عرف عن السلطان ملكشاه حبه للعلم والعلماء، وتقديمه لأهل العلم،

---

(١) الجويني، منهج الزمخشري، ص٢٤-٢٥.

(٢) هـــو جلال الدنيا والدين أبو الفتح ملكشاه محمد بن داود السلجوقي، مؤسس دولة السلاجقة في بلاد إيران ومـــا حولهـــا، عرف عنه الكرم والعقل والعدل والقوة والحكمة توفي سنة (٤٨٥هـــ)، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤٨/٨-٢٥١.

(٣) انظر: ابن الأثير، الكامل، ٢٤٥/٨-٣٣٨، والأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٤٨-٥٢، وحسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص٧١-٧٨.

وأعانـــه علـــى ذلـــك وزيره (نظام الملك) [١] الذي كان يقدم العلماء ويشجع طلبة العلم وكانـــت له مجـــالس علم يحضرها العلماء والأدباء والأئمة، فهو من أهل الدين والعلم والـــورع والجود، عرف بحسن إدارته ودهائه وحنكته وعلمه، في عهده أنشأ المدارس فـــي الأمصار المختلفة لتعليم الأدب والقرآن والحديث وأجرى الجرايات العظيمة لهذه المدارس، وكان هو يدرس العلم وأملى الحديث ببغداد وخراسان[٢].

يقـــول العماد الأصفهاني: (وفي أيامه – أي نظام الملك– نشأ للناس أولاد نجباء وتوفـــر علـــى تهذيب الأبناء الآباء ليحضروهم في مجلسه، ويحظوا بتقريبه، فإنه كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل، ومن وجد في بلد قد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب، وفي عصـــره نشأت طبقات الكتاب الجياد، وفرعوا المناصب وولوا المراتب، ولم يزل بابه مجمـــع الفضلاء وملجأ العلماء، وكان نافذ البصيرة، ينقب عن أحوال كل منهم ويسأل عن تصرفاته وخبرته ومعرفته، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه، ومن رآه مستحقاً لـــرفع قدره رفعه وأعلاه، ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه ورتب له ما يكفيه من جدواه، حـــتى يتطلع إلى إفادة العلم ونشره، وتدريس الفضل وذكره، وربما سيره إلى إقليم خال من العلم ليحلي به عاطله ويحيي به حقه ويميت به باطله) [٣].

إذن ولـــد الزمخشـــري ونشأ في عصر العلم والمدارس العلمية، عصر زها فيه العلـــم وقدم أهله فلا عجب أن نجد الأب من أهل العلم والإمامة ونجد الابن قد سار في هـــذا الطـــريق وأفنى حياته في طريق العلم والتعليم حتى إنه عزف عن الزواج بسبب

---

(١) هـــو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق، نظام الملك، أقدر وزراء الإسلام بعد يحيى البرمكي، من أهل الديـــن والعلم والحكمة والدهاء حليماً جواداً كان وزيراً لـــ (ألب أرسلان) والد ملكشاه ثم لملكشاه، توفي مقتولاً سنة (٤٨٥هـــ)، انظر: ابن الأثير، الكامل، ٣٤٨/٨.

(٢) انظر: ابن الأثير، الكامل، ٣٤٨/٨-٣٥٢.

(٣) الأصفهاني، عماد الدين، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٥٤.

العلم وطلبه وتدريسه، فالبيت بيت علم وفضل والمدينة – خوارزم– مدينة علم والعصر عصـــر علـم. وكل ذلك إذا وافق همة عالية من المرء صنع منه عالماً وإماماً وهذا ما كان للإمام الزمخشري رحمه الله تعالى.

صفحات من الابتلاء والصبر في حياة الزمخشري:

تعَرض الإمام الزمخشري لفصول من الابتلاء في حياة الطلب كغيره من العلماء وطلبة العلم ولكن هذه الظروف لم تمنعه من طلب العلم ومواصلة طريق التعلم والتعليم، من هذه الفصول:

أولاً: حادثـــة قطـــع رجله:علمنا مما سبق أن الحكام في زمن الزمخشري كانوا يحثون على طلب العلم ويشجعون طلاب العلم للوصول إلى مرادهم ويعطونهم ويكرمونهم وعلـــى رأس هؤلاء وزير الدولة (نظام الملك)، وهذا وغيره دفع والد الزمخشري إلـــى تعلـــيم ابنه وإرساله في طلب العلم من الأمصار المجاورة بمجرد بلوغه سن الطلـــب، ولكـــن وقعت حادثة للزمخشري في بعض أسفاره كادت تثنيه عن طلب العلـم، وقـــد ذكـــر المؤرخـــون هذه الحادثة وذكروا لها عدة أسباب منسوبة إلى الزمخشري رحمه الله(١).

يقـــول ابن خلكان: (وسمعت من بعض المشايخ أن إحدى رجليه كانت ساقطة، وأنـــه كـــان يمشي في جاون من خشب، وكان سقوطها أنه كان في بعض أسفاره ببلاد خـــوارزم وأصـــابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله، وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفاً من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة، والثلج كثيراً ما يؤثر في الأطراف في تلك البلاد فتسقط خصوصاً خوارزم، فإنها غاية في البرد....) (٢).

---

(١) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٧/٩٢-٩٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/١٦٩-١٧٠، واليافعي، مرآة الجنان، ٣/٢٠٦، والحنبلي، شذرات الذهب، ٤/٢٨١، وزاده، مفتاح السعادة، ٢/٩٩-١٠٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/١٦٩.

وذكــر القفطــي: إن الزمخشــري لمــا دخــل بغــداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغانـــي[1]، فســـأله عن سبب قطع رجله، فقال: دعاء الوالده، وذلك أني في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك، وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطع رجله...) [2].

وروي ايضـــاً عن الزمخشري قولـــه: (لما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخـــارى لطلب العلم، فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي وأصابني من الألم ما أوجب قطعها) [3].

وقـــد ذكر المؤرخون روايات أخرى في سبب قطع رجل الزمخشري وأوصلها صـــاحب مفتاح السعادة إلى ست روايات[4] ولا تعارض بين هذه الروايات كلها، وأرى أنهـــا اجتمعت كلها في سبب قطع رجله رحمه الله تعالى، وذلك أن الزمخشري لما بلغ ســـن الطلـــب رحل إلى بلاد بخارى وما حولها لطلب العلم ومما لا شك فيه أنهم كانوا يســـتعملون الدواب في تنقلهم، فسقط الزمخشري عن الدابة كما أخبر هو بذلك فسبب له هـــذا السقوط كسراً في إحدى رجليه أو جرحاً غائراً وبسبب البرد الشديد في تلك البلاد وعـــدم العـــناية الكافية بالجرح بسبب ظروف السفر تفاقم أمر هذا الجرح مما استدعى قطـــع رجله، والزمخشري لصلاحه وشعوره المرهف أرجع ذلك إلى دعاء الوالدة لأنه أغضـــبها بقطعه رجل العصفور وإن لم يكن قاصداً فكان إذا سئل عن سبب قطع رجله يقـــول: دعـــاء الوالـــدة، ويذكر قصة العصفور، هذا الحادث المؤلم الذي يحد من قدرة

---

(١) الدامغاني: هو أبو عبدالله، محمد بن علي الدامغاني فقيه فاضل من علماء الحديث والفقه والتفسير، تولى القضـــاء ببغداد وكان من أهل الصلاح توفي ببغداد سنة (٤٩٨هـــ)، انظر: السمعاني، الأنساب، ٢/٢١٣، وابن خلكان، الوفيات، ٥/٣٨٩.

(٢) القفطي، إنباه الرواة، ٣/٢٦٦.

(٣) السابق وانظر: الحموي، معجم الأدباء، ٧/٩٢.

(٤) انظر: طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ٢/٩٧-٩٩.

الإنسان على الذهاب والتنقل في أيامنا هذه مع توفر سبل النقل وسرعتها فكيف هو الحال في أيامهم وظروفهم الصعبة، لقد قطعت رجل الزمخشري في بدايات سن الطلب مما دفع الوالد المشفق على ما حل بولده في بواكير حياته إلى حمله إلى خياط ليتعلم الخياطة لأنه أصبح لا يقدر على التنقل والرحلة في طلب العلم والسعي إليه، ولكن الزمخشري الشاب الطموح المحب للعلم وطلب العلم يأبى إلا أن يكون في صفوف طلبة العلم ومجالسة العلماء، ويتحدى ما حل به من مصاب ويقول لوالده: (احملني إلى البلد واتركني)[١] ويتابع مسيرته في طلب العلم في خوارزم وبخارى ومنهما ينتقل إلى عواصم الثقافة الإسلامية في زمنه[٢].

ثانياً: ما حل به من سجن والده ووفاته في سجن (مؤيد الملك)[٣] والزمخشري تأثر لذلك كثيراً وقد بذل مجهوداً كبيراً لتخليص والده من الأسر والسجن عند مؤيد الملك، واستعطفه في قصيدة يظهر فيه ضعف حال أبيه وحاجة أطفاله وأسرته له يقول رحمه الله تعالى:

أكفى الكفاة مؤيد الملك الذي ... خضع الزمان لعزه وجلاله

ارحم أبي لشبابه ولفضله ... وارحمه للضعفاء من أطفاله

ارحم أسيراً لو رآه من العدى ... أقساهم قلباً لرق لحاله[٤]

وبقي والده في سجنه إلى أن مات رحمه الله تعالى فرثاه الزمخشري في أكثر من قصيدة إشارة إلى تعلقه بوالده وحزناً لأنه مات ولم يكن بجواره أو حتى لم يرو غلّته من رؤيته. فأبوه مات في شبابه ويموت مسجوناً عند مؤيد الملك، وحاول

---

(١) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ٢/١٠٠، ولعله يقصد بالبلد هنا خوارزم.

(٢) سيأتي الحديث مفصلاً عن رحلاته في طلب العلم إن شاء الله تعالى.

(٣) مؤيد الملك بن نظام الملك وزير السلطان محمد بن أبي الفتح ملكشاه، كان بخيلاً سيء السيرة مع الأمراء إلا أنه كان كثير الحيل في إصلاح أمر الملك، قتله السلطان بركيا روق سنة (٤٩٤هـ)، انظر: ابن الأثير، الكامل، ٨/٤٢٠-٤٢١.

(٤) الجويني، منهج الزمخشري، ص٢٥.

الزمخشـري مـرارا فك والده من سجنه فلم يصل إلى بغيته، ثم يموت والده، هذه كلها مثبطات، ومع ذلك يثبت الزمخشري ويصبر في مواجهة هذا الابتلاء. ويواصل طريقه في العلم وطلبه.

ثالـثاً: لم يقف الموت عند أخذه لأبيه في شبابه فقط بل سلبه كل نصير أو معين له في حياته فهجم على جده وعمه وأخيه ولم يترك أخواله، يقول رحمه الله تعالى:

مـا للنوائـب لا يـنفك ديدنهـا   غمـي وهجـيرها قهـري وإذلالـي

أودت بجدي وما أبقت أخي وطوت   عمي وصادت باسباب الردى خالي[١]

ثم يرثي خاله الآخر بقوله:

يـا خـير خاليـن إني بعد فقدكما   مـن لوعـة وأسى في شر حالين

وإن فـرقة خـال واحـد حطمـت   ظهـري فكـيف إذا فارقت خالين[٢]

هذه صور من المحن التي تعرض لها الزمخشري وثبت في حياته وصبر على كـل هـذا مواصـلاً طريقه في طلب العلم من مدينة لاخرى ومرتاداً المساجد في تعلم القرآن وتعليمه ليكون من خير أمة محمد ﷺ .

---

(١) السابق، ص٢٧.

(٢) السابق.

المبحث الثاني:

حياته العلمية، ثقافته، مؤلفاته، عقيدته

بـدأت حياة الزمخشري العلمية في بلدته زمخشر حيث بدأ بتعلم القراءة والكتابة على أبيه إمام مسجد البلدة، ومن ثم حفظ القرآن على أبيه، وبعض شيوخ بلدته. وبعد أن أخـذ الزمخشري من علماء بلدته دفعته نفسه الطموح للسعي في طلب العلم والاستزادة منه علـى الرغم من الظروف الصعبة التي كان يعيشها من فقر الأسرة وفقدان إحدى رجليه إلا أن كل ذلك لم يكن حائلاً بين الفتى قوي الإرادة والشكيمة متوقد الذكاء وبين العلـم، فـبدأت رحلاتـه لطلـب العلم بين عواصم العلم المختلفة في شتى بلاد العالم الإسلامي.

رحلاته العلمية وشيوخه:

انـتقل الزمخشـري مـن بلدته زمخشر إلى مدينة خوارزم؛ العاصمة العلمية والثقافـية لذلـك الإقلـيم وفـيها التقى أبا مضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني المعتزلـي[1]. وقـد أتى الضبي خوارزم في زمن نشأة الزمخشري وكان عالماً فاضلاً خلوقاً استطاع بعلمه وفضله أن يؤثر في أهل خوارزم وأن يدخل إليها مذهب المعتزلة، أخذ الزمخشري الأدب والنحو من أستاذه الضبي كما أخذ منه عقيدة الاعتزال[2].

ولـم يتوانَ الضبي في مساعدة الزمخشري فقدم له العلم والأدب كما قدم له كل عـون في شق طريقه في الحياة ووسع عليه ما ضاق من سبل عيشه وخفف عنه شدائد

---

(١) (هو محمود بن جرير الضبي الأصفهاني النحوي أبو مضر، فريد عصره ووحيد دهره وأوانه في علوم اللغة والنحو والطب، يضرب به المثل في أنواع الفضائل، أقام بخوارزم مدة، وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقـه وأخذوا عنه علماً كثيراً، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو منهم الزمخشري، وهو الـذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه) انظر الحموي، معجم الأدباء، ١٩/١٢٣-١٢٤.

(٢) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٩/٩٣-٩٤، والسيوطي، بغية الوعاة، ١/٥٢٦.

حياته، فكان الضبي للزمخشري الأب والأستاذ يساعده بماله ويتعهده بعلمه وأدبه وحين شـــب الزمخشـــري وآنس أستاذه منه رشداً وكفاءة قدمه لوزراء الدولة من أسرة نظام الملـــك، وســـاعدت مكانــــة الضـــبي عند هذه الأسرة الزمخشري في توطيد صلته بهم وبغيرهم من السادة والحكام[١].

ومن هنا انطلق الزمخشري في رحلة حياته في طريقين متوازيين هما:

الأولى: طريق العلم والتعليم التي نشأ عليها وأخذها من أسرته وبيئته وأحبها.

الثانـــية: طريق الوصول إلى السلطة والمنصب الذي يساعده في حياته ومعاشه ويحقق له منزلة اجتماعية، ويساعده كذلك في نشر مذهب الاعتزال الذي حرص على نشره بحماسة واعتداد متأثراً بشيخه الضبي.

فـــأخذ الزمخشـــري يتصل بالوزراء ويمدحهم ويثني عليهم، فمدح وزير الدولة نظـــام الملك، ومدح أبناءه من بعده، ثم وسع اتصالاته بكبار رجال الدولة وارتحل إليهم فـــي خراسان وأصفهان، ومدح كذلك الخليفة العباسي ببغداد المستظهر بالله[٢] وجماعه مـــن سلاطين الدولة السلجوقية[٣] والدولة الخوارزميه[٤] وغيرهم من كبار الشخصيات في زمانه ولكنه مع كل هذا لم يصل إلى بغيته ومطلبه الذي يريد من السلطة والجاه.

وهـــو كذلـــك في أثناء رحلاته كان يجلس إلى العلماء والأدباء يأخذ عنهم علوم اللغـــة والأدب والنحو والتفسير، وبقي على هذه الحالة من التنقل بين البلدان يأخذ العلم

---

(١) انظـــر: الجوينـــي، مـــنهج الزمخشـــري، ص٢٧-٣١٢، وضيف عبد الستار، جار الله محمود بن عمر الزمخشري حياته، وشعره، القاهرة – مصر، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٥٨-٦١.

(٢) المســـتظهر بـــالله، هـــو الخلـــيفة العباسي أحمد بن عبدالله بن القائم أبو العباس، كان ممدوح السيرة لين الجانـــب كـــريم الأخلاق يفعل الخير يحب الشعر والأدب توفي سنة (٥١٢)هـ انظر: ابن الأثير، الكامل ١٠/٨١، ٨٢.

(٣) مـــنهم الســـلطان محمـــد بن ملكشاه، والسلطان السلجوقي سنجر، انظر الجويني، ص٣١-٤٥، وضيف ٥٩-٦٣.

(٤) منهم الخوارزمشاه محمد بن أنوشتكين وابنه اتسز ومجير الدولة الأرستاني كاتب رسائل السلطان السابق.

ويمـــدح الحكـــام والسلاطين حتى سنة (٥١٢هـــ). حيث مرض في هذه السنة مرضا شديداً وسماها السنة المنذرة، فرجع الزمخشري عن طريق مدح الحكام والسلاطين التي لـــم يحقـــق فيها مقصده وخابت فيها آماله فلم ينل من السلاطين شيئاً في حين أنه حقق نجاحاً في طريق العلم ونبغ في علوم مختلفة على رأسها علوم العربية من النحو واللغة والشعر والأدب. نستطيع القول أن هذه السنة التي سماها الزمخشري الناهكة أو المنذره كما جاء في مقاماته[١]، حددت مسيرة حياته وهي طريق العلم والغاية من ذلك رضا الله تعالى لا قربة السلطان أو الحصول على مغنم دنيوي، بل عاهد الله تعالى إن عافاه من مرضـــه ومنَّ عليه بالصحة أن لا يطأ عتبة السلطان، وأن يربأ بنفسه ولسانه عن قول الشـــعر فـــيهم، وأن يعـــف عن ارتزاق عطياتهم وافتراض صلاتهم، مرسوماً وادراراً وتسويفاً ونحوه، ويجدَّ في إسقاط اسمه من الديوان ومحوه، وأن يعنف نفسه حتى تقيء مـــا اســـتطعمت في ذلك فيما خلا لها في سني جاهليتها، وأن يعتصم بحبل الله ويتمسك ويتبـــتل إلـــى ربه ويتنسك وأن لا يدرس من العلوم التي هو بصددها إلا ما هو مهيب بدراســـته إلـــى الهدى رادع له عن مشايعة الهوى ، وأن يشغل نفسه بدراسة كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[٢]، ولزم بيته بعد أن شفاه الله تعـــالى وأقـــبل على أمور دينه وآخرته ومكث أربع سنوات ألف خلالها كتباً مهمة هي المفصـــل فـــي صنعة الإعراب والفائق في غريب الحديث الشريف وخصائص العشرة الكرام البررة[٣].

بعد هذه السنين الأربع قرر الإمام الزمخشري أن يشد الرحال إلى بلد الله الحرام مهاجـــراً إلى ربه تعالى، تاركاً ملوك الدنيا وافداً على ملك الملوك عاقداً العزم أن يقيم في حرم الله حتى يحين أجله راجياً الله تعالى أن يقبل توبته ويغفر له ذنبه.

---

(١) انظر: الزمخشري، المقامات، ص٧-١٠.

(٢) انظر: الزمخشري، المقامات، ص٩-١٠.

(٣) انظر: ضيف، جار الله الزمخشري، ص٧١، وسيأتي الحديث مفصلاً عن مؤلفاته إن شاء الله تعالى.

يقول في ذلك رحمه الله تعالى:

سيرى تماضر حيث شئت وحدثي ... أنـــي إلـــى بطحـــاء مكـــة ســـائر
حـــتى أنـــيخ وبين أطماري فتى ... للكعـــبة البيـــت الحـــرام مجـــاور
مـــتعوذ بالركـــن يدعـــو ربـــه ... يشـــكو جرائـــر بعدهـــن جرائـــر
يشـــكو جرائر لا يكاثرها الحصا ... لكـــنها مـــثل الجـــبال كـــبائر
والله أكـــبر رحمـــة والله أكـــ ... ـثـــر نعمـــة وهـــو الكريم القادر
ســـأقيم ثَـمَّ وثَـمَّ تدفن أعظمي ... ولســـوف يبعثنـــي هناك الحاشر(١)

وفـــي طـــريقه إلى مكة المكرمة مرّ ببغداد ولقي علماءها ومشايخها وأخذ عنهم علـــوم اللغـــة والفقه والتفسير والحديث، ومن المشايخ الذين أخذ عنهم الزمخشري في رحلته هذه الفقيه الحنفي الدامغاني.

والـــتقى أيضاً أبا محمد الخشاب، وهو من أعلم معاصري الزمخشري بالعربية، من أهل بغداد، وكان عارفاً بعلوم الدين له كتاب في النحو توفي سنة (٥٦٧هـــ) (٢).

والتقى كذلك ابن الشجري وهو هبة الله بن علي أبو السعادات الشريف المعروف بابـــن الشـــجري مـــن أئمة العلم باللغة والأدب وأصول العرب، من مؤلفاته: الحماسة، والأمالي، توفي سنة (٥٤٢هــ) (٣). كما سمع الحديث من أبي الخطاب نصر بن البطر ومن شيخ الإسلام أبي منصور بن الحارثي البغدادي ومن أبي سعد السقّاني وغيرهم من علماء بغداد(٤).

ثـــم واصـــل رحلـــته إلـــى بيت الله الحرام ودخل مكة سنة (٥١٦هـــ). وفيها الـــتقى بالشـــريف الأمـــير علـــي بـــن عيسى بن حمزة بن وهاس العلوي، كان شريفاً

---

(١) الجويني، منهج الزمخشري، ٣٥-٣٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٦٩/١.

(٣) السابق، ١٢٩/٦، وانظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ٤٠٧/٢.

(٤) انظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص٤١، وانظر: الجويني، منهج الزمخشري، ص٣٥.

جليلاً عالماً من شرفاء مكة ذا فضل غزير وله تصانيف مفيدة برع في علوم الأدب والنحو والحديث[1]. وهو من العلماء الذين أخذ منهم الزمخشري وأخذ هو من الزمخشري، ولقي الزمخشري منه العناية والرعاية والإكرام، وفي مكة المكرمة مكث الزمخشري عامين التقى فيهما مجموعة من العلماء وناقشهم وحاورهم وناظرهم، من هؤلاء العلماء: الشيخ عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبدالله اليابري الأندلسي، من أهل يابره من بلاد الأندلس، نحوي أصولي فقيه قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه[2].

حرص الزمخشري على التنقل والارتحال في بلاد الإسلام طلباً للعلم فزار كل بقعة من أرض العرب يقول رحمه الله: (وطئت كل تربة في أرض العرب) [3].

وبعد ذلك عاود الزمخشري الحنين لبلاده خوارزم فشد الرحال إليها وعاوده الحنين إلى المنصب ومجالسة السلاطين فالتقى السلطان (محمد بن أنورشتكين) حاكم خوارزم ويلقب خوارزمشاه فمدحه ونال عنده حظوة وإكراماً ومن بعده مدح ابنه (اتسز) ولقي عنده ما لقيه عند أبيه، ومع كل ذلك استمر الحنين والشوق في قلبه إلى مكة المكرمة فلم يقاوم هذا الشوق وترك الدنيا بعد أن فتحت له أبوابها وعاد إلى جوار بيت الله الحرام.

وبذلك تغلب الزمخشري على نفسه التي طلبت الدنيا أكثر من مرة، وجاور في حرم الله تعالى مرة أخرى ودوام هذا الجوار مدة أطول من مدة إقامته في الجوار الأول ألف فيها تفسيره الكشاف وهو واسطه عقد مؤلفاته وكفى به شرفاً وفخراً. وفي هذين الجوارين يقول رحمه الله:

---

(١) انظر: الحموي، معجم البلدان، ٥/٢٨٨.

(٢) انظر السيوطي، بغية الوعاة، ص٦٧، وزاده، مفتاح السعادة، ٢/٣١٢.

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، ١/٧٨. مادة (ترب).

فجـاورت ربـي وهو خير مجاور لـدى بيـته المحـرم عاكفـاً
أقمـت بـإذن الله خمسـاً كواملاً وصـادفت سـبعاً بالمعـرف واقفاً
وتـم لـي الكشـاف ثـم بـبلدة بهـا هـبط التـنزيل للحـق كاشفاً
وزرت ابـن عـباس بوجّ ونممت يدي عند رأس الحبر منه طرائفا[١]

وبعـد أن بلغ هذا المجد في مجال العلم وطارت سمعة الكشاف في طول البلاد وعرضـها وبعـد أن تجاوزت مصنفات الزمخشري السبعين في شتى العلوم[٢] تتناقلها أيـدي العلماء وطلبة العلم حنّ إلى بلده خوارزم وذلك بعد سنة (٥٢٨هـ) وهي السنة التـي انتهى فيها من تفسيره الكشاف كما سيأتي. وفي هذه الفترة ازداد زهده في الدنيا وأقبل على الله تعالى بكل جوارحه. ومع ذلك لم يمنعه ذلك من طلب العلم والرحلة في سبيله، يقول صاحب كتاب إنباه الرواة عن أحد تلاميذ الزمخشري: (قدم علينا بغداد سنة ثـلاث وثلاثين وخمسمائة ورأيته عند شيخنا أبي منصور الجواليقي[٣] رحمه الله مرتين قارئاً عليه بعض كتب اللغة من فواتحها مستجيزاً لها) [٤].

نعم هذا شأن العالم الشغوف بالعلم الذي لا يترك فرصة تفوته دون أن يعيش مع العلم طلباً أو تدريساً كيف لا وهو من هجر الدنيا وزينتها طلباً للعلم وهجر النساء والولد استجابة لهذا الدافع العظيم.

ثـم يعود إلى بلاده خوارزم بعد ذلك زاهداً في كل شيء في الدنيا، بعد أن بلغ هذه المكانة العظيمة في الدنيا أراد أن يرفع مكانته في الآخرة فعزف عن كل شيء حتى عن العلم والتدريس إلا من تلاوة القرآن الكريم والعبادة.

---

(١) الجويني، منهج الزمخشري، ص٤٠.
(٢) سيأتي الحديث مفصلاً عن مؤلفات الزمخشري إن شاء الله تعالى.
(٣) أبـو منصـور الجواليقي: موهوب بن أبي طاهر أحمد الجواليقي، كان إماماً في فنون الأدب، من مفاخر بغداد، وله من التصانيف المفيدة مثل: شرح أدب الكاتب، والمعرب من الكلام الأعجمي، توفي ببغداد سنة (٥٣٩هـ)، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/٤٢٤، والسيوطي، بغية الوعاة، ص٤٠١.
(٤) القفطي، إنباه الرواة، ٣/٢٦٩.

يقول رحمه الله تعالى في رده على استجازة الحافظ أبي طاهر السلفي إياه: (وأما مــا طلب عندي وخطب إلي من العلوم والدراسات والسماعات والروايات فبنات خلعت علــى تربيتهن الشباب ثم دفنتهن وحثوت عليهن التراب... ونقلت كتبي إلى مشهد أبي حنــيفة رحمـــه الله، فوقفــتها وأصفرت منها يدي إلا دفتراً واحدا قد تركته تميمة في عضـــدي وهــو كــتاب الله المبين، والحبل المتين والصراط المستقيم. لأهب لما قعدت بصـــدده كلي، وألقى عليه وحده كلي، ولا يشغلني عنه بعض ما يجعل الرأس مشتركاً، ويــرد القلــب مقتســماً، ولذت بحرم الله المعظم وبيته المحرم، وطلقت ما وزرني بتاً، وكففت ذبلي عنه كفتاً، ما بي هم إلا خويِّصتي وما يلهيني إلا النظر في قصتي، انتظر داعي الله صباح مساء) (١).

وفاتــه:

انتقل الزمخشري إلى رحمة الله تعالى في وقت مبارك من ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة النبوية الشريفة بجرجانية خوارزم.

وجُرْجَانِّية: بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكســورة وبعدهــا يــاء مثــناة من تحتها مفتوحة مشدودة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم(٢).

ذكر ابن خلكان عن الزمخشري أنه أنشد لغيره أبياتاً من الشعر وطلب من بعض الفضلاء وأوصاه أن تكتب على لوح قبره وهي:

يــا من يرى مد البعوض جناحها … فــي ظلمــة اللــيل البهــيم الأليل
ويــرى عروق نياطها في نحرها … والمــخ فــي تلــك العظام النحل
اغفــر لعــبد تــاب مــن فرطاته … مــا كــان مــنه في الزمان الأول

---

(١) أزهار الرياض، للزمخشري، نقلاً عن ضيف، ص٧٥-٧٦.

(٢) انظر: الحموي، معجم البلدان، ١٢٢/٢-١٢٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٧٣/٥ – ١٧٤.

وذكر أيضاً أنه أنشده بيتين أوصى صاحبهما أن يكتبا على قبره وهما:

إلهـــي قد أصبحت ضيفك في الثرى وللضـــيف حـــق عـــند كل كريم

فهـــب لـــي ذنوبي في قراي فإنها عظـــيم ولا يُقـــرى بغير عظيم(١)

تلاميـــذه:

كـــان للمكانـــة العلمية التي وصل إليها الإمام الزمخشري وللثقافة الواسعة التي أســـفرت عـــنها أســـفاره ومصنفاته الأثر الكبير في توجيه أنظار طلاب العلم إليه، فقد عـــرف الطلاب قدره العلمي في مختلف العلوم التي برع بها وحرصوا على الأخذ عنه والســـماع مـــنه وطلب إجازته فهو بحق مدرسة تقصد، ويذكر صاحب إنباه الرواة أن الزمخشـــري مـــا دخل بلداً إلا واجتمع عليه طلاب العلم، وأخذوا منه وتتلمذوا له، كما يكشف عن إقبال أهل العلم عليه ، فيقول: (وأقام الزمخشري بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبـــل، وتحـــط بفـــنائه رحال الرجال، وتحدى باسمه مطايا الآمال) (٢)، ويذكر ياقوت الحمـــوي أن الزمخشـــري قـــدم بغداد في طريقه إلى الحج فاجتمع الناس حوله ليسمعوا منه(٣).

ويكشـــف الســـمعاني عـــن انتشـــار تلاميذ الزمخشري في الأمصار الإسلامية وانتســـابهم لمـــدن كثيرة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انتشار علم الزمخشري وذيـــوع سمعته في الأمصار يقول السمعاني: "ظهر له جماعة من الأصحاب والتلامذة فـــروى عـــنه أبو المحاسن إسماعيل بن عبد الله الطويلي بطبرستان وأبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزار بأبيورد وأبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشر، وأبو سعيد أحمد بن محمود الشاتي بسمرقند، وأبو طاهر سلمان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٧٣/٥.

(٢) القفطي، إنباه الرواة، ٢٦٦/٣.

(٣) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٩٨/٧.

وجماعـــة سواهم"[1]. وإقبال طلاب العلم إنما يكون على الأستاذ والعالم المتمكن وكذلك كان الزمخشري رحمه وذكرت كتب التراجم تلاميذه أيضاً ومنهم:

أبو الحسن علي بن محمد بن علي العمراني الأديب الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ وقد قرأ هذا التلميذ الأدب على الزمخشري، فصار من أكبر أصحابه وأوفرهم حظـــاً مـــن غرائـــب آدابـــه، وتفـــرغ صاحبنا لنشر العلم، كما أنه سمع الحديث عن الزمخشري وكان ولوعاً بالسماع كتوباً فزع إليه الناس في حل المشكلات وكان آية في الدين والصلاح والزهد، توفي نحو سنة (٥٦٠هـ)[2].

ومـــن تلامـــيذ الزمخشري: محمد بن أبي القاسم البقالي الخوارزمي أبو الفضل الملقب بزين المشايخ النحوي الأديب، أخذ عن الزمخشري الفقه الحنفي وعلم الإعراب وســـمع منه الحديث الشريف، وكان رحمه الله إماماً في الأدب وحجة في لسان العرب، وجلـــس بعده في مكانه يعلم الناس، وكان جم الفضائل حسن الاعتقاد كريم النفس، من مصـــنفاته مفتاح التنزيل في التفسير، وتقويم اللسان في النحو، والإعجاب في الإعراب والبداية في المعاني والبيان وغيرها. توفي سنة (٥٦٢هـ)[3].

ومـــنهم: الموفـــق بـــن أحمـــد بـــن أبـــي ســـعد إسحاق أبو المؤيد المعروف باخطـــب خـــوارزم، كـــان متمكناً في العربية غزير العلم فقيهاً فاضلاً وأديباً شاعراً، قـــرأ علـــى الزمخشـــري في مكة المكرمة وأخذ العربية عنه بخوارزم، من مصنفاته: مناقـــب الإمـــام الأعظـــم أبي حنيفة، ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب توفي سنة (٥٦٨هـ)[4].

---

(١) السمعاني، الأنساب، ٣/٣٧٣، وبحثت عن تراجم للذين ذكرهم فلم أجد.

(٢) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٥/٣٧٣، وأنظر: السيوطي، بغية الوعاة، ٣٧١.

(٣) السيوطي، بغية الوعاة، ص٤٠١..

(٤) الحموي، معجم الأدباء، ٧/٢٧٤، والسيوطي، البغية، ٤١٩.

ومـــنهم: أبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي ثم الجندلي، أحد أئمة الأدب والعربية، وقد أخذ عن الزمخشري ولزمه(١).

وذكر كارل برو كلمان تلميذاً للزمخشري هو ضياء الدين المكي وأشار إلى أن هذا التلميذ كان من أحب التلاميذ إلى الزمخشري(٢).

ومن تلاميذه: أحمد بن محمود القاضي، من أهل سمرقند برع في العربية وروى أشعار الزمخشري سماعاً منه(٣).

ومـــنهم: صـــدر الأفاضــــل أبـــو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمـــي ويلقـــب بأبي المكارم وهو من فقهاء الحنفية إلى جانب نبوغه في الأدب والعربـــية، كان رأسا في الاعتزال من مصنفاته (الإيضاح) في شرح مقامات الحريري والمصباح في النحو والمعرب في اللغة توفي سنة (٦١٠هـ) (٤).

ومـــنهم أبو إسماعيل يعقوب بن شيرين الجندي القاضي، أديب الملوك، قال عنه الزمخشـــري: (أفضل الفتيان في عصره وأعقلهم وأذكاهم، كان كاتب سلطان خوارزم فاســـتعفى ، وهو يكتب باللسانين العربي والفارسي ويحسن وهو ممن ربيت وخرّجت، وبلغت تلك الذروة، وهو أوثق سهم من كنانتي) (٥).

نلاحظ مدى اعتداد الزمخشري بتلاميذه وتقديمه وتقديره لهم.

ومـــن تلامـــيذه: علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس من شرفاء مكة وأمرائها، وســـبق الحديث عنه في شيوخ الزمخشري والحقيقة أن ابن وهاس أخذ عن الزمخشري اللغة والنحو والتفسير وأعطاه الحديث الشريف(٦)، يقول فيه الزمخشري:

---

(١) انظر: السابق.

(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٥/٢٣٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/١٥٥.

(٤) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢/١٥١، والسيوطي، البغية، ٤٠٢.

(٥) الزمخشري، أزهار الرياض، نقلاً عن ضيف ص٨١-٨٧.

(٦) القفطي، انباه الرواة، ٣/٢٦٧.

ولـــولا ابن وهاس وسابق فضله   رعيــت هشــيماً واســتقيت مصرداً
ولا كابـــن وهاس فتى ضم برده   حســاماً وضــرغاماً وأخضــر مزبداً
فــتى هــو حالٍ بالمعالي بأسرها   وقــد حليــت مــنه المعالي بأوحداً(١)

وممـــن أخذ من الزمخشري وأعطاه كذلك الإمام ركن الدين محمود الأصولي، فكان الأصولي يقرأ عليه علم التفسير ويأخذ الزمخشري منه علم الأصول(٢).

واســتجاز الزمخشــري عدد من التلاميذ، فمنح عدداً منهم الإجازة ومنعها عن آخرين وهذا مؤشر آخر على إقبال أهل العلم على علم الزمخشري. من الذين استجازوا الزمخشــري وجهــدوا للحصــول على إجازة منه: الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد الســلفي الأصــفهاني له مدرسة في الإسكندرية، كثير الحفظ له مصنفات كثيرة، منها (معجــم شــيوخ بغــداد) و(معجم شيوخ أصفهان) توفي سنة (٥٧٦هـــ) (٣). وقد كتب الحافظ السلفي للزمخشري أكثر من مرة يستجيزه ورد الزمخشري عليه بكتاب لم يشف الغليل في الإجازة أو الرفض جـــاء فيه: (لا يغرنكم قول فلان وفلان فيَّ وذكر جماعة مـــن العلمـــاء والشعراء أثنوا عليه، ومدحوه، فإن ذلك اغترار بالظاهر المموه، وجهل بالباطـــن المشـــوه، ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين، وبلوغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع المطامع، وإفاده المبارِّ والصنائع وعزة النفس والرَّبء بها عن السفاسف والإقبال على خويصتي والإعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم، وغلطوا فيّ ونسبوني إلى ما لست منه في قبيل ولا دبير(٤)...) (٥).

(١) انظـــر هذه الأبيات وغيرها في: السامرائي، فاضل صالح، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، بغداد – العراق، دار النذير للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٩هـــ-١٩٧٠م، ص١١
(٢) انظر: زاده، مفتاح السعادة، ٤٣٣/١.
(٣) السيوطي، البغية، ص٣٠٨.
(٤) قولهم لا يعرف القبيل من الدبير أي لا يعرف الشاة المقبلة من المدبرة، أو لا يعرف من يقبل ممن يدبر.
(٥) الحموي، معجم الأدباء، ٩٦/٧-٩٧.

وكتـــب الســـلفي إليه مرة أخرى وذكر ذلك ابن خلكان ثم قال: (ولم يصرح له بمقصودة فيها – أي في الإجازة- وما أعلم هل أجازه بعد ذلك أم لا)(١).

وذكر السيوطي في طبقات المفسرين أن الزمخشري أجاز السلفي المذكور(٢).

كمـــا أجـــاز زينب بنت الشعري أم المؤيد، وهي من أهل العلم والفضل أدركت جماعة من العلماء والفقهاء وأخذت عنهم رواية وإجازة منهم العلامة الزمخشري، يقول ابن خلكان: (وبيني وبينه في الرواية شخص واحد، فإنه أجاز زينب بنت الشعري ولي منها إجازه)، وكانت سنة وفاة زينب المذكورة (٦١٥هـ)(٣).

وطلـــب الإجـــازة من الزمخشري كذلك: رشيد الدين الوطواط الأديب والكاتب والشاعر كان من نوادر الزمان وعجائبه وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنـــثر وأعلـــم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب طار في الآفاق صيته وسار في الأقاليم ذكره، وكان من عجائبه أنه ينشئ قصيدة بيتاً بالعربية وبيتاً بالفارسية ويمليها معاً مع اختلاف البحر في كل بيت، توفي الوطواط سنة (٥٧٨هـ)(٤).

هـــذه بعض ثمار الشجرة اليانعة الزمخشري بل هؤلاء أبناؤه الذين استغنى بهم عن النسل والذرية منحهم حبه ورعايته وودّه ورغبهم في علمه بما رزقه الله تعالى من خلـــق حســـن وصـــلاح، يقول الوطواط رشيد الدين: (وقد جرى بيني وبينه في حياته وأوقات راحاته مما يتعلق بفنون الأدب وأقسام علوم العرب مسائل أكثر من أن يحصى عددهـــا أو يستقصي أمدها، رجع فيها إلى كلامي ونزل على قضيتي وأحكامي فالسعيد إذا سمع الحق سكتت شقاشق لجاجه وسكنت صواعق حجاجه.... وأنا ذكرت هذا القدر اليســـير لـــيعلم فتيان هذه الخطة أن هذا الإمام – أي الزمخشري – كان صبوراً على

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٧١/٥.

(٢) انظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص٤١.

(٣) ابن خلكان، ١٧١/٥-١٧٢، وترجمتها، ٣٤٤/٢.

(٤) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٢٩/٧، واسم الوطواط، محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك.

مــرارة الحق ومرارة الصدق مع أنه ربُ هذه البضائع وصاحب هذه الوقائع، فهو مع الحق ولو على نفسه) [١].

هذا هو حق الوفاء بين الشيخ وتلاميذه، وهذه صورة جميلة لما ينبغي أن يكون عليه العلماء وطلبة العلم في كل زمان فالعلم رحم بين أهله.

ويلاحــظ على تلاميذ الزمخشري أنهم كانوا من صفوة علماء العربية وخيرتهم، وهذا يعكس مكانة الزمخشري العلمية وماله من فضل بعد الله تعالى عليهم.

مؤلفاتـــه:

كان لنبوغ الزمخشري وذكائه وحرصه على العلم والتدريس والتصنيف وتفرغه حتى عن الزوجة والولد أكبر الأثر في كثرة نتاجه العلمي كماً وكيفاً، لقد أحصى العلماء ما يزيد على سبعين مصنفاً للإمام الزمخشري ومنهم من أوصلها إلى التسعين وأكثر من ذلك[٢] وهذه الكثرة تعكس بلا شك جانباً مهماً من سعة ثقافة الزمخشري وغزارة علمه.

وقد شملت المصنفات التي خلفها الزمخشري مختلف الفنون والعلوم السائدة في عصـــره، فـــألّف رحمه الله تعالى في تفسير القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي الـــنحو واللغة والبلاغة وفي الأدب شعراً ونثراً، وفي الرقائق والنصائح، وفي الأمثال وفـــي العروض وغيرها من العلوم التي برع بها، فهو بحق صاحب المصنفات البديعة المشهورة التي انتشرت في كل بقاع الأرض وأخذ منها كل من جاء بعده كل في فنه.

لكـــن لم يصلنا من مصنفات الزمخشري إلا ما يقل عن نصفها والباقي في عداد المفقـــود ولـــم يطبع من هذا النصف إلا نصفه، لذا أقول: إن الباحث أو الدارس لتراث

---

(١)رسائل البلغاء للزمخشري، ط سنة ١٣٦٥هـــ نقلاً عن الجويني، منهج الزمخشري، ص٤٩.

(٢) قـــد يـــرجع هذا الاختلاف إلى عدم الاطلاع على جميع مؤلفات الزمخشري سيما وأنه لم يصلنا منها إلا القلـــيل أو إلـــى الاختلاف في أسمائها، فبعض المصنفات ذكر لها العلماء أكثر من اسم للمصنف ذاته كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الزمخشـــري لا يســـتطيع أن يقف إلا على ربع نتاجه العلمي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلـــي العظـــيم. لكن هذا الربع على قلته مقارنة بالنتاج كله يكشف عن جبل من جبال العلم شهد له بالسبق والتقدم القاصي والداني، وفيما يلي ذكر بعض مصنفاته:

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(١).

وهـــو كـــتاب التفســـير المشـــهور، ونستطيع القول أنه خلاصة ما وصل إليه الزمخشري في فنون العلم المختلفة، فنجد فيه اللغة، والنحو، والبلاغة، والشعر والأمثال والفقـــه، والذكـــاء وعمق التفكير، وحسن الاستنباط. وسيأتي الحديث عنه مفصلاً بإذن الله تعالى.

الفائق في غريب الحديث(٢):

اختلفـــت المصادر في اسم هذا الكتاب فمنهم من ذكر اسمه (الفائق وشيم الرائق فـــي غريب الحديث) (٣) وذكره آخر باسم (غريب الحديث) (٤) وذكره ثالث باسم (الفائق فـــي تفسير الحديث) (٥) وهذه الاختلافات ترجع إلى النساخ لكن الاسم الذي ذكرته جل كتب التراجم هو (الفائق في غريب الحديث) رتب الزمخشري الأحاديث في هذا الكتاب حســـب حـــروف المعجم، وكشف فيه عن معاني الألفاظ الغريبة في الأحاديث المتناولة وحرص أن يتناول جميع المفردات الغريبة في الحديث الشريف يقول ابن الأثير: (جاء

---

(١) انظـــر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت – لبنان، دار إحـــياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢١هـــ– ٢٠٠١م. وهناك من روى اسمه (الكشاف عن حقائق غوامض التـــنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) أي بزيادة كلمة (غوامض) على ما ذكر في متن الأطروحة، والتحقـــيق ما أثبته في المتن وذلك لأنه نص على اسم تفسيره غير مرة في كشافه وفي كتبه الأخرى كما سيأتي عند الحديث عن القيمة العلمية للكشاف في المبحث الرابع من هذا التمهيد.

(٢) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٩٧/٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥٥/٢٠ والكتاب مطبوع ومتداول.

(٣) البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين، ٤٠٣/٦.

(٤) ابـــن أبـــي الوفـــاء، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣، ٤٤٣/٣.

(٥) الحنفي، زين الدين، تاج التراجم، ص٢٥٢.

الزمخشري فصنف كتابه سنة (٥١٦هـ) وسماه الفائق، ولقد صادف هذا الاسم مسمى، وكشف عن غريب الحديث كل معنى، ورتبه على وضع اختاره، مقتضى حروف المعجم) [١].

وقال ابن حجر العسقلاني في ثنائه على الكتاب: (وكتابه الفائق في غريب الحديث من أنفس الكتب لجمعه المتفرق في مكان واحد مع حسن الاختصار وصحة النقل) [٢] وهذه شهادة من أهل الاختصاص في الحديث الشريف للزمخشري وكتابه الفائق وكفى بها.

المفصل في النحو:

وهو كتاب في النحو والإعراب من أبرز كتب الزمخشري وأهمها بدأ بتأليفه في رمضان من عام (٥١٣هـ) وانتهى منه في المحرم من عام (٥١٥هـ)، وقد جعل الزمخشري كتابه المفصل على أربعة أقسام، الأول في الأسماء والثاني في الأفعال والثالث في الحروف والرابع في المشترك من أحوالها ويكشف تقسيمه هذا عن عبقرية الزمخشري في النحو وطول باعه في هذا الميدان كيف لا وهو من فرسانه وقد صار هذا الكتاب (المفصل) العمدة في النحو والإعراب بأسلوبه المحكم[٣].

ونتيجة لإقبال طلبة العلم على مفصل الزمخشري عكف العلماء على شرحه والاعتناء به وقد ذكر ياقوت الحموي أن الزمخشري شرح كتابه المفصل ووضع له حاشية. سمى الشرح (شرح مشكلات المفصل) والآخر (حاشية على المفصل) [٤].

---

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مقدمة الكتاب، ص١٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٤/٦.

(٣) انظر: برو كلمان، تاريخ الأدب العربي، ٢٢٤/٥.

(٤) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٩٧/٧، والسيوطي، بغية الوعاة، ٢٨٠/٢.

وممن شرح المفصل أيضاً ابن الحاجب(١) وسمى هذا الشرح (الإيضاح) وشرحه كذلــك ابن يعيش(٢) وشرحه أيضاً أبو البقاء العكبري(٣) وبلغ من تعظيم قدر هذا الكتاب أن شرط الملك المعظم عيسى الأيوبي لمن يحفظه مائة دينار وخلعه(٤).

ومــن كتب النحو عند الزمخشري أيضاً (الأنموذج) في النحو وهو مختصر من كــتابه المفصل وضعه الإمام الزمخشري للمبتدئين في علم النحو، وهو على اختصاره فيه خير كثير وهو مطبوع(٥).

ومــنها كــتاب (المحاجاة بالمسائل النحوية) وقيل اسمه (المحاجاة ومتمم مهام أربــاب الحاجــات فــي الأحاجي والأغلوطات) ألفة الزمخشري أثناء جواره في مكة المكــرمة بعد تأليفه للكشاف وأهداه إلى أمير مكة علي بن وهاس العلوي وهو مطبوع بــبغداد(٦) ومنها كتب: المفرد والمؤلف في النحو، وكتاب الأمالي في النحو، وحاشية على المفصل وشرح المفصل(٧) وغيرها من الكتب التي صنفها الزمخشري في النحو.

أساس البلاغة:

وهو معجم في اللغة العربية رتبه الزمخشري حسب الحرف الأول وما يليه من حــروف الهجاء، وهو من أبرز الكتب اللغوية التي خلفها الزمخشري وفيه ثروة لغوية كبــيرة ويزخــر بأبيات الشعر والشواهد ومن ميزات هذا الكتاب أنه كان يذكر المعنى

---

(١) ابــن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس برع في علم النحو واللغة والأدب له عدة مصنفات أشهرها شرح مفصل الزمخشري، توفي سنة (٦٤٦). انظر: ابن خلكان ٣١٤/١.

(٢) هو أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش، الحلبي المولد، برع في علوم النحو والعربية وأهم مصنفاته شرح المفصل للزمخشري، ولد في رمضان من عام (٥٥٣هـ) وتوفي (٦٤٣هـ)، ابن خلكان، ٤٧/٧.

(٣) هــو عــبد الله بــن الحســين بــن عبد الله العكبري، برع في علوم اللغة والنحو والقراءات، توفي سنة (٦١٦هـ) انظر: السيوطي، بغية الوعاة ص ٢٨١.

(٤) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ٤٩/٣.

(٥) الزمخشري، الأنموذج في النحو، شرح جمال الدين الأردبيلي، القاهرة – مصر، مكتبة الآداب، د. ت.

(٦) ذكره ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٩٧/٧، وانظر: مقدمة ربيع الأبرار للمحقق.

(٧) انظر: السابق. وكتاب المفرد والمؤلف مطبوع بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني ببغداد سنة ١٩٦٧م.

المجــازي للمفــردات بالإضافة إلى المعنى الحقيقي، وهو مطبوع متداول[1] ومن كتب الزمخشــري اللغويـــة الأخرى ولكن جلها مفقود: صميم العربية، جواهر اللغة، كتاب الأجــناس، تسـلية الضـــرير، رســـالة الأسرة، أعجب العجب في شرح لامية العرب وغيرها[2].

المستقصى في أمثال العرب[3]:

وهو كتاب في الأمثال العربية رتب الأمثال فيه حسب حروف الهجاء وفيه ثلاثة آلاف وأربعمائة وواحد وستون مثلاً. وذكر ابن خلكان كتاباً آخر للأمثال اسمه (سوائر الأمــثال) [4]. ولـــه في البلاغة، الدر الدائر المنتخب من كتابات واستعارات وتشبيهات العــرب، وفي العروض كتاب القسطاس في العروض. ذكر الدكتور عبد الستار ضيف أنه طبع في مطبعة النعمان في النجف سنة ١٩٧٠م[5].

مقامات الزمخشـــري:

وهـــي خمســـون مقامـــة في النصح والإرشاد موجهة كلها إلى نفسه. ألف هذه المقامـــات بعـــد أن شفي من مرضه في السنة المنذرة التي سبق الحديث عنها بعد سنة (٥١٢هـــ) يعظ نفسه في هذه المقامات ويبدأ كل مقامة بقوله (يا أبا القاسم) ومن أسماء هــذه المقامـــات: مقامـــة العمل، مقامة التقوى، مقامة الراشد، مقامة الرضوان، وهي مقامات نثرية وقد يختم المقامة بأبيات شعرية من شعره تتصل بموضوع المقامة[6].

وقـــد شرح الزمخشري هذه المقامات في كتاب مستقل شرحاً مفصلاً تناول فيه قضايا اللغة والبلاغة والنحو واستشهد بآيات من القرآن وأحاديث من السنة المطهرة.

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

(٢) انظر مقدمة ربيع الابرار، ص٢٤..

(٣) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٩٧/٧.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٦٩/٥.

(٥) ضيف، جار الله الزمخشري، ص٨٦.

(٦) الزمخشري، المقامات، مقدمة المحقق، ص٧.

أطواق الذهب في المواعظ والخطب:

وهــو كــتاب مختصــر يشتمل على مائة مقالة في المواعظ والنصائح والحكم ومكــارم الأخــلاق لكــن الزمخشري لم يعنون لهذه المواعظ[١]، ألف الزمخشري هذا الكتاب في جواره في مكة المكرمة يقول في المقدمة مبتهلاً إلى الله تعالى: (أرغب إليك أن تفــيض على هذه المقالات من البركة والقبول ما يهبها مهب الجنوب والقبول، وأن تحفظ فيها ما أوجبت للجار من حق الذمام، لأنها وجدت في حرمك المطهر وولدت في حجر بيتك المستر) [٢].

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار:

وهو كتاب ضخم يقع في أربعة مجلدات كبيرة، صنفه بعد كتابه الكشاف أي بعد ســنة (٥٢٨هــ) والهدف من تأليفه الترويح على القارئ للكشاف لما يجده من كثرة المسائل اللغوية والنحوية والفقهية ودقتها يقول في مقدمة كتابه:

(هــذا كتاب قصدت به إجمام خواطر الناظرين في الكشاف عن حقائق التنزيل، وترويح قلوبهم المتعبة في إجالة الفكر في استخراج ودائع علمه وخباياه، والتنفيث عن أذهــانهم المكــدودة باستيضاح غوامضه وخفاياه، وأن تكون مطالعته ترفيهاً لمن ملَّ، والــنظر فيها احماضاً لمن اختل، فأخرجته لهم روضة مزهرة، وحديقة مثمرة، متبرجة بزخارفها، مياسة برفارفها، تمتع برايح زهرها، وتلهى بيانع ثمرها، وتقر العيون بآنق مرآها، وتفعم الأنوف بعبق ريّاها، وتلذ الأفواه بطيب جناها... وتطبى النفوس إلى برد ظلها الفضفاض.... من خلا به استغنى عن كل جليس، ومن أنس به سلا عن كل أنيس، إن أردت الســمر فــيا له مــن سمير، وإن طلبت الخبر سقطت على خبير، وإن بغيت

---

(١) بروكلمان، ٥/٢٢٤.

(٢) الزمخشري أطواق الذهب نقلاً عن الجويني، ص٥٧.

العظـــات المبكية ففيه ما يشرق بالدمع أجفانك، أو الملح المضحكة ففيه ما يفر بضاحكه أسنانك)[١]، ولا زيادة على ما ذكره الزمخشري عن كتابه هذا.

ومـــنها: كـــتابه نوابـــغ الكلـــم أو الكلم النوابغ وهي حكم قصار متوالية موجزة مسجوعة لا يجمعها موضوع أو فكرة وقد ألفه قبل تفسيره الكشاف [٢]

ومـــنها: خصـــائص العشرة الكرام البررة، ويبحث خصائص الصحابة العشرة المبشـــرين بالجـــنة رضي الله تعالى عنهم وقد طبع[٣] وفي الفقه له كتاب: الرائض في الفرائض وكتاب معجم الحدود[٤].

ومـــن كتبه أيضاً: متشابه أسماء الرواة، والمنهاج في الأصول، وضالة الناشد، وكتاب الجبال والأمكنة والمياه في أشعار العرب، وكتاب شافي العي من كلام الشافعي، وكـــتاب شـــقائق النعمان في حقائق النعمان، في مناقب الإمام أبي حنيفة[٥] وغيرها من المصنفات.

ثقافـــة الزمخشـــري:

ســـبقت الإشـــارة إلى أن عصر الزمخشري كان من أزهر العصور في الثقافة والعلـــوم وذلـــك بسبب الاستقرار السياسي والاجتماعي من جهة وبسبب تشجيع الحكام والمسؤولين للعلم والعلماء من ناحية ثانية وعلى رأس هؤلاء الحكام وزير الدولة (نظام الملك) الذي كان يحب العلم والعلماء ويقدمهم ويجالسهم وأنشأ المدارس النظامية ودور العلم ونشر المكتبات العامة في الأمصار الإسلامية المختلفة. وإذا أضفنا إلى كل ذلك ما لقيه الزمخشري في بيئته المحيطة به من العلم والثقافة وقد علمنا أن أباه كان إمام البلدة

---

(١) الزمخشـــري،ربيع الأبرار،ونصـــوص الأخـــبار، تحقـــيق عبد الأمير مهنا، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١/٢٠، ٢١.

(٢) السابق، ص٢٢. والجويني ص ٥٨.

(٣) السابق.

(٤) الحموي، معجم الأدباء، ٩٧/٧.

(٥) السابق.

ومـن أهـل العلم، لقد أثر كل ذلك في شخصية الزمخشري منذ صغره وصادف نفسا شغوفة بالعلم محبة لأهله فكانت النتيجة على خير وجه بتقدير الله تعالى.

مـن هنا تكونت ثقافة الزمخشري الواسعة. كانت البداية الأولى في بيته وبلدته زمخشـر علـى يـد والده ومشايخ البلدة ثم انطلق في أرجاء الأرض سعياً وطلباً للعلم ومجالسة أهله رغم شح المادة وضعف الجسم بسبب الحادث الذي أصابه في رجله مما أدى إلى قطعها.

لقـد تنوعـت ثقافـة الزمخشري، ففي النحو وجدناه رأساً، له مجالسه وتلامذته ومصـنفاته، وفـي الـبلاغة كذلك وفي الشعر والأدب كذلك وفي العروض والحديث الشريف والفقه والتفسير، والمواعظ والأمثال وغيرها من ألوان العلم ولا عجب في ذلك فالزمخشـري تفرغ كلياً لطلب العلم وارتحل في سبيل ذلك إلى أقاصي البلاد وقد حاز لقب (فخر خوارزم) من أهل العلم وحق لخوارزم أن تفخر بالزمخشري.

لقد كان الزمخشري معتزلي العقيدة متعصباً لاعتزاله داعياً إليه[١].

أما في الفروع فقد تفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان وأحب هذا المذهب ودعا الناس إليه ومن أقواله في ذلك: (الدين والعلم حنيف وحنفي) [٢].

ومن أقواله أيضاً في مدح المذهب: (وتد الله الأرض بالأعلام المنيفة، كما وطَّد الحنيفيه بعلوم أبي حنيفة، والأئمة الجلة الحنفية أزمة الملة الحنيفية) [٣].

ثـم مـدح الذيـن ينتسبون إلى مذهب أبي حنيفة فقال: (رضي الله عن العلماء الخاشعين لله وحسابه .... جمعوا إلى الدين الحنيفي العلم الحنفي... أولائك العلماء حق العلماء وسائرهم كالغثاء يطفو على الماء فلا تسمهم إلا بالحملة والرواة وادعهم زوامل الكتاب والدواة) [٤].

---

(١) سيأتي الحديث مفصلاً عن عقيدة الزمخشري إن شاء الله تعالى.

(٢) الزمخشري، نوابغ الكلم، نقلاً عن السامرائي، الدراسات النحوية، ص١٤.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

ومــن معالم شخصية الزمخشري أنه لم يخض في قضايا الفلسفة كثيرا بل كان يكره الغلو والفلسفة في قضايا العلم: (ولا تستمع لقول الفيلسوف لأنه لا يألو أن يتحمق وأن يغلو ويتعمق، ان اشتهاره بقوله الفج طوح به وراء كل فج فقل ما شئت بالمتظاهر بالفلسفة من أنواع الركاكة والسفسفة) (١).

لقــد عكست مؤلفات الزمخشري شخصيته الثقافية لأنه ما ألف في فن من فنون العلــم إلا بعد أن بلغ فيه مبلغاً سامياً. فإذا صنف فيه كتاباً قلت يكفيه لو أنه لم يصنف غــيره. ومــثال ذلك تفسيره الكشاف الذي ظهرت فيه معالم شخصية الزمخشري فإذا تناولــت أي جــزء مــن تفسيره هذا وجدت الزمخشري اللغوي، والنحوي، والبلاغي، والشــاعر، والفقيه، وصاحب القراءات، والواعظ، وهكذا في جلِّ كتبه ومصنفاته. يقول الجوينــي: لقد ظهرت ثقافة الزمخشري في كشافه فبان فيه رجلاً لغوياً مقتدراً ومتكلماً منطقــياً جــدلاً، وذواقة مرهف الحس لجمال النص القرآني، وهذه الخصائص ولا شك وليدة ثقافته التي ثقفت حياته كلها، فتفسيره انعكاس لما تمثله من هذه الثقافات)(٢).

عقيــدة الزمخشــري:

نشــأ الإمام الزمخشري في بيئة كانت تعج بألوان متعددة من الثقافات والأفكار الدينــية فبيــئة خوارزم كانت مرتعاً لنقاشات أهل الفرق، وساحة تدور فيها مناظراتهم وحواراتهم حول العقيدة وأصول الدين، ولا شك أن الناشئ في مثل هذه البيئة يتأثر بها وهــذا ما كان للزمخشري، وقد سبق الحديث أن أبا مضر الضبي أدخل عقيدة الاعتزال إلــى مديــنة خوارزم ودعا الناس إلى هذه العقيدة للذب عن الدين في مواجهة الزنادقة والرافضــة والمرجــئة وغــيرها من الفرق التي كانت تدور بينها حروب طاحنة في المراكز والعواصم العلمية.

---

(١) الزمخشري، أطواق الذهب، نقلاً عن السامرائي، ص١٤.

(٢) الجويني، منهج الزمخشري، ص٧٩-٨٠.

وعلمنا أن الضبي هذا استطاع أن يؤثر في الناس في خوارزم بعلمه وأخلاقه وفضله وقربه وصلته بالخلفاء والحكام والساسة في تلك البلاد وكانت النتيجة أن أكثر أهل خوارزم تمذهبوا بمذهب الاعتزال. ومن هؤلاء بطبيعة الحال الزمخشري الذي كانت تربطه صلة قوية بشيخه وأستاذه الضبي.

يقول ابن بطوطة: (والغالب على مذهبهم – أي أهل خوارزم- الاعتزال لكنهم لا يظهرونه لأن السلطان (اوزبك) وأميره على هذه المدينة (قطلودمور) من أهل السنة) (١).

وهذا ياقوت الحموي يسأل القاسم بن الحسين الخوارزمي المولود سنة خمسين وخمسمائة أي بعد وفاة الزمخشري بقليل عن مذهبه، قال: قلت له: ما مذهبك؟ قال: حنفي ولكن لست خوارزمياً... يكررها، إنما اشتغلت ببخارى فأرى رأي أهلها) نفى عن نفسه أن يكون معتزلياً رحمه الله) (٢).

وإذا كان أهل خوارزم لا يجاهرون باعتزالهم فإن الزمخشري كان يجاهر باعتزاله ويدعو الناس إلى هذا المذهب الذي يعتز به. قال ابن خلكان: (وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الأذن: "قل: أبو القاسم المعتزلي بالباب. وأول ما صنف كتابه (الكشاف) كتب استفتاح الخطبة: الحمد لله الذي خلق القرآن، فيقال: إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحدٌ فيه فغيره بقوله: (الحمد لله الذي جعل القرآن) وجعل عندهم بمعنى خلق ... ورأيت في كثير من النسخ: (الحمد لله الذي أنزل القرآن) وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف)(٣).

---

(١) ابن بطوطة، التاريخ، ٨/٣.

(٢) انظر: الحموي، معجم البلدان، ١٧٩/٢.

(٣) ابن خلكان، ١٠/٥، ١١

والحــق أن الزمخشــري لــم يكن يخفي اعتزاله بل كان يعدّه نعمة ومفخرة له ولأهــل خوارزم وميزة ومنقبة على غيرها من العواصم العلمية الأخرى التي لم ينتشر فــيها مذهــب الاعتزال انتشاره في خوارزم بل هو رأس فضائلها وهو المذهب السديد مذهــب أهــل العــدل والتوحيد الباحثين فيه بقوة السواعد الرامين عنه بالنبل الصوارد الشــاقين فيه دقائق الشعر، وذلك في كل زمان وخاصة في زماننا فقد أزهر الله فيها ما شاء من السرج وأطال فيها ألسنة الحجج(١).

فهذه نصوص متضافرة على أن بيئة خوارزم كانت مرتعاً للاعتزال، ولعله من الإنصــاف القــول بــأن علماء المعتزلة دافعوا عن القرآن والعقيدة في وجوه الزنادقة والرافضة وغيرهم.

نبذة عن عقيدة الاعتزال:

نشأت فرقة المعتزلة في العصر الأموي وتذكر كتب التاريخ حادثة تاريخية تعد نقطــة انطــلاق هذه الفرقة، والقصة أن رجلاً دخل على الإمام الحسن البصري(٢) في مجلســه، فقــال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبــيرة عــندهم كفــر يخرج بها عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصــحاب الكــبائر... والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بــن عطــاء(٣) أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب

---

(١)الزمخشري، ربيع الأبرار، ٢٣١/١.

(٢)الحسن البصري: سبقت ترجمته.

(٣) واصــل بن عطاء الغزال أبو حذيفة، من موالي بني مخزوم، متكلم بليغ وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق توفي سنة (١٣١) هــ، انظر: ابن خلكان، ١٧١/٢..

بـــه علـــى جماعـــة مـــن أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه: معتزلة[١].

إذن هـــذه هـــي الـــبداية الأولى لنشأة المعتزلة في بدايات القرن الثاني الهجري وانطلاقها كان من مدينة البصرة. وبعد ذلك اشتد نشاط هذه الفرقة في العصور العباسية وبـــدأوا يـــروجون لفكرهم الاعتقادي الذي ظهر على شكل أصول خمسة اتفق عليها علماء المعتزلة هي أساس الفكر الاعتزالي، واتخذوا طريق التقرب إلى الحكام والخلفاء لنشـــر مذهـــبهم وقـــد وصـــلوا إلـــى الـــذروه زمـــن الخلـــيفة العباســـي المـــأمون (١٧٠-٢١٨هـــ) [٢].حيث أصبح مذهبهم المذهب الرسمي للدولة الإسلامية ثم بعد ذلك أخـــذت هـــذه المكانـــة تهبط شيئاً فشيئاً حسب علاقة دعاة المعتزلة ومفكريهم بالخلفاء والحكام[٣].

الأصـــول الخمســـة عنـــد المعتزلـــة:

الأصل الأول: التوحيد:

التوحـــيد عندهم يقوم على العلم بأن الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصـــفات نفياً وإثباتاً، وأن الله واحد لا ثاني له في القدم، فالله تعالى لا يوصف بصفات الخلق الدالة على حدوثهم ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه، وهو أهم الأصول التي قام علـــيها مذهب الاعتزال، فهم يعدون أنفسهم أشد الطوائف الإسلامية دفاعاً عن التوحيد وتنزيهاً لله تعالى عمالا يليق به وتشددوا في ذلك، ونتيجة لذلك التشدد في أصل التوحيد نفوا الرؤية عن الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة وحكموا بكفر من يقول بها ونفوا صفة

---

(١) انظـــر: المرتضـــي، أحمد بن يحيى، المنية والأمل في شرح الملل والنحل ، تحقيق محمد جواد شكور، بيروت – لبنان، دار الفكر، ١٩٧٩م. ص٣١.

(٢) المأمون: أبو العباس عبد الله بن هارون الخليفة العباسي: اشتهر بحسن السيرة، وإن كان أكره الناس على عقيدة الاعتزال وثارت فتنه خلق القرآن في زمنه توفي سنة (٢١٨هـــ)، انظر الشذرات، ٢/١٣٣-١٣٩.

(٣) انظـــر: الهمدانـــي، عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة – مصر، مكتبة وهبة، ط٣، ١٩٩٦م، ص١٤٩-٢٣٢.

القــدم عن القرآن الكريم فقالوا بخلقه، وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات، ودفعهم هذا الاعتقاد إلى تأويل آيات رؤية الله تعالى في الآخرة وأولوا كذلك الآيات المتشابهة عندهم في ذلك بل أوجبوا تأويلها [١].

الأصل الثاني: العدل:

وهو في الدرجة الثانية من حيث الأهمية عندهم بعد التوحيد، وبنوا عليه أن الله تعــالى أفعاله كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح ولم يخلق الشر وان العباد يخلقون أفعالهم خــيرها وشرها[٢]. ولم يرد الله تعالى إلا ما أمر به شرعاً وأن الإنسان يمتلك الاختيار وحــرية الإرادة فــي أفعاله، ذلك لأن القول بأن الإنسان مجبر في أفعاله يستلزم نسبة الظلــم إلـــى الله تعالى حسب رأيهم، وقرروا أن تحديد الحسن والقبح أمر موكول إلى العقل، ويؤمن المعتزلة إيماناً مطلقاً بدور العقل في استنباط الأحكام[٣].

الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

معــناه: من أطاع الله تعالى والتزم أوامره يدخل الجنة لا محالة إذ لا يصح أن يخلــف الله وعده، ومن قارف معصية ولم يلتزم أوامر الله تعالى يدخل النار لا محالة، وفــي هــذا الأصل نجدهم ينفون الشفاعة على اعتبار أنها تتنافى مع الوعيد، لذلك فقد أولوا جميع الآيات التي أثبت ظاهرها الشفاعة وقرروا أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار استناداً إلى الوعيد الإلهي، إلا أن عذابه أخف من عذاب المشرك والكافر لأنه يعد فاسقاً وليس بمشرك ولا كافر. فالله تعالى يجازي من أحسن بالإحسان ومن أساء بالعذاب ولا يغفر لمرتكب الكبيرة ما لم يتب حتى لا يسقط وعده ووعيده[٤].

---

(١) انظــر: أحمــد، محمــود كامل، مفهوم العدل في تفسير المعتزلة للقرآن، بيروت – لبنان، دار النهضة العربية، ط١، ١٤٠٣هــ – ١٩٨٣م، ص٦-٧. والمعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص٨١-١٤٣.

(٢) انظر: الهمداني، شرح الأصول الخمسة، ص٣٠١-٤٩٦، وانظر: الربيعي، تاريخ المعتزلة، ص٤٣-٤٤

(٣) السابق، وانظر: المرتضي، أحمد بن يحيى، المنية والأمل للقاضي عبد الجبار الهمداني، ص١١٢.

(٤) السابق، وانظر المرتضي، ص١١٧-١١٩. وانظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣/٢٣٥.

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

هــذا الأصل هو سبب ظهور مذهب الاعتزال إذ اتخذوا من خلاله مذهباً وسطاً بين الخوارج والمرجئة ويتعلق هذا الأصل بمرتكب الكبيرة فلا نسميه مؤمناً ولا نسميه كافراً لأنه ليس بمؤمن وليس بكافر بل هو في منزلة بين الأيمان والكفر اصطلحوا على تسميته (فاسق) (١).

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا واجب عند جميع المسلمين إلا أن المعتزلة افترقوا عن غيرهم أنهم رفعوا وجوبه إلى مرتبة أصول الدين في حين أن غيرهم يراه من فروع الدين وأن تطبيق هذه الفريضـــة تبدأ باللسان ثم اليد ثم السيف عند غير المعتزلة أما المعتزلة فيرون وجوب استعمال السيف في تطبيق هذا الأصل من أصول الدين بالإضافة إلى الوسائل الأخرى. والمعــروف عــندهم: كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه والمنكر كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه(٢).

وقد سلك المعتزلة شتى السبل لتقرير أصولهم هذه وإذا خالفهم نص صريح ردوه إذا كـــان من السنة غير المتواترة أو أولوه وحرفوه عن ظاهره إذا كان قرآناً. وسيأتي تفصـــيل أكثر لذلك في الباب الثاني من هذه الأطروحة. إن شاء الله تعالى: عند الحديث عن أثر اعتزال الزمخشري في توجيه القراءات.

---

(١) انظر: السابق، وانظر: شرح الاصول الخمسة ص ٣٣٧.

(٢) السابق، وانظر المرتضي، ص١١٧-١١٩.

المبحث الثالث

ما آثاره الكشاف من نشاط فكري

عرفنا أن الإمام الزمخشري ترك تراثاً علمياً ضخماً من المصنفات في مختلف ألوان العلم التي برع بها، ورأس هذه المصنفات وعصارة علم الزمخشري (الكشاف) في تفسير القرآن الكريم، وقد أقبل أهل العلم على هذا التفسير يقرأونه ويتدارسونه، وتناقلته أيدي طلبة العلم إلى مختلف المدن والأمصار الإسلامية، ولا أبالغ إن قلت أن جل علماء التفسير الذين جاءوا بعد الزمخشري أفادوا من تفسيره الكشاف وأودعوا شيئاً منه في كتبهم ومصنفاتهم، كما وضعت عشرات الشروح والحواشي على هذا التفسير، واختصر أكثر من مرة على أيدي طلاب علم التفسير، وأثار كثير من علماء التفسير بعض المسائل التي تناولها الزمخشري في كشافه ودارت الحوارات والمناقشات والمقارنات والمقابلات حول بعض مسائله سواء تلك التي تتعلق بقضايا الاعتقاد أم تلك التي تناولت قضايا أخرى مثل النحو واللغة والبلاغة وغيرها، وفيما يلي بعض هذا النشاط الفكري الذي تأثر بالزمخشري أو أفاد من تفسيره.

أولاً: كتب التفسير:

تفسير البيضاوي[(١)]: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

والبيضاوي من العلماء الذين تأثروا بكشاف الزمخشري في تفسير القرآن الكريم، وقد أخذ الكثير من تفسير الكشاف حتى عد بعض العلماء تفسير البيضاوي

---

(١) هو قاضي القضاة، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي، من بلاد فارس، صاحب المصنفات البديعة في التفسير والنحو وأصول الفقه، وغيرها من العلوم التي برع بها وعالم أذربيجان، ولي قضاء شيراز وكان صالحاً عابداً توفي بمدينة تبريز سنة (٦٩١هـ)، انظر: الحنبلي، شذرات الذهب، ٨٧/٣.

اختصاراً لتفسير الزمخشري، يقول الدكتور الذهبي: "وقد اختصر البيضاوي تفسيره من الكشاف للزمخشري، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات، وإن كان أحياناً يذهب إلى ما يذهب إليه صاحب الكشاف... كما أننا نجد البيضاوي قد وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف من ذكره في نهاية تفسير كل سورة حديثاً في فضلها وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله تعالى – وأغلب هذه الأحاديث موضوعة- ولست أعرف كيف أغتر بها البيضاوي فرواها وتابع الزمخشري في ذكرها عند آخر كل سورة مع ماله من مكانة علمية" [١].

تفسير النسفي[٢] (مدارك التنزيل وحقائق التأويل).

النسفي كذلك من العلماء الذين تأثروا كثيراً بالزمخشري وتفسيره الكشاف وقد أودع النسفي في تفسيره كثيراً من الدرر التي وردت في تفسير الكشاف أو أخذها البيضاوي من الزمخشري. يقول الذهبي: (اختصر النسفي تفسيره من تفسير البيضاوي ومن الكشاف للزمخشري، غير أنه ترك ما فيه من الاعتزالات وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة ... وضمنه ما اشتمل الكشاف من النكت البلاغية والمحسنات البديعية والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية وأورد فيه ما أورده الزمخشري في تفسيره من الأسئلة والأجوبة لكن لا على طريقة من قوله: (فإن قيل... قلت...) بل جعل ذلك في الغالب كلاماً مدرجاً في سياق شرح الآية) [٣].

---

(١) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ط٢، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، دار النشر مجهولة، ٢٩٧/١.

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزهاد المتأخرين، برع في التفقه والأصول والحديث والتفسير، وصنف رحمه الله في كل هذه العلوم والنسفي نسبة إلى (نسف) من بلاد ما وراء النهر، توفي سنة (٧٠١هـ) ودفن بخراسان. انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ١٤٨/٢، وانظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ١٧٩/٢.

(٣) الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٠٥/١.

تفسير أبي حيان الأندلسي[١]: (البحر المحيط)

عـرف عـن أبي حيان اهتمامه ونبوغه في قضايا النحو والعربية وهذه رحمة قويـة تربط أبا حيان بالزمخشري فلا نعجب إذا وجدنا أبا حيان يقف في فصول طويلة في قضايا النحو مناقشاً الزمخشري فيما ذهب إليه، تارة نجده مؤيداً مادحاً وتارة أخرى نجـده ناقداً لاذعاً له معنفاً إياه فيما ذهب إليه من قضايا النحو واللغة. يقول الذهبي: إن أبا حيان ينقل في تفسيره كثيراً من تفسير الزمخشري، وتفسير ابن عطية خصوصاً ما كان من مسائل النحو ووجوه الإعراب كما أنه يتعقبهما كثيراً بالرد والتفنيد لما قالاه في مسـائل الـنحو على الخصوص ولكثرة هذه التعقيبات منه على كلام الزمخشري وابن عطـيه نجد تلميذه تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم المتوفى سنة (٧٤٩هـ) [٢]. قد اختصر هذا التفسير في كتاب سماه (الدر اللقيط من البحر المحيط) واقتصر فيه على مباحثه مع ابن عطيه والزمخشري ورده عليهما) [٣].

كذلـك نجـد الشيخ الشاوي المغربي[٤] يفرد مؤلفاً عنوانه (المحاكمات بين أبي حـيان والزمخشري) ويجمع فيه اعتراضات أبي حيان على الزمخشري، وهو مخطوط في مجلد كبير بالمكتبة الأزهرية[٥] وكثيراً ما يحمل أبو حيان على الزمخشري حملات سـاخرة قاسـية مـن أجل آرائه الاعتزالية... ومع ذلك نجده يشيد بما للزمخشري من

---

(١) هـو محمـد بـن يوسـف بـن علي بن يوسف بن حيان أبو عبد الله الأندلسي الغرناطي، المولود سنة (٦٥٤هـ)، برع في علوم التفسير والنحو والقراءات والأدب، عرف بكثرة نظمه للأشعار والموشحات، متمكن في الحديث والتراجم ترك عدة مصنفات أهمها تفسيره البحر المحيط توفي سنة (٧٤٥هـ)، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ١٨٩/٤، وابن العماد، الشذرات، ٢٢٣/٦.

(٢) انظر: ترجمته الدرر الكامنة، ابن حجر، ١٢٧/١.

(٣) انظر: كشف الظنون، ١٤٥/٢، والذهبي، ٣٢٠/١.

(٤) هـو يحـيى بن محمد بن عبدالله الشاوي من فقهاء المالكية تصدر الاقراء والتفسير بالأزهر، توفي سنة (١٠٩٦هـ) انظر: الأعلام ١٦٩/٨.

(٥) الذهبي، التفسير المفسرون، ٣٢٠/١.

مهـــارة فائقـــة في تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه حيث يصفه بأنه أوتي من علم القرآن أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ [١].

تفسير النيسابوري[٢]: (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)

أفـــاد النيسابوري في تفسيره للقرآن الكريم من تفسير الكشاف للزمخشري حيث أورد فـــي تفســـيره كثيراً من القضايا التي تناولها الزمخشري في الكشاف خاصة تلك المسائل التي ناقشها العلماء مثل الرازي والبيضاوي في تفسير الزمخشري.

يقـــول الذهبي: اختصر النيسابوري تفسيره من التفسير الكبير للفخر الرازي[٣]. وضم إلى ذلك بعض ما جاء في الكشاف وغيره من التفاسير، وكثيراً ما نجده ينقل عن الكشاف فيقول: قال في الكشاف كذا... وكذا... أو قال جار الله: كذا...وكذا... وقد ينقل ما ذكره صاحب الكشاف وما اعترض به عليه الفخر الرازي ثم ينصب نفسه حكماً بين الإمامين ويبدي رأيه على حسب ما يظهر له....) [٤].

تفسير أبي السعود[٥]: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

تأثـــر أبـــو الســـعود كثيراً بالزمخشري وكشافه وتأثر كذلك بتفسير البيضاوي. وعكف سنين على دراسة هذين الكتابين ثم وضع تفسيره. يقول في مقدمة تفسيره: "ولقد

---

(١) السابق، ٣٢١/١.

(٢) هو نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني النيسابوري القمي، برع في التفسير واللغة والأدب والـــنحو: مـــن كبار المقرئين على مبلغ عظيم من التقوى والزهد توفي في حدود سنة (٨٨٦)هـــ. انظر: روضات الجنات، ص٢٢٤.

(٣) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الطبرستاني الرازي فخر الدين إمام مفسر متكلم نبغ في كل العلوم، له التفسير الكبير توفي سنة (٦٠٦هـــ) انظر: ابن العماد، الشذرات، ٢٠٥/١.

(٤) الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٢٣/١.

(٥) هو محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي الحنفي، من أهل القسطنطينية ولد سنة (٨٩٣هـــ)، فـــي بيت علم وفضل، تولى التدريس في المدارس التركية ثم تولى قضاء القسطنطينية، برع في الأصول والتفسير توفي سنة (٩٨٢هـــ)، انظر: الفوائد البهية، ص٨٢.

كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام، أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمـــان انتصـــابي لمفاوضتهما ومدارستهما. يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدها في نمط دقيق، وأرتب غرر فرائدها على ترتيب أنـــيق، وأضـــيف إلـــيهما مـــا ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق، وصـــادفته فـــي اصـــداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق، وأسلك خلالهما بطريق الترصـــيع، على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل، ويستدعيه جزالة نظمه الجليل[(١)].

هـــذه طائفة من كتب تفسير القرآن الكريم لثلة من علماء التفسير أفادوا من سفر الزمخشري العظيم وأودعوا درره النفيسة كتبهم وتفاسيرهم، وقد حذا حذو هؤلاء العلماء عـــدد كبـــير مـــن علماء التفسير منهم من صرّح بإفادته وأخذه من كشاف الزمخشري وآخرون لم يصرحوا بذلك مع أنه بين أشد البيان وواضح للعيان ما تفرد به الزمخشري وسبق من جاء بعده إليه.

ثانياً: الحواشي والشروح[(٢)]:

وضـــعت عشـــرات الحواشي على تفسير الزمخشري وهذا بحد ذاته يشير إلى أهمية ونفاسة هذا الكتاب وغزارة ما جاء بين ثنايا صفحاته من كنوز وفوائد، أو ما جاء فـــيه مـــن اعـــتزالات تصـــدى العلمـــاء لكشفها وبيان حقيقتها حتى لا يقع في مصائد الزمخشري الأغرار من طلبة علم التفسير، ومن هذه الحواشي:

- حاشـــية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لأحمد بن المنيِّر الإسكندري المالكي المتوفى سنة (٦٨٣هـــ). حيث تتبع الإسكندري الزمخشري فيما ذهب إليه من اعتزالات في تفسيره الكشاف وبين وجه الحق وعقيدة أهل السنة والجماعة في

---

(١) أبـــو السـعود، إرشـــاد العقـــل السـليم إلـــى مـــزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت – لبنان، دار الكتب العملية، ط١، ١٤١٩هــ-١٩٩٩م، ١/٨-٩، المقدمة.

(٢) هذه المادة مأخوذة في اغلبها من كتاب كشف الظنون. أنظر: الصفحات ٢/١٤٧٥-١٤٨١.

هـذه المواضـع، كمـا وقف الإسكندري في كثير من الأحيان مع قضايا الأعراب واللغة والبلاغة وعقد المباحث في ذلك مبيناً ما للزمخشري وما عليه ذاكراً إعجابه بالزمخشـري وثناءه عليه لما له من تميز وقوة عارضة في النحو والبلاغة واللغة. والحاشية مطبوعة في ذيل تفسير الزمخشري[١].

- الإنصـاف: لأبـي إسـحاق عـبد الكـريم بـن علي بن عمر علم الدين العراقي المـتوفى سـنة (٧٠٤هـ). هـذه الحاشـية جعلهـا صاحبها حكماً بين الكشاف وحاشـية الانتصـاف للإسـكندري، وللمؤلـف نفسـه حاشـية أخـرى سماها: (الانتصار للزمخشري من ابن المنير)[٢].
- وكتـب قطـب الديـن الشـيرازي المـتوفى سـنة (٧١٠هـ) حاشـية علـى تفسير الكشاف في مجلدين لطيفين.
- (التميـيز لبـيان مـا في تفسير الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز) لأبي علـي عمـر بـن محمـد بن الخليل السكوني، المتوفى سنة (٧١٧هـ). وفي هذه الحاشـية يـرد المؤلـف علـى آراء الزمخشري الاعتزالية، واختصرها المؤلف بكتاب سماه (المقتضب).
- (فـتوح الغيـب فـي الكشـف عـن قـناع الريب): حاشية لشرف الدين الطيبي المـتوفى سـنة (٧٤٣هـ) وهي من أضخم الحواشي على تفسير الكشاف تقع في ستة مجلدات كبيرة.
- (كشـاف الكشـاف) حاشية لعمر بن عبدالرحمن البلقيني المتوفي سنة (٧٤٣هـ) وتقع في مجلد واحد.

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التنزيل، دار إحياء التراث، الحاشية.

(٢) انظر: خليفة، كشف الظنون، ١٤٧٦/٢.

- وكتب أحمد الجاربردي المتوفى سنة (٧٤٦هـ). حاشية على الكشاف، يوجد منها بدار الكتب المصرية الجزء الثاني ويبتدئ من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الكهف[١].
- (درر الأصداف في حل عقد الكشاف): وهي حاشية وضعها على الكشاف العلامة عماد الدين المعروف بالفاضل اليمني المتوفى سنة (٧٥٠هـ). وله حاشية أخرى ذكر فيها أنه لما وقف على حاشية الطيبي ووجد مذكوراً فيها ما ذكره صاحب الانتصاف وغيرهما أراد أن يجمع بين حاشية الطيبي ودرر الأصداف سابقة الذكر وسماها (تحفة الإشراف في كشف غوامض الكشاف)[٢].
- واختصر الشيخ جمال الدين عبد الله المتوفى سنة (٧٦٢هـ). حاشية الانتصاف من الكشاف لابن المنير الإسكندري، وفي هذا الاختصار حذف ما وقعت منه الإطالة به من نقل كلام الزمخشري على وجهه من غير كلام له عليه إعجاباً واستحساناً له، وحذف كذلك ما قابل به الزمخشري في سبه أهل السنة بمثلها واقتصر جمال الدين على العقيدة الصحيحة[٣].
- وحاشية للعلامة أكمل الدين البابرتي المتوفى سنة (٧٨٦هـ). وصل فيها إلى تمام الزهراوين.
- وحاشية للعلامة سعد الدين التفتازاني، المتوفى سنة (٧٩٢هـ) وهي ملخصة من حاشية الطيبي مع زيادة تعقيد في العبارة وصل فيها إلى سورة الفتح.
- وكتب السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة (٨١٦هـ)، حاشية وصل فيها إلى أواسط سورة البقرة، وهناك حاشية للعلامة محمد بن إبراهيم الرومي، الشهير بابن خطيب زاده على حاشية السيد الجرجاني على الكشاف وهو مخطوط بدار الكتب المصرية.

---

(١) الجويني، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢) السابق، ص٢٧٣.

(٣) السابق.

- (نغبة الرشاف من خطبة الكشاف). وهو مصنف لمجد الدين الفيروزأبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ) شرح فيه خطبه تفسير الكشاف الشهيرة.
- وللشـــيخ ولي الدين أبي زرعة العراقي المتوفى سنة (٨٢٠هـ) حاشية في مجلدين لخص فيهما كلام ابن المنير الإسكندري، والعلم العراقي وأبي حيان وأجوبة السمين الحلبي والصفاقسي مع زيادة تخريج أحاديثه. سماه (الأنصاف على الكشاف).
- وللمولـــى بـــرهان الديـــن حيدر الهروي المتوفى سنة (٨٣٠هـ). تلميذ سعد الدين التفتازانـــي حاشـــية علـــى حاشـــية التفتازانـــي أجاب فيها على اعتراضات السيد الجرجاني.
- والمولـــى علاء الدين المعروف بقوشجي المتوفى سنة (٨٧٩هـ). علق على أوائل حاشية التفتازاني.
- (غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني)، حاشية على الكشاف صنفها المولى أحمد ابـــن إســـماعيل الكوراني المتوفى سنة (٨٩٣هـ) أورد فيها مؤاخذات كثيرة على العلامتيـــن الزمخشـــري والبيضاوي، وللمولى شيخ الإسلام بهراه، يحيى الهروي المعروف بالحفيد المتوفى سنة (٩٠٦هـ). حاشية على حاشية جده سعد الدين أجاب فيها أيضاً عن اعتراضات السيد وبلغ أواسط سورة البقرة.
- والعلامـــة شمس الدين المعروف بابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠هـ) له حاشية على الكشاف هي من أحسن تأليفاته أكثر فيها تعليقاته على السيد الجرجاني.
- وحاشية للمولى مهدي الشيرازي المتوفى سنة (٩٥٦هـ).
- (معـــاقد الطـــرف فـــي أول تفسير سورة الفتح من الكشاف) لأبي السعود العمادي المتوفى سنة (٩٨٢هـ) صاحب التفسير.
- وحاشية على أوائل الكشاف للمولى صنع الله المفتي المتوفى سنة (١٠٢١هـ).
- وحاشية للشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف للزمخشري وهي تتضمن مـــا تضمنته حاشية ابن المنير الإسكندري من رد الاعتزاليات وبيان اللغويات وله

كذلك (شرح الشواهد من الأبيات الواردة في التفسير) واسمها أيضاً مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف.

- وهناك حاشية لحامد بن مصطفى قاضي الأحكام الشرعية المتوفى سنة (١٠٩٨هـ) على تفسير سورة الأنعام من كتاب الكشاف للزمخشري وأنوار التنزيل للبيضاوي.
- (غاية الإتحاف فيما خفي من كلام القاضي والكشاف) حاشية على الزمخشري والبيضاوي للشيخ محمد بن أحمد المغربي المالكي.
- (الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف) للشيخ محمد بن علي الداودي وقال صاحب كشف الظنون: هي لابن يوسف الشامي) [١].

وغيرها حواش كثيرة وضعها العلماء على تفسير الكشاف وأكثرها لم يصل إلينا ولم نعلم به.

ثالثاً: اختصارات الكشاف[٢]:

سبقت الإشارة إلى اختصار البيضاوي لتفسير الزمخشري وهو من أهم هذه الاختصارات وهناك اختصارات أخرى منها:

- (جمع الجوامع) مختصر لتفسير الكشاف وضعه الشيخ علي الطوسي المتوفى سنة (٥٦١هـ).
- اختصار آخر للشيخ محمد بن علي الأنصاري المتوفى سنة (٦٦٢هـ) أزال عنه الاعتزال.
- (تقريب التفسير) اختصار للكشاف وضعه العلامة قطب الدين محمد بن مسعود السيرافي القالي الشقار. لخصه وأزال منه الاعتزال في مجلد واحد وأتمه سنة (٦٩٨هـ).

---

(١) كشف الظنون، ١١٧/١.

(٢) اعتمدت في هذا المبحث أيضاً على كشف الظنون انظر: ١٤٨١/٢، ١٤٨٢ وكتاب الجويني منهج الزمخشري، ص٢٧٣-٢٧٩.

- (الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصة الكشاف) لعبد الله بن الهادي بن يحيى المتوفى سنة (٩١٠هـ).
- (خلاصة الكشاف) لصديق حسن خان العالم الهندي المعروف المتوفى سنة (١٣٠٧هـ). وهناك اختصارات أخرى ذكرها صاحب كشف الظنون وغيره من العلماء.

وممن اهتم بخدمة الكشاف الإمام جمال الدين عبد الله الزيلعي الحنفي المتوفى سنة (٧٦٢هـ) حيث قام بتخريج أحاديث الكشاف. ثم لخص كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة (٨٥٢) في كتاب سماه (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) وهناك من شرح أبيات الكشاف أو أفرد مصنفاً في نقد تفسير الكشاف، وغير ذلك من المصنفات على هذا التفسير العظيم(١).

---

(١) انظر: الجويني، ص٢٧٦-٢٧٩.

المبحث الرابع:

القيمة العلمية للكشاف

حـــاز الزمخشـــري مكانـــة علمـــية عظـــيمة عند العلماء ونقل المؤرخون ثناء العلمـــاء علـــيه بمـــا يكشـــف عـــن تقدمـــه وتفوقـــه في فنون العلم المختلفة قال عنه يـــاقوت الحمـــوي: "كـــان إمامـــاً فـــي التفسير والنحو واللغة والأدب واسع العلم كبير الفضل متفننا في علوم شتى"(١).

وقال السمعاني: "كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو"(٢).

وقال ابن خلكان: "كان إمام عصره غير مدافع تشد إليه الرحال في فنونه"(٣).

هـــذه الشهادات وغيرها من أهل العلم في الزمخشري تكشف عن منزلته العلمية بيـــن العلمـــاء، وانعكست هذه المنزلة على كتبه ومصنفاته لأنه أودع فيها علمه وثقافته التـــي أثنى عليه العلماء بسببها. وإذا كانت هذه أقوال العلماء فيه فما هي أقوال العلماء في كشافه؟ وما هي قيمة الكشاف العلمية؟!

بدأت البذور الأولى لقيمة الكشاف العلمية تظهر قبل الانتهاء من تأليفه، بل قبل بدايـــة تأليفه على هذه الصورة التي بين أيدنا. ظهر ذلك من خلال تسجيل مواقف أهل العلم من تلاميذ الزمخشري وشيوخه وأقرانه فيما أملاه على بعض تلاميذه في خوارزم قـــبل جـــواره الثاني في مكة المكرمة وهو الجوار الذي صنف فيه الكشاف ويحدثنا هو عن هذه المواقف والانطباعات فيقول:

"ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية... كلما رجعوا إليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب،

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ٩٨/٧.

(٢) السمعاني، الأنساب، ٣٧٣/٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٦٩/٥.

واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إلى مقترحين أن أملي عليهم (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) فاستعفيت ، فأبوا إلا المـراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد... فأمليت عليهم مسألة فـي الفواتـح، وطائفة من الكلام في حقائق من سورة البقرة وكان كلاماً مبسوطا كثير السـؤال والجـواب طويـل الذيـول والأذناب فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخـة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة، وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلهـا عطشـى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى، متطلعين إلى إيناسه حراصاً على اقتباسه، فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي، فلما حططت الرحل بمكة إذ أنـا بالشعبة السنية من الروضة الحسنية الأمير الشريف الإمام أبي الحسن علي بن حمـزة بن وهاس... أعطش الناس كبداً وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحـدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشادة بقطع الفيافي وطي المهامة والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض...." (١).

إذا كـان هذا رأي العلماء فيما أملاه الزمخشري من الفواتح وبعض المسائل في سورة البقرة فما هو قولهم في الكشاف بعد أن اكتمل بناؤه واستوى على سوقه؟! نعم لقد بهر العلماء بالكشاف لما قرأوه وتناقلوه، وطارت سمعته وصيته شرقاً وغرباً حتى بلغ ألآفـاق وشهد له بالجدة والسبق والتفوق القاصي والداني، بل إن الزمخشري نفسه بهر بكشافه لما أقبل عليه الناس وانكب عليه العلماء يتناقلونه ويأخذون من درره ويضمنونه كتبهم ومصنفاتهم فقال فيه شعراً:

إن التفاسـير فـي الدنيا بلا عدد ولـيس فـيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي(٢)

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٤٣/١-٤٤، المقدمة.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٩٩/٧.

وقال أيضاً:

وناهيك بالكشاف كنزاً نضاره يعلّم تمييز الجياد الصيارفا
وتخفق أوراق المصاحف هِزة لزهر معان يزدهين المصاحفا
فما في بلاد الشرق والغرب ناقد يقلبها دهراً فيخرج زائفاً
وليتهم بالغوص بعد إطالة لفكرهم يدرون تلك اللطائفا
أبى صاحب الكشاف إلا إصابة لما ارتد عنه صاحب النبل صائفاً(١)

هذا هو رأي الزمخشري في كشافه لقد سر به سروراً عظيماً فهل هذا هو رأي أهل العلم فيه أيضاً؟!

أقوال العلماء في كشاف الزمخشري:

ذكر أهل العلم ما للكشاف من ميزات وفضائل وما عليه من انتقادات وعيوب وهذا شأن أي جهد بشري مهما بلغ من الإحكام، والجودة والإبداع لا بد أن يكون هناك المثالب والنواقص وفيما يلي بعض أقوال أهل العلم في كشاف الزمخشري:

رأي ابن بشكوال في الكشاف:

جاء في مقدمة تفسير أبي حيان البحر المحيط مقارنة للحافظ أبي القاسم ابن بشكوال بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري يقول فيهما: "وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص. وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص"(٢). وهو بذلك يشير إلى عمق محتوى الكشاف ودقته مع وجازة العبارة

رأي أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ):

يقول في تفسيره البحر المحيط عن الزمخشري: "وهذا الرجل وإن كان أوتي من علم القرآن أوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ، ففي كتابه التفسير أشياء منتقدة"(٣).

---

(١) الديوان نقلاً عن: ضيف، جار الله الزمخشري، ص٨٢.
(٢) أبو حيان، البحر المحيط، المقدمة، ١/١٩.
(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ٧/٨١، ٨٢.

وهــذا شأن البشر فكل يؤخذ من قوله ويرد ونحن نأخذ من كلام الزمخشري في تفســيره مــا يجلي إعجاز القرآن ويكشف عن درره وكنوزه ونرد ما خالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

رأي تاج الدين السبكي المتوفى سنة (٧٧١هـ):

يقــول: "اعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه ومصنفه إمام في فنه إلا أنه رجل مبــتدع متجاهر ببدعته يضع من قدر النبوة كثيراً ويسئ أدبه على أهل السنة والجماعة والواجب كشط ما في كتابه الكشاف من ذلك كله ، ولقد كان الشيخ الإمام – يعني والده تقــي الديــن السبكي – يقرئه. ثم توقف وكتب ورقة حسبة سماها (سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف) لإساءة أدب الزمخشري مع الرسول ﷺ فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي ﷺ مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة"(١).

فقــد أثبــت السبكي ما للزمخشري من علو الكعب في قضايا الإعجاز والبلاغة واللغة وما أودعه تفسيره من هذه النفائس غير أنه حذر من ابتداع الزمخشري وإساءته الأدب مع النبي ﷺ.

رأي ابن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨هـ):

يــرى ابن خلدون أن التفسير صنفان؛ صنف نقلي، والصنف الآخر من التفسير وهــو ما يرجع إلى اللسان في معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصــد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول بل هو المقصود بــالذات وإنمــا جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة، نعم قد يكون في بعض التفاســير غالــباً، ومــن أحســن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد ، فيأتي الحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة فصار

---

(١) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، نقلاً عن الجويني، ص٢٦٦-٢٦٧.

بذلــك للمحققيــن من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكامنه مع إقرارهم برســوخ قدمـــه فــيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهــب الســنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله فليغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان(١).

ويقــول رحمـــه الله فـــي موضع آخر من مقدمتة مشيراً إلى منزلة الكشاف في البلاغة واللغة، وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون وأكثر المتقدمين غفل عنه حتى ظهــر جار الله الزمخشري، ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهــل الــبدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة، فمن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشـــاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنه بدعة فيعرض عنها ولا تضرفي معتقده فإنه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشيء من الإعجاز مع السلامة من البدع والإهواء(٢).

لقد أثبت ابن خلدون للزمخشري التميز والتفوق على المتقدمين والمعاصرين له حتى عصر ابن خلدون، ذلك لأن الزمخشري انفرد بعلوم اللغة والبلاغة ووظفها لبيان إعجاز القرآن الكريم والكشف عن درره وكنوزه، فبلغ هذا الكتاب المنزلة القصوى بين كتب التفسير غير أنه يقلل من شأنه ويحذر من التعامل معه لأن صاحبه أدخل بين ثنايا صـــفحاته عقيدة الاعتزال فمن أوتي حظاً من معتقد أهل السنة واستطاع باطلاعه على قضـــايا العقيدة السليمة أن يسلم من عقيدة الاعتزال عليه أن ينظر في هذا الكتاب ليفيد من بلاغة صاحبه وليظفر بشيء من إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ١/٤٤٠.

(٢) السابق، ص٥٠٨.

رأي الشيخ حيدر الهروي المتوفى سنة (٨٣٠هـ).

وهو تلميذ سعد الدين التفتزاني يقول: "..... وبعد فإن الكشاف؛ كتاب علي القدر رفيع الشأن لم ير مثله في تصانيف الأولين، ولم يرد شبيهه في تأليف الآخرين، اتفقت على متانة تراكيبه الرشيقة كلمة المهرة المتقنين، واجتمعت على رصانة أساليبه الأنيقة ألسنة الكملة المفلقين، ما قصر في تنقيح قوانين التفسير وتهذيب براهينه وتمهيد قواعده وتشييد معاقده، وكل كتاب بعده في التفسير، ولو فرض أنه لا يخلو عن النقير والقطمير، إذا قيس به لا تكون له تلك الطلاوة، ولا تجد فيه شيئاً من تلك الحلاوة على أن مؤلفه يقتفى أثره، ويسأل خبره.....، لذلك قد تداولته أيدي النظار، فاشتهر في الأقطار كالشمس في وسط النهار، إلا أنه لإخطائه سلوك طريق الأدب، وتصلبه في باطل الاعتزال تكدرت مشارعه الصافية وتضيقت موارده الضافية وتنزلت رتبته العالية .منها أنه كلما شرع في تفسير آية من الآيات القرآنية مضمونها لا يساعد هواه ومدلولها لا يطاوع مشتهاه صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة وتعسفات جامدة، وصرف الآية بلا نكتة من غير ضرورة عن الظاهر تحريف لكلام الله سبحانه وتعالى، وليته يكتفي بقدر الضرورة بل يبالغ في الاطناب والتكثير لئلا يوهم بالعجز والتقصير فتراه مشحوناً بالاعتزالات الظاهرة التي تتبادر إلى الإفهام، والخفية التي لا تتسارع إليها الأوهام. بل لا يهتدي إلى حبائلة إلا وارد بعد وارد من الأذكياء الحذاق. وهذه آفة عظيمة ومصيبة جسيمة.

ومنها أنه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده، ومنها أنه مع تبحره في جميع العلوم على الإطلاق وتميزه بلطائف المحاورة ونفائس المحاضرة أورد أبياتاً كثيرة وأمثالاً غزيرة بني على الهزل والفكاهة أساسهما. ومنها أنه يذكر أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية بعبارات فاحشة فتارة يعبر عنهم بالمجبرة وتارة ينسبهم

على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد، وهذه وظيفة السفهاء الشطار لا طريقة العلماء الأبرار(١).

والشــيخ الهــروي هــنا ذكــر ما تفرد به الزمخشري وما تقدم به على غيره مــن أهــل التفســير وهــي فــرائد الــبلاغة والإعجــاز وذكر ما طعنه غيره على الزمخشــري مــن الانتصــار لمذهــب الاعتزال ولو اضطره الأمر إلى صرف الآية عــن ظاهــرها بــلا صــارف. ونــيله من أهل السنة والجماعة، وغيرها من المثالب في تفسيره الكشاف.

رأي الجلال السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ):

ذكر السيوطي رأيه في حاشيته (نواهد الأبكار) على تفسير البيضاوي. فبعد أن ذكــر قدمــاء المفسرين ومناهجهم في التفسير قال: "ثم جاءت فرقة أصحاب النظر في علــوم البلاغة التي بها يدرك وجه الإعجاز وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة فلذا طار كتابه في أقصى المشرق والمغرب... وقد نبه في خطبته -يقصد مقدمه تفسير الكشــاف- مشــيراً إلى ما يعجب في هذا الباب من الأوصاف، ولقد صدق وبر ورسخ نظامه في القلوب وقر"(٢).

هــذه بعــض شهادات العلماء بما للزمخشري في كشافه وما عليه، وجدنا الكل يجمع على أن الإمام الزمخشري هو فارس ميدان البلاغة والإعجاز القرآني فاق الذين سبقوه وجل من جاء بعده أخذ من كشافه، وقد أقبل الناس من أهل العلم عامة ومن أهل التفسير خاصة على دراسة هذا التفسير مع علمهم أنه مشحون بقضايا الاعتزال ومصائد البدع والباطل إلا أنهم لما يجدونه فيه من جواهر ونفائس لا يترددون في خوض غمار

---

(١) خليفة، كشف الظنون، ٢/١٤٨٣-١٤٨٤.

(٢) خليفة، كشف الظنون، ٢/١٤٧٥.

هــذا التفســير حــتى أولئك الذين لم يحصنوا أنفسهم بمعرفة أصول عقيدة أهل السنة ومقارنتها بعقيدة الاعتزال.

وبالجملـــة فوائــد هــذا التفسير غزيرة كثيرة بشهادة أهل العلم من المفسرين، ومثالـــبه عزيـــزة مـــا خـــلا قضايا الاعتزال التي سلك الزمخشري فيها مسلكاً مريبا ودســـها بيـــن ثـــنايا تفسيره لآي القرآن وبيان إعجازه لو اضطره الأمر إلى لي عنق الآيـــة وصـــرفها عـــن ظاهـــرها أو حملها على المتشابه الذي يرده إلى محكم يتوافق ولو ظاهراً مع اعتقاده.

الباب الأول

أهمية القراءات القرآنية في تفسير الزمخشري

تمهيد: القراءات القرآنية معناها ونشأتها وتطورها

الفصل الأول: اهتمام الزمخشري بالقراءات في تفسيره

الفصل الثاني: الاحتجاج للقراءات وتوجيهها عند الزمخشري

تمهيـــــد

القراءات القرآنية معناها ونشأتها وتطورها

المبحـــث الأول: القــراءات لغـة، وهل تختلف حقيقتها اللغوية مع القرآن أولا.

المبحث الثاني: القراءات اصطلاحاً بوصفها فناً مدوناً ونشأتها وتطورها.

المبحث الثالث: أركان القراءة الصحيحة وأنواع القراءات.

المبحث الرابع: أوجه الاختلاف بين القراءات وفوائدها .

المبحث الخامس: القراء العشرة والتعريف بهم ورواتهم

المبحث الأول

القراءات لغة وهل تختلف حقيقتها اللغوية مع القرآن أولا؟

القـــراءات لغــةً:

كلمـــة (القـــراءات) جمـــع مفـــردها كلمـــة (قـــراءة) وهـــي مأخوذة من مادة (ق، ر، أ) وهـــي المـــادة التـــي أخـــذت منها كلمة (قرآن) وهذه المادة تدور في اللغة العربـــية حـــول معـــنى الجمـــع والاجـــتماع، من ذلك كلمة (قرية) التي سميت بذلك لاجـــتماع الـــناس فـــيها، ويقولـــون قريت الماء في المقراة: بمعنى جمعته، والمقراة: الجفـــنة، ســـميت لاجـــتماع الضيف عليها، أو لما جمع فيها من طعام والقرو: حوض معروف ممدود: ترده الإبل[1].

وقـــراءة مصـــدر قرأ، يقرأ، قراءة، وقرأت الشيء جمعته وضممت بعضه إلى بعـــض، قال الراغب: "والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال: قرأت القوم إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة" [2].

فالراغب يثبت معنى الجمع للقراءة لكن لا يقال لكل جمع قراءة، ولا يقال للتلفظ بالحرف الواحد قراءة.

وفي لسان العرب: قرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهـــم: مـــا قرأت هذه الناقة سلىً قط، وما قرأت جنيناً قط، أي لم يضطم رحمها على ولد... والأصل في قولهم: (القراءة، والاقتراء، والقارئ) الجمع، وكل شيء جمعته فقد

---

(١) انظـــر: ابـــن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة – مصر، الدار الإسلامية، ٥/٧٨-٧٩.

(٢) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني، بيروت – لبنان، دار المعرفة، د. ت، ص٤٠٢.

قرأته وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض... [1].

وقـــال بعض العلماء: تسمية كتاب الله تعالى المنزل على محمد ﷺ (قرآناً) من بيـــن كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [2].

لا مانع من اجتماع كل هذه المعاني في سبب تسمية (القرآن) بهذا الاسم الجامع فقد جمع الحروف والكلمات والسور وجمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد كما جمع ثمرة الكتب السماوية السابقة بل جمع ثمرة جميع العلوم والمعارف.

وهـــذا المعنى هو الذي اشتهر في المعاجم اللغوية. وذكر علماء التفسير وعلوم القـــرآن غـــير ذلك في مادة (ق، ر، أ) وهي المادة التي أخذت منها كلمة (قرآن) قال الزرقانـــي: " أمـــا لفظ (القرآن) فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة... ثم نقل من هذا المعـــنى المصـــدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب اطلاق المصدر على مفعوله"[3].

وقـــال الدكتور عبد الوهاب غزلان: "المختار في لفظ القرآن من حيث اللغة أنه مصدر لقرأ على زنة الغفران والرجحان فهو بمعنى القراءة وهمزته أصلية ونونه زائدة ويشهد لكونه في اللغة مصدراً بمعنى القراءة وروده بهذا المعنى في موضعين من قوله تعـــالى: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**﴾ [القيامة، ١٧-١٨] (فاتبع قرآنه) أي قراءته.

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ٧٨/١١-٧٩.

(٢) الراغب، المفردات، ص٤٠٢.

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٤/١.

فاتضـــح مـــن كـــل مـــا تقـــدم أن القول بأنه في الأصل مصدر بمعنى القراءة نقـل فـــي عـــرف الشارع من هذا المعنى وجعل علماً على مقروء معين وهو الكتاب الكـــريم قـــول وجـــيه يؤيـــده الأســـلوب المألوف في اللغة من إطلاق المصدر وإرادة اسـم المفعـول ويشـــهد بصـــحته وروده مصـــدراً بمعـــنى القراءة في موضعين من الآية الكريمة" [١].

وهـــذا القـــول هـــو المخـــتار المرجح وعليه لا تختلف حقيقة القراءات اللغوية ولفـظ القـــرآن الكـــريم من الناحية اللغوية وقد جرى إطلاق لفظ (قراءة) على صنيع القـــراء فـــي أداء الـــنص القرآني وتلاوتهم لآيه الكريم، فتقول قراءة عاصم، وقراءة نافع، وقراءة حمزة... وهكذا.

---

(١) غزلان، البيان في مباحث من علوم القرآن، ص ١٩-٢١.

المبحث الثاني

القراءات اصطلاحاً بوصفها فناً مدوناً ونشأتها وتطورها

المطلب الأول: القراءات اصطلاحاً بوصفها فناً مدوناً:

ذكـــر علماء التفسير والقراءات أكثر من تعريف للقراءات في الاصطلاح نختار بعضها فيما يلي مبتدئين بالأسبق وفاة:

تعريف أبي حيان الأندلسي للقراءات:

عـــرف أبو حيان الأندلسي القراءات القرآنية في معرض شرحه لتعريف تفسير القـــرآن الكـــريم فقال رحمه الله تعالى: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القـــرآن ومدلولاتهـــا وأحكامهـــا الإفـــرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيـــب وتـــتمات لذلك" (١). ثم أخذ يشرح هذا التعريف معرفاً القراءات فقال: وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هذا هو علم القراءات" (٢).

تعريف بدر الدين الزركشي(٣):

وقد جاء تعريفه للقراءات في معرض تفريقه بين القرآن والقراءات فقال: "اعلم أن القـــرآن والقـــراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبـــيان والإعجـــاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما"(٤).

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ١٢١/١.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ١٢١/١.

(٣) الزركشـــي: هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، من علماء القرن الثامن، برع في علوم الفقه والحديث، وأصول الفقه والتفسير، له مصنفات عدة أشهرها البرهان في علوم القرآن والبحر المحيط في أصول الفقه، توفي (٧٩٤هـ)، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ٣٧٨/٣.

(٤) الزركشـــي، الـــبرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت – لبنان، دار الجيل، ط ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م، ٣١٨/١.

وبالنظر في هذين التعريفين نجد أن الأول منهما وهو تعريف أبي حيان اقتصر على كيفية النطق بألفاظ القرآن في تعريفه للقراءات ولم يشر إلى مواطن الاختلاف بين القراءات القرآنية. ويلحظ على التعريف الثاني وهو تعريف الزركشي أنه اقتصر على مواطن الاختلاف بين القراءات ويعتذر عنهما بأن كلاً منهما عرّف القراءات في سياق حديثه عن موضوع آخر وليس بشكل مستقل.

تعريف ابن الجزري[(١)]:

عرّف القراءات بقوله: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[(٢)].

تعريف شهاب الدين القسطلاني[(٣)]:

قال رحمه الله: "علم القراءات؛ علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

أو يقال: "علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل"[(٤)].

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، الدمشقي، الشافعي، الشهير بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه وإمام المقرئين محقق في علوم القراءات والحديث، حافظ، ولد ونشأ في دمشق، رحل مراراً إلى مصر والتقى شيوخها، ثم رحل إلى شيراز وولي قضاءها، له مصنفات عديدة، أشهرها في علم القراءات: النشر في القراءات العشر، منجد المقرئين، غاية النهاية في طبقات القراء، التمهيد في علم التجويد، توفي سنة (٨٣٣هـ)، انظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، ٨٥/٣، والضوء اللامع، ٢٥٥/٩.

(٢) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ص٩.

(٣) القسطلاني: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري أبو العباس، حفظ القرآن الكريم، والشاطبية والطيبة في القراءات وبرع بالإضافة إلى علم القراءات في علمي الحديث والتفسير، أشهر مصنفاته لطائف الإشارات في علم القراءات، توفي سنة (٩٥٣هـ)، انظر: الضوء اللامع، ١٠٣/٢، والزركلي، الأعلام، ٢٣٢/١.

(٤) القسطلاني، لطائف الإشارات، ١٧٠/١.

والحــق أن الــذي جــاء به القسطلاني لا يخرج عمّا ما ذكره ابن الجزري في تعــريفه للقراءات إلاً أنه شرح وجوه اختلاف القراءات ولم يأت بجديد، لذلك نجده في آخر تعريفه يرجع إلى تعريف ابن الجزري ويذكره بنصه فيقول : "أو يقال علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله"(١).

ولا عجــب فــي ذلــك فجــلُ مــن جاء بعد ابن الجزري من علماء القراءات وعــرّف علــم القراءات نجده لا يخرج عن ما ذكره ابن الجزري ولا يزيد عليه شيئاً إلا فــي شــرح كلمــة أو بيان لوجوه الاختلاف أو الاتفاق بين القراءات القرآنية، فهذا الشــيخ عــبد الفــتاح القاضي(٢) من أعلام القراء في العصر الحديث يقول في تعريفه لعلــم القــراءات: "علــم يعــرف بــه كيفــية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله"(٣).

نلاحــظ أنــه لم يزد على تعريف ابن الجزري شيئاً إلا أنه تصرّف في الكلمات فقط. وكذلك الشيخ محمد سالم محسين(٤) من علماء القراءات المعاصرين جاء بتعريف مــأخوذ من تعريف ابن الجزري السابق فقال رحمه الله تعالى: "القراءات علم بكيفيات أداء كلمــات القــرآن الكــريم واختلافها من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف بعزو النقلة"(٥).

فالذي جاء به أنه ذكر وجهاً من وجوه اختلاف القراءات وهو التخفيف والتشديد ولم يزد على تعريف ابن الجزري غير ذلك.

---

(١) القسطلاني، لطائف الإشارات، ١/١٧٠.

(٢) عــبد الفتاح عبد الغني القاضي، عالم بالقراءات من أهل التدقيق والتحقيق فيها، له مصنفات عدة في علم القــراءات أشــهرها البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، وكتاب القراءات الشاذة وتوجيهها، من علماء الأزهر، توفي سنة ١٤٠٣هـ. انظر: المستدرك على تتمة الأعلام، ٣/١٩٣.

(٣) القاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، مطبعة الحلبي، ط١، ١٩٥٥م، ص٧.

(٤) محمــد بــن محمد بن محمد سالم محسين، من علماء مصر بالقراءات تنقل بين الجامعات الإسلامية في مصر والسعودية له مصنفات عديدة في علم القراءات، توفي سنة (١٤٢٢هـ).

(٥) محسين، محمد بن محمد، المغني في توجيه القراءات العشر، بيروت – لبنان، دار الجيل، ١/٤٥.

بالنظر في تعريفات العلماء لعلم القراءات بوصفها فناً مدوناً نلاحظ أن هذه التعريفات تراعي ما يلي:

١. السند الذي نقلت بواسطته هذه القراءات متصلاً بمصدرها.

٢. وجوه الاختلاف والاتفاق بين القراءات القرآنية.

٣. الكيفية التي تؤدى بها هذه القراءات.

فهو علم يتناول المسائل المتعلقة بكيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله بسند متصل إلى النبي ﷺ [١].

الفرق بين القرآن والقراءات:

حتى نبين الفرق بين القرآن والقراءات لا بد من التذكير بتعريف القرآن اصطلاحاً.

القرآن اصطلاحاً: هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على النبي محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته[٢].

والقراءات اصطلاحاً: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة[٣]. فلا بد لثبوت القراءة من النقل المتواتر عن النبي ﷺ، لذا وجدنا من العلماء من يذكر فروقاً بين القرآن والقراءات ومنهم من قال القرآن والقراءات شيء واحد لا فرق بينهما.

---

(١) انظر: بازمول، محمد، القراءات وأثرها في التفسير والإحكام، الرياض – السعودية، دار الهجرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ١١٢/١.

(٢) انظر: أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص٢٠-٢١، والزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٩/١-٢٠.

(٣) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٩.

مـــن الذين فرقوا بين القرآن والقراءات مكي بن أبي طالب القيسي[١]، فقد ذهب القيسي إلى التفريق بين القرآن والقراءات من حيث شروط قبول القراءة وهي[٢]:

١. صحة السند في نقل القراءة إلى النبي ﷺ.

٢. موافقة اللغة العربية.

٣. موافقة القراءة لرسم المصحف.

فالقـــراءة التي تتوافر فيها هذه الشروط هي القراءة المقبولة التي يقرأ بها ويتعبد بها وهي المعجزة والقراءة التي اختل فيها شرط من الشروط السابقة هي قراءة ولكن لا يقرأ بها أي ليست قرآناً[٣].

وهـــذا القول الذي ذكره مكي يقول به جمهور علماء القراءات وسيأتي بيانه إن شـــاء الله تعالى بخلاف ابن دقيق العيد[٤] الذي عد كل قراءة قرآناً ثبتت أم لم تثبت، فقد نقـــل ابـــن الجـــزري فـــي منجده كلاماً له يقول فيه: "هذه الشواذ نقلت نقل آحاد عن رسول الله ﷺ فيعلم ضرورة أن رسول الله ﷺ قرأ بشاذ منها وإن لم يعين كما أن حاتماً نقلـــت عنه أخبار في الجود كلها آحاد ولكن حصل من مجموعها الحكم بسخائه وإن لم يتعين ما تسخى به، وإذا كان كذلك فقد تواترت قراءة رسول الله ﷺ بالشاذ وإن لم يتعين بالشخص فكيف يسمى شاذاً والشاذ لا يكون متواتراً؟[٥].

---

(١) هـــو مكي بن أبي طالب القيسي المغربي، أبو محمد، ولد في القيروان من أساتذته ابن أبي زيد القيرواني المقـــرئ وأبو الحسن القابسي المحدث، برع في علوم القرآن والعربية والقراءات، له مصنفات كثيرة في التفســـير والعربية والقراءات، توفي سنة (٤٣٧هـــ)، انظر: القفطي، إنباه الرواة، ٣/٣١٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/١٢١.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١/١٥-١٧، وسيأتي تفصيل هذه الشروط لاحقاً إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، ص٥٧-٥٨.

(٤) هـــو محمد بن علي بن وهب بن مطيع تقي الدين القشيري، المشهور بابن دقيق العيد، من علماء أصول الفقـــه والحديـــث، توفـــي سنة (٧٠٢هـــ)، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ٤/٩٦، وابن العماد، شذرات الذهب، ٦/١٧.

(٥) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٢٢.

وقد أجاب ابن الجزري على ذلك التساؤل "بأن القول في القراءات الشاذة كالقول في الأحاديث الضعيفة المنقولة في كتب الأئمة وغيرهم، يعلم في الجملة أن النبي ﷺ قال شيئاً منها وإن لم نعرف عينه... ومع ذلك فلا نعمل بها. وكذلك الشواذ من القراءات لا نعدها قرآناً ونمنع القراءة بها في الصلاة وغيرها منع تحريم لا منع كراهة ولا إشكال في ذلك، والذي وصل إلينا اليوم متواتراً صحيحاً مقطوعاً به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز..." (١).

وممن قال بالفرق بين القرآن والقراءات كذلك الإمام الزركشي لكن من جهة غير التي قال بها جمهور علماء القراءات، قال رحمه الله في البرهان:

"اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز. والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"(٢).

وتابعه على ذلك الإمام القسطلاني في كتابه (لطائف الإشارات) والشيخ أحمد الدمياطي(٣) في كتابه (إتحاف فضلاء البشر) وإن لم نقل بتمام المتابعة فقد نقلا قوله السابق دون تعقيب منهما(٤). مما يشعر بقبوله ومتابعته فيما ذهب إليه.

وأذكر كلاماً نفيساً في هذا المقام لاستاذنا الدكتور إبراهيم خليفة حرر فيه القول في المسألة فقال حفظه الله تعالى: " وتحرير القول أنهم لا يريدون من القراءات ما يقرأه القارئ من الحروف التي يختلف بها أداء اللفظ القرآني والتي يكون مرجع الاختلاف

---

(١) انظر: السابق، ص٢٢-٢٤.

(٢) الزركشي، البرهان، ٣١٨/١.

(٣) الدمياطي، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين، ولد ونشأ بدمياط، برع في علوم العربية والقراءات، توفي بالمدينة المنورة في رحلة الحج، ودفن في البقيع، أشهر مؤلفاته في القراءات: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، توفي سنة (١١١٧هـ)، انظر: الزركلي، الأعلام، ٢٤٠/١.

(٤) انظر: القسطلاني، لطائف الإرشارات، ١٧١/١، والدمياطي، الإتحاف، ص٥.

فـيها إمـا إلـى مادة اللفظ وهيئته جميعاً أو إلى أحدهما فحسب وكيف والقراءات بهذا المعـنى ليست إلا القرآن بعينه أو قل ليس القرآن إلا إياها، أما ما يرجع إلى نفس مادة لفظ الوحي فظاهر وأما ما يرجع إلى هيئته فبين أن اللفظ لا يمكن أن يتأدى بدون هيئتها فاللفظ بمادته وهيئته إذاً قرآن قطعاً فالقرآن والقراءات بهذا المعنى إذا لفظان مترادفان يدل كل منهما على عين ما يدل عليه الآخر.

إنمـا يـريد القـوم مـن القراءات التي رأوا الفرق بين حقيقتها وحقيقة القرآن القراءات باعتبار صيرورتها لقباً على ذلك العلم المخصوص والفن المدون ذي المسائل المخصوصـة المنضبطة بوحدة موضوعها وغايتها... أو قل في عبارة واحدة يريدون علـم القـراءات ولا ريب أن مدلول القراءات بهذا المعنى غير مدلول القرآن وأن لكل واحد من المدلولين على هذا حقيقة مستقلة لا تلتبس بحقيقة الآخر كما ذكروه" (١).

المطلب الثاني: نشأة علم القراءات وتطوره(٢):

مر علم القراءات القرآنية كغيره من العلوم بأطوار متعددة حتى استقر علماً من علوم القرآن الكريم الخادمة لتفسير كتاب الله وبيان إعجازه وأحكامه وتلاوته. ولدراسة هذه الأطوار والحديث عنها لا بد من الحديث عن مسلمات في علم القراءات هي:

- مـن المسلمات الثابتة والقواعد الراسخة في علوم القرآن أن القرآن الكريم كلام الله تعـالى أنزلـه على نبيه محمد ﷺ بواسطة الملك جبريل عليه السلام ليبلغه للناس وكذلك القراءات لأنها من القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة:١٧-١٩].

---

(١) خليفة، إبراهيم: دراسات في مناهج المفسرين ١/١٦١، ١٦٢.

(٢) ينظر هذا المطلب في: الزركشي، البرهان، ١/٢٤١-٢٤٣، والذهبي، التفسير والمفسرون، ١/٦٢-٨٣، والزرقانـي، مـناهل العرفان، ١/٢٤٠-٢٤٥، والفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، جدة – السعودية، مكتبة دار المجمع العلمي، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص١٣-١٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فالنبي ﷺ تلقى القرآن والقراءات بوحي من الله تعالى. ثم بلّغ النبي ﷺ ذلك للصحابة رضي الله تعالى عنهم فأخذوه عنه وهم بدورهم قاموا بنقله إلى مختلف الأمصار بأمانة وإتقان.

- ومن المسلمات في علم القراءات كذلك أن القراءة سنة متبعة؛ يتلقاها اللاحق عن السابق وكما أخذها الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعاً عن النبي ﷺ أخذها عنهم التابعون ثم أخذها عنهم أتباعهم ثم الجيل اللاحق، وهكذا إلى أن وصلت إلينا بسند متصل إلى النبي ﷺ[١].

وفي كل طور من هذه الأطوار المتتابعة نبغ نفر من أهل القرآن يقرئون الناس القرآن وفرغوا حياتهم لهذه الغاية العظيمة ينقلون القرآن للأجيال اللاحقة، وجلُّ المسلمين إن لم يكن كلهم يقرأون القرآن في صلاتهم وعباداتهم ومجالسهم لكن الذين تفرغوا واشتهروا بذلك هم الذين عرفهم الناس.

فمن الجيل الأول؛ جيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم اشتهر جماعة ممن برزوا في إقراء الناس القرآن وتعليمهم القراءات وإن كان جل الصحابة من حفظة كتاب الله تعالى نقلوه لمن بعدهم، ومن جيل التابعين كذلك اشتهر عدد من القراء ثمّ الجيل الذين من بعدهم وهكذا في كل عصر ونحن في هذا المبحث يهمنا الجيل الأول والثاني إلى زمن أئمة القراءة واستقرار الناس على قراءات الأئمة السبعة أولاً ومن ثم العشرة.

الذين اشتهروا بالقراءة والإقراء من الصحابة:

عرف عن الصحابة رضي الله عنهم حبهم لكتاب الله تعالى وإقبالهم عليه قراءة وحفظاً وإقراءً لكن كتب القراءات اقتصرت على ذكر عدد منهم كانوا أكثر شهرة من غيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعاً في هذا الميدان. ومن هؤلاء:

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٩/١، ٣٠.

- عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، أمير المؤمنين من أوائل الناس إسلاماً، أخذ القرآن عن النبي ﷺ وأخذه عنه جمع من الصحابة والتابعين منهم المغيرة المخزومي(١). سمي عثمان بـ (ذي النورين) لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي ﷺ استشهد سنة (٣٥هـ).
- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أمير المؤمنين ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها غير تبوك لأنه خلفه مع أهله، أخذ القرآن عن النبي ﷺ، واشتهر بإقراء الصحابة والتابعين، أخذ عنه القرآن أبو عبد الرحمن السلمي(٢)، وأبو الأسود الدؤلي(٣). استشهد سنة (٤٠هـ) (٤).
- زيد بن ثابت بن الضحاك بن النجار الأنصاري الخزرجي، من كتاب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وأوفده عثمان بالمصاحف إلى الأمصار أخذ عنه القرآن من الصحابة أبو هريرة وابن عباس، وابن عمر ومن التابعين يزيد بن القعقاع(٥) المقرئ وغيرهم، توفي سنة (٤٥هـ) وقيل غير ذلك.
- أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن مالك بن عبد النجار الأنصاري الخزرجي، قرأ على النبي ﷺ القرآن وكان من كتاب الوحي، وكان من أقرأ الصحابة للقرآن الكريم قرأ عليه القرآن أبو هريرة وابن عباس وغيرهما توفي سنة (٢١هـ).

---

(١) هو المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، من كبار التابعين، قرأ القرآن على عثمان، وعلي بن أبي طالب وغيرهما من الصحابة وقرأ عليه القرآن عبد الله بن عامر اليحصبي، توفي سنة (٩١هـ)، انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٦٧/١٠.

(٢) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي، مقرئ وحافظ، أخذ القرآن عن جمع من الصحابة منهم عثمان وعلي رضي الله عنهما، توفي سنة (٧٣هـ). انظر: تهذيب التهذيب، ١٨١/٩.

(٣) هو: ظالم بن عمرو بن سفيان المشهور باسم (أبي الأسود الدؤلي) أول من وضع مسائل في النحو بإيعاز من علي بن أبي طالب ﷺ، أسلم في حياة النبي ﷺ وليس له صحبة، وهو أول من نقط المصحف، توفي سنة (٦٩هـ)، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٤١/١، وإنباه الرواة، ١٧/١.

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ٨٧/٦، وصفة الصفوة، ١١٧/١.

(٥) يزيد بن القعقاع، أبو جعفر، من القراء العشرة، وسيأتي تفصيل ترجمته إن شاء الله تعالى.

- عبد الله بن مسعود بن مدركة بن الياس بن مضر الهذلي، أبو عبد الرحمن، أخذ القرآن عن النبي ﷺ وعرضه عليه، وكان من أجمل الصحابة صوتاً في تلاوة القرآن الكريم أخذ عنه القرآن خلق كثير من الصحابة والتابعين، منهم: ابن عباس وابن عمر ومسروق[1] وغيرهم. وإليه تنتهي قراءة كل من عاصم وحمزة والكسائي وخلف من القراء العشرة والأعمش من أصحاب الشواذ توفي سنة (٣٢هـ) [2].
- أبو هريرة: وهو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي ﷺ كان شديد الملازمة للنبي ﷺ، وهو من أحفظ الناس للحديث روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صحابي وتابعي، كما اشتهر أيضاً بإقراء القرآن، توفي سنة (٥٨هـ) [3].
- عمرو بن العاص، بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله، أحد دهاة العرب، أخذ القرآن عن النبي ﷺ وجمع من الصحابة وأخذه عنه جمع من الصحابة والتابعين توفي سنة (٤٣هـ) [4].
- عبد الله بن عباس، بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ابن عم رسول الله ﷺ حبر هذه الأمة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، أخذ القرآن عن الرسول الله ﷺ وجمع من الصحابة، دعا له الرسول ﷺ بالفقه في الدين وعلم التأويل، توفي سنة (٦٨هـ) [5].
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي، أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير، كثير الملازمة للنبي ﷺ أكثر من رواية الحديث أخذ القرآن عن النبي ﷺ وأخذه عنه كثيرون، توفي سنة (٧٣هـ) [6].

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني أبو عائشة، تابعي، ثقة من أهل اليمن وسكن الكوفة، لازم ابن مسعود سنين وأخذ عنه القراءة والفقه والتفسير، توفي سنة (٦٣هـ)، انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٠/١١٩.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٦١، وصفة الصفوة، ١/١٥٤.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٤/١٧٧، وصفة الصفوة، ١/٢٨٦.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ٥/١١٢، والذهبي، تاريخ الإسلام، ٢/٢٣٥-٢٤٠.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٣٨، وصفة الصفوة، ١/٣١٥.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٤٢، وابن خلكان، ١/٢٤٦.

- معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري، أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ﷺ وقد وصفه الرسول ﷺ بأنه أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام، توفي بطاعون عمواس بغور الأردن سنة (١٨هـ) [١].
- أبو موسى الاشعري، وهو عبد الله بن قيس بن سليم، أسلم بمكة المكرمة، وهاجر إلى الحبشة، اشتهر بالورع ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم الكوفة توفي سنة (٥٢هـ) وقيل (٤٤هـ) [٢].
- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، أبو حمزة،خادم رسول الله ﷺ، أخذ القرآن عن النبي ﷺ وعرضه عليه جماعة من الصحابة والتابعين توفي سنة (٩٣هـ) [٣].

ومنهم كذلك عبد الله بن الزبير[٤] وعبد الله بن عمرو بن العاص[٥] وحذيفة بن اليمان[٦] وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ الذين برعوا في تعليم الناس القرآن والقراءات.

ومن اشتهر بالإقراء من التابعين[٧]:

أولاً: في المدينة المنورة:

- سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي المدني، سيد التابعين، اشتهر بالزهد والعبادة، بارع في قراءة القرآن وإقراءه، توفي سنة (٩٣هـ).

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ١٠٧/٦، وأسد الغابة، ٣٧٦/٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ٢٤٩/٤، وصفة الصفوة، ٢٢٦/١.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٢٨١/١، وصفة الصفوة، ٢٩٨/١.

(٤) عبد الله بن الزبير بن العوام، الأسدي القرشي، أول من ولد للمهاجرين في المدينة أمه أسماء بنت أبي بكر، قتله الحجاج سنة (٧٣هـ). الإصابة، ٤٤٧/٤.

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي، حفظ القرآن في حياة النبي ﷺ ، توفي سنة (٦٥هـ)، الإصابة، ٢٤٥/٤.

(٦) حذيفة بن اليمان، أبو عبد الله صحابي جليل أمين سر النبي ﷺ في أسماء المنافقين، توفي سنة (٣٦هـ)، الإصابة، ٣٩/٢.

(٧) ينظر هذا المطلب في: محيسن، القراءات وأثرها في اللغة ، ٥٣/١-٥٧، وإسماعيل، شعبان، القراءات أحكامها ومصدرها، ص٥٣، والتراجم أخذت من تهذيب التهذيب لابن حجر.

- محمد بن شهاب الزهري، من أعلام التابعين، برع في القرآن والحديث أخذ عنه الناس القرآن كما أخذوا الحديث وكانت وفاته سنة (١٢٤هـ).
- زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسر، مولى عمر بن الخطاب من كبار التابعين، توفي سنة (١٣٦هـ).

ثانياً: في مكة المكرمة:

- مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، أخذ القرآن عن ابن عباس وعبد الله بن السائب، توفي سنة (١٠٣هـ).
- طاووس بن كيسان اليماني الحميري، أخذ القرآن عن جمع من أصحاب النبي ﷺ توفي سنة (١٠٦هـ).
- عكرمة البربري المدني مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر بالمغرب العربي، توفي سنة (١٠٤هـ).

ثالثاً: في البصرة:

- عامر بن عبد القيس البصري من سادات التابعين أخذ القرآن من أبي موسى الأشعري، توفي سنة (٦٠هـ).
- يحيى بن يعمرالوشقي العدواني، أبو سليمان من علماء التابعين متمكن بالقرآن والقراءات، توفي سنة (١٢٩هـ).
- الحسن البصري: وهو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري مولى الأنصار، توفي سنة (١١٠هـ).

رابعاً: في الكوفة:

- علقمة بن قيس النخعي الهمداني، أبو شبل أحد التابعين أخذ عنه القرآن كثيرون، توفي سنة (٦٢هـ).
- أبو عبد الرحمن السلمي: عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، المتوفى سنة (٧٢هـ).

- سـعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولاهم، حبشي الأصل، اشتهر بالحكمة والورع قتله الحجاج سنة (٩٥هـ).

خامساً: في الشام:

- المغـيرة بن أبي شهاب المخزومي، وهو تابعي أخذ عنه القراءة عبد الله بن عامر اليحصبي المشهور، توفي سنة (٩١هـ).
- عـبد الله بـن عامر: هو صاحب القراءة المشهورة أخذ القرآن والقراءات عن أبي هريرة وعن معاوية بن أبي سفيان، توفي سنة (١١٨هـ).

وهـناك غـيرهم كثـير لكنـي وقفـت مـع نمـاذج من هؤلاء الأعلام الذين تصـدوا لإقـراء الـناس وتعلـيمهم القراءات، وامتد هذا العصر حتى اتصل بعصر الأئمـة القـراء وسـيأتي تفصـيل الحديث عنهم في المبحث الخامس من هذا التمهيد إن شاء الله تعالى.

<u>تدويـن القـراءات:</u>

كانـت الـبدايات الأولـى لتدويـن القـراءات القرآنـية متواضـعة مقارنـة بغـيرها مـن علـوم القـرآن فالمصنفات في علم القراءات في القرنين الثاني والثالث الهجريين محدودة كما أنه لم يصلنا منها إلا القليل، ولعل السبب في ذلك – في نظري – يـرجع إلـى أن علـم القـراءات يعتمد على الحفظ والتلقي والإتقان بالدرجة الأولى، فحفـاظ القـرآن كـانوا يعـتمدون علـى حفظهـم فـي نقـل القرآن والقراءات إلى مـن بعدهـم، وهكـذا فـي كـل طـبقة حتّى بعد تدوين القراءات، وسأتناول في هذا المطلـب أغلـب المصـنفات فـي علـم القراءات في مختلف العصور حتّى عصرنا الحاضـر مبـتدئاً بالمصـنفات فـي القرنيـن الثانـي والثالـث الهجرييـن أي في بداية عصر التدوين.

* **المصنفات في علم القراءات في القرنين الثاني والثالث:**

١. كتاب معاني القراءات، وهو كتاب لطيف في القراءات لـ أبان بن تغلب الكوفي[١] ذكره ابن النديم في الفهرست[٢].

- كتاب في القراءات لمقاتل بن سليمان المتوفى سنة (١٥٠هـ) [٣] ذكره أيضاً ابن النديم في الفهرست وذكره الداودي في طبقات المفسرين[٤].
- أبو عمرو بن العلاء البصري المتوفى سنة (١٥٤هـ)، صاحب القراءة المعروف، ذكر العلماء أنه صنف كتاباً في القراءات[٥] وكذلك لحمزة الزيات من أصحاب القراءات السبع كتاب في القراءات، وليعقوب الحضرمي (٢٠٥هـ) من أصحاب القراءات العشر كتاب الجامع في القراءات ذكر فيه وجوه اختلاف القراءات، ونسب كل قراءة إلى من قرأ بها[٦].
- وذكر ابن الجزري في النشر أن أبا عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤هـ) [٧] صنف كتاباً في القراءات وجعل القراء خمسة وعشرين قارئاً مع القراء السبعة[٨].

---

(١) هو أبان بن تغلب بن رباح البكري الحريري بالولاء أبو سعيد، عالم في القراءات والنحو والعربية من أهل الكوفة، شيعي متعصب توفي سنة (١٤١هـ)، انظر: اللباب في الأنساب، ٢٢٤/١.

(٢) انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٨.

(٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي مولاهم، أبو الحسن، من أعلام المفسرين بارع في اللغة والقراءات سكن بغداد ثم البصرة وتنقل في طلب العلم، توفي سنة (١٥٠هـ)، انظر: ابن خلكان، الوفيات، ١١٣/٢.

(٤) انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٥٣-٢٥٤، والداودي، طبقات المفسرين، ٣٣٠/٢-٣٣١.

(٥) الفضلي، القراءات القرآنية، ص٢٩.

(٦) انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٥٢/٧.

(٧) هو القاسم بن سلاّم أبو عبيد الهروي، البغدادي، من كبار علماء العربية والقرآن الحديث والفقه، وله مصنفات في كل هذه العلوم التي برع بها، توفى سنة (٢٢٤هـ)، انظر: ابن خلكان، ٤١٨/١، ابن حجر، التهذيب، ٣١٥/٧.

(٨) ابن الجزري، النشر، ٣٣/١-٣٤.

- وصـــنف حفــص بـــن عمر الدوري المتوفى (٢٤٦هـ) جزءاً في القراءات، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين[١].

- وصنف أحمد بن محمد البزي المكي المتوفى سنة (٢٤٧هـ) [٢] كتاباً في القراءات القرآنية نقل عنه أبو عمرو الداني وأشار إليه في المفردات السبع[٣].

- وذكــر مكـــي بـــن أبـــي طالـــب فـــي الإبانـــة أن أبـــا حاتم السجستاني المتوفى ســـنة (٢٤٨هـــ) [٤] صـــنف كـــتاباً في القراءات، ترك فيه ذكر حمزة والكسائي وابـــن عامـــر، وزاد نحـــو عشـــرين رجـــلاً مـــن الأئمـــة ممـــن هـــم فـــوق القراء السبعة[٥]. وصنف كتاباً آخر في اختلاف المصاحف[٦].

- وذكـــر كذلـــك أن أحمـــد بـــن جبـــير[٧] المـــتوفى ســـنة (٢٥٨هـــ) ألف كتاباً فـــي القـــراءات ســـماه (كـــتاب الخمســـة) وذكـــر فـــيه خمسة من القراء من كل مصر واحد[٨].

---

(١) ذكــره الباحث محمد بازمول في كتابه القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، الرياض – السعودية، دار الهجرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ١/١١٩.

(٢) هـــو أحمـــد بن محمد بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو الحسن البزي المكي، الحافظ القارئ، مولى بني مخـــزوم اشتهر بالقراءة على قراءة ابن كثير في مكة المكرمة، توفي سنة (٢٥٠هـ)، انظر: ابن حجر، لسان الميزان، ١/٢٨٣، وغاية النهاية، ١/١١٩.

(٣) انظر: الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية، ص٣٢.

(٤) هـــو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني من علماء اللغة والنحو والشعر من أهل البصرة أخذ عـــنه المبرد النحو والقراءات، له مصنفات عديدة في فنون مختلفة توفي سنة (٢٤٨هـ)، انظر: القفطي، إنباه الرواة، ٢٥/٥٨.

(٥) مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، ص٣٩.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص٨٧، وخليفة، كشف الظنون، ص٣٣.

(٧) هو أحمد بن جبير بن محمد، من أهل الكوفة، برع في التفسير والقراءات، توفي سنة (٢٥٨هـ).

(٨) مكي، الإبانة، ص١٠٣، وذكره ابن الجزري في النشر، ١/٣٤-٣٥.

- وذكـر صـاحب النشر أن إسماعيل بن إسحاق المالكي المتوفى سنة (٢٨٢هـ)[١] صـنف كـتاباً في القراءات جمع فيه نحو عشرين قراءة لعشرين إماماً منهم الأئمة السبعة[٢].

هـذه بعـض المصـنفات فـي علـم القـراءات فـي القرنين الثاني والثالث والملاحـظ أن جـل هـذه الكتـب لـم يصـلنا ولـم نعـرف عنها إلا من خلال ما ذكـره علمـاء القـراءات فـيما بعـد عـن هـذه المصـنفات أو عن أصحابها في كتـبهم ومصـنفاتهم. كما أننا لم نفد من العلم المكنوز في هذه المصنفات إلا في حدود مـا أفـاد مـنه مـن أشـار إلـى هـذه المصنفات وأودعوه مصنفاتهم. ويلحظ على هـذه المصـنفات أيضـاً مـن خـلال أسـمائها ومـا علمـناه من محتوياتها أنها لم تحصـر القـراءات بقـراءات الأئمـة السـبعة أو العشرة مما يعني أن هذا الحصر لم يكن معروفاً زمنهم.

المصنفات في القراءات السبع:

عرفـنا أنه لم يصلنا من كتب القراءات التي صنفت قبل القرن الرابع الهجري إلا أقـل القلـيل وهـذا بالطبع لا يعني أن جميع الكتب المصنفة في علم القراءات بعد ذلـك أي فـي القرن الرابع وما بعده قد وصلنا، ولكن نستطيع القول أن عدداً لا بأس بـه مـن الكتـب المصنفة بعد ذلك قد وصلنا، منها ما حقق وطبع ومنها ما طبع دون تحقـيق أو خدمـة ومـنها مـا لـم يطـبع بعد وما يعنينا في هذا المبحث الكتب التي وصـلت إليـنا وطبعـت وهـي بيـن يدي أهل العلم، وسأذكر جل هذه الكتب ونبذة عـن مصـنفيها مسـتثنياً مـن ذلـك ما كتبه العلماء من أهل عصرنا لسهولة تناوله واعتماده في أغلبه على ما سبق من المصنفات في علم القراءات.

---

(١) هو إسماعيل بن إسحاق بن أحمد المالكي، من أهل البصرة له مصنفات عدة في الحديث والقراءات، توفي سنة (٢٨٢هـ)، انظر: تاريخ بغداد، ٢٨٤/٦.

(٢) ابن الجزري، النشر، ٣٦/١.

من هذه المصنفات:

- كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد التميمي البغدادي المتوفى سنة (٣٢٤هـ) [١] وهذا الكتاب حدد سبع قراءات لسبعة أئمة من أئمة القراءة هم أشهرهم وأحفظهم وأتقنهم وأكثرهم قبولاً من الناس، وقراءاتهم هي الأوسع انتشاراً في العالم الإسلامي آنذاك وإلى اليوم وكان هذا الكتاب نقطة تحول في تاريخ علم القراءات، فمن صنف في القراءات قبل ابن مجاهد لم يحصر القراء بعدد معين فبعضهم ذكر عشرين قراءة وبعضهم زاد على ذلك وبعضهم ذكر دون ذلك العدد لكن أحداً لم يحدد عدد القراء والقراءات بالعدد سبعة قبل ابن مجاهد مما شوش على الناس أمر القراءات والذي زاد الأمر تعقيداً هو موافقة هذا العدد لعدد الأحرف التي نزل عليها القرآن[٢] مما دفع بعض الناس إلى الخلط بين الأحرف السبعة، والقراءات السبع الأمر الذي ما رامه ابن مجاهد ولا قصده من خلال حصر عدد القراءات بهذا العدد، فهو لم ينكر قراءة غير هؤلاء الأئمة لكنه أراد أن يختار من أئمة القراءة من هو أكثر حفظاً وإتقاناً وإقبالاً من أهل القراءات، واستثنى غير هؤلاء ممن لم يبلغ درجتهم ورتبتهم في إتقان القراءات،

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، البغدادي، الحافظ، ولد في سوق القطن في بغداد، سنة (٢٤٥هـ)، وحفظ القرآن مبكراً وأكثر من القراءة على الأئمة والشيوخ وختم القرآن وعرضه على عشرات القراء، وأقبل عليه طلبة العلم من شتى بقاع الأرض، وهو أول من سبع القراءات، مات سنة (٣٢٤هـ)، غاية النهاية،١/١٣٩.

(٢) حديث الأحرف السبعة معروف عند أهل العلم بل بلغ حد التواتر، ومن نصوص هذا الحديث، عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاءة بني غفار موضع مائي في المدينة المنورة، قال: فأتاه جبريل عليه السلام: فقال: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين"، فقال: "اسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا" رواه مسلم في كتاب الصلاة باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف برقم (٨٢٠)، والنسائي، باب ما جاء في القرآن، ٢/١٥٢، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم ١٤٧٧، و١٤٧٨.

يقول رحمه الله في مقدمة كتابه (السبعة): "...فمن حملة القرآن من يعرب ولا يلحن، ولا علم له بغير ذلك، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه، فهو مطبوع على كلامه... ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداء لما تعلّم، ولا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظ، فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده، فيضيع الإعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية، ولا به بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه، وقد ينسى الحافظ، فيضيع السماع، وتشتبه عليه الحروف، فيقرأ بلحن لا يعرفه، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره، ويبرئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مصدقاً فيحمل ذلك عنه، وقد نسيه ووهم فيه، وجسر على لزومه والإصرار عليه ، أو يكون قد قرأ من نسي وضيع الإعراب ودخلته الشبهة فيتوهم، فذلك لا يقلد القراءة، ولا يحتج بنقله، ومن حمله القرآن من هو على مستوى يؤهله إلى معرفة إعراب القراءة ويبصره بمعانيها، ولكنه لا يعرف القراءات ولا تاريخها مع جهله بمصادر الرواية، وقد يحمله ذلك على أن يقرأ بحرف يجوز لغة وإعراباً مع إنه لم يقرأ به أحد من السابقين..."(١).

من خلال النص السابق في مقدمة كتاب السبعة لابن مجاهد ندرك مدى الحرص الذي كان ينتاب هذا العالم أثناء تدوينه لقراءات الأئمة، فهو قطعاً لم يرد أن يحصر القراءات بهذا العدد، لكن الذي ثبت عنده على هذه الدرجة من اليقظة والحرص والتثبت هذا العدد من قراءات الأئمة فأثبته في كتابه، لذا لا نعجب إذا جاء غيره من بعده ولا أقول وكان على درجة أقل من الحرص والتثبت بل على الدرجة نفسها من الحرص ولكن وسّع دائرة الدراسة والتمحيص وأثبت التواتر لقراءات غير الأئمة السبعة. وهذا ما كان تماماً وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، المقدمة، ص٤٥-٤٦.

ونهـج ابـن مجاهد في كتابه السبعة أن يذكر الإمام صاحب القراءة من الأئمة السبعة ثم يذكر أصول[1] قراءة كل واحد منهم واختياراته ثم يذكر فرش[2] القراءة لكل واحـد حسب ترتيب سور القرآن الكريم. وبذلك يضع بين يدي القارئ مواضع اختلاف الأئمة في القرآن الكريم وتلاوته أصولاً وفرشاً بتتبع واستقصاء لكل قراءة. وعلى هذا النهج سار من جاء بعده من العلماء في أغلب المصنفات[3].

وقد حاول علماء القراءات في العصور اللاحقة لعصر ابن مجاهد تعليل اختياره لقراءات هؤلاء الأئمة واقتصاره عليها في الوقت الذي عرف الناس فيه عشرات الأئمة من القراء، فلماذا العدد سبعة دون غيره؟ ولماذا هؤلاء السبعة دون غيرهم؟ على الرغم من وجود من هو أعلى طبقة منهم. فقد اختار ابن مجاهد من قراء المدينة المنورة نافع ابـن عبد الرحمن المتوفى سنة (١٦٩هـ) وأعرض عن قراءة أبي جعفر المدني؛ يزيد ابن القعقاع وهو من أعلى القراء إسناداً إذ توفى سنة (١٣٠هـ) وهو تابعي وهو شيخ نـافع... إلـى غير ذلك من اعتراضات، يقول مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧هـ): "فإن سأل سائل فقال: "ما العلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون مـن هو فوقهم فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازاً. وصاروا في وقتنا أشهر من غيرهم ممن هم أعلى درجة منهم وأجل قدراً؟[4].

فالجواب: أن الرواة من الأئمة القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد كثيراً في الاختلاف فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافـق المصـحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به. فنظروا إلى إمام مشهور

---

(١) المـراد بـ (أصول القراءة): الأحكام التي تجري في كل ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم، كالمد، والقصر والإظهار، والإدغام، والفتح، والإمالة، ونحو ذلك. انظر: الضباع، الإضاءة، ص١٢.

(٢) الفرش: هو الحكم المنفرد غير المطرد وهو ما يذكر من اختلاف في كيفية قراءة كل كلمة قرآنية اختلف في قراءتها القراء. مع عزو كل قراءة إلى صاحبها من الأئمة. انظر: القاضي، الوافي، ص١٩٩.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص(٥٦) وما بعدها.

(٤) يقصد بالأحرف هنا القراءات، وقوله مجازاً معناه أنهم ليسوا مصدر هذه القراءات.

بالـثقة والأمانـة وحسـن الدين وكمال العلم قد طال عمره، واشتهر أمره وأجمع أهل عصـره على عدالته فيما نقل وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا من كل عصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمرو من أهل البصرة وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها. والكسائي من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابـن عامـر من أهل الشام ونافع من أهل المدينة، كلهم ممن اشتهرت إمامته، وطال عمره في الإقراء وارتحال الناس إليه من البلدان"[١].

فابن مجاهد رحمه الله لم يكن متهماً في علمه ودينه عند الناس. بل تبوأ المكانة الأولـى فـي الإقـراء في زمنه وكان قد أخذ القراءات عن أكثر من مائة شيخ وعالم بالقـراءات ممـن سبقوه، وأقبل عليه طلاب علم القراءات من كل مكان في الدنيا، فلما كان هذا حاله وبعد عشرات السنين من الدراسة والتحقيق والتدقيق في القراء والقراءات أراد أن يضبط هذا العلم فوضع شروطاً للإمام الذي يريد أن يختار قراءته فتحصل لديه هذا العدد من القراء والقراءات فأثبته في كتابه وسماه (السبعة) إشارة إلى الأئمة القراء الذين اتصفوا بالصفات السابقة.

وعلـى الـرغم ممـا وجـه إلى صنيع ابن مجاهد في تسبيع القراءات من لوم وانتقادات فقد وجدنا قبولاً عظيماً لصنيعه في أوساط أهل القراءات، ومع إثبات العلماء بعد ابن مجاهد لتواتر القراءات الثلاث المتممة للعشر بقيت القراءات السبع التي اختارها ابـن مجـاهد هـي المقدمـة على الثلاث المتممة للعشر حتى أيامنا هذه، وقد صنفت المصنفات الكثيرة في القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد ومنها:

---

(١) مكـي بـن أبي طالب القيسي، الأبانة، ص٤٧-٤٨، وانظر: الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص٥-٦ وغيره.

- كتاب (الحجة في علل القراءات السبع) لابن خالويه المتوفى سنة (٣٧٠هـ)[١].وهو كتاب عظيم في القراءات السبع ذكر فيه الحجة للقراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد في جميع سور القرآن الكريم[٢].
- كتاب (الحجة للقراءات السبع) لأبي علي الفارسي المتوفى سنة (٣٧٧هـ)[٣] وهو كتاب كبير يقع في أربعة مجلدات تناول فيه مؤلفه القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد وبحث عن حججها وتوجيهها في القرآن الكريم واللغة العربية[٤].
- كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة بن زنجلة من علماء القرن الرابع توفي في بدايات القرن الخامس بعد سنة (٤٠٣هـ)[٥]. وكتابه أيضاً في القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد، يوجهها ويحتج لها حسب ترتيب سور المصحف.

ومنهج ابن زنجلة في كتابه الحجة أن يذكر سور القرآن مرتبة حسب المصحف، ويورد ما في كل سورة من اختلافات بين القراء السبعة في أصول القراءة وفرشها ناسباً كل قراءة لصاحبها ثم يذكر الحجة لكل قراءة من هذه القراءات[٦].

---

(١) هو الحسين بن أحمد بن محمد أبو عبد الله الشهير بابن خالويه. عالم في التفسير والنحو والقراءات، له مصنفات عدة أشهرها (الحجة في القراءات السبع) و(مختصر في شواذ القرآن) و(القراءات) وغيرها. توفي سنة (٣٧٠هـ)، انظر: ابن خلكان، الوفيات، ١/١٥٧.

(٢) انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٩٠.

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبو علي، أحد أبرز أئمة النحو والعربية والقرآن، له مصنفات عظيمة في النحو والقراءات، توفى سنة (٣٧٧هـ). انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/١٣١، والقفطي، إنباه الرواة، ١/٢٧٣.

(٤) أبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، الحجة في القراءات السبع، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠١م.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المالكي المقرئ، إمام في القراءات والنحو والتفسير، كان قاضياً على مذهب الإمام مالك، صنف كتابه الحجة قبل عام (٤٠٣هـ)، والراجح في وفاته في العشر الأول من القرن الخامس الهجري، انظر: مقدمة كتابه الحجة، ص٢٤-٣١.

(٦) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

-كتاب (التبصرة في القراءات السبع).

-كتاب (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها).

-كتاب (الإبانة عن معاني القراءات).

وهـــي كلها للإمام العلاّمة، مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧هـ). وهـــي مطبوعة متداولة[١] وكلها في القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد وتوجيهها بذكر اختلاف القراءات بين القراء وحجة كل قراءة.

-كــتاب (التيســير في القراءات السبع) لأبي عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ) [٢] وهــو من أحسن وأصح كتب القراءات وأوضح ما ألف عن السبعة من الروايات[٣]. وصـــنف أبـــو عمـــرو أيضـــاً كتاباً آخر في القراءات السبع سماه (جامع البيان في القراءات السبع) وهو كتاب جليل في علم القراءات لم يؤلف مثله[٤].

-كتاب (الكافي في القراءات السبع) لأبي عبد الله الاشبيلي المتوفى سنة (٤٧٦هـ) [٥].

-كتاب (الإقناع في القراءات السبع) لابن الباذش الأنصاري المتوفى سنة(٥٤٠هـ) [٦].

وقــد اعــتمد مؤلـــف هـــذا الكتاب على كتابي (التبصرة) لمكي بن أبي طالب و(التيسير) لأبي عمرو الداني.

---

(١) (التبصـــرة) طـبعة الدار السلفية في الهند سنة (١٣٣٩)هـ، و(الكشف) نشرته مؤسسة الرسالة، بيروت و(الإبانة) نشرته المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة.

(٢) هو عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، من موالي بني أمية، بارع في القراءات والتفسير ورواية الحديث، اصله من دانية بالأندلس، وتنقل في البلاد طلباً للعلم، له عدة مؤلفات في القراءات، توفي سنة (٤٤٤هـ)، انظر: غاية النهاية، ٥٠٣/١، والنجوم الزاهرة، ٥٤/٥.

(٣) انظر: ابن الجزري، تحبير التيسير، ص١٧.

(٤) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٦٧/١. وهو محقق ومطبوع في السعودية.

(٥) هو محمد بن شريح بن أحمد الرعيني الإشبيلي، أبو عبد الله، بارع في علوم التفسير والقراءات والنحو، توفي سنة (٤٧٦هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري، ١٥٣/٢.

(٦) هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، أبو جعفر الشهير بـ (ابن الباذش) من علماء القراءات توفي سنة (٥٤٠هـ). انظر: ابن الجزري، غاية النهاية ٢١٧/١

-منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني) في القراءات السبع للإمام الشاطبي المتوفى سنة (٥٩٠هـ)[1]. واسم المنظومة كاملاً (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني) وتقع في (١١٧٣) بيتاً من الشعر نظم فيها كتاب التيسير في القراءات السبع للداني يقول الشاطبي فيها:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره فأجنت بعون الله منه مؤملاً

وقد لاقت هذه المنظومة قبولاً عظيماً عند علماء القراءات وأصبحت تعرف بـ (الشاطبية) نسبة إلى صاحبها الإمام الشاطبي – رحمه الله- كما أصبحت علماً عند أهل القراءات فأقبلوا عليها يشرحونها ويختصرونها ومنهم من زاد عليها أبياتاً حوت القراءات الثلاث المتممة للعشر.

ومن الشروح على الشاطبية:

- كتاب (فتح الوصيد في شرح القصيد) لعلم الدين السخاوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ) وهو تلميذ الشاطبي وشرحه للشاطبية يعد أهم الشروح وأسبقها.
- كتاب (كنز المعاني شرح حرز الأماني) لأبي عبد الله الموصلي المتوفى سنة (٦٥٠هـ)[2].
- كتاب (الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية) لأبي عبد الله الفاسي المتوفى سنة (٦٥٦هـ)[3].

---

(١) هو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي، بارع في علوم التفسير والقراءات العربية، كان محجاً لطلاب العلم من كل مكان، أشهر أعماله منظومته (حرز الأماني) توفي سنة (٥٩٠هـ). الشذرات، ٣٠١/٤.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد أبو عبد الله، المعروف بـ (شعلة) الموصلي، بارع في علم القراءات، توفي سنة (٦٥٠هـ). انظر: شذرات الذهب، ٢٨١/٥.

(٣) هو محمد بن الحسن بن محمد الفاسي أبو عبد الله، ونسبته (الفاسي) لمدينة فاس بالمغرب، توفي سنة (٦٥٦هـ). انظر: غاية النهاية، ١٢٢/٢.

- كتاب (إبراز المعاني من حرز الأماني) لأبي شامة الدمشقي المتوفى سنة (٦٦٥هـ)[١].
- وشرحها أيضاً العلامة إبراهيم بن عمر الجعبري[٢]، المتوفى سنة (٧٣٢هـ) في شرح سماه (كنز المعاني) وصفه العلامة، القسطلاني بأنه: "شرح عظيم لم يصنف مثله"[٣]. وغيرها شروح كثيرة لهذه المنظومة العظيمة التي ذاعت شهرتها في شتى بقاع الدنيا فأصبحت عمدة هذا الفن.
- كتاب (العقد النضيد في شرح القصيد) للسمين الحلبي المتوفى سنة (٧٥٦هـ)[٤].
- كتاب (سراج القاري) لعلاء الدين بن القاصح المتوفى سنة (٨٠١هـ)[٥].
- وهناك من اختصر هذه المنظومة وأشهر من اختصرها الإمام ابن مالك النحوي المتوفى سنة (٦٧٢هـ)[٦] وسمى اختصاره لها بـ (حوز المعاني في حرز الأماني).

---

(١) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن أحمد أبو شامة المقدسي ثم الدمشقي، أخذ القراءات عن السخاوي، برع في علوم القراءات والتفسير والحديث، له مؤلفات مفيدة في القراءات أشهرها شرح الشاطبية والمرشد الوجيز، توفي سنة (٦٦٥هـ). انظر: غاية النهاية، ٣٦٥/١.

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري، من علماء التفسير والقراءات في زمانه أشهر مصنفاته شرح الشاطبية، توفي سنة (٧٣٢هـ)، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ١٥/١.

(٣) انظر: القسطلاني، لطائف الإشارات، ٩١/١.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي المفسر اللغوي المقرئ، له مصنفات بديعة في التفسير واللغة والقراءات أشهرها تفسيره الدر المصون وعمدة الحفاظ في فقه اللغة، توفي سنة (٧٥٦هـ). انظر: الدرر الكامنة، ٣٣٩/١.

(٥) هو علي بن عثمان بن محمد بن أحمد أبو البقاء المعروف بابن القاصح البغدادي، من علماء القراءات والتفسير له اهتمام برسم المصحف أيضاً من مصنفاته (تلخيص الفوائد) وشرح الشاطبية وغيرهما، توفي سنة (٨٠١هـ). انظر: الجواهر المضية، ٣٦٦/١.

(٦) هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، أبو عبد الله الأندلسي،صاحب الألفية الشهيرة، في النحو أقام بدمشق إلى أن توفي بها سنة (٦٧٢هـ). انظر: غاية النهاية، ١٨١/٢.

- وهناك من أتمها وزاد عليها قراءات الأئمة الثلاث المتممة للعشر وأشهر من أتمها وزاد عليها أبو الحسن الكناني المتوفى سنة (٧٢٠هـ)[١]. في منظومته (التكملة المفيدة لحافظ القصيدة).

- كما أتمها شمس الدين ابن الجزري (٨٣٣هـ) بقصيدته الشهيرة (الدرة).

كما استمر التصنيف في القراءات السبع حتى ما بعد عصر ابن الجزري صاحب القراءات العشر. فألف العلامة الصفاقسي كتابه[٢] (غيث النفع في القراءات السبع) تناول فيه قراءات الأئمة السبعة وغير ذلك من الكتب التي صنفت في القراءات السبع وحججها وتوجيهها.

القراءات العشر:

في الوقت الذي كانت تؤلف فيه المصنفات في القراءات السبع كان العلماء يجدّون البحث والتمحيص في باقي القراءات التي تركها ابن مجاهد، فدرسوا أسانيد هذه القراءات محاولين إثبات تواترها إلى النبي ﷺ لاعتقادهم أن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم قرأوا بقراءات لم يتناولها الأئمة السبعة في قراءاتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى كي يثبتوا لمن توهم أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة أن هذا التوافق في الرقم ليس مقصوداً وأن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة فألفت كتب في القراءات الثمان والعشر وفي هذا السياق نقل ابن الجزري قولاً لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرزاي المتوفى سنة (٤٥٤هـ)[٣]. يقول فيه: "أن الناس إنما ثمنوا

---

(١) هو علي بن إبراهيم بن محمد الكناني، أبو الحسن، من علماء القرآن والقراءات والتفسير واللغة، توفي سنة (٧٢٠هـ).

(٢) سبقت ترجمته، وكتابه (غيث النفع) مطبوع متداول .

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن بندار العجلي الرزاي أبو الفضل من أئمة الإقراء في زمنه، بارع بالنحو والعربية رحل إلى الشام والحجاز طلباً للعلم، توفي سنة (٤٥٤هـ)، انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ص٢٩٧.

القراءات وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة – موافقة عدد القراءات لعدد الأحرف السبعة – وأضاف أيضاً ليعلم أن القراءات السبع ليست وحدها المتواترة أو الصحاح"[١] ومن هذه الكتب المصنفة فيما زاد على السبعة قبل عصر ابن الجزري ما يلي:

- كتاب (التذكرة في القراءات الثمان) لأبي الحسن بن غلبون المتوفى سنة (٣٩٩هـ)[٢].

وتناول في هذا الكتاب قراءات الأئمة السبع المشهورة وزاد عليها قراءة يعقوب الحضرمي البصري بعد دراسة مطولة لأسانيد روايات هذه القراءة[٣].

- كتاب (التلخيص في القراءات الثمان) لأبي معشر الطبري، المتوفى سنة (٤٧٨هـ)[٤]، وصنع فيه مثل ما صنع ابن غلبون من زيادة قراءة يعقوب الحضرمي فوق القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد[٥].

وفي القراءات العشر صنف العلماء قبل ابن الجزري ومن ذلك:

- كتاب (الجامع في القراءات العشر) لنصر بن عبد العزيز الفارسي المتوفى سنة (٤٦١هـ)[٦].

---

(١) ابن الجزري، النشر، ٤٣/١.

(٢) هو عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الطيب، من علماء القراءات والتفسير ولد في حلب وسكن مصر إلى أن توفي في سنة (٣٩٩هـ)، شذرات الذهب، ١٣١/٣.

(٣) انظر: ابن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، تحقيق أيمن رشدي سويد، جده – السعودية، راسم للدعاية، ط١، ١٤١٢هـ.

(٤) هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي أبو معشر الطبري الشافعي، من علماء القراءات، ولد بطبرستان ثم رحل إلى العراق ومصر، توفي (٤٧٨)، الذهبي، معرفة القراء، ٤٣١.

(٥) انظر: الطبري، أبو معشر، التلخيص في القراءات الثمان، تحقيق محمد حسن عقيل، جده – السعودية، راسم للدعاية، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

(٦) نصر بن عبد العزيز بن أحمد أبو الحسين الفارسي، من علماء القراءات والنحو، من أهل شيراز، ثم سكن مصر وكان إمام القراءة فيها توفي سنة (٤٦١هـ)، غاية النهاية، ٣٣٦/٢.

- كتاب (إرشاد المبتدي تذكرة المنتهي في القراءات العشر) لأبي العز القلانسي المتوفى سنة (٥٢١هـ)(١).
- كتاب (غاية الاختصار لقراءات العشرة أئمة الأمصار) لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني، المتوفى سنة (٥٦٩هـ).
- كتاب (الكنز في القراءات العشر) لعبد الله بن عبد المؤمن الواسطي المتوفى سنة (٧٤٠هـ)(٢).

وغيرها من الكتب المصنفة فيما زاد على القراءات السبع وحتى على العشر فجهود العلماء لم تتوقف عند صنيع ابن مجاهد في تسبيع القراءات بل بقيت في دراسة مستمرة لأسانيد وروايات القراءات القرآنية لإثبات تواتر ما هو فوق السبع، وهذه المصنفات السابقة وغيرها كثير هي من ثمار هذه الدراسات ولكن لم يتحقق إجماع الأمة على تواتر ما هو فوق السبع في تلك الفترة حتى جاء القرن الثامن الهجري. وبزغ فيه نجم العلامة المحقق محمد ابن الجزري الذي تبوأ المكانة العظيمة بين علماء زمانه في القراءات والإقراء، وصار محجاً لطلاب العلم من كل بقاع الدنيا. فمكث سنين يدرس أسانيد القراءات إلى أن توصل إلى نتيجة ثابتة لا شبهة فيها أن قراءات الأئمة الثلاثة (أبي جعفر المدني ويعقوب البصري وخلف الكوفي) متواترة لا ريب في ذلك. فألف كتابه (تحبير التيسير) زاد فيه هذه الثلاث على السبع التي تناولها تيسير الداني ونظم على نسق الشاطبية منظومة (الدرة المضية) في القراءات الثلاث تتمة العشر في (٢٤٠) بيتاً ثم صنف سفره العظيم (النشر في القراءات العشر) أودعه القراءات العشر المتواترة وتناول رحمه الله في كتابه هذا تاريخ القراءات، والمصنفات

---

(١) هو محمد بن الحسين بن بندار القلانسي، الواسطي، أبو العز، بارع في القراءات عاش في العراق وتوفي بها سنة (٥٢١هـ). انظر: غاية النهاية، ١٢٨/٢.

(٢) عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه أبو محمد الواسطي، من أهل العراق ثم سافر إلى الشام ومصر ومكة ثم تصدر الأقراء في العراق، توفي (٧٤٠هـ)، غاية النهاية، ١٨٠/٢.

فـيها وأهم المسائل المتعلقة بعلم القراءات ثم ذكر أسانيد وطرق القراءات العشر التي أوصـلها إلـى نحـو ألـف طريق صحيح، وتناول مسائل أخرى تتعلق بتلاوة القرآن ومخارج الحروف والوقف والابتداء وغيرها... [1].

يقول في مقدمة كتابه عن سبب تأليفه والباعث عليه وما تناوله فيه:

"وإنـي لما رأيت الهمم قد قصرت، ومعالم هذا العلم الشريف قد دثرت، وخلت مـن أئمة الآفاق وأخوت من موفق يوقف على صحيح الاختلاف والاتفاق، وترك لذلك أكثر القراءات المشهورة، ونسي غالب الروايات الصحيحة المذكورة، حتى كاد الناس لم يثبـتوا قرآناً إلا ما في الشاطبية والتيسير ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما من النزر اليسـير وكان من الواجب علي التعريف بصحيح القراءات والتوقيف على المقبول من منقول مشهور الروايات.

ثـم ذكـر مـا أودعـه في كتابه من طرق وروايات عن الأئمة العشرة فقال: "وجمعـتها فـي كتاب يرجع إليه، وسفر يعتمد عليه، لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفاً إلا ذكرته، ولا خلافاً إلا أثبته، ولا إشكالاً إلا بينته وأوضحته ولا بعيداً إلا قربته، ولا مفـرقاً إلا جمعته ورتبته، منبهاً على ما صح عنهم وشذ وما انفرد به منفرد وفذ، ملـتزماً الـتحرير والتصحيح والتضعيف والترجيح معتبراً للمتابعات والشواهد، رافعاً إبهـام التركيـب بالعزو المحقق إلى كل واحد جمع الطرق بين الشرق والغرب فروى الوارد والصادر بالغرب، وانفرد بالإتقان والتحرير، واشتمل جزء منه على كل ما في الشـاطبية والتيسير، لأن الذي فيهما عن السبعة أربعة عشر طريقاً. وكتابنا هذا حوى ثمانين طريقاً تحقيقاً غير ما فيه من فوائد لا تحصى ولا تحصر، وفرائد دخرت له فلم تكـن فـي غيره تذكر، فهو في الحقيقة نشر العشر"[2] وقد شهد القاصي والداني لابن

---

(1) انظـر: ابـن الجـزري، النشـر في القراءات العشر، تحقيق علي الضباع، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

(2) السابق، ص١/٤٨-٤٩.

الجــزري بمــا صــنع في نشره هذا ، وجلُ من جاء بعده أفاد منه واستفاد، يقول فيه القسطلاني: "الذي لم يسبق إلى مثله" يصف كتاب ابن الجزري، النشر.

وتجــدر الإشارة إلى أن ابن الجزري صنف قبل النشر وبعده مصنفات في علم القراءات لكن كتابه النشر يعد واسطة عقد هذه المصنفات، ومن مصنفاته الأخرى:

- كــتاب (تحبير التيسير في القراءات العشر). وهو كتاب التيسير لأبي عمرو الداني وأضاف إليه القراءات الثلاث المتممة للعشر.
- كتاب (تقريب النشر) ألفه ابن الجزري مختصراً به كتابه النشر في مجلد واحد حيث اقتصــر فــيه علــى القراءات العشر وخلاف القراء في الأصول والفرش. تاركاً المقدمات وقضايا القراءات الأخرى التي بسطها في النشر.
- طيبة النشر في القراءات العشر، منظومة نظمها، ابن الجزري ضمنها كتابه النشر، وقد بلغ عدد أبيات الطيبة (١٠١٥) بيتاً.
- كــتاب (مــنجد المقرئيــن ومرشد الطالبين) تحدث فيه عن ثبوت القراءات العشر وتواترها، وكان صنفه قبل كتابه النشر.

وبصنيع ابن الجزري هذا الذي أثبت فيه أن القراءات العشر متواترة وما سواها شــاذ لا يقرأ به. تكون القراءات قد أخذت مسلكاً آخر في مسيرتها وتاريخها، وكثرت بعد ذلك المصنفات في القراءات العشر المتواترة ومن هذه المصنفات:

- (الــبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة) لعمر بن قاسم النشار المتوفى سنة (٩٣٨هـــ) [١].
- (زبدة العرفان في وجوه القرآن في القراءات العشر)، لحامد بن عبد الفتاح البالولي المتوفى سنة (١١٧٣هـــ) [٢].

---

(١) هو عمر بن قاسم بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشار، مقري شافعي مصري، توفي سنة (٩٣٨هـــ)، الاعلام، ٥/٥٩.

(٢) هو حامد بن عبد الفتاح البالوي، من فضلاء أهل العلم ، عالم بالقرآن والقراءات، توفي سنة (١١٧٣هـــ) انظر، الأعلام، ٢/١٦٢.

- (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة)، لعبد الفتاح القاضي المتوفى سنة (١٤٠٣هـ) [١].

- (المهذب في توجيه القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر)، لمحمد سالم محسين، المتوفى سنة (١٤٢٢هـ) [٢].

- (المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة)، لمحمد سالم محسين أيضاً.

وغيرها مصنفات كثيرة في القراءات العشر المتواترة والاحتجاج لها وتوجيهها.

القراءات الأربع عشرة:

لم يترك علماء القراءات البحث في أسانيد القراءات القرآنية حتى بعد استقرار القراءات العشر وإجماع العلماء الأئمة على تواترها، بل استمروا في دراسة أسانيد القراءات علّهم يقفون على تواتر قراءات فوق القراءات العشر على أنهم لم يصلوا إلى نتيجة قاطعة بتواتر قراءات فوق العشر لكن توصل العلماء إلى أربع قراءات لأئمة أربعة أقوى من غيرها من الشواذ، لكنها لم تصل إلى رتبة المتواتر المقبول في القراءة والصلاة وهي قراءات:

أولاً: الحسن البصري (٢١-١١٠)هـ:

هو الإمام الحسن بن يسار أبو سعيد البصري، مولى الأنصار، تابعي جليل أخذ القراءات عن علي بن أبي طالب كما أخذها عن سمرة بن جندب من أصحاب النبي ﷺ صاحب كلمة وحكمة، توفي سنة (١١٠هـ) [٣].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/٥٤١، ابن حجر، ميزان الاعتدال، ١/١٨٧.

ثانياً: يحيى اليزيدي (١٣٨-٢٠٢هـ):

هو يحيى بن المبارك اليزيدي العدوي البصري، من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء والخليل الفراهيدي إمام في اللغة والنحو والأدب تبوأ الإقراء في البصرة بعد أبي عمرو ابن العلاء، توفي سنة (٢٠٢هـ) (١).

ثالثاً: ابن محيصن المتوفى سنة (١٢٣هـ):

هـو محمـد بـن عبد الرحمن بن محيصن المكي أبو عبد الله السهمي مولاهم، عـرض القـراءة على مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وغيرهما شهد له علماء عصره بالإمامة في الإقراء والعربية وكان له اختيار في القراءة على مذهبه في اللغة توفي سنة (١٢٣هـ) (٢).

رابعاً: الأعمش (٦١-١٤٨)هـ:

هـو سـليمان بـن مهران الأعمش الأسدي مولاهم أبو محمد الكوفي، عرض القراءة على إبراهيم النخعي وعاصم بن أبي النجود ومجاهد وغيرهم، وأخذ عنه القراءة حمزة الزيات، من أئمة القراءات توفي سنة (١٤٨هـ) (٣).

وقـد صـنفت الكتـب فـي القراءات الأربع عشرة، وبعضها أشار إلى شذوذ القراءات الأربع بعد العشر المتواترة ومن هذه المصنفات:

- إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، لمحمد بن خليل القباقبي المتوفي سنة (٨٤٩هـ) (٤).

---

(١) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣٠/٢، وغاية النهاية، ٣٧٥/٢.

(٢) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٥٢/١، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠١/٩.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ٢٣٨/٦، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢١٣/١.

(٤) هـو محمد بن خليل بن أبي بكر شمس الدين المعروف بابن القباقبي، بارع في علوم القراءات والتفسير، توفي سنة (٨٤٩هـ)، الأعلام، ١١٧/٩.

- لطـائف الإشـارات لفـنون القـراءات، لشـهاب الدين القسطلاني المتوفى سنة (٩٢٣هـ). تناول فيه القراءات الأربع عشرة.

- إتحـاف فضـلاء البشـر بالقـراءات الأربعـة عشر، لأحمد بن محمد الدمياطي البناء المتوفى سنة (١١١٧هـ) [١] وهو مختصر لكتاب القسطلاني السابق.

وصنف إلى جانب ما سبق مصنفات في القراءات الشاذة ومن ذلك:

- المحتسـب فـي تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة (٣٩٢هـ) وهذا الكتاب أصله (الشواذ في القراءات) لابن مجاهد المتوفى سنة (٣٢٤هـ) لكن ابن جني وجه هذه القراءات الشاذة.

- مختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه المتوفى سنة (٣٧٠هـ).

- التعريف بالقراءات الشواذ لأبي عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ).

- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، لعبد الفتاح القاضي (١٤٠٣هـ).

وغـيرها مـن المصـنفات فـي القراءات عبر تاريخها منذ العصر الأول إلى أيامـنا هـذه، وقـد أقـبل العلمـاء قديمـاً أيضاً على تدوين القراءات في كتب النحو والتفسـير والحديـث، لكن آثرت أن اقتصر على ذكر الكتب والمصنفات الخاصة في علم القراءات.

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين، الشهير بالبناء، من علماء القراءات، توفي سنة (١١١٧هـ)، الأعلام، ١/٢٤٠.

المبحث الثالث:

أركان القراءة الصحيحة وأنواع القراءات

بـــذل علماء الإسلام جهوداً عظيمة في سبيل وضع أسس وضوابط قبول القراءة وإثـــبات صـــحتها، وقـــبل الحديث عن أنواع القراءات لا بد من بيان شروط القراءات الصـــحيحة المقـــبولة عـــند علمـــاء القراءات وهي تلك الضوابط التي وضعها العلماء لتمحيص القراءات القرآنية، وبيان المتواتر منها من الشاذ وهي ما تسمى أركان القراءة الصحيحة المقبولة.

المطلب الأول: أركان القراءة الصحيحة:

علـــم القراءات كغيره من علوم الشريعة الإسلامية وجد العلماء الغيورون على دينهم وقرآنهم فقد وضعوا الضوابط والأسس التي قام عليها هذا العلم، وليس الهدف من هـــذه الضـــوابط إثبات تواتر القرآن فالأمة مجمعة منذ العصر الأول لنزول القرآن إلى أيامـــنا علـــى أن القرآن نقل إلينا بسند متواتر يستحيل أن يعتري أصحابه في أي طبقة الوهـــن أو يتواطئوا على الكذب، فهذه حقيقة مسلمة ثابتة وأجمعت الأمة على ذلك، لكن وضـــعت هذه الضوابط من أهل هذا العلم وأعلامه لتميز المتواتر من غير المتواتر من القـــراءات وبيان أن الاختلاف بين القراءات في الأصول كان أم في الفرش لا يخرجها عـــن دائرة التواتر وتلك العناية وهذا الاهتمام إنما جاءا من حرص العلماء على القرآن الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه.

وقـــد حـــرص علماء القراءات على وضع هذه الضوابط مبكراً لكنني اخترت ما سـطره قلم العلامة المحقق ابن الجزري وإن كان متأخراً وذلك لدقة عبارته وشمول ما كتبه لأقوال من سبقوه قبله ولمناقشة أقوالهم من خلال ما قاله.

يقـول رحمــه الله تعــالى فــي كــتابه النشر في القراءات العشر: "كل قراءة وافقــت العربــية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التــي نــزل بها القرآن،ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشــرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلــق عليها قراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر مــنهم، هــذا هــو الصــحيح عن أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، والإمــام المهــدوي[1]. وحققــه الإمام أبو شامة[2]، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه"[3].

هــذا مــا ذكره الإمام المحقق ابن الجزري حول أركان أو شروط قبول القراءة عــند القراء فأي قراءة انطبقت عليها هذه الشروط فلا بد أن تقبل على وجه الوجوب، والــرواية التــي اخــتل فيها شرط من هذه الشروط فهي شاذة ولا نعدها قرآناً أياً كان قارئها، فالإمام ابن الجزري لم يخص القراءات السبع أو العشر بهذه الضوابط بل جعلها مطلقــة بغــض الــنظر عــن صاحب هذه القراءة أو تلك، وهذا شان غيره من علماء القراءات أيضاً فالأمر يتعلق بالقرآن الكريم وهو كلام الله تعالى ودستور المسلمين، فإذا

---

(١) المهدوي: أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي التميمي أبو العباس، مقرئ أندلسي اصله من المهدية، متقن وبارع في التفسير والقراءات. توفي سنة (٤٤٠هــ)، انظر: غاية النهاية، ٩٢/١، وانظر: المهدوي، شرح الهداية،، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٩٩٥م، ١٤٣/١-١٤٧.

(٢) أبــو شامة هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو القاسم، بارع في علوم القرآن والســنة، له مصنفات كثيرة في الحديث والتراجم وعلوم القرآن، توفي سنة (٦٦٥هــ)، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٥٠/١٣، والسيوطي، البغية، ٢٩٧.

(٣) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١٥/١-١٦.

كان العلماء لم يتهاونوا في نقل كلام العلماء والأئمة وحرصوا على أن ينقل على وجهه وهو ليس وحياً فكيف يتهاونون في نقل كلام الله تعالى أو كلام الرسول ﷺ؟.

ولم يترك ابن الجزري رحمه الله تعالى ما توصل إليه المحققون من علماء القراءات هكذا دون تفسير بل أخذ بعد ذكره لهذه الأركان يفسرها ويوضح مقصد العلماء من ذكرها فقال رحمه الله.

الركن الأول: موافقة اللغة العربية ولو بوجه:

موافقة العربية ولو بوجه نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية؛ فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها"[1]. إذن هذا هو شرح ابن الجزري للركن الأول من أركان القراءة الصحيحة وهو موافقة اللغة العربية ولو بوجه، فالقرآن الكريم كلام عربي نزل على لغة العرب، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢] وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ [الشورى: ٧] وغيرها من الآيات الصريحة في ذلك فأول شرط للقراءة القرآنية أنها لا بد أن تكون موافقة للغة العرب التي نزل عليها القرآن وقد وضع علماء العربية قواعد تضبط اللغة العربية مستنبطين هذه القواعد من كلام القبائل العربية المختلفة، وكان بعض الاختلاف في قواعد اللغة بين هؤلاء العلماء، فما كان موافقاً لقواعد العربية عند قوم قد يكون مخالفاً لقواعد قوم آخرين، ولما قامت المدارس النحوية[2] ظهر هذا الخلاف بينها فهناك

---

(١) السابق، ١/١٦.

(٢) أقصد مدرستي البصرة والكوفة ومن ثم مدرسة بغداد.

قضـــايا فـــي الـــنحو وافقـــت قواعد وأقيسة مدرسة البصرة وإن كانت مخالفة لقواعد وأقيســـة مدرسة الكوفة أو العكس فهناك وجوه موافقه لمدرسة الكوفة وإن كانت مخالفة لمدرســـة البصـــرة. لكـــن بالنتيجة الكل موافق لقواعد اللغة العربية نعم هناك الفصيح والأفصح فهذا شأن لغة العرب.

والقـــرآن لم ينزل إلى قبيلة عربية بعينها، بل نزل للناس جميعاً فلا عجب إذن أن نجـــد قـــراءات قرآنية خالفت قواعد وأقيسة البصريين لكنها في الوقت ذاته تتماشى مـــع قواعـــد وأقيســـة الكوفيين وهذا لا يضير، بل إن موافقة القراءة القرآنية المتواترة لقواعـــد مدرسة الكوفيين تقوية لها، فالقراءة القرآنية عربية محضة منها تستنبط قواعد الـــنحو، وهـــي العمدة في ذلك حتى وإن خالفت قواعد مدرسة البصريين، فورودها في القرآن الكريم تقوية لذاك الوجه النحوي عند الكوفيين مثلاً ولو كان مردوداً عن غيرهم، وهـــذا مـــا عـــناه ابن الجزري رحمه الله تعالى لما قال: "موافقة العربية ولو بوجه" ثم يضرب لذلك أمثلة منها:

في قوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾** [النساء: ١].

فكلمة (الأرحام) قرئت على قراءتين:

١. بالنصـــب عطفـــاً علـــى لفظ الجلالة (الله) أراد: اتقوا الله واتقوا الأرحام وقرأ بها جمهور القراء العشرة إلا حمزة[١].

٢. (الأحـــارمِ) بالجر قرأها حمزة وهي متواترة، وتخريجها أنها معطوفة على الضمير المجرور في قوله: (به) لكن البصريين أنكروا قراءة الخفض وردوا القراءة ولحنوا القارئ بها وهو حمزة رحمه الله تعالى.

---

(١) انظـــر: الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، تحقيق أوتو برتزل، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٦هـــ-١٩٨٥م، ص٩٣، وابن الجزري، النشر، ١٨٦/٢.

لأنه في قواعدهم وأقيستهم لا يعطف الظاهر على المضمر المخفوض إلا بإعادة الخـافض، لأنـه معه كشيء واحد لا ينفرد ولا يحال بينه وبينه، أما الكوفيون فأجازوا قراءة (الأرحامِ) بالخفض واحتجوا لذلك من شعر العرب بقول الشاعر:

فاليوم قـد بتَّ تهجونا وتشتمنا   فاذهب فما بك والأيامِ من عجب[١]

واستدلوا لذلك أيضاً بشعر ونثر غير واحد من كلام العرب وجاءت قراءة حمزة المتواترة تؤيد هذا الوجه ولو خالفت أقيسة وقواعد البصريين[٢].

وذكر ابن الجزري أمثلة أخرى كإسكان (بارئْكم) و(يأمرْكم) ونحوه.... و(نُجّيَ المؤمنيـن) في الأنبياء... وإدغام حمزة (واسطّاعوا) وضم (الملائكةُ اسجدوا) ونصب (كـن فـيكون) وتخفـيف (ولا تتـبعانَ)... وهمـز (سـأقيها)... ووصـل (وإن إلياس) [٣] وهناك أمثلة كثيرة ذكرها رحمة الله تعالى على هذا الضابط، وما يلاحظ على هـذه الأمـثلة أنـه لـم يقتصر على الجانب النحوي بل ذكر أمثلة غير نحوية كإدغام و(اسطّاعوا) وهمز (سأقيها) ووصل (وإن إلياس) وغيرها[٤] مع أنه قال: "نريد به وجهاً مـن وجـوه النحو) في تفسيره لقوله: "موافقة العربية ولو بوجه" ولعله بتوضيحه لهذا الضـابط بالأمثلة كان أوسع من شرحه بألفاظه وليس شرطاً أن يكون وجه القراءة هو الوجـه الأفصح في لغة العرب كما لا يضره إن خالف لغة من لغات العرب ما دام أنه وافـق وجهـاً آخـر. فلا يضر كل ذلك إن كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وفي نهاية كلامه يستشهد بقول أبي عمرو الداني فيقول: "قال الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه (جامع البيان) بعد ذكره

---

(١) البيـت لـروبة بن العجاج، واسمه عبد الله من قبيلة سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، انظر: طبقات فحول الشعراء، ٥٧١/٢، ومعجم الأدباء، ١٥٠/١١.

(٢) انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ص١١٨-١١٩.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر، ١٦/١.

(٤) انظـر: جعفـر، عـبد الغفـور محمـود، القـرآن والقـراءات والأحـرف السـبعة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٦٥.

إسكان (بارئكم) و(يأمركم) لأبي عمرو، وحكاية إنكار سيبويه[1] له فقال: والإسكان أصح في النقل واكثر في الأداء وهو الذي أختاره وآخذ به... وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها"[2].

<u>الركن الثاني: موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً:</u>

قبل أن أتحدث عن موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية تحقيقاً أو احتمالاً لا بد من بيان ماهية المصاحف العثمانية.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة وقال لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في مصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفقٍ بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق..." [3].

---

(١) أنكر سيبويه هاتين القراءتين لمخالفتهما لأقيسة أهل اللغة، انظر: الكتاب، ٣٧٨/٢.

(٢) نقلاً عن النشر، ٢٩/١.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، ٢٢٦/٦.

إذن المصـــاحف العثمانية؛ هي المصاحف التي أمر عثمان بنسخها من الصحف التي جمع فيها أبو بكر وعمر القرآن الكريم، ثم وزعها على الأمصار الإسلامية فبعث بمصـــحف إلـــى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام ومصحف إلى مكة ومصحف إلى اليمن وترك مصحفاً بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفاً(١).

وأجمعت الأمة على جمع عثمان ونسخة لهذه المصاحف وما خالف ذلك أحد من الصـــحابة وكل واحد من هذه المصاحف العثمانية يسمى (المصحف الإمام) لأن الناس فـــي كل مصر من الأمصار الإسلامية يأتمون بمصحفهم. وعرفنا أن النسبة في قولهم (عثمانية) إلى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ .

قال ابن الجزري في شرح الضابط الثاني من ضوابط القراءة الصحيحة: "ونعني بموافقـــة أحـــد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر: (قالوا اتخـــذ الله ولداً) في البقرة بغير واو (وبالزبر وبالكتاب المنير) بزيادة الباء في الأسمين ونحـــو ذلك فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير (جنات تجري من تحـــتها الأنهـــار) في الموضع الأخير من سورة براءة بزيادة (من) فإن ذلك ثابت في المصـــحف المكـــي، وكذلـــك (فإن الله هو الغني الحميد) في سورة الحديد بحذف (هو) وكذلك (سارعوا) بحذف الواو. وكذا (منهما منقلباً) بالتثنية في الكهف إلى غير ذلك من مواضع كثيرة في القرآن اختلفت المصاحف فيها فوردت القراءة عن أئمة تلك الأمصار علـــى موافقة مصحفهم فلو لم يكن ذلك في شيء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه"(٢).

فـــي سياق شرح ابن الجزري لهذا الركن ذكر أمثلة ونماذج على ما ذهب إليه وبين أن هذا الركن يقوم على أمرين:

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ١٤/١، واختلف في عدد هذه المصاحف فقيل سبعة وقيل غير ذلك، والأكثر على أنها سبعة مصاحف.

(٢) ابن الجزري، النشر، ١٦/١-١٧.

الأول: أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية:

فالمصـــاحف العثمانـــية متعددة كل واحد منها بعث به عثمان ﷺ إلى مصر من الأمصــــار فموافقـــة القراءة لأحدها يكفي، ولو خالفت باقي المصاحف، بل ولو خالف الإمام مصحف مصره ووافقت قراءته مصحف مصر آخر لكفى ذلك، فإن عاصما من رواية حفص يقرأ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يـــس: ٣٥] وهي في مصحف بلدهم الكوفة (ومـــا عملـــت) وهي قراءة حمزة، والكسائي وخلف وشعبة عن عاصم أي جميع قراء الكوفة قرأوا (وما عملت)[١]. لكن قراءة عاصم في رواية حفص بإضافة الهاء (عملته) موافق لمصحفين آخرين من المصاحف العثمانية وهما المصحف الذي جعله عثمان في المدينة المنورة والمصحف الذي اتخذه عثمان لنفسه فأجزأ ذلك[٢].

وكذلك قولـــه تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤] وهي القراءة وفـــق مصـــاحف أهـــل مكـــة والعراق، قرأ بها ابن كثير المكي، وأبو عمرو ويعقوب البصريان، وحمزة والكسائي وعاصم وخلف الكوفيون، وقرئت (فإن الله الغني الحميد) بحـــذف كلمة (هو) وهي قراءة موافقة لمصاحف أهل المدينة والشام قرأ بها: نافع وأبو جعفر المدنيان وابن عامر الشامي[٣].

وفـــي هذا نقول إن كلاً من القراءتين وافقت المصحف العثماني وإن خالفت كل واحـــدة مـــنهما عـــدداً من المصاحف، فموافقتها ولو لمصحف يكفي لتحقيق هذا الركن وقبول القراءة.

الثاني: الموافقة الاحتمالية:

شرح ابن الجزري الجانب الثاني من هذا الركن وهو الموافقة الاحتمالية بقوله: "وقولـــنا بعـــد ذلك ولو احتمالاً نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديراً إذ موافقة الرسم قد

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢/٢٦٥.

(٢) انظر: عبد الغفور، القراءات القرآنية، ص٢٧٨.

(٣) الداني، التيسير، ص٢٠٨، وابن الجزري، النشر، ٢/٢٨٧، وانظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٦٢٧.

تكون تحقيقاً وهو الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديراً وهو الموافقة احتمالاً[1]، فإنه قد خولــف صـــريح الرسم في مواضع إجماعاً نحو (السموات، الصلحت، اليل، الصلوة، الــزكوة، الربوا)... وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ويوافقه بعضها تقديراً نحو (ملــك يوم الدين) [الفاتحة: ٤] فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف موافقـــة للرســـم تحقيقاً (ملك)[2] وقراءة الألف موافقة للرسم احتمالاً (مالك) [3] فتكون الألف حذفت اختصاراً[4].

وحـــذف الألف للاختصار موجود في الخط العربي وهو كذلك للتخفيف، وعليه تكون قراءة (ملك) موافقة للرسم موافقة تحقيقية لأنها هكذا رسمت في جميع المصاحف وقــراءة (مالك) موافقة للرسم موافقة احتمالية، لأن العرب تحذف الألف للتخفيف. ومن الموافقة التحقيقية كذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...**﴾ [الحجــرات: ٦] قرأ: حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) وقرأ باقي العشرة (فتبينوا) [5] وكلاهما موافقة للرسم تحقيقاً لأن المصاحف العثمانية لما نسخت وبعث بها إلـــى الأمصار لم تكن منقطة فيكون الرسم قد احتمل القراءتين تحقيقاً. وعن سبب تقديم شـــرط الرســـم علـــى شـــرط السند يقول الدكتور عبد الغفور محمود: "وشرط موافقة المصـــحف مقـــدم في صنيع ابن الجزري على ما بعده من شرط صحة السند، مع أن الأخـــير من الأهمية بمكان... غير أنه لا غنى عن شرط وإنما هي خطوات مريحة في التهدي إلى ما يقبل وما يرد، فنحن نرفض المخالف مخالفة جسيمة لا تغتفر دون حاجة

---

(١) مـــن القـــراءات الموافقة احتمالاً لخط المصحف قراءة أبي عمرو (وأكون) [المنافقون: ١٠] بالواو لأنها مرسومة بدون الواو (وأكن) في جميع المصاحف. انظر: النشر، ٢/٢٩١.

(٢) قـــرأ بهـــا: نـــافع، وأبـــو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وأبو عمرو، انظر: القراءات العشر المتواترة، ص١.

(٣) قرأ بها: عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف، انظر: القراءات العشر المتواترة، ص١.

(٤) ابن الجزري، النشر، ١/١٧.

(٥) الداني، التيسير، ص٢٠٢، وابن الجزري، النشر، ٢/٢٨١.

انتظار الركن الثالث (السند) ثم إن ذلك المخالف لو انتظرنا به حتى علمنا أن سنده صحيح ما أفادته صحته شيئاً" [1].

يعني أنه لن يكون متواتراً لأنه لو كان كذلك ما خالف رسم المصحف المجمع عليه مخالفة جسيمة. فعثمان ومن معه من فريق النسخ راعوا اختلاف القراءات في نسخ المصاحف.

الركن الثالث: صحة السند مع الشهرة والاستفاضة عند أهل القراءات:

قال ابن الجزري: "وقولنا (وصح سندها) فإنا نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم"[2].

وحتى لا يظن بعض الناس أن ابن الجزري جاء بهذه الشروط من عند نفسه خاصة الأخير ذكر بعض العلماء الذين ذكروا هذه الشروط ممن سبقه، فذكر قول أبي شامة في المرشد[3]. وقول الجعبري[4] وقول مكي، وأكتفي بنقل الأخير منها وهو قول مكي بن أبي طالب القيسي الذي ذكره على شكل سؤال افتراضي فقال رحمه الله: "فإن سأل سائل فقال ما الذي يقبل من القرآن الآن فيقرأ به؟ وما الذي لا يقبل ولا يقرأ به؟ وما الذي يقبل ولا يقرأ به؟ فالجواب أن جميع ما روي في القرآن على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاثة خلال وهن أن ينقل عن الثقات عن النبي ﷺ ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغاً ويكون موافقاً لخط المصحف فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به وقطع على مغيبه وصحته لأنه أخذ عن إجماع

(١) عبد الغفور، القراءات القرآنية، ص٢٩٦.

(٢) ابن الجزري، النشر، ١/١٧-١٨.

(٣) انظر: أبو شامة، المرشد الوجيز، ص١٧٧، ١٧٨..

(٤) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، عالم بالقراءات له شرح الشاطبية (كنز المعاني) توفي سنة (٧٣٢هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ١/٥١.

من جهة موافقة خط المصحف وكفر من جحده، والقسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين: إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بإخبار الآحاد ولا يثبت قرآن بخبر الواحد، والعلة الثانية: أنه مخالف لما قد اجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به ولا يكفر جاحده ولبئس ما صنع إذا جحده، والقسم الثالث: هو ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف"[1].

لقد أثار هذا الركن زوبعة قوية على مكي وابن الجزري وغيرهما ممن لم يصرحوا باشتراط التواتر، فأثيرت حولهم الشكوك، واتهموا في أقوالهم بالخلط، وأنهم ينفون التواتر عن النص القرآني إلى غير ذلك.

من ذلك قول السنويري[2] الذي ينكر فيه على ابن الجزري أشد النكير في شرحه على طيبة ابن الجزري: "وقوله (وصح إسناداً) ظاهره أن القرآن يكتفى في ثبوته مع الشرطين المتقدمين بصحة السند فقط ولا يحتاج إلى تواتر ، وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم، ولقد ضل بسبب هذا القول قوم فصاروا يقرأون أحرفاً لا يصح لها سند أصلاً، ويقولون: التواتر ليس بشرط"[3].

لكن هل فعلاً ابن الجزري لم يقل بتواتر القراءات؟ وهل تثبت القراءة عنده بمجرد نقل الآحاد الصحيح؟ أو أن ما ذكره مكي وابن الجزري وغيرهما من شروط

---

(١) ابن الجزري، النشر، ١/١٨-١٩.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد محب الدين أبو القاسم النويري، من أئمة القراءات في عصره من أهل مصر وتنقل بينها وبين الشام، وتوفي بمكة سنة (٨٥٧هـ)، شرح طيبة شيخه ابن الجزري، انظر: الضوء اللامع، ٩/٢٤٦.

(٣) نقلاً عن مناهل العرفان، ١/٤٢٨-٤٢٩.

موافقة العربية وخط المصحف وصحة السند مع الشهرة والاستفاضة عند الضابطين المحققين من علماء القراءات بمجموعها تساوي التواتر الذي اشترطه غيرهم؟

لقد صرح ابن الجزري بالتواتر أكثر من مرة، يقول رحمه الله في كتابه منجد المقرئين: "كل قراءة وافقت العربية مطلقاً ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها"(١).

إن من قال هذا القول كمكّي وابن الجزري وغيرهما يرى أن هذه الشروط بمجموعها تساوي التواتر الذي قد يخفى في طبقة من الطبقات، لكن الأمة مجمعة منذ العصر الأول إلى أيامنا على أن القرآن متواتر ولا يشك في ذلك أحد.

يقول في النشر: "وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف فيه بصحة السند وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وإن ما جاء مجيء الأحاد لا يثبت فيه قرآن، وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله، وقطع بكونه قرآناً سواء وافق الرسم أم خالفه، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم..." (٢).

ولا ندري لماذا تراجع ابن الجزري عن التصريح بالتواتر فهل يكتفي بالرواية الآحادية، وكأني بابن الجزري يقول: نحن نؤمن إيماناً جازماً أن القرآن والقراءات الكل متواتر ولا يخالف في ذلك أحد، بإجماع الأمة في عصر الصحابة وما بعده من العصور، لكن إذا أردنا أن نذكر سنداً متواتراً في كل طبقة من الطبقات لكل قراءة عندنا مقبولة وصحيحة متواترة وتعذر ذلك في طبقة

---

(١) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٢٣.

(٢) ابن الجزري، النشر، ١/١٨.

أو اثنتيـن أو أكـثر هـل يعنـي هـذا أن هذه القراءة أو هذا الجزء من القرآن ليس مـتواتراً؟ ونحـن نعلـم يقيـناً بـنقل الأمة المعصومة أنه متواتر فماذا عندها نعمل؟ أقـول: لـو طلبـنا ذلـك مـن ابـن مجـاهد مسبع القراءات وقد سبق ابن الجزري ومكـياً وغـيرهما وقلنا له اذكر لنا سنداً متواتراً لكل قراءة سبعية في كل طبقة حتى زمـن النبي ﷺ لتعذر عليه ذلك في بعضها ذلك لأن الأمة بإعدادها الهائلة منذ العصر الأول تقـرأ القـرآن كما أنزل ويأخذه اللاحق عن السابق بأمانة وإتقان وحرص، لكن الذين تصدوا للإقراء وعرفوا واشتهروا لا يصل عددهم إلى التواتر في بعض الطبقات مـع أن الآلاف لا بل الملايين تقرأ بقراءتهم وصدق الله تعالى القائل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ١][١].

ويؤكـد هـذا ابـن الجـزري مـراراً فـنجده يقـول فـي رده على من كره أن تنسـب القـراءة إلـى أحـد بعيـنه حـتى لا يـتوهم ما توهمه أبو شامة من أن القـراءات إذا نسـبت إلـى شـخص تكـون آحاديـة: "ولم يدر أن كل قراءة نسبت إلـى قـارئ مـن هـؤلاء كـان قـراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها في هذا الزمان وأضعافهم"[٢].

فالـتواتر متيقـن فـي القـراءات العشـر ولا يشكك في ذلك أحد والأمة كلها مجمعـة علـى ذلـك، لكـن عـدم تصريح ابن الجزري بالتواتر في الضابط لأنه قد يخفـى فـي طـبقة مـن الطـبقات، ثـم إن ابن الجزري ذكر في شرحه للضابط ما يسـاوي الـتواتر وهو قوله رحمه الله: "تعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عـن مـثله حـتى تنتهـي وتكون مع ذلك مشهورة عن أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط..."[٣].

---

(١) انظر: السابق، ١/٢٥-٢٩.

(٢) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٦٧.

(٣) ابن الجزري، النشر، ١/١٦-١٧.

فليســت أي روايــة جــاء بهــا أحدهــم بسند صحيح متصل إلى النبي ﷺ من القــرآن، بــل لا بد مع ذلك من موافقة خط المصحف الذي أجمع الصحابة عليه زمن أبـــي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً وتوافق العربية ويــتلقاها أئمـــة القــراءات وأهل الضبط والإتقان بالقبول، فلا بد إذن من أخذ الضابط مــع شــرحه لأن من ذكر الضابط أعلم بما يعنيه ويقصده فيه من غيره، وبالمحصلة فــإن مجمــوع هذه الشروط لا يقل بحال من الأحوال عن التواتر الذي صرح به غيره مــن العلمــاء، يقــول الزرقانـــي: "هذه الأركان الثلاثة تكاد تكون مساوية للتواتر في إفــادة العلــم القــاطع بالقراءة المقبولة، بيان هذه المساواة أن ما بين دفتي المصحف مــتواتر ومجمع عليه من الأمة في أفضل عهودها وهو عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فإذا صح سند القراءة ووافقت قواعد اللغة العربية ثم جاءت موافقة لخط هــذا المصحف المتواتر كانت هذه الموافقة قرينة على إفادة هذه الرواية العلم القاطع، وهذا التوجيه الذي وجهنا به الضابط يجعل الخلاف كأنه لفظي ويسير بجماعات القراء على جدد الطريق في تواتر القرآن"(١).

والحقــيقة القاطعة الثابتة بغض النظر عن قول ابن الجزري في النشر أن الكل مجمـــع على تواتر القرآن بقراءاته العشر، وهذا ما صرح ابن الجزري به مراراً كما ســبق أن ذكـــرت وأود أن أســوق شيئاً من تصريحاته في ذلك وشهادات العلماء التي ذكــرها في كتابه منجد المقرئين، فبعد أن ذكر طبقات القراء وأسانيد روايات القراءات العشـــر يقول رحمه الله: "فثبت من ذلك أن القراءات الثلاث متواترة تلقاها جماعة عن جماعـــة مستحيل تواطؤهم على الكذب،وإذا كانت كذلك فليس تواترها ولا تواتر السبع مقتصـــراً عند أهلها فقط بل هي متواترة عند كل مسلم سواء قرأ القرآن أم لم يقرأ لأن ذلــك معلوم من الدين بالضرورة؛ لأنها أبعاض القرآن.."(٢) ثم ينقل أقوال العلماء في

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ١/٤٢٧-٤٢٨.

(٢) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٦٣.

تقريـــر تواتر القراءات العشر ومنهم شيخه عبد الوهاب السبكي الشافعي[1] الذي يقول: "... القراءات العشر – السبع التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف – متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة متواتر معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول ﷺ لا يكابـــر فـــي ذلـــك إلا جـــاهل، وليس التواتر في شيء منها مقصوراً على من قرأ بالـــروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رســـول الله ﷺ ولو كان مع ذلك عامياً جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً..." وكان قد ذكر أن ما وراء العشر شاذ لا يقرأ به"[2]. فالذي وصل إلينا اليوم متواتراً وصحيحاً مقطوعاً به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين هذا الذي تحرر من أقوال العلماء، وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز... [3].

قـــال الصفاقسي: "وقد اتفق القراء جميعاً على أن ما وراء القراءات العشر التي جمعها القراء العشرة والواردة في طيبة النشر لابن الجزري شاذ، أي غير متواتر ولا يجوز اعتقاد قرآنيته، ولا تصح الصلاة به"[4].

المطلب الثاني: أنواع القراءات القرآنية:

بعـــد اســـتقرار القراءات، وبيان ضوابط القراءة الصحيحة يتبين لنا أن القراءة نوعان رئيسان:

أولاً: القراءات المتواترة.

ثانياً: القراءات الشاذة.

ولا بد من بسط القول في النوع الثاني من هذين النوعين بعد الحديث عن الأول في المطلب السابق.

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، السبكي، الشافعي، قاضي القضاة، ولد في القاهرة وسكن دمشق مع والده إلى أن مات سنة (٧٧١). انظر: الدرر الكامنة، ٢/٤٢٥.

(٢) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٦٥-٦٦.

(٣) السابق، ص٢٤.

(٤) الصفاقسي، غيث النفع في القراءات السبع، ص١٨.

فالقــراءات المتواترة: كل قراءة وافقت العربية ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولــو تقديــراً وتواتر نقلها، هذه هي القراءة المتواترة المقطوع بها"[1] ومر في المطلب السابق أيضاً أن القراءات المتواترة هي قراءات الأئمة العشرة، وما بعد العشر يعد شاذاً ولا تجــوز القراءة به في الصلاة ولا في غيرها. ولست مع الذين يفرقون بين المتواتر والمشــهور والصـــحيح ويلحقون المشهور بالمتواتر، لان الأحكام قد استقرت وأجمعت الأمة على أن العشر هي القراءات المتواترة وما سواها من الشاذ..[2].

القراءات الشاذة وأنواعها:

القــراءة الشاذة هي القراءة التي فقدت شروط القراءة الصحيحة الثلاثة أو فقدت شــرطاً مــنها[3] وبعد استقرار القراءات وإجماع القراء على أن المتواتر هي القراءات العشر يصح القول: أن الشاذ ما خرج عن القراءات العشر[4]. وفيما يلي أنواع القراءات الشاذة.

النـوع الأول: ما وافق رسم المصحف ووافق قواعد اللغة العربية لكنه لم يصح فـــي النقل بشكل يفيد القطع. ومثال هذا النوع قراءة ابن السميفع[5] وأبي السمال[6] في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] حيث قرآ (ننحيك) بالحاء المهملة بدل الجيم المعجمة وبفتح اللام في (خَلَفكَ) [7].

(١) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٢٣.

(٢) انظر: المطلب السابق.

(٣) انظــر: ابن الجزري، المنجد، ص٩١، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٢٩/١، والصفاقسي، غيث النفع، ص٧.

(٤) انظر: ابن الجزري، المنجد، ص١٦.

(٥) ابــن السميفع: محمد بن عبد الله بن السميفع أبو عبد الله اليماني له اختيار في القراءة شذ فيه عن القراء. توفي بالمدينة سنة (٢١٥هــ) أيام المأمون. انظر: الذهبي، ٣٥٥/١.

(٦) أبو السمال: قعنب بن أبي قعنب أبو السمال العدوي البصري شذ في قراءته عن العامة. لم أعثر له على تاريخ للوفاة.

(٧) انظر: ابن الجزري، النشر، ١٩/١.

ومـن هـذا النوع أيضاً القراءة المنسوبة لأبي حنيفة النعمان[1] في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] برفع الهاء من لفظ الجلالة (الله) ونصب الهمزة من كلمة (العلماءَ) على أنها مفعول به. وهي قراءة شاذة وإن أبا حنيفة لبريء منها[2]. قلت: هذه القراءة التي ذكرها أبو حيان وابن الجزري غير موافقة لرسم المصحف لأن كلمة (العلماء) مرسومة في المصحف هكذا (العلموا).

الـنوع الثاني: ما صح نقله ووافق العربية لكنه خالف رسم المصحف: مثالها: قـراءة عـبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى) [الليل: ١-٣].

والقراءة في رسم المصحف العثماني ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ١-٣].

والقراءة هذه صحيحة السند أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب (وما خلق الذكر والأنثى) برقم (٤٩٤٤) ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة. باب ما يـتعلق بالقراءات برقم (٨٢٤). قال ابن الجزري: "والقسم الثاني من القراءة الصحيحة مـا وافـق العربية وصح سنده وخالف الرسم، كما ورد في الصحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم، فهـذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها"[3].

---

(١) أبـو حنيفة: النعمان بن ثابت بن زوطا، الإمام الفقيه، الكوفي، فقيه العراق، مولى بن تميم، اشتهر رحمه الله بالرأي والحكمة، وكان واسع العلم عميق النظر، طارت سمعته في الآفاق وانتشر مذهبه في كل مكان، توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: ابن خلكان، ١٦٣/٢.

(٢) ابن الجزي، النشر، ١٨/١، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، ١٨٩/٥.

(٣) ابن الجرزي، منجد المقرئين، ص١٩، وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: والثابت في مصاحف الأمصـار والمتواتر (وما خلق الذكر والأنثى) وما يثبت في الحديث من قراءة (والذكر والأنثى) نقل آحاد مخالف للسواد فلا يعد قرآناً"، البحر المحيط، ٤٧٧/٨.

هــذا دلــيل آخر على أن القراء لا يثبتون إلا المتواتر من القراءات ولا يثبتون قراءة بخبر الواحد حتى لو نقلها الشيخان في صحيحيهما.

النوع الثالث: ما صح سنده ووافق رسم المصحف لكنه لا وجه له في العربية. وهــذا الــنوع لا يصدر عن القراء إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون وهو قليل جداً بل لا يكاد يوجد[١]. يمثل له العلماء بقراءة خارجة[٢] عن نافع في رواية (معائش) بالهمزة في قوله تعالى: (وجعلنا لكم فيها معايش) (الأعراف: ١٠).

قال أبو حيان في البحر: "وشذ هذا الهمز (معائش) كما شذ في منائر جمع منارة. وأصــلها (منورة) وفي مصائب جمع مصيبة وأصلها (مصوبة) وكان القياس (مناور) و(مصاوب) [٣].

ومن ذلك أيضاً قراءة الحسن البصري (الشياطون)[٤] في قوله تعالىا: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ [البقرة: ١٠٢].

الــنوع الرابع: ما وافق الرسم والعربية ولم ينقل البتة: قلت: والأحرى في هذا النوع أن لا يكون من القراءات، فكيف يزعم أنه قراءة ولم ينقل البتة.

قــال فيه ابن الجزري: رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادي المقرئ النحوي[٥]، وكان بعد الثلاثمائة وأوقف عن ذلك وضرب فتاب... وكتب عليه بذلك محضر[٦].

---

(١) ابن الجزري، النشر، ١٩/١.

(٢) هــو خارجه بن عبد الله بن سليمان بن خارجه، روى عن أبيه وعن نافع المدني، ضعفه الإمام أحمد بن حنبل، وقال: ابن معين ليس به بأس، توفي سنة (١٦٥هـ). ابن خلكان، ١٨٩/١.

(٣) أبو حيان، البحر الميحط، ٢٧١/١، وانظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٤٢.

(٤) انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص٨.

(٥) محمــد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطار أبو بكر عالم بالنحو والقراءات، من أهل بغداد، توفي سنة (٣٥٤هـ). انظر: غاية النهاية، ١٢٣/٢.

(٦) ابن الجزري، النشر، ٢١/١.

وأضاف العلماء إلى الشواذ: القراءات التفسيرية. وهي التي ذكرها القارئ على سبيل التفسير والبيان لكلمة قرآنية. وهو يشبه ما يسمى عند المحدثين بالحديث المدرج[1].

ويمثل لذلك بقراءة سعد بن أبي وقاص: "وله أخ أو أخت من أم" بإضافة (من أم) لأن الآية أصلاً (وله أخ أو أخت) [النساء: ١٢] فإضافة سعد إضافة تفسيرية، تفسر أن هذا المتوفى له أخ أو أخت من أم فقط فبينت طبيعة القرابة.

ومن ذلك أيضاً قراءة عبد الله بن مسعود: (فاقطعوا أيمانهما)[2] في قوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما...) [المائدة: ٣٨] فجاءت قراءة ابن مسعود مرجحة أن القطع يكون ليد السارق اليمين[3] وهذه تعد من فوائد القراءات الشاذة. قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم: "المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة رضي الله عنهما، (والصلاة الوسطى، صلاة العصر) وقراءة ابن مسعود ﷺ: "فاقطعوا أيمانهما" فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن وكان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن فكيف إذا روى عن كبار الصحابة، ثم صار في نفس القراءة فهذا أكثر من التفسير وأقوي فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل"[4].

---

(١) المدرج: أن تزاد لفظه في متن الحديث أو سنده من كلام الراوي فيحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث، وهو محرم إذا كان المدرج معتمداً إلا أن يكون على سبيل التفسير والتوضيح فلا بأس، والأولى أن يَنُصَّ الراوي على ما أدرجه في الحديث، انظر: ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص٦٩-٧١.

(٢) القراءة التفسيرية نوعان: الأول: زيادة ألفاظ كالمثال السابق (من أم)، والثاني: إبدال ألفاظ كالمثال الذي بين أيدينا (أيمانهما) بدل (أيديهما).

(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٧٣/١.

(٤) السابق.

المبحث الرابع:

أوجه الاختلاف بين القراءات وفوائده

المطلب الأول: أوجه الاختلاف بين القراءات:

عرفنا فيما مضى أن هناك اختلافاً بين القراءات القرآنية في بعض الكلمات. فهناك اختلاف بين قراءتي نافع وأبي عمرو وقراءتي حمزة وابن عامر. وهكذا وهذا الاختلاف يكون في الأصول كما يكون في الفرش أيضاً. لكن الاختلاف في الأصول لا يترتب عليه اختلاف في المعنى في الغالب أما الاختلاف بين القراءات في الفرش فغالباً يترتب عليه اختلاف في المعنى، لكن هذا الاختلاف بين القراءات لا يفضي إلى التعارض أو التناقض بين آي القرآن الكريم في قراءاته، بل هو اختلاف تنوع فيه إثراء للمعاني القرآنية كما أن فيه كشفاً عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، بتعدد المعاني القرآنية في النص الواحد دون أن يتعرض هذا النص العظيم إلى تصدع في سياقه أو معناه. وقبل الحديث عن هذا التنوع والتعدد في التعبير القرآني في القضية الواحدة والثروة المعنوية العظيمة في هذا التعدد لا بد من بيان ما قاله العلماء في أقسام أو وجوه الاختلاف بين القراءات القرآنية.

ذكر العلماء ثلاثة وجوه لاختلاف القراءات[١] كما يلي:

الأول: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً، مع جواز اجتماعهما في شيء واحد لعدم امتناع اجتماعهما فيه.

الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى، مع امتناع اجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، ولكن يتفقان من وجه آخر، لكن هذا الاختلاف لا يفضي إلى

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٣٢- ٥١ .

التضـــاد أو الـــتعارض، فقـــد نفـــى الله تعـــالى عـــن كـــتابه كـــل ذلك بقوله: (أفـــلا يـــتدبرون القـــرآن ولـــو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) [النســـاء: ٨٢] فبشـــيء مـــن التدبر لآي القرآن الكريم يتوصل العلماء إلى توفيق بيـــن القـــراءات وإن بدا بينها الاختلاف وصعوبة الاجتماع إلا أننا لا بد وأن نجد وجهـــاً يتفقان فيه وإن وجد الاختلاف، لكن التضاد والتناقض منفي بكل حال عن آي القرآن الكريم وقراءاته.

فمن النوع الأول وهو اختلاف اللفظ والمعنى واحد:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَيَضِيقُ صَدْرِي**﴾[الشعراء: ١٣] حيث قرأ يعقوب الحضرمي البصري (ويضيقَ) بالنصب. وقرأ باقي العشرة (ويضيقُ) بالرفع[١] والمعنى لم يختلف في القراءتين، ونحو قوله تعالى: ﴿**هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ [هود: ٧٨] حيث قرئ بنصب الراء في (أطهرُ) ورفعها[٢] ولا اختلاف في المعنى كذلك.

ونحو قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة: ٦]. قرأ قنبل عن ابن كثير ورويس عن يعقوب الحضرمي (السراط) بالسين، وقرأ حمزة (الزراط) بإشمام الصاد زاياً. وقرأ باقي العشرة (الصراط) بالصاد[٣]. وهي مع اختلاف صورها إلا أن المعنى واحد، ونحو قوله تعالى: ﴿**وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً**﴾ [الأعراف: ٦٩] حيث قرأها: قنبل عن ابن كثير وأبو عمرو، وهشام عن ابن عامر، وحفص عن عاصم، وحمزة، وورويس عن يعقوب وحمزة (بسطة) بالسين، وقرأها باقي العشرة (بصطة) بالصاد[٤]. فاختلفت الصورة ولم يختلف المعنى.

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٥١/٢، وراجح، القراءات العشر المتواترة، ص٥٤

(٢) السابق.

(٣) انظـــر: الداني، التيسير، ص١٨-١٩، وراجح، القراءات العشر، ص١. ولكن يلحظ على هذا المثال أن الكلمة مرسومة في المصحف بالصاد فالصورة إذن واحدة.

(٤) ابن الجزري، النشر، ٢٠٣/٢، والقراءات العشر، ١٥٩. كذلك الصورة واحدة في الرسم.

ومن النوع الثاني: وهو اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما:

نحو قوله تعالى: ﴿**وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٩]. حيث قرأ: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر ويعقوب (ننشرها) بالراء وقرأ باقي العشرة (ننشزها) بالزاي[١] فبقيت الصورة واحدة، ولكن اختلف معنى القراءتين مع إمكان الجمع بين المعنيين. لأن معنى النشر الإحياء، والنشز، يعني رفع بعضها إلى بعض حتى تلتئم تلك العظام، فأخبر الله تعالى أنه جمع لها هذين الأمرين من رفع العظام بعضها إلى بعض لتلتئم وإحيائها بعد مماتها[٢] وفي هذا بيان لعظمة كلام الله تعالى في التعبير وإثراء المعاني القرآنية فضلاً على قدرته على الإحياء بعد الإماتة.

ونحو قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:٤]، حيث قرأ: عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف (مالك) بإثبات الألف. وقرأ باقي العشرة (ملك) بدون ألف[٣]. وهناك فرق بين (الملِك) و(المالك) مع إمكان الجمع بين القراءتين لأن المراد بالقراءتين هو الله تعالى وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه. قال تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**﴾ [طه: ١١] وقال تعالى: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾ [آل عمران: ٢٦][٤].

ومن النوع الثالث: وهو اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**﴾ [يوسف: ١١٠] قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب بالتشديد (كذّبوا) وقرأ باقي العشرة بغير تشديد (كُذبوا) بتخفيف الذال[٥].

---

(١) ابن الجزري، النشر، ١٧٤/٢، وراجح، القراءات العشر، ص٤٣.

(٢) انظر: ابن خالويه، الحجة للقراءات السبع، ص٤٦.

(٣) انظر: الداني، التيسير، ص١٩، وراجح القراءات العشر، ص١.

(٤) انظر: ابن زنجله، حجة القراءات، ٧٨-٧٩.

(٥) ابن مجاهد، السبعة، ص(٣٥١)، والنشر، ٢٩٦/٢، وراجح، القراءات العشر، ص٢٤٨.

فكيف يجمع بينهما؟! قال العلماء: المعنى على قراءة التشديد أن الرسل تيقنوا تكذيب قومهم لهم.

والمعنى على قراءة التخفيف، توهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم ويصدقوهم حل بهم عذاب الله.

وبناء عليه يكون الظن في الآية الكريمة على القراءة الأولى (التشديد) بمعنى اليقين والضمائر الثلاثة في (ظنوا، أنهم، كذِّبوا) تعود على الرسل عليهم السلام.

والظن في القراءة الثانية (التخفيف) بمعنى الشك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم فعاملنا كل قراءة بمثابة آية مستقلة عن القراءة الأخرى[1].

ومنه كذلك قوله تعالى على لسان موسى: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ**﴾ [الإسراء: ١٠٢] قرأ الكسائي وحده (علمتُ) بالرفع، وقرأ باقي العشرة بالنصب (علمتَ) بفتح التاء[2]. فهل يمكن الجمع بين هاتين القراءتين؟!

الجواب: معنى قراءة ضم التاء أنه أسند هذا العلم إلى موسى ﷺ حديثاً منه لفرعون بعد أن اتهمه فرعون بقوله: ﴿**إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً**﴾ [الإسراء:١٠١]. فأجاب موسى مخبراً عن نفسه (لقد علمتُ) نافياً تلك التهمة عن نفسه.

أما قراءة فتح التاء (لقد علمتَ) فإنه اسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع والتوبيخ لفرعون بسبب معاندته للحق. وجحوده له بعد علمه به[3].

وهناك أمثلة أخرى ذكرها العلماء لا يمكن الجمع فيها بين القراءات بسبب تعذر الجمع وليس بسبب التضاد أو التناقض فليس في القراءات أو القرآن شيء من التناقض

---

(١) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣٦٦-٣٦٧، ومكي، الكشف، ٢/١٥-١٦، والنشر، ١/٤٥-٤٦.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ٣٨٥-٣٨٦، وابن الجزري، النشر، ٢/٢٣٢.

(٣) انظر: ابن زنجلة، رجحة القراءات، ص٤١١، ومكي، الكشف، ٢/٥٢-٥٣، وابن الجزري، النشر، ١/٤٦.

أو التضاد ولكن في مثل هذه الحالات تعامل كل قراءة على أنها آية مستقلة، وكل قراءة بمنزلة آية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض(١).

المطلب الثاني: فوائد اختلاف القراءات وتعددها:

القراءات القرآنية قرآن لا ريب في ذلك، وإذا أردنا أن نتحدث عن فوائد القراءات فإن الحديث عن ذلك سيطول ولكن سأختصر ما ذكر في شأن اختلاف وتعدد القراءات القرآنية وأثر ذلك الاختلاف في بيان الثروة المعنوية للنص القرآني وبلاغته وإعجازه، وفيما يلي بعض فوائد وحكم اختلاف القراءات.

أولاً: التخفيف على هذه الأمة والتيسير عليها رحمة بها، وتشريفاً لها بحفظ لغاتها ولهجات أبناءها من مختلف القبائل:

فكان من تيسير الله تعالى على هذه الأمة، أن أمر الله رسوله بأن يقرأ كل قوم بلغاتهم وما جرت عليه عادتهم، ولو أن كل فريق من هؤلاء أن أمر يزول عن لغته وما تعوده طفلاً وناشئاً وكهلاً، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله تعالى برحمته أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين(٢).

وقد ثبت أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم عربهم وعجمهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم مختلفين في لهجاتهم الخاصة بكل قبيلة منهم، ويعسر على أحدهم الانتقال من لهجة قبيلته إلى لهجة قبيلة أخرى، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك لا بالتعليم ولا بالعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه النبي ﷺ،

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٤٦-٤٧.

(٢) انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ٣٨-٣٩.

جاء في حديثه ﷺ: **(أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك)** (١) فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع. فكان التيسير على هذه الأمة(٢).

وذلك التيسير على الأمة في تلاوة القرآن الكريم يرافقه أيضاً تيسير عليها في حفظه ونقله إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات، لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً(٣).

ثانياً: بيان مصدرية القرآن وأنه من كلام رب العالمين.

وفي هذا بيان لصدق رسالة الرسول محمد ﷺ. إذ القرآن مع كثرة هذا التنوع في القراءات والتأويل، والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيد والعام والخاص، لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به وهو الرسول ﷺ(٤).

فسبحان القائل: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً**﴾ [النساء:٨٢] فالمتدبر للقراءات واختلافها وتنوعها مع عدم التضاد، والتناقض يدرك أن مصدر القرآن الكريم هو الله تعالى ولن يكون بحال من الأحوال من كلام البشر.

ثالثاً: يكشف تعدد القراءات عن كمال الإعجاز القرآني ونهاية بلاغته وجمال إيجازه.

---

(١) ورد ذلك في حديث الاحرف السبعة الذي سبق ذكره.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٥/١.

(٣) ابن الجزري، النشر، ٤٧/١.

(٤) انظر: السابق.

إذ كل قراءة بمنزلة الآية، لأن تنوع الألفاظ في القراءات في الآية القرآنية يقوم مقام تعدد الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل[١] ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذ قرئ بهذه القراءة ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، مع علو في الأسلوب والتعبير وخلو من الاختلاف والتناقض ولا شك أن ذلك مما يؤكد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات وليس ذلك إلا في كتاب الله تعالى[٢].

رابعاً: أعظام أجور هذه الأمة وبيان فضلها على سائر الأمم:

من حيث تلقيهم كتاب الله تعالى هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال فهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع كل لفظة وصيغة من القرآن والقراءات، لبيان صحة ألفاظه وخلوه من الخلل والتحريف ثم بيان دلالة كل لفظ واستنباط ما فيه من الأحكام والحكم والكشف عن أسراره وخفي إشاراته. ولا يخفى ما في كل هذا من الأجر والثواب عند الله تعالى لهذه الأمة، وما ميزها به عن غيرها من الأمم بطريقة نقل القرآن عبر الأجيال والقرون واتصال إسنادها إلى الرسول الله ﷺ الذي تلقى هذا القرآن بواسطة الوحي من الله تعالى رب العالمين[٣].

خامساً: تصديق وعد الله تعالى في توليه حفظه كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز. فإن الله تعالى لم يخل عصراً من العصور ولو في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته وتصحيح وجوهه وقراءته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور[٤].

---

(١) انظر: السابق.

(٢) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ١/١٤٣.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٤٧-٤٨.

(٤) ابن الجزري، النشر، ١/٤٨.

سادساً: الثروة الفقهية والتشريعية في تعدد القراءات:

ذلك أن الاختلاف في القراءات القرآنية أثرى الفقه الإسلامي بأحكام جديدة، فأشارت بعض القراءات في مجال آيات الأحكام إلى حكم آخر لم تدل عليه القراءة الأولى ومن ذلك على سبيل المثال:

١. في قولـه تعالى: ﴿**وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وردت قـراءتان فـي قولـه (يطهـرن) حيـث قـرأ عاصم في رواية شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف (يطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء، وقرأ باقي العشرة (يطْهُرن) بلا تشديد(١).

وتفيد قراءة التخفيف أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل الطهر وذلك بانقطاع دم الحيض وقراءة التشديد أفادت أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تغتسل. وبهذا جمعت الآية بقراءتيها بين حكمين مختلفين ينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطَّهَّر بالاغتسال(٢).

دلالة الآية القرآنية على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين. من ذلك قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...**﴾ [المائدة: ٦].

قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم، والكسائي، ويعقوب (وأرجلَكم) بالنصب عطفـاً علـى المغسول (وجوهكم وأيديكم) وقرأ باقي العشرة (وأرجلِكم) بالجر(٣) عطفاً علـى الممسـوح (رؤوسـكم) فقـراءة النصب عطفاً على المغسول تفيد وجوب غسل

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٨٢، والداني، التيسير، ص٨٠، والنشر، ٢/٢٢٧.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٣٠.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٤٢، الداني، التيسير، ص٩٨، والنشر، ٢/٢٤٥.

الرجليــن في الوضوء وقراءة الجر عطفاً على الممسوح تفيد وجوب مسح الرجلين في الوضــوء فبيــنهما النبي ﷺ فجعل المسح للابس الخفين بشروطهما وجعل الغسل على الحاسر الذي لم يلبس الخف[1]. وبهذا تكون كل قراءة جاءت بحكم شرعي لحالة مختلفة عن الأخرى.

سابعاً: حفظ بعض لغات العرب، وذلك بمجيء قراءة تؤكد صحة هذه اللغة فتكون هذه القراءة شاهداً قوياً على ذلك.

مــن ذلــك قــول الله تعــالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾ [النســاء: ١] قــرأ حمزة (والأرحامِ) بالجر، وقرأ باقي العشرة (والأرحامَ) بالنصب[2] وقــد شــن كثــير مــن أهل النحو وبعض المفسرين حرباً على حمزة واتهموه بالوهم والخطــأ ومــنهم العلاّمــة الزمخشــري في الكشاف[3] لأن قراءة الجر تعني العطف علــى المجــرور فــي (بــه) أي عطــف الظاهــر على المضمر واشترطت مدرسة البصريين إعادة الخافض لجواز ذلك.

وقــد أجــازت مدرســة الكوفــة هــذه اللغــة واســتدلوا لذلك بأقوال العرب شــعراً ونــثراً وجــاءت قــراءة حمــزة المــتواترة تحفظ هذه اللغة من لغات العرب مــن الضــياع، وتبيــن جــواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر[4].

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٣٠.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٢٨، والداني، التيسير، ص٩٣، وابن الجزري، النشر، ٢/١٨٦.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف، ١/٤٩١-٤٩٣، وسيأتي في تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

(٤) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٣/١٦٥-١٦٧، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

المبحث الخامس

القراء العشرة والتعريف بهم ورواتهم

تباينت أقوال المتقدمين حول عدد القراء ومن ثم القراءات المتواترة فمنهم من ذكر عشرين ومنهم من ذكر خمسين وغير ذلك إلى أن استقر الأمر على عشرة، وعرفنا فيما سبق أن العلماء اتفقوا والأمة أجمعت على أن قراءات الأئمة العشر هي المتواترة التي تجوز القراءة بها في الصلاة وخارجها وغير هذه العشر من الشاذ ويتفاوت شذوذه. ووجدت من الخير أن أترجم لهؤلاء القراء العشرة ولرواتهم بما يكشف عن شخصياتهم وعلمهم وإتقانهم وحفظهم وأقوال العلماء فيهم وأشهر شيوخهم وتلاميذهم.

أولاً: نافع المدني (٧٠-١٦٩)هـ[(١)]:

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الأصبهاني: أصله من أصبهان وأقام في مدينة الرسول الله ﷺ ، كان أسود اللون حالكاً، وكان إمام الناس بالمدينة، وانتهت إليه رياسة الأقراء بها وأجمع الناس عليه بعد التابعين وقد أقرأ بالمدينة المنورة أكثر من سبعين سنة. وكان صاحب دعابة صبيح الوجه حسن الخلق، ولد في حدود سنة سبعين وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة.

أخذ القراءة عرضاً وتلقياً عن جماعة من التابعين منهم محمد بن شهاب الزهري، وعبد الرحمن بن القاسم[(٢)] وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج[(٣)]. وأبو جعفر

---

(١) انظر ترجمته في: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٩٢/١، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٥١/٢، وابن الجزري، غاية النهاية، ٣٣١/٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي رضي الله عنهم، أبو محمد، برع في القرآن حفظاً وعلماً وفقهاً، توفي (١٢٦هـ)، تهذيب التهذيب، ٢٥٧/٦.

(٣) هو عبد الرحمن بن هرمز أبو داود الأعرج، من موالي بني هاشم، قارئ حافظ أخذ القراءة عن أبي هريرة، توفي سنة (١١٧هـ). غاية النهاية، ٣٨٧/١.

يزيد بن القعقاع المخزومي المقرئ. وغيرهم وقد ذكر عنه أنه قال: قرأت القرآن على سبعين من التابعين، وكان بارعاً بالقراءة عالماً بوجوه القراءات.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي: أي القراءة أحب إليك قال: قراءة أهل المدينة، قال: فإن لم يكن؟ قال: قراءة عاصم، وقال الإمام مالك: "نافع إمام الناس في القراءة".

تلاميذه: أخذ عنه القرآن، إمام دار الهجرة، مالك بن أنس(١)، والليث بن سعد(٢).

راوياه: نشر قراءة نافع بعده بين الناس خلق كثير من أهل القرآن والقراءة لكن ابن مجاهد اقتصر على ذكر راويين فقط لكل قارئ.

واشتهرت قراءة نافع بروايتي قالون وورش، وفيما يلي تعريف بهما:

أ. قالون (١٢٠-٢٢٠هـ) هو: عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عمر بن عبد الله الزرقي أبو موسى، مولى بني زهرة، الشهير بـ (قالون) قارئ المدينة وإمامها بعد نافع وهو كذلك بارع في النحو، قال: قرأت على نافع قراءته غير مرة وكتبتها عنه. وكان في أذنيه صمم لا يسمع البوق فإذا قرئ عليه القرآن يسمعه، توفي سنة (٢٢٠هـ) ونافع هو من لقبه (قالون) لجودة قراءته، يعني جيد بلغة الروم، يلاطفه بذلك، قال ابن الجزري: وكذا سمعتها من الروم غير أنهم ينطقون بالقاف كافاً على عادتهم(٣).

ب. ورش (١١٠-١٩٧هـ) هو: عثمان بني سعيد بن عدي بن غزوان القبطي المصري، رحل إلى المدينة المنورة وسمع من نافع بها فقرأ عليه عدة ختمات ثم رجع إلى

---

(١) إمام دار الهجرة، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة، توفي (١٧٩هـ)، ودفن بالبقيع، من أنفس من ترك في الحديث والفقه (الموطأ)، جمع فيه مذهبه الفقهي وحديث النبي ﷺ. انظر: صفة الصفوة، ١٠٣/٢، وتهذيب التهذيب، ١٧/١٠.

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث أمام أهل مصر، برع في الحديث والفقه، توفي بالقاهرة سنة (١٧٥هـ). تهذيب التهذيب، ٤٦١/٨.

(٣) انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة، ٢٣٥/٢، وإرشاد الأديب، ١٠٧/٦. وابن الجزري، النشر، ٩٣/١.

مصـــر فأقـرأ بهـــا أكثر من ثلث قرن حتى توفي وانتهت إليه رياسة الأقراء بمصر فلـــم يـــنازعه أحـــد، وقـــد برع كذلك في النحو والعربية وكان حسن الصوت، توفي سنة (١٩٧هـ) [١].

ثانياً: ابن كثير المكي (٤٥-١٢٠)هـ[٢]:

هـو: عـبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله المكي الداري، أبو معبد فارسي الأصل، الكناني مولاهم ونسبة (الداري) لأنه كان عطاراً، والعرب تسمي العطار: دارياً نسبة إلى (دارين) موضع بالبحرين يجلب إليه العطر والطيب من الهند، وقيل غير ذلك، كان رحمه الله إمام الناس في القراءة بمكة حتى مات، سئل أبو عمرو: قرأت على ابن كثـير؟ قال: نعم، ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد، وكان أعلم بالعربية من مجاهد، وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً، وهو تابعي، لقي من الصحابة: عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك رضي الله عنهم جميعاً، ومن شيوخه أيضاً عبد الله بن السائب، ومجاهد بن جبر المكي وكانت وفاته بمكة سنة (١٢٠هـ) شهد جنازته خلق لا يحصـون. وأخـذ عـنه القراءة عشرات التلاميذ واختار ابن مجاهد اثنين من رواة قـراءته هما البزي وقنبل رحمهما الله تعالى مع أنهما ليسا من تلاميذه، ولكنهما اشتهرا برواية قراءة ابن كثير المكي.

أ. البزي (١٧٠-٢٥٠)هـ هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع فارسي الأصل من أهل همدان واسم جده (أبو بزة) ومن هنا جاءت نسبته البزي، مقرئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، وانتهت إليه أمامة الأقراء بمكة وكان متقناً حافظاً محققاً توفي سنة (٢٥٠هـ) [٣].

---

(١) انظر: إرشاد الأديب، ٣٣/٥، وابن الجزري، غاية النهاية، ٥٠٣/١.

(٢) انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٥١/١، ومكي بن أبي طالب، التبصرة، ص٦٧-٦٩.

(٣) انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ١١٩/١، واللباب، ١٢١/١، وابن حجر، لسان الميزان، ٢٨٣/١.

ب. قنــبل (١٩٥-٢٩١)هـــ هو: محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد، أبــو عمــر المخزومــي مولاهــم، المكي، واشتهر باسم (قنبل)،لأنه من أهل بيت بمكــة يعــرفون بالقــنابلة، متقن للقراءة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، أخذ القــراءة عــن العلمــاء والقــراء وروى قــراءة ابن كثير المكي، كما روى عن الــبزي، ارتحــل إلــيه الــناس من شتى الأقطار، وكان من أهل الفضل والصلاح والخير، توفي سنة (٢٩١هــ)[١].

ثالثاً: أبو عمرو بن العلاء البصري (٦٨-١٥٤)هـ[٢]:

هو: زبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان المازني التميمي البصري، اختلف في أصله، فقيل فارسي وقيل هو من بني العنبر وقيل بني حنيفة، والصحيح أنه تميمي[٣] برع في علوم العربية وكان من أعلم الناس بالقرآن والنحو، مع الصدق والأمانة وحسن التدين، كثير المطالعة والتعلم، ولد بمكة ثم تنقل لطلب العلم بين مكة والمدينة والبصرة والكوفة ولقي كثيراً من العلماء والشيوخ.

مر به الحسن البصري وحلقته متوافرة والناس عكوف عليه، فقال: لا إله إلا الله لقد كادت العلماء أن يكونوا أرباباً كل عزٍّ لم يوطد بعلم فإلى ذل يؤول[٤].

قــال فــيه أبــو عبيدة: "أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشــعر"[٥]، اشــتهر رحمــه الله تعــالى بالزهد والورع، وروى له أصحاب التراجم

---

(١) انظر: إرشاد الأريب، ٢١٦/٦، وابن الجزري، غاية النهاية، ١٦٥/٢.

(٢) انظر: ابن خلكان، ٣٨٧/١، وابن الجزري، غاية النهاية، ٢٨٨/١، نزهة الألباء، ص٣٣.

(٣) انظر: السندي، عبد القيوم، صفحات في علوم القراءات، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٤) ابن الجزري، النشر، ١٠٩/١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٦٠/١١.

كـــرامات[1]. وكانت وفاة أبي عمرو بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة وقيل سنة خمس وخمسين ومائة والأول قول الأكثرين[2].

أخذ القراءة عن أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع، ونافع المدني، وابن كثير المكي، والحسن البصري وغيرهم.

من تلاميذه الذين تلقوا عنه القراءة: الإمام عبد الله بن المبارك بن واضح (١٨١هـ) [3]، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ) [4]. **راوياه:** الدوري والسوسي.

أ. **الدوري المتوفى سنة (٢٤٦هـ)** وهو: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان الأزدي الدوري، النحوي الضرير، والدوري نسبة إلى (الدور) ضاحية من ضواحي بغداد من الجانب الشرقي، كان ثقة فصيحاً إمام القراءة في عصره مقدم في النحو والعربية ومعانِ القرآن، جمع القراءات وقرأ بسائر القراءات السبع وبالشواذ، توفي سنة (٢٤٦هـ) بقرية من قرى الري[5].

ب. **السوسي (١٧٣-٢٦١)هـ** هو: أبو شعيب، صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل السوسي، نسبة إلى (السوس) كورة بالأهواز بلغ عمره نحو تسعين سنة، وكان إماماً في القراءة ضابطاً محرراً ثقة، أخذ القراءة عن أبي محمد اليزيدي وهو من أجل أصحابه وأكبرهم، كما قرأ على حفص عن عاصم، توفي سنة (٢٦١هـ) [6].

---

(١) انظر أشياء من ذلك في: ابن الجزري، غاية النهاية، ٢٩١/١.

(٢) ابن الجزري، النشر، ١٠٩/١.

(٣) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولاهم التميمي المروزي، شيخ الإسلام من علماء الحديث والفقه والقراءات، توفي سنة (١٨١هـ). انظر: شذرات الذهب، ٢٩٦/١.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) والذهبي، معرفة القراء الكبار، ٨٧/١، والنشر، ١١٠/١، انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ٢٥٥/١.

(٦) والذهبي، معرفة القراء، ١٩٣/١، النشر، ١١٠/١، انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٣٢/١.

رابعاً: ابن عامر الشامي (٨-١١٨) هـ[1]:

هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي، اختلف في زمن ولادته فقيل سنة إحدى وعشرين وقيل سنة ثمان من الهجرة والأكثر على الثاني، كان رحمه الله تعالى إماماً كبيراً وتابعياً جليلاً وعالماً شهيراً، أم الناس بالجامع الأموي سنين كثيرة، أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده، فكان عمر بن عبد العزيز يأتم به، انتهت إليه مشيخة القراءة بالشام، ودمشق الشام في ذلك الوقت خلافة المسلمين ومحط رحال العلماء من شتى بقاع الأرض، فأجمع الناس على قراءته وإمامته، وبقي أهل الشام قاطبة على قراءة تلاوة وصلاة وتلقينا إلى قريب الخمسمائة، ولد رحمه الله في ضيعة يقال لها (رحاب) قبل أن يدخلها الإسلام و(رحاب) اليوم قرية تتبع محافظة المفرق شمال الأردن.

لقي رحمه الله تعالى عدداً من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً منهم: معاوية بن أبي سفيان[2] وواثلة بن الأسقع[3]، والنعمان بن بشير[4]، وغيرهم. وكانت وفاته بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة. **راوياه:** هشام وابن ذكوان.

أ. **هشام بن عمار (١٥٣ -٢٤٥)هـ** هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي وكنيته (أبو الوليد). وكان عالم أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، وكان ثقة عادلاً متقناً في حفظه، وفصيحاً واسع الرواية، انتهت إليه رياسة

---

(١) انظر ترجمته: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٨٢/١، وابن الجزري، غاية النهاية، ٤٢٣/١-٤٢٥.

(٢) هو الصحابي الجليل: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أحد دهاة العرب مؤسس دولة بني أمية في الشام، توفي (٦٠هـ). انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ١٧/٤.

(٣) هو الصحابي الجليل: واثلة بن الأسقع بن عبد الليثي الكناني، من أهل الصفة، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، توفي سنة (٨٣هـ). انظر: صفة الصفوة، ٢٧٩/١، وأسد الغابة، ٧٩/٥.

(٤) هو الصحابي الجليل: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، خطيب وشاعر من أهل المدينة، أول مولود للأنصار بعد الهجرة، توفي (٦٥هـ). انظر: تهذيب التهذيب، ٤٥٧/١٠.

الأقراء بدمشق وممن أخذ عنهم العلم والقراءة: سفيان بن عينيه[١] ومالك بن أنس[٢] توفي سنة (٢٤٥)هـ[٣].

ب. **ابن ذكوان (١٧٣-٢٤٢) هـ** هو: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان البهراني، القرشي الدمشقي، أبو عمرو، كان مولده يوم عاشوراء سنة (١٧٣) وكان شيخ الإقراء بالشام، وإمام الجامع الأموي، وانتهت له رياسة الإقراء وأقبل عليه الناس يأخذون عنه القرآن والقراءة توفي في شوال سنة (٢٤٥هـ) [٤].

خامساً: عاصم الكوفي المتوفى سنة (١٢٧هـ) [٥]:

هو: عاصم بن بهدلة أبي النجود، الكوفي الحنّاط الأسدي مولاهم أبو بكر، وهو إمام القراءة في الكوفة في زمنه متقن حافظ جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الكريم، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم فقال: رجل ثقة خير، وسبق الحديث عن رأي ابن حنبل في قراءته وأنها تأتي في الدرجة الثانية عنده بعد قراءة نافع.

قال أبو بكر بن عياش[٦]: "دخلت على عاصم وقد احتضر فجعلت أسمعه يردد هذه الآية: (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق...) [الأنعام: ٦٢] يحققها حتى كأنه يصلي، فعلمت أن القراءة منه سجية"[٧]، وفي وفاته: قيل توفي بالكوفة سنة (١٢٧) هـ وقيل

(١) هو سفيان بن عينيه بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد، محدث الحرم المكي وعالم القراءات سكن مكة وتوفي بها سنة (١٩٨هـ). انظر: صفة الصفوة، ١٣٣/٢.

(٢) إمام دار الهجرة، سبقت ترجمته قبل قليل.

(٣) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ١٩٥/١، وابن الجزري، غاية النهاية، ٣٥٤/٢.

(٤) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ١٩٨/١، وابن الجزري، غاية النهاية، ٤٠٤/١، والنشر، ١١٨/١.

(٥) انظر ترجمته في: الذهبي، معرفة القراء، ٨٨/١، وابن الجزري، الغاية، ٣٤٦/١، والنشر، ١٢٦/١.

(٦) هو أبو بكر شعبة بن عياش راوي قراءة عاصم وتلميذه.

(٧) ابن الجزري، النشر، ١٢٦/١.

سنة (١٢٨) هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وشيوخه من التابعين: زر بن حبيش[1] وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما.

وقرأ عليه: أبوعمرو بن العلاء، وحماد بن زيد[2]. **راوياه:** شعبة وحفص.

أ. **شعبة (٩٤-١٩٣) هـ** هو: أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحناط، الكوفي الأسدي، الكاهلي، النهشلي، وهو من الموالي عاش قريب المائة، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعرضه كذلك على غيره من شيوخ الإقراء، وكان إماماً كبيراً وعالماً عاملاً حجة من كبار أئمة السنَّة، توفي رحمه الله بالكوفة سنة (١٩٣هـ) في جمادى الأولى[3].

ب. **حفص (٩٠-١٨٠) هـ** هو: أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي، الكوفي البزاز، كان أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم، وأكثرهم له ملازمة؛ فهو ربيب عاصم ابن زوجته، قال ابن معين: الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم، رواية حفص، وقال الذهبي: "أما في القراءة فثقة ثبت ضابط بخلاف حاله في الحديث، وقد اقرأ الناس دهراً بعد عاصم، توفي رحمه الله سنة (١٨٠هـ) [4].

سادساً: حمزة الزيات الكوفي (٨٠-١٥٦) هـ[5]:

هـو: حمـزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الكوفي التميمي مولاهم، أبـو عمـارة ولقـب بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، إمام جليل

---

(١) هـو زر بن حبيش بن حباشة الاسدي الكوفي، أبو مريم، عالم ثقة مقرئ، مات عن مائة وسبع وعشرين سنة، سنة (٨٣ هـ). انظر: ابن حجر، الإصابة، ١/٥٧٧.

(٢) هـو حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري، المقرئ المحدث، توفي سنة (١٦٧هـ). انظر: شذرات الذهب، ٢/١٥٧.

(٣) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ١/١٣٤-١٣٨، وابن الجزري، الغاية، ١/٣٢٥، والنشر، ١/١٢٦.

(٤) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ١/١٤٠، وابن الجزري، الغاية، ١/٢٥٤، والنشر، ١/١٢٦.

(٥) انظـر ترجمته: الذهبي، معرفة القراء، ١/١١١-١١٨، وابن الجزري، الغاية، ١/٢٦١-٢٦٣، والنشر، ١/١٣٣.

القـدر ومقـرئ متقـن وكـان إمـام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش وكـان ثقـة ورعـاً عابداً زاهداً، اتقن الأقراء وحفظ الحديث وأفتى الناس، قال له أبو حنـيفة الـنعمان: شـيئان غلبتـنا علـيهما لسنا ننازعك عليهما، القرآن والفرائض، وقـال الأعمـش فيه: هذا حبر القرآن ويقول هو رحمه الله: ما قرأت حرفاً من كتاب الله إلا بأثر.

وكـان مولده رحمه الله تعالى سنة ثمانين للهجرة، أي في أواخر عهد أصحاب النبي ﷺ ولا يستبعد أن يكون قد رأى بعضهم لكن لم ينقل لنا ذلك. وكانت وفاته بحلوان العـراق سنة (١٥٦)هـ . وله ست وسبعون سنة. أخذ القراءة عن الأعمش[١] وجعفر الصادق[٢] ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى. وأخذ عنه القراءة: إبراهيم بن أدهم[٣]، والكسائي[٤] والفراء واليزيدي وغيرهم. وراوياه: خلف وخلاد.

أ. **خلـف الـبزار (١٥٠-٢٢٩) هـ** هو: خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف البزار، الأسـدي البغدادي أبو محمد، المقرئ وستأتي ترجمة خلف البزار عند الحديث عن قراءته إن شاء الله تعالى.

ب. **خـلاد الصـيرفي المـتوفى سنة (٢٢٠) هـ** هو: خلاد بن خالد الشيباني بالولاء الصيرفي، كان إماماً في القراءة ثقة عارفاً محققاً مجوداً، وأستاذاً ضابطاً متقناً، وهو لـيس مـن تلامـيذ حمـزة الزيات، ولكنه اتقن قراءته، وأخذ القراءة عن سليم بن

---

(١) الأعمـش: هـو سـليمان بـن مهران أبو محمد الأعمش الأسدي مولاهم، الكوفي، تابعي لقي نفراً من الصحابة، بارع في القراءة، توفي سنة (١٤٨هـ). انظر: ابن خلكان، ٣١٤/١.

(٢) هـو: جعفـر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط أبو عبد الله أخذ عنه الإمامان أبو حنيفة ومالك توفي سنة (١٤٨هـ). انظر: وفيات الأعيان، ١١٧/١.

(٣) هـو: إبراهـيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، زاهد وورع، بارع في شتى علوم الدين، توفي سنة (١٦١هـ). انظر: حلية الأولياء، ٣٦٧/٧.

(٤) الكسائي: هو علي بن حمزة من القراء السبعة ستأتي ترجمته.

عيســـى[1] عرضـــاً وكان من أضبط أصحابه، قال فيه الداني: "هو أضبط أصحاب سليم وأجلهم"[2].

سابعاً: الكسائي الكوفي (١١٩-١٨٩) هـ[3] هو: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهن بن فيروز الأسدي بالولاء، الكوفي النحوي فارسي الأصل من سواد العراق، سمي بالكسائي لأنه كان يتشح بالكساء في حلقة حمزة الزيات وقيل غير ذلك، كان إمام الناس في القراءة في زمانه وأعلمهم بها، وكان ورعاً نقياً، وكان صادق اللهجة واسع العلم بالعربية والقرآن، وهو من أعمدة النحو بالكوفة، قال فيه ابن معين: "ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي".

وقال ابن الأنباري: "اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن".

توفي بـــ قرية (رنبويه) من قرى الري - في رحلة هارون الرشيد إلى خراسان سنة (١٨٩)هـــ. وتوفي معه في تلك الرحلة محمد بن الحسين الشيباني صاحب أبي حنيفة فدفنا بها، فقال الرشيد: "اليوم دفنت الفقه والنحو برنبويه".

أخذ القراءة عن حمزة الزيات وابن أبي ليلى[4] وغيرهما.

وأخذ عنه القراءة حفص الدوري راوي قراءة أبي عمرو، وخلف بن هشام صاحب القراءة، وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم. **وراوياه:** أبو الحارث والدوري.

---

(١) هــو: سليم بن عيسى الحنفي الكوفي، أمام متقن في القراءة، أخذ القراءة عن حمزة الزيات، وكان أخص تلاميذه وأضبطهم توفي سنة (١٨٨هـ). انظر: غاية النهاية، ٣١٩/١.

(٢) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ٢١٠/١، وابن الجزري، الغاية، ٢٧٤/١، والنشر، ١٣٣/١.

(٣) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ١٢٠/١-١٢٨، وابن الجزري، الغاية، ٥٣٥/١، والنشر، ١٣٨/١. انظر: تهذيب التهذيب، ٣٠٣/٩.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، المقرئ المحدث المتوفى سنة (١٤٨هـ). الأعلام، ١٨٩/٦.

أ. **أبو الحارث المتوفى سنة (٢٤٠) هـ** هو: الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي، وكان رحمه الله تعالى ثقة قيماً بالقراءة ضابطاً لها محققاً، أخذ القراءة عرضاً عن الكسائي، وهو من أقدر وأجل أصحابه في القرآن الكريم وفي النحو، قال أبو عمرو الداني: كان من جلة أصحاب الكسائي [١].

ب. **حفص الدوري المتوفى سنة (٢٤٦هـ)** وهو: حفص بن عمر الدوري راوي قراءة أبي عمرو بن العلاء، كما روى قراءة الكسائي، وقد سبقت ترجمته.

وفيما يلي تراجم القراء الثلاثة الذين أثبت ابن الجزري تواتر قراءاتهم وضمهم إلى سبعة ابن مجاهد فأصبح الجميع عشرة قراء.

ثامناً: أبو جعفر المدني المتوفى سنة (١٣٠هـ) [٢]:

هو: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني المقرئ، كان رحمه الله تعالى تابعياً كبير القدر، انتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة المنورة، شهد له بالأمامة والفضل كثيرون، قال فيه يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة وكان ثقة، وقد أخذ القراءة مباشرة من أبي هريرة رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وأخذها كذلك من حبر القرآن عبد الله بن عباس القرشي وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ.

وأخذ عنه القراءة كثيرون أشهرهم، نافع بن عبد الرحمن المدني وأبو عمرو بن العلاء، وهما من القراء السبعة ومن الرواة راوياه ابن جماز وابن وردان، وكانت وفاته بالمدينة سنة (١٣٠هـ).

أ. **ابن وردان المتوفى سنة (١٦٠هـ)**: عيسى بن وردان الحذاء المدني أبو الحارث، وكان مقرئاً رأساً في القرآن ضابطاً للقراءات محققاً من قدماء أصحاب نافع ومن أصحابه في القراءة على أبي جعفر المدني. وبذلك يكون قد أخذ القراءة عن إمامين

---

(١) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ٢١١/١، وابن الجزري، الغاية، ٣٤/٢، والنشر، ١٣٨/١.

(٢) انظر ترجمته: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٧٢/١-٧٦، وابن الجزري، الغاية، ٣٨٢/١، والنشر، ١٤٣/١.

من الأئمة العشرة؛ نافع وأبي جعفر، وعرض عليه القراءة جمع كبير منهم قالون رواي نافع، توفي سنة (١٦٠) هـ[١].

ب. **ابن جماز المتوفى سنة (١٧٠)هـ:** سليمان بن مسلم بن جماز أبو الربيع، الزهري بالموالاة المدني، روى القراءة عرضاً على أبي جعفر المدني ثم عرض على نافع فقرأ بقراءتيهما، وهو ضابط متقن جليل القدر وكان نبيلاً مقصوداً في قراءة أبي جعفر ونافع، توفي بعيد سنة سبعين ومائة[٢].

تاسعاً: يعقوب الحضرمي (١١٧-٢٠٥) هـ[٣]:

هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري أبو محمد، كان رحمه الله تعالى إماماً كبيراً وثقة عالماً، صالحاً ديناً، انتهت إليه رياسة القراءة بالبصرة بعد أبي عمرو بن العلاء، وأم الناس في جامع البصرة سنين، قال فيه أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القراءات وعلله ومذاهبه ومذاهب النحو وأروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء.

وقد شهد له رحمة الله بالعلم والإتقان وضبط القراءات واجتمع على قراءته بالبصرة فكان إمام الجامع فيها لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب، توفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة (٢٠٥) هـ. وله ثمان وثمانون سنة.

أخذ القراءة عن التابعين منهم أبو الأشهب[٤] عن أبي موسى الأشعري، وشهاب بن شرنقه[٥] عن أبي الأسود الدؤولي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً.

وأخذ عنه القراءة الدوري راوي أبي عمرو، وراوياه روح ورويس.

---

(١) الذهبي، معرفة القراء، ١/ ٨٩- ٩٣، وابن الجزري، الغاية، ٦١٦/١، والنشر، ١٤٣/١.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ١٤٣/١، وغاية النهاية، ٣١٥/١.

(٣) انظر ترجمته: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١٥٣/١-١٥٨، وابن الجزري، غاية النهاية، ٣٨٦/١، والنشر، ١٤٩/١.

(٤) أبو الأشهب: هو جعفر بن حسبان العطاردي، من أشهر القراء في زمانه كما برع في النحو، توفي سنة (١٦٥هـ).

(٥) شهاب بن شرنقة: هو شهاب بن شرنقة المجاشعي البصري، أحد الأئمة الأعلام في القراءة، توفي سنة (١٦٢هـ). انظر: ابن الجزري، الغاية، ٣٨٦/٢.

أ. **رويس (٢٣٨) هـ**: محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري أبو عبد الله المعروف بـ (رويس) مقرئ متقن حاذق، كان إماماً في القراءة ماهراً ضابطاً مشهوراً قال فيه أبو عمرو الداني: هو من أحذق أصحاب يعقوب، ختم القرآن على يعقوب مرات ولازمه سنين، توفي رحمه الله سنة (٢٣٨)هـ[١].

ب. **روح (٢٣٤) هـ**: روح بن عبد المؤمن الهذلي مولاهم، البصري النحوي أبو الحسن، كان مقرئاً جليلاً ثقة ضابطاً من أجل أصحاب يعقوب وأوثقهم روى عنه البخاري في صحيحه، أم الناس سنين بقراءة يعقوب، توفى رحمه الله تعالى سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين[٢].

عاشراً: خلف البزار (١٥٠-٢٢٩) هـ[٣]:

هو: خلف بن هشام البزار البغدادي أبو محمد، المشهور بـ (خلف العاشر) في أوساط أهل القراءات لأنه عاشر القراء العشرة كما رتبهم ابن الجزري في كتابه النشر.

حفظ خلف القرآن وهو ابن عشر سنين وابتدأ طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان رحمه الله إماماً كبيراً وعالماً ثقة زاهداً عابداً، ذكر عن نفسه أنه أشكل عليه باب من النحو فأنفق ثمانين ألف درهم حتى عرفه وحفظه، أخذ القراءة عن سليم عن حمزة الزيات، وروى حرف نافع كذلك ثم خالف في حروف كثيرة فعده العلماء قائماً مستقلاً عن حمزة، وأثبت ابن الجزري تواتر قراءة خلف وقال: إن قراءته لا تخرج عن قراءة الكوفيين وقد أخذ القراءة كذلك عن أبي زيد الأنصاري[٤]

(١) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ٢١٦/١، وابن الجزري، الغاية، ٢٣٤/٢، والنشر، ١٤٩/١.

(٢) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ٢١٤/١، وابن الجزري، الغاية، ٢٨٥/٢، والنشر، ١٤٩/١.

(٣) انظر ترجمته: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٢٠٨/١-٢١٠، وابن الجزري، الغاية، ٢٧٢/١، والنشر، ١٥٢/١-١٥٣.

(٤) سبقت ترجمته وكذلك سليم بن عيسى.

وسليم بن عيسى، وأخذ عنه القراءة أحمد بن إبراهيم(١)، وأحمد بن يزيد الحلواني(٢) وغيرهما. توفي خلف رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين.

وراوياه: الوراق والحداد.

أ. **إسحاق الوراق المتوفى سنة (٢٨٦هـ)** هو: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي البغدادي أبو يعقوب، أخذ عن خلف البزار اختياره في القراءة وختم عليه وقام بعده بقراءته، وكان ثقة ضابطاً لقراءة خلف منفرداً برواية اختيار خلف لا يعرف غيره (٣).

ب. **إدريس الحداد المتوفى سنة (٢٩٢هـ)** هو: إدريس بن عبد الكريم، الحداد البغدادي، أبو الحسن، أخذ القراءة عن خلف ثم تصدر الإقراء في بغداد، أجمع الناس على إمامته في بغداد، وكان متقناً بارعاً، قال فيه الدارقطني: هو ثقة وفوق الثقة بدرجة، توفي يوم الأضحى سنة (٢٩٢) هـ عن ثلاث وتسعين سنة(٤).

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أخذ القراءة عن خلف البزار وغيره من الأئمة، توفي سنة (٢٦١هـ).

(٢) أحمد بن يزيد الحلواني أبو الحسن، من علماء القراءات في زمنه له كتابات في القراءات، توفي سنة (٢٥٠هـ).

(٣) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ٢٥٤/١، وابن الجزري، غاية النهاية، ١٥٥/١، والنشر، ١٥٣/١.

(٤) انظر: الذهبي، معرفة القراء، ٢٥٥/١، وابن الجزري، الغاية، ١٥٤/١.

الفصل الأول

اهتمام الزمخشري بالقراءات في تفسيره

المبحث الأول: استشهاد الزمخشري بالقراءات في تفسيره وإكثاره من ذلك

المبحث الثاني: عزو القراءات ونسبتها عند الزمخشري في تفسيره

المبحث الثالث: توظيف الزمخشري للقراءات المتواترة في تفسير القرآن الكريم

الفصل الأول

اهتمام الزمخشري بالقراءات في تفسيره

أولى الإمام الزمخشري القراءات القرآنية اهتماماً كبيراً في تفسيره الكشاف. وجعل لها قسطاً وافراً من صفحات تفسيره، شأنه في ذلك شأن كثير من المفسرين الذين تصدوا لتفسير كتاب الله تعالى، فقلما نجد مفسراً لم يوظف القراءات في تفسير آي القرآن الكريم من باب أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ويبين بعضه بعضاً ويظهر ذلك من جهات متعددة:

أولاً: إن القراءة إذا ثبت تواترها إلى النبي ﷺ فهي قرآن لا ريب في ذلك. والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

ثانياً: إذا لم تبلغ القراءة درجة التواتر لكن صح سندها فهي من البيان النبوي للقرآن الكريم الذي قال الله تعالى فيه: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) [النحل:٤٤].

ثالثاً: إذا كانت القراءة موقوفة فهي من قول الصحابي في تفسير القرآن وبيان معانيه.

فالقراءات إذن تستمد أهميتها من القرآن الكريم، والقرآن ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه وأصل كل علم ورأسه، والاستشراف على معانيه لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه ولا يتوصل إلى كل ذلك إلا بعد العلم بوجوه قراءاته واختلاف رواياته. ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات[١].

---

(١) انظر: القسطلاني، لطائف الإشارات، ٦/١.

وقـد سـبق أن ذكـرنا شـيئاً مـن الحكـم والفوائـد المترتبة على اختلاف القـراءات القرآنـية ومـا فـي ذلـك مـن كشـف عن إعجاز القرآن الكريم وسمو بلاغـته وفصـاحته وتجلـية لمعانـيه وأحكامـه، وبـيان لما فيه من الثروة اللغوية والنحوية وغير ذلك مما يعد من ميزات للقرآن الكريم دون غيره من الكتب.

وبـناء علـى مـا تقـدم فـإن علم القراءات يحتاجه المقرئ والمفسر والفقيه والـنحوي واللغـوي، فـلا عجـب إذن أن نجد كتب المفسرين قد زخرت بالقراءات القرآنـية ومـن أبـرزهم الإمام الزمخشري متفاوتين في ذلك قلة وكثرة حسب اهتمام كل عالم منهم رحمهم الله تعالى أجمعين.

المبحث الأول

استشهاد الزمخشري بالقراءات في تفسيره وإكثاره من ذلك

اهــتم الإمــام الزمخشري اهتماماً بالغاً بالقراءات في تفسيره الكشاف ويعد من المفسرين المكثرين من القراءات في كتبهم، إذ كان أكثرهم اهتماماً بها الإمام أبو حيان الأندلسي صاحب كتاب (البحر المحيط) في تفسير القرآن الكريم(١).

وقــد تتبعــت مواضــع القراءات في تفسير الإمام الزمخشري (الكشاف) تتبعاً استقرائياً وأحصيت هذه المواضع التي زاد عددها على ألفين وخمسمائة موضع، حوالي الــربع مــن هــذه المواضع تناول فيها القراءات المتواترة(٢)، أي ما يزيد عن ستمائة موضــع والأرباع الثلاثة الأخرى ذكر فيها قراءات شاذة. وإن كان لا يفرق رحمه الله في أغلب تلك المواضع بين الشاذ والمتواتر.

كما أن المواضع التي ذكر فيها قراءات متواترة كان أغلبها لاختلاف القراء في فــرش القــراءة أما أصول القراءة فلم يكن نصيبها عنده إلا القليل، وأعزو ذلك إلى أن اخــتلاف القــراءات في الفرش(٣) هو الذي يترتب عليه اختلاف في المعاني والأحكام والإعــراب وغــير ذلك، أما الأصول فلا يختلف المعنى باختلافها غالباً والزمخشري يبحث عن المعنى وتعدده باختلاف القراءات.

يقول ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: "إن للقراءات حالتين، إحداهما : لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية : لها تعلق به من جهات متفاوتة.

---

(١) انظــر: تفســير البحر المحيط، لا تجد صفحة فيه تخلو من قراءات وبعضها ذكر فيه أكثر من عشرين قراءة.

(٢) القــراءات المــتواترة هي قراءات الأئمة العشرة بعد استقرار القراءات وعلى ذلك سوف أسير في هذه الأطروحة فأي قراءة لأحد الأئمة العشرة فهي متواترة كما أثبت ذلك العلماء. انظر: ابن الجزري، المنجد، ص٢١-٢٨.

(٣) عرفنا معنى فرش القراءات وأصولها في التمهيد من هذا الباب

أما الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة .. وغير ذلك ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء العربية مالم يحفظه غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العربي بالحروف في مخارجها وصفاتها وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بتلقي ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة وهذا غرض مهم جداً لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآية ولم أر من عرف لفن القراءات حقه في هذه الجهة" [1].

ولا يخفى ما في هذه المزية من عظيم الفوائد في حفظ لهجات العرب ولغاتهم بأقوى وأصح الأسانيد يضاف إلى ذلك تيسير النطق بكلمات القرآن الكريم وتسهيل حفظه على هؤلاء الناس ومن بعدهم.

ثم يضيف ابن عاشور متحدثاً عن فرش القراءات فيقول:

وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل (مالك يوم الدين) و(ملك يوم الدين) [2]، [الفاتحة:٤]، (وننشرها) و (وننشزها) [3] البقرة/٢٥٩، و (ظنوا أنهم قد كُذِّبوا) [4] [يوسف:١١٠] بتشديد الذال المعجمة و(قد كذبوا) بتخفيفها وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معنى الفعل به كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧] حيث قرأ نافع بضم الصاد وقرا

---

(١) إبن عاشور، التحرير والتنوير ، تونس، الدار التونسية، ط٢، ١٤٢٤، ٥٧/١.

(٢) سبق تفصيل الحديث عن هذه القراءات ، عند الحديث عن وجوه اختلاف القراءات.

(٣) سبق تفصيل الحديث عن هذه القراءات ، عند الحديث عن وجوه اختلاف القراءات.

(٤) سبق تفصيل الحديث عن هذه القراءات ، عند الحديث عن وجوه اختلاف القراءات.

حمزة بكسر الصاد[1]. الأولى بمعنى يصدون غيرهم عن الإيمان والثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم وكلا المعنيين حاصل منهم.

وهي من هذه الجهة-أي فرش القراءات – لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءات الأخرى أو قد يثير معنى غيرة ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة نحو قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَطَّهَّرْنَ**﴾ [البقرة:٢٢٢] بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة و(يطْهُرن) بسكون الطاء وضم الهاء مخففه[2]. ونحو﴿**لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾[النساء:٤٣] وسورة [المائدة:٦] وقراءة ﴿**لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾[3] في الآيتين السابقتين.وقراءة:﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً**﴾ مع قراءة (الذين هم عند الرحمن) [4]، [الزخرف: ١٩]. والوحي الكريم نزل بالوجهين وأكثر تكثيراً للمعاني في حال تواتر هذه القراءات ومجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئاً عن آيتين فأكثر... ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد من القرآن قد يكون معه اختلاف في المعنى، ولم يكن حمل إحدى القراءتين على الأخرى متيقناً ولا مرجحاً. وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً فيقوم تعداد القراءات مقام تعداد كلمات القرآن الكريم" [5].

---

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف (يصُدون) بضم الصاد والباقون بكسرها، انظر السبعة ص٥٨٧ والنشر ٢٧٦/٢. وسيأتي الحديث مفصلاً عن معنى القراءتين.

(٢) قرأها بالتشديد شعبة وحمزة والكسائي، وباقي العشرة بالتخفيف، انظر: السبعة ص١٢٣، والتيسير، ص٨٠، والنشر ١٧١/٢.

(٣) قرأها في الموضعين(لمستم) حمزة والكسائي وخلف ، وقرأها كذلك في الموضعين(لامستم) باقي العشرة، انظر: السبعة ٢٣١ والتيسر ٩٦و٩٩ والنشر ١٨٧/٢ و١٩١.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (عند الرحمن) وقرأ باقي العشرة (عباد الرحمن)، انظر: ابن مجاهد، السبعة ص٥٨٥، والداني، التيسير ص١٩٦، وابن الجزري، النشر ٢٧٥/٢.

(٥) انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٥/١-٥٦.

وهـذا المعـنى الذي ذكره ابن عاشور من المتأخرين سبق له المفسرون قديماً كمـا تشـهد بذلـك تفاسـيرهم التـي عنيـت بالقـراءات القرآنية أتم العناية وأبلغها بوصـفها مصـدراً مهماً من مصادر تفسير القرآن، فالقراءة تفسر غيرها من القراءات وقـد تفسر آية أخرى، وقد ترجح تفسيراً على تفسير وتعضد تفسيراً آخر إلى غير ذلك ممـا سـنجده عـند إمامـنا الزمخشري في تفسيره الكشاف الذي أكثر فيه من تناول القـراءات مـن حيـث عـدد المواضع، أي مواضع القراءات في تفسيره وكذلك من حيـث كـثرة القـراءات في الموضع الواحد كما سنرى قريباً. وأسوق دليلاً على ما أزعـم وهـو أن الـناظر فـي تفسير الزمخشري يكاد لا يرى صفحة تخلو من ذكر القـراءات وبعضـها ذكر فيه أكثر من عشرة مواضع للقراءات وبعضها ذكر أكثر من عشر قراءات في الموضع الواحد كما سيأتي بيانه.

المطلب الأول: أصول القراءات في تفسير الزمخشري:

عرفنا سابقاً أن أصول القراءات مفردها أصل وهو كل حكم كلي جاء في كل ما تحقق فيه شرطه، فهي تطلق على الأحكام الكلية والخلافات المطردة التي تندرج تحتها الجزئيات المتماثلة كالمدود وتسهيل الهمزات وصلة ميم الجمع والفتح والإمالة وغيرها، كل هذه الأحكام والقواعد في القراءات تسمى أصولاً[(١)].

ومـن المعلـوم أيضـاً أن الاختلاف في أصول القراءات لا يترتب عليه غالباً اختلاف في المعنى أو التفسير أو الإعراب لذلك من خلال دراستي لكشاف الزمخشري وجدته رحمه الله تعالى قد قلل من تناول أصول القراءات في تفسيره، إلا أنه لم يهملها تمامـاً بل جعل لها وجوداً في تفسيره، وإن كان قليلاً بالمقارنة مع ما تناوله من فرش القـراءات. والـذي يبدو لي أن الإمام الزمخشري كان يتطلع إلى بيان الثروة المعنوية

---

(١) انظر: الضباع، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص١٢-١٣.

والإعجازيـــة في القرآن الكريم ولم يكن لأصول القراءات في ذلك كبير فائدة فلم يعطها اهتماماً كبيراً في تفسيره. وفيما يلي بعض الأمثلة من تفسير الكشاف لأصول القراءات:

- في قول الله تعالى: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، في ذكر أوصاف المؤمنين أول ســورة الــبقرة، بعد أن تحدث الإمام الزمخشري عن معنى (الآخرة) تحدث عن القــراءات فيها فقال: وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله (دابة الأرض) [١] سبأ/ ١٤.

فالزمخشــري في هذه القراءة يتناول أصلاً من أصول قراءة الإمام نافع برواية ورش فــيما يتعلق بالهمز ونقله، ولتوضيح هذا الأصل عند الإمام نافع أسوق ما ذكره علماء القراءات في بيانه.

قــال الإمــام أبــو عمرو الداني تحت باب (ذكر نقل حركة الهمزة إلى الساكن قــبلها): واعلــم أن ورشاً كان يلقي حركة الهمزة على الساكن قبلها فيتحرك بحركتها، وتسقط هي من اللفظ وذلك إذا كان الساكن غير حرف مد ولين، وكان آخر كلمة والهمز أول كلمة أخرى، والساكن الواقع قبل الهمزة يأتي على ثلاثة أضرب:

<u>الضــرب الأول</u>: أن يكون تنويناً نحو قولــه تعالى ﴿من نبي﴾ وقوله تعالى: ﴿ ومن شيءٍ إذ كانوا﴾ و ﴿كفواً أحد﴾ وشبهه.

<u>الضــرب الثانــي</u>: أن يكون لام المعرفة نحو (الأرض) و (الأخرة) و (الأزفة) وشبهه، وهذا وإن كان متصلاً مع الهمزة في الخط يجري عند القراء مجرى المنفصل.

<u>الضــرب الثالــث</u>: أن يكــون ســائر حروف المعجم نحو قوله "من ءامن" "من استبرق" وشبهه[٢].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ١/٨٣-٨٤.

(٢) الدانــي، التيســير فــي القراءات السبع، ص٣٥-٣٦، وانظر النشر ١/٣١٧، السبعة ص١٤٨. وانظر، شكري، احمد، قراءة الإمام نافع من روايتي ورش وقالون، الأردن، عمان، دار الفرقان، ص٨٩-٩١.

والزمخشـــري رحمـــه الله في هذا الموضع لم يكتف بذكر القراءة على أصول الإمـــام نـــافع بـــل وضح هذا الأصل عنده وذكر لذلك مثالاً آخر من سورة سبأ قولـــه تعالى: ﴿دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤] وفي ذلك دلالة واضحة على اهتمامه ببيان القراءات في تفسيره.

- ومـــن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ [مريم:٤]، فذكر إدغام السين في الشين عند أبي عمرو بن العلاء[١].

وهـــذا مـــن الإدغـــام الكبير وهو أصل من أصول الإمام أبي عمرو بن العلاء البصري في القراءة، ذكره ابن مجاهد في كتابه السبعة[٢]، وأبو عمرو الداني في كتابه التيسير[٣]، وابن الجزري في كتابه النشر[٤]، وغيرهم.

لكـــن الزمخشـــري لم يعقب بشيء بعد ذكره لهذا الأصل من أصول قراءة أبي عمرو وكأنه لا يريد أن يقف إلا عند الأمور التي تكشف إعجاز القرآن، لذا وجدناه في هـــذا الموضع ينتقل سريعاً إلى الحديث عن الإعجاز القرآني في قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيباً".

- وعـــند قولــــه تعالى: ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طـــه١-٢] قال الزمخشـــري: "أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء، وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الأصل. والباقون أمالوهما" [٥].

فـــي هـــذا الموضـــع يذكر الزمخشري أصول القراء السبعة في هذه الآية، في التفخيم والإمالة. وما ذكره علماء القراءات فيها ما يلي:

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٦/٣.

(٢) انظر: بن مجاهد، السبعة، ص١١٦-١٢٢.

(٣) انظر: الداني، التيسير، ص٢٣-٢٦.

(٤) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٢٥/١-٢٢٩.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٥١/٣.

قـرأها بإمالــة (الطــاء) و(الهــاء) معـاً: عاصـم بـرواية شعبة، وحمزة، والكسائي وخلف.

وقرأها بإمالة (الهاء) وحدها: أبو عمرو، وورش عن نافع. وقراها باقي العشرة بفـتح الطــاء والهــاء بلا إمالة، وهم ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية حفص، وقالون عند نافع، من السبعة وأبو جعفر ويعقوب من العشرة[1].

وهــذا مــا عــناه الزمخشــري بقولــه: وفخمهمــا ابن كثير وابن عامر على الأصــل، فذكــرها ولــم يذكر غيرها لأنه يخرّج القراءات في تفسيره على السبعة لا علــى العشــرة فلــم يذكــر يعقــوب وأبا جعفر مع الذين فخموها. وذكر من السبعة الذيــن اتفقــت عــنهم الرواية، بالإمالة أو بعدمها، فنجده لم يذكر إمالة الهاء في قراءة نــافع، لأنــه روي عــنه الإمالة في رواية ورش وورد عنه غيرها في رواية قالون. ولــم يذكــر كذلــك تفخــيم عاصــم فــي رواية حفص لأنه روى عنه الإمالة لشعبه، وقولــــه (علــى الأصــل) لأن الأصــل تفخــيم الطــاء المفتوحة لأنها من حروف الاستعلاء، والألف تتبع ما قبلها تفخيماً وترقيقاً[2].

- وتــارة نجــده يذكر الحكم في أصل القراءة باختصار دون شرح أو تفصيل أو عزو ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [فصــلت ٥١]. قــال رحمــه الله: (وقرئ "ونأى بجانبه" بإمالة الألف وكسر النون للإتــباع)[3]. فلــم يبين رحمه الله هذا الأصل من أصول القراءات ولم ينسبه لأحد من القراء ولم يفصل القول في ذلك بل ذكره سريعاً ثم انتقل إلى اللغة والنحو والبلاغة في الآية الكريمة. وتفصيل القراءة في هذا الموضع كالآتي:

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر ٢/ ٥١-٥٢، ورجح، القراءات العشر المتواترة، ص٣١٢.

(٢) مقصورة بتفخيم الطاء والهاء هو الفتح المقابل للإمالة لأن الهاء لا تفخم.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤/٢١١. والمقصود بقوله (كسر النون) إمالتها.

قــرأ بإمالة الهمزة والنون: الكسائي وخلف عن حمزة وخلف في اختياره. وقرأ بإمالة الهمزة وحدها: خلاد عن حمزة. وقرأ بتقليل الهمزة وحدها: ورش عن نافع(١).

- وفي بعض المواضع لا يتردد والزمخشري في الدفاع عن القراءات المتواترة في اختــيارات بعض القراء السبعة، فنجده يدافع عن القراءات ويذكر مسوغاتها من لغة العرب ومن ذلك على سبيل المثال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ [البقرة: ٧].

- يقول رحمه الله متسائلاً كعادته في إثارة المسائل المهمة في تفسيره: (فإن قلت: هــلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة "أبصارهم" ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد؟ قلت: لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية، لما فيه من التكرير كأن فيها كسرتين، وذلك أعون على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال) (٢).

فالزمخشــري هــنا يبين أن استعلاء حرف الصاد في كلمة (أبصارهم) لم يمنع الإمالــة فــي الكلمــة وذلك بسبب الراء المكسورة. وهذا أصل في قراءتي أبي عمرو والكسائي، قال ابن الجزري: (اتفق أبو عمرو من روايتين والكسائي من رواية الدوري على إمالة كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة سواء كانت الألف أصلية أم زائدة نحو (الــدار، الفــار، القهــار، أنصــار، وأشــعارها، وآثارها، وآثــارهم، وأبصارهم، وديارهم...)(٣).

المطلب الثاني: فرش القراءات في تفسير الزمخشري:

الفــرش: هو ما كان من خلاف غير مطرد في حروف القراءات مع عزو كل قــراءة إلى صاحبها من القراء(٤). كالخلاف في قراءة ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:٤] حيــث قــرأها عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مالك) بالألف، وقرأها باقي العشرة

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر ٣٤/٢، وراجع، القراءات العشر المتواترة، ص٤٨٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٩٢/١.

(٣) ابن الجزري، النشر ٤٢/٢، وانظر: الداني، التيسير، ص٥١/٥٢.

(٤) انظر: القاضي، عبد الفتاح، الوافي، ص١٩٩.

(ملك) بلا ألف[١]، فهذه القراءة أو هذا الاختلاف فيها يسمى اختلافاً في الفرش، والفرق بيـن الاختلاف في الفرش والاختلاف في الأصول أن الأول وهو اختلاف الفرش ليس مطـرداً، فلـيس كل موضع جاءت فيه كلمة (مالك) أو كلمة (ملك) في القرآن الكريم اخـتلف فيه القراء اختلافهم في (مالك) التي في سورة الفاتحة ولا تقاس تلك المواضع الأخـرى علـى موضع سورة الفاتحة ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**﴾ [طـه: ١١٤]. وقولـه تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون:١١٦]، وقولـه تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٢٦]. كل هذه الآيات وغيرها من المواضع التي جاءت فيها كلمة (ملـك) لـم يخـتلف فيها القراء اختلافهم في آية الفاتحة. ولذا قال العلماء سمي فرشاً لانتشـار تلـك القراءات واختلافاتها في سور القرآن أي انفرشت فيها وانتشرت، وقد تسمى بالفروع في مقابلة الأصول[٢].

وقـد اهـتم الإمام الزمخشري بفرش القراءات كثيراً، وقد عزوت ذلك إلى أن الاختلاف في فرش القراءات غالباً ما يترتب عليه اختلاف في المعنى أو الإعراب في حين أننا لا نجد ذلك في أصول القراءات واختلافها، والذي كان يعنى به الزمخشري هو إظهـار بلاغـة القرآن وإعجازه والكشف عن معانيه وأحكامه ووجد ذلك في اختلاف القـراء في فرش القراءات. ونستطيع معرفة إكثار الزمخشري من القراءات في تفسيره من عدة جهات هي:

<u>أولاً</u>: كـثرة المواضـع القرآنـية التي ذكر فيها اختلاف القراء في فرش القراءة، وقد أحصيت هذه المواضع بتتبع دقيق فوجدتها قد زادت على ألفين وخمسمائة بين الشاذ والمـتواتر، لكن الذي يعنيني هنا هي المواضع المتواترة حتى وإن ذكر مع التواتر الشاذ فلن أقف عندها إلا بحدود الحاجة إلى ذلك .

---

(١) انظر: شلبي، عبد الفتاح ، المدخل والتمهيد، ص١٠١.

(٢) السابق، ص ١٠١-١٠٢

ثانـــياً: محاولة الزمخشري استقصاء القراءات المتواترة والشاذة في كثير من المواضع فـــي تفســيره، وفي بعض المواضع يذكر عشر قراءات وفي بعضها ذكر أكثر من ذلـك محاولـــة مـــنه لاستقصاء هذه القراءات وفي هذا دلالة واضحة على اهتمامه بالقراءات في تفسيره.

ثالـــثاً: وقوف الزمخشري طويلاً في كثير من الأحيان مع القراءات في الموضع الواحد بيـن الاحـــتجاج[1] للقـــراءات وتوجـــيهها[2] وبيان معانيها وإعرابها ومقارنة بين القـــراءات المخـــتلفة في الموضع الواحد وغيرها مما يدل على اهتمام الزمخشري بالقـــراءات في تفسيره. وفيما يلي سأتناول أمثلة من تفسير الزمخشري تكشف عن إكثار الزمخشري من القراءات في تفسيره.

-من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧]. قال الزمخشري وقـــرئ (جبرئيل) بوزن قفشليل[3]، و (جبرئل) بحذف الياء و(جَبريل) بحذف الهمزة و(جِـــبْريل) بـــوزن قِـــنْديل، و(جـــبرالّ) بلام شديدة و (جبرائيل) بوزن جبراعيل، و(جبرائل) بوزن جبراعل[4].

فالزمخشـــري يذكـــر هـــنا سبع قراءات أربع منها متواترة وثلاث قراءات شاذة، وتفصيل ذلك كالآتي:

قـــرأ ابـــن كثير (جَبريل) بفتح الجيم بلا همز. وقرأ شعبة في روايته عن عاصم (جَبرئل) بفتح الجيم والهمز. وقرأ حمزة والكسائي وخلف (جَبرئيل) بفتح الجيم وثبوت

---

(١) سيأتي تعريف هذا المصطلح والحديث عنه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

(٢) سيأتي تعريف هذا المصطلح والحديث عنه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

(٣) القفشليل كلمة فارسية معربة معناها: المغرفة، انظر: حاشية الكشاف للمحقق ١/١٩٥.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١/١٩٥، وانظر: كذلك عند قوله (ميكال) ١/١٩٧، وغيرها كثير في تفسيره.

الياء مع الهمز. وقرأ باقي العشرة (جِبريل) بكسر الجيم وبالياء بلا همز[1]، وهي التي قال عنها الزمخشري: على وزن قِنديل.

والقراءات الثلاث الباقية شاذة[2].

-ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩]. فذكر قراءة التذكير في قوله (وإن يكن) لأنها قراءة أبي عمرو بن العلاء والزمخشري فسر القرآن على قراءة أبي عمرو كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى[3]، ثم قال: (وقرئ "وإن تكن" بالتأنيث على: وإن تكن الأجنة ميتة، وقرأ أهل مكة "وإن تكن ميتة" بالتأنيث والرفع على كان التامة... [4])، وفي ذلك أشارة إلى قراءة شعبة كما سيأتي.

وتفصيل القراءات في الآية السابقة كالآتي:

جمهور القراء العشرة؛ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحمزة، وعاصم في رواية حفص وخلف ويعقوب، قرأوا: (وإن يكن) بالياء (ميتةً) بالنصب.

وقرأ ابن عامر (وإن تكن ميتةٌ) بالتأنيث والرفع. وقرأ ابن كثير (وإن يكن ميتةٌ) بالتذكير والرفع. وقرأ أبو جعفر (وإن تكن ميّتةٌ) بالتأنيث والرفع مع تشديد ياء (ميتة). وقرأ عاصم في رواية شعبة (وإن تكن ميتةً) بالتأنيث والنصب[5].

ولكن الزمخشري رحمه الله تعالى لم يشر إلى قراءة أبي جعفر بتشديد ياء (ميّتة) ولم يذكر في هذا الموضع قراءات شاذة.

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة ص١٦٦-١٦٧ والداني، التيسير ص٧٥، وابن الجزري، النشر ١٦٥/٢.

(٢) انظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٨. والدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، ص١٨٨.

(٣)في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٦٨/٢.

(٥) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٧٠-٢٧١، والداني، التيسير، ص١٠٧، وابن الجزري، النشر ١٩٩/٢-٢٠٠.

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:١٦١].

ذكر الزمخشري ما فيها من قراءات متواترة وهي أربع قراءات فقال: (وقرئ "يغفر لكم خطيئاتكم" و "نغفر لكم خطاياكم" و "خطيئاتكم" و "خطيئتكم" على البناء للمفعول) [١].

ولم ينسب رحمه الله هذه القراءات لأحد وهي كالآتي: قرأ أبو عمرو ابن العلاء (نغفر لكم خطاياكم) بالنون وهي القراءة التي فسر عليها الزمخشري. وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (تُغفَر لكم خطيئاتكم) بالتاء على البناء للمفعول وجمع (خطيئاتكم). وقرأ ابن عامر الشامي (تُغفر لكم خطيئكم) بالتاء على البناء للمفعول وإفراد (خطيئتكم). وقرأ باقي العشرة (نَغفِر لكم خطيئاتكم) [٢] بالنون وجمع (خطيئاتكم) بإثبات الهمز بخلاف قراءة أبي عمرو بن العلاء إذ كان الجمع فيها (خطاياكم) بغير همز.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى﴾ [يونس٣٥].

قال رحمه الله: "وقرئ "لا يهدي" بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال.

والأصل يهتدي، فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين، وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها"[٣].

وتفصيل ما ذكره الزمخشري من قراءات في الآية الكريمة كالآتي:

قرأ ابن كثير وابن عامر: "أمّن لا يَهَدّي" مفتوحة الياء والهاء مشددة الدال. وقرأ نافع وأبو عمرو "يَهْدّي" بإسكان الهاء وتشديد الدال، غير أن أبا عمرو كان يشم الهاء شيئاً من الفتح، وروى ورش عن نافع "يهَدّي" بفتح الهاء مثل ابن كثير. وقرأ حمزة

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٦٠/٢، وانظر كذلك عند قوله (بئيس) آية ١٦٦ من السورة نفسها ١٦٣/٢.

(٢) انظر: السبعة ص٢٩٠-٢٩٦، والداني، التيسير، ص١١٣-١١٤، وابن الجزري، النشر ٢٠٤/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣٢١/٢.

والكسائي "يهْـدِي" ساكنة الهاء خفيفة الدال، وقرأها كذلك من العشرة خلف باختياره. وقرأ عاصم من رواية شعبة (يِهِدِّي) مكسورة الياء والهاء مشددة الدال وقرأ عاصم من رواية حفص، ويعقوب "يَهَدِّي"بفتح الياء وكسر الهاء مع تشديد الدال[1].

لكن الإمام الزمخشري لم يفصل هذا التفصيل كما أنه لم يعز القراءات إلى أصحابها من الأئمة القراء، بل اكتفى بذكر القراءات بشكل مجمل ثم شرع في شرح الآية وبيان معناها.

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ [النور: ٣٥]. نجده يذكر اربع قراءات في كلمة (دري)[2]، واربع قراءات في كلمة (يوقد) وساقف فقط مع قراءات الكلمة الثانية منهما، قال رحمه الله: "وقرئ (يوقد) و(توقد) بالتخفيف و (توقَّد) بالتشديد، و(يوقد) بحذف التاء وفتح الياء لاجتماعه حرفين زائدين وهو غريب"[3].

ذكر رحمه الله في هذه الكلمة أربع قراءات ثلاث متواترات وواحدة شاذة[4] كالآتي: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (تَوَقَّدَ) بفتح التاء والواو والدال. وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم (يُوقَد) بالياء المضمومة ومن غير تشديد القاف. وقرأ باقي العشرة وهم حمزة والكسائي وخلف وشعبة عن عاصم (تُوقَد) بالتاء المضمومة وفتح القاف من غير تشديد وضم الدال[5].

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٢٦، والداني، التيسير، ص١٢٢. وابن الجزري، النشر ٢/٢١٢-٢١٣.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف ٢/٢٤٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢/٢٤٧.

(٤) هي القراءة الأخيرة (توقّد) عن ابن محيصن والحسن البصري، انظر: الدمياطي، الاتحاف، ص٤١١، وابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٠٢.

(٥) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤٥٦، والداني، التيسير، ص١٦١، وابن الجزري، النشر ٢/٢٤٩. والدمياطي، الاتحاف، ص٤١١.

ومــن المواطــن التــي أكــثر فــيها من استقصاء القراءات، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً....﴾ [يس: ٦٢].

قال رحمه الله: "قرئ (جُبُلاً) بضمتين، وضمة وسكون (جُبْلاً) وضمتين وتشديده (جُبُلاًّ) وكسرتين (جِبِلاً) وكسرة وسكون (جِبْلاً) وكسرتين وتشديده (جِبِلاًّ)"[1].

ذكــر الزمخشــري فــي هــذا الموضــع ست قراءات أربع متواترات واثنتان من الشواذ.

أما المتواترات فهي كالآتي: قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر (جِبِلاًّ) بكسرتين وتشديد اللام. وقــرأ أبــو عمرو بن العلاء وابن عامر الشامي (جُبْلاً) بضمة وسكون. وقرأ روح في روايــته عن يعقوب (جُبُلاًّ) بضمتين وتشديده وقرأ الباقون (جُبُلاً) بضمتين ولا تشديد. وقرأ بالشاذتين حماد بن سلمة والأعمش[2].

وقــد وجــدت الزمخشري يشير أحياناً إلى عدد القراءات في الموضع الواحد، ولعله من باب إظهار حرصه على الجمع واستقصاء جميع القراءات في الكلمة أو الآية القرآنــية مــن ذلــك عند تفسيره لقول الله تعالى في سورة مريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ [مريم:٢٥].

يقــول رحمــه الله تعــالى: (تساقط) فيه تسع قراءات: (تسّاقط) بإدغام التاء. و (تَتَساقط) بإظهار التائين و (تَسَاقط) بطرح التاء الثانية، و(يسّاقط) بالياء، وإدغام التاء و (تُساقِط) و (تَسقُط) و (يَسقُط) و (تُسقِط) و (يُسقِط) التاء للنخلة، والياء للجذع" [3].

ذكــر الزمخشــري فــي هذه الكلمة تسع قراءات لكن ليست كلها متواترة، بل المتواتر منها أربع فقط والباقي من الشواذ، والمتواترات كالآتي:

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٤/٢٦-٢٧.

(٢) انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٢٥. وذكر غيرها ثلاث قراءات شاذة أيضاً.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣/٥١.

قرأ حفص في روايته عن عاصم الكوفي (تُساقِط) بضم التاء وكسر القاف. وقرأ حمزة (تَساقَط) بفتح التاء والسين والقاف. وقرأ يعقوب (يسَّاقَط) بالياء المفتوحة وإدغام التاء بالسين وفتح القاف. وقرأ باقي العشرة (تَسَّاقَط) بإدغام التاء بالسين وفتح القاف[1]. والقراءات الخمس الأخرى ذكرتها كتب الشواذ[2].

وقد تجاوز الزمخشري هذا العدد من القراءات في الكلمة الواحدة ليذكر اثنتي عشرة قراءة في كلمة واحدة، وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۞ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ...**﴾ [النمل: ٦٥-٦٦].

قال رحمه الله تعالى: "وقرئ (بل ادَّارك) و (بل ادّراك) و (بل أدارك) و(بل تدارك) و(بل أألدرك) بهمزتين و (بل آادرك) بألف بينهما و (بل أدرك) بالتخفيف والنقل و (بلَ أدّرك) بفتح اللام وتشديد الدال. وأصله: بل أدرك؟ على الاستفهام و (بلى أدرك) و (بلى أألدرك) و (أم تدارك) و (أم أدرك) فهذه ثنتا عشرة قراءة" [3][4].

هذا الكم من أوجه القراءات في جملة واحدة الذي جمعه الزمخشري مستقصياً جميع ما ذكره أهل القراءات فيها يكشف عن اهتمام عظيم عنده بالقراءات واختلافاتها، والزمخشري ينص على عدد القراءات بعد ذكرها تنويهاً منه إلى كثرتها وضرورة أن يهتم القارئ بها، صحيح ليست كلها متواترة لكن الشاذ أيضاً له دور لا يمكن إغفاله في تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه.

---

(١) انظر، السبعة ص٤٠٩، والداني، التيسير، ص١٤٩، وابن الجزري، النشر ٢٣٨/٢، والدمياطي، الاتحاف ٣٧٧.

(٢) انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ ص٨٤، وأشار ابن خالويه إلى اجتماع تسع قراءات في الكلمة.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣٨٣/٣.

(٤) المتواتر منها (بلْ أدرَك) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وباقي العشرة قرأوا (بل ادّارك)، انظر، السبعة ٤٨٥، والتيسير، ص١٦٨، والنشر ٢٥٤/٢، وباقي القراءات في الشواذ، ص١١٠، والاتحاف ٤٣١.

ومما يلحظ على الإمام الزمخشري أنه يعرض القراءات دون تفريق منه بين المتواتر والشاذ في أحيان كثيرة، ومعلوم أن القراءة الشاذة ليست بمنزلة القراءة المتواترة نعم يستفاد من الشاذ في قضايا الإعراب واللغة وبيان المعنى أو ترجيح معنى على آخر لكن تبقى المتواترة هي المقدمة في كل ذلك، وإذا كنا لابد آخذين بالشاذ في التفسير فليس أقل من الإشارة إلى شذوذها في مقابل القراءة المتواترة.

وأسوق نماذج من مواضع في تفسير الزمخشري ذكر فيها القراءة الشاذة إلى جانب المتواترة دون تفريق بينهما مما يوهم تواترها، فمن ذلك.

عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام: ١٤].

قال الزمخشري: "قرئ (فاطر السماوات) بالجر صفة لله تعلى، وبالرفع على المدح[١] وقرأ الزهري (فطر)" [٢].

فالقراءتان الأوليان عطف إحداهما على الأخرى مع التوجيه ثم قال وقرأ الزهري، وهذا يوهم أنهما بمنزلة واحدة أو على الأقل لا يفهم من كلام الزمخشري هل هما بمنزلة واحدة من جهة التواتر وعدمه؟ وكان الأولى أن يميز بينهما بما يشعر القارئ أن الأولى متواترة والثانية ليست كذلك وبالرجوع إلى علماء القراءات نجد ما يلي:

---

(١) هكذا هي مثبته (بالرفع على المدح) والمدح يكون على قراءة النصب: أمدح فاطر السماوات. ولا تكون على قراءة الرفع. ولذا جاء في تفسير البيضاوي (١٥٦/٢) وتفسير أبي السعود (٣٦٢/٢) والألوسي (١٤/٧) وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهذا هو الصحيح لا ما أثبته الطابع في تفسير الزمخشري ولعله خطأ طباعي.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١١/٢، وانظر: كذلك عند قوله "ثم لم تكن فتنتهم " الأنعام/ ٢٣، الكشاف١٤/٢.

قراءة الجر (فاطرِ السماوات) التي قال فيها الزمخشري (صفة لله) هي المتواترة قرأ بها الأئمة العشرة دون مخالف. وقراءة الرفع (فاطرُ السماوات) شاذة. قرأ بها ابن أبي عبلة[١]، وقراءة الزهري (فطر) ذكرها ابن خالويه في الشواذ أيضاً[٢]، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]. قال الزمخشري: "وقرئ (يفرطون) بالتشديد والتخفيف، فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به أولا يزيدون فيه" [٣].

وكلام الزمخشري هنا أيضاً يوهم أن القراءتين بمنزلة واحدة من حيث القوة والصحة، والحقيقة غير ذلك، لأن قراءة التشديد هي المتواترة وقراءة التخفيف شاذة[٤]، وكان من الأولى الإشارة إلى شذوذ الثانية، وإن كان التوجيه الذي ذكره الزمخشري للآية على القرائتين غاية في الإبداع.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١١٠].

قال الزمخشري: "وقرئ (يقطَّع) بالياء و(يقطع) بالتخفيف، و(تَقطَّع) بفتح التاء بمعنى تتقطع و (تقطع) قلوبهم على أن الخطاب للرسول ﷺ أي: إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم" [٥].

---

(١) انظر: البحر المحيط ٤/٩٠.

(٢) انظر:" ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص٣٦.

(٣) الكشاف ٢/٣٢.

(٤) انظر: البحر المحيط، ٤/١٥٢-١٥٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٩٨، وانظر مثل ذلك قوله تعالى (خطئاً كبيراً) الاسراء/ ٣١، الكشاف ٢/٦٢١.

وبالنظر في هذه القراءات التي ذكرها الزمخشري نجد الآتي:

أن القــراءة الأولــى (يقطع) بالياء شاذة ذكرها ابو حيان في البحر المحيط[١]. والقــراءة الثانــية (تقطع) بالتخفيف شاذة كذلك ذكرها أبو حيان في البحر[٢]. والقراءة الثالثة (تقطَّع) بفتح التاء بمعنى تتقطع، متواترة. قرأ بها ابن عامر، وحمزة وأبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب[٣]. والقراءة الرابعة (تُقطِّع) على خطاب الرسول ﷺ شاذة ذكــرها أبو حيان في البحر[٤].والقراءة التي فسر عليها الآية وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء (تُقطَّع) بضم التاء وتشديد الطاء المفتوحة[٥].

نلاحــظ كيف خلط الزمخشري القراءات الشاذة بالمتواترة دون تفريق أو تمييز ودون أدنى إشارة إلى تواتر تلك أو شذوذ الأخرى.

ومــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً﴾** [الفرقان:٢٥].

ذكــر رحمــه الله القــراءات في الآية الكريمة فقال: "وقرئ (ونُنْزِلُ الملائكةَ) و(تَــنَزَّل الملائكــةُ) و(نَــزَّلَ الملائكــةَ) (ونُزِّلت الملائكةُ) و(أُنْزِلَ الملائكةَ) و(نَزَلَ الملائكــةُ) و(نُزِّلُ الملائكةَ) على حذف النون الذي هو فاء الفعل من (ننزل) قراءة أهل مكة" [٦].

فالزمخشــري فــي هــذه الآية يذكر سبع قراءات دون تفريق بين متواتر وشاذ ودون الإشــارة كذلــك إلى أصحاب هذه القراءات مما يشكل على الناظر فيها تواتر أو شذوذ القراءة وبالرجوع إلى كتب القراءات نجد ما يلي:

---

(١) انظر: البحر المحيط ٥/١٠٤-١٠٥.
(٢) انظر: البحر المحيط ٥/١٠٤-١٠٥.
(٣) انظر، ابن مجاهد، السبعة، ص٣١٩، والداني، التيسير، ١٢٠، وابن الجزري، النشر ٢/٢١١.
(٤) البحر المحيط ٥/١٠٥.
(٥) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣١٩، الداني، التيسير، ص١٢٠، وابن الجزري، النشر ٢/٢١١.
(٦) الزمخشري، الكشاف ٣/٢٨٠، وانظر: كذلك قوله تعالى (تلقونه) النور/ ١٥، الكشاف ٣/٢٢٣، وغيرها مواطن كثيرة في كشاف الزمخشري.

القـــراءات المـــتواترة فـــي الآية الكريمة هي قراءة ابن كثير (ونُنْزِلُ) بنونين و(الملائكةَ) بالنصب. وقرأ باقي العشرة (ونُزّل) بنون واحدة مشددة الزاي على البناء للمفعول و(الملائكةُ) بالرفع[١].

وباقي القراءات التي ذكرها الزمخشري في الآية الكريمة شاذة لا يقرأ بها[٢].

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحجرات:٤].

تحدث رحمه الله عن الحجرة ثم قال: وجمعها (الحُجُرات) بضمتين (الحُجَرات) و(الحُجْرات) بتسكينها وقرئ بهن جميعاً[٣].

فالزمخشـــري هـــنا يذكر ثلاث قراءات في كلمة (الحجرات) ويقول وقرئ بهن جميعاً وبالرجوع إلى كتب القراءات وجدت ما يلي:

قرأ أبو جعفر (الحُجَرات) بضم الحاء وفتح الجيم، وهي الثانية عند الزمخشري. وقرأ باقي العشرة (الحُجُرات) بضمتين[٤].

لكـــن القـــراءة الثالثة عند الزمخشري التي جعلها مع سابقتيها وقال وقرئ بهن جميعاً شاذة قرأ بها ابن أبي عبلة[٥].

ومـــثل هـــذه المواطـــن كثـــيرة في تفسير الزمخشري لا يفرق فيها بين الشاذ والمـــتواتر ولا يشير إلى شذوذ الشاذ، وسيأتي معنا مزيد أمثلة في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤٦٤، والداني، التيسير، ص١٦٣، وابن الجزري، النشر ٢/٢٥٠.

(٢) انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٠٤، والدمياطي، الاتحاف، ص٤١٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣٥٩/٤، وانظر: كذلك قوله تعالى (أن كان ذا مال) القلم/ ١٤، الكشاف ٥٩٣/٤.

(٤) انظر: ابن الجزري، النشر ٢٨١/٢، والدمياطي، الاتحاف، ص٥١٢.

(٥) انظر: ابن خالويه، الشواذ ١٤٣، والدمياطي، الاتحاف ٥١٢-٥١٣.

ولم أجد الإمام الزمخشري يشير إلى شذوذ القراءة إلا في موضعين أو ثلاثة في تفسيره بشكل صريح أي بذكر الشذوذ وإن كان يشير إلى الشاذ أحياناً في مقابل المتواتر بصورة غير مباشرة كأنْ يقول وفي غير المتواترة، أو في غير المشتهرة، ويقصد بذلك الشاذة كما سنعرف في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى. ومن المواضع التي نص فيها على شذوذ القراءة في تفسيره:

عند تفسيره لقول الله تعالى في قصة موسى في مدين: ﴿**قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ [القصص:٢٨].

قال الزمخشري: فإن قلت: ماالفرق بين موقعي (ما) المزيدة[١] في القراءتين (أيما)؟ قلت: وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام (أي) زائدة في شياعها، وفي الشاذة تاكيداً للقضاء كأنه قال: أي الأجلين صممت على قضاءه وجردت عزيمتي له[٢].

القراءة المتواترة في قوله (أيَّما) هي قراءة تشديد الياء. قرأ بها جميع القراء العشرة.

والقراءة الشاذة (أيْما) بسكون الياء كما نص عليها الزمخشري وهي قراءة الحسن البصري، وقراءة العباس بن الفضل عن أبي عمرو بن العلاء[٣].

---

(١) القول بالزيادة في القرآن عند النحويين قول لا نرتضيه، فكل كلمة بل كل حرف في القرآن الكريم جاء لغرض مهم ورسالة خطيرة ولا يسد غيره مسده ، كما لا نقول بزيادة شيء في القرآن الكريم، وليس المقام مقام مناقشة الزمخشري وغيره في مسألة الزيادة في القرآن.

(٢) الكشاف ٤١٠/٣.

(٣) انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١١٢، والبحر المحيط ١١٠/٧.

المبحث الثاني

عزو القراءات ونسبتها عند الزمخشري في تفسيره

المطلب الأول: عزو القراءة للمصر

المطلب الثاني: عزو القراءة للقارئ أو الراوي

المطلب الثالث: الخطأ في عزو القراءات عند الزمخشري

المطلب الرابع: عزو القراءة للنبي ﷺ

المبحث الثاني

عزو القراءات ونسبتها عند الزمخشري في تفسيره

لم يلتزم الزمخشري بنسبة القراءات وعزوها إلى أصحابها في تفسيره الكشاف، بل إن أغلب القراءات في تفسيره يصدرها بلفظ (وقرئ)[1] وفي الوقت نفسه عزا بعضها، وقد سلك إمامنا الزمخشري مسالك متعددة في عزو القراءات ونسبتها إلى أصحابها في تفسيره فنجده تارة ينسب القراءة لمصر من الأمصار الإسلامية المختلفة التي برع فيها إمام من أئمة القراءة فيقول: قرأ أهل مكة، ويقصد بذلك قراءة ابن كثير أو يقول في مصاحف أهل الشام ويقصد قراءة ابن عامر الشامي أو يقول: وفي قراءة أهل الكوفة ويقصد قارئاً أو قارئين أو أكثر من قراء الكوفة وهكذا. وتارة نجده يعزو القراءة وينسبها لإمام من أئمة القراءة باسمه أو وصفه أو كنيته كأن يقول قرأ نافع أو قرأ يزيد بن القعقاع أو قرأ أبو جعفر، وتارة ينسبها للراوي من رواة قراءات الأئمة...وهكذا. وتارة نجده رحمه الله ينسب القراءة لأحد أصحاب النبي ﷺ أو أحد التابعين ممن اشتهروا بالإقراء ونقل القراءات وتعليمها للناس. وتارة يقول وهذه قراءة النبي ﷺ ولا تكون إلا شاذة، وكان يعتري هذه النسبة الخطأ أو عدم الدقة في بعض الأحيان. وفي الصفحات القليلة القادمة سأبين ما توصلت إليه في دراستي لطريقة الإمام الزمخشري في عزو القراءات ونسبتها إلى أصحابها في تفسيره الكشاف مقسمة إلى مطالب أربعة:

---

(١) انظر: أمثلة على ذلك في تفسيره الكشاف، جزء ٥٦/١، ٨٧، ١٠٠، ١١٦، ٢٣٧، ١٥٦، ٥٣٢.
جزء٢/ ١٢، ١٣، ٣٨، ٧٣، ١٢٧، ٢٠٥، ٢٢٨، ٣٤٢، ٤٦٣، ٦٢٤.
جزء٣/ ٤٦، ٦٣، ١٦٧، ٢١٣، ٢٨١، ٣٧٥، ٤٥١، ٥١٩، ٦١٢.
جزء ٤/ ٤٤، ٩٤، ٢٣١، ٣٥١، ٤٦١، ٥٢٥، ٦٧٤، ٧٢٧، ٨١٧ وغيرها مئات المواضع.

المطلب الأول: عزو القراءة للمصر:

بعـد أن جمـع عـثمان بـن عفـان رضـي الله عـنه الناس على مصحف واحـد ووزع نسـخاً مـن هـذا المصـحف علـى الأمصار الإسلامية، آلت القراءة فـي كـل مصـر مـن هـذه الأمصـار إلـى علـم من أعلام القراءات في القرن الثانـي وبدايـة القـرن الثالـث وأجمـع الـناس فـي كل مصر على قراءة إمامهم مـن القـراء العشرة أئمة القراءة فالمقصود بالمصر إذن في عنوان المطلب هو مصر القـارئ من القراء العشرة، وأمصار القراءة كما سبقت الإشارة إليها هي: الشام، ومكة المكـرمة، والمدينة المنورة، والبصرة، والكوفة، والقراء العشرة وغيرهم ينتسبون لهذه الأمصـار الخمسـة، فمن الشام ابن عامر، ومن مكة المكرمة ابن كثير، ومن المدينة المـنورة نافع المدني ويزيد بن القعقاع (أبو جعفر) ومن البصرة أبو عمرو بن العلا ء ويعقوب الحضرمي، ومن الكوفة حمزة وعاصم والكسائي وخلف.

وبتتـبع القـراءات فـي تفسـير الزمخشـري كثـيراً مـا نجـده يقول قرأ أهـل الحرميـن، أو فـي مصـاحف أهـل الشـام أو يقـول قـرأ الكوفـيون، فإذا أطلـق الزمخشـري المصـر فإنـه يقصـد إمـام أو أئمـة ذلـك المصر أو أحدهم فإذا قال: قرأ أهل المدينة على سبيل المثال فليس بالضرورة أن يكون قرأ بهذه القراءة نافع وأبو جعفر، بل يمكن أن يكون قد قرأ بها أحدهما، وإذا قال: قرأ أهل الكوفة أو في مصـاحف أهل الحجاز، فليس بالضرورة أن تكون هذه القراءة قد أجمع عليها أهل ذلك المصـر بـل يكفي أن يقرأ بها أحدهم أو أكثرهم. وفيما يلي بعض النماذج من تفسير الزمخشري يعزو فيها القراءة للمصر من الأمصار الإسلامية.

مـن ذلك مثلاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٤٣].

ذكـــر الزمخشـــري قولـــــه (ومـــا كـــنا لنهتدي) ثم قال: (وفي مصاحف أهل الشام: (ما كنا لنهتدي) بغير واو) [١].

وبالـــرجوع إلـــى كتـــب القـــراءات وجـــدت أن ابن عامر الشامي قرأها بغير واو (ما كنا) وباقي العشرة قرأوها بالواو [٢].

ومـــن ذلـــك أيضـــاً عـــند تفســـيره لقـــول الله تعـــالى: **﴿والحبُّ ذو العصف والريحان﴾** [الرحمـــن: ١٢] قـــال الزمخشـــري: "وفـــي مصاحف أهل الشام (والحبَّ ذا العصـــف والـــريحان﴾ أي: وخلـــق الحـــب والـــريحان، أو أخـــص الحـــبَّ والريحان" [٣].

قـــال ابـــن مجـــاهد فـــي كـــتابه السـبعة: "قـــرأ ابن عامر وحده (والحبَّ ذا العصف والريحان) بالنصب، وقرأ الباقون، (والحب ذو العصف)" [٤].

ومـــن ذلـــك أيضـــاً عـــند تفســـيره لقـــول الله تعالى: **﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۞ الذي جعل لكم الأرض مَهْداً وسلك لكم فيها سُبُلاً﴾** [طه: ٥١-٥٣].

قال رحمه الله: "(مهداً) قراءة أهل الكوفة" [٥].

وقـــد قـــرأ أئمـــة الكوفـــة وهم عاصم وحمزة والكسائي وخلف بهذه القراءة، وقرأ باقي الأئمة العشرة (مهاداً)" [٦].

ومـــن ذلـــك، عند تفسيره لقول الله تعالى: "**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السماوات السبع ورب العرش**

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٠٠/٢

(٢) انظر، ابن مجاهد، السبعة، ص٢٨٠، والداني، التيسير، ص١١٠، ابن الجزري، النشر ٢٠٢/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤٤٤/٤.

(٤) السبعة، ص٦١٩، وانظر، الداني، التيسير، ص٢٠٦، وابن الجزري، النشر ٢٨٤/٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٦٩/٣.

(٦) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤١٨، والداني، التيسير، ص١٥٢، وابن الجزري، النشر، ٢٤٠/٢.

العظيم، سيقولون لله قل أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل فأنى تسحرون" المؤمنون/ ٨٤-٨٩.

في قوله (سيقولون لله) قال الزمخشري: "قرئ: الأولى باللام لا غير، والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين، والكوفة، والشام، وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة"(١).

وبالرجوع إلى كتب القراءات نجد ما يلي:

قرأ البصريان أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي (سيقولون الله) في الثاني والثالث. وقرأ الحرميان نافع وابن كثير ومعهم كذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، والكوفيون، عاصم، وحمزة، والكسائي ومعهم خلف العاشر. والشامي ابن عامر (سيقولون لله) في المواضع الثلاثة(٢).

نلاحظ أنه قد يكون مقصود الزمخشري أن هذه القراءة في مصحف المصر كذلك بالإضافة إلى كونها قراءة إمام أو أئمة ذلك المصر، ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٠٧]. قال الزمخشري: "في مصاحف أهل المدينة والشام (الذين اتخذوا) بغير واو.."(٣). قال ابن مجاهد: "قرأ نافع وابن عامر (الذين اتخذوا) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي (والذين) بواو، وكذلك هي في مصاحفهم"(٤). وبتخريج القراءة على العشرة نضيف قراءة أبي جعفر إلى قراءة أهل المدينة لأنه قرأها بغير واو أيضاً(٥).

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢٠٢/٣.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤٤٧، والداني، التيسير، ص١٠٩، وابن الجزري، النشر ٢٤٦/٢-٢٤٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٢٩٤/٢.

(٤) ابن مجاهد، السبعة، ص٣١٨.

(٥) انظر: ابن الجزري، النشر ٢١١/٢.

- ومـــن ذلــك أيضـــاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يــس:٣٣- ٣٥]. قال الزمخشري: قرئ (وما عملت) من غير راجع -يقصد الضمير فــي (عملــته)- وهـــي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وفي مصاحف أهل الحرمين والبصـــرة والشام مع الضمير"(١). فنسب رحمه الله القراءة لأهل المصر مشيراً إلى أنها كذلك مرسومة في مصاحفهم التي بعث بها إليهم عثمان رضي الله عنه.

يقـــول ابـــن الجـــزري فـــي النشر: اختلفوا في (وما عملته ايديهم) فقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر(٢)، (عملت) بغير هاء وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وقرأ الباقون بالهاء، ووصلها ابن كثير على أصله وهو في مصاحفهم كذلك" (٣).

وغير هذه المواضع التي ذكرتها هناك مواضع كثيرة جداً نسب فيها الزمخشري القراءة لمصر القارئ(٤).

المطلب الثاني: عزو القراءة للقارئ أو الراوي:

الأصـــل أن يعزو المفسر القراءة إلى الإمام الذي قرأ بها من الأئمة العشرة، أو إلـــى الـــراوي عـــن هذا الإمام من الرواة المشهورين عند علماء القراءات، ولكل إمام راويـــان كما عرفنا في التمهيد من هذا الباب، وقد عرفنا كذلك أن الإمام الزمخشري لم يلـــتزم عزو القراءات إلى أصحابها في تفسيره وإن كان عزا بعضها، كما أنه لم يلتزم بتخريج القراءات على الأئمة العشرة بل خرج كذلك لأصحاب القراءات الشاذة، لكنه في

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٨/٤.

(٢) أبو بكر: هو شعبة بن عياش راوي قراءة عاصم.

(٣) ابن الجزري، النشر ٢٦٥/٢.

(٤) انظر مثلاً الكشاف ٢١٧/١، ٤٠٤، و ٢٩٠/٢، ٢٩٤، و ١٨/٣، ١٩، ٥٩، ٦٩، ٤١٦، و ١٨/٤، ١٦٤، ١٦٥، ٤٧٨، وغيرها.

أغلب أحيانه يخرِّج للأئمة السبعة، والذي يعنينا في هذا المطلب هو تخريجه للقراءات المتواترة لأن الأطروحة في القراءات المتواترة ولا نذكر الشاذ إلا في حدود الحاجة الضيقة.

وفيما يلي أمثلة لقراءات متواترة نسبها الزمخشري وعزاها لأصحابها من أئمة القراءة أو رواتهم: من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ**﴾ [آل عمران: ٨١].

قال الزمخشري: "وقرئ (لَمَا آتيناكم) وقرأ حمزة (لِمَا أتيتكم) بكسر اللام..."[١].

وهي كذلك عند أهل القراءات، قرأ حمزة (لِمَا أتيتكم) بكسر اللام، على أن القراءة الأولى التي صدرها بلفظ (وقرئ) للمدنيين نافع وأبي جعفر يزيد بن القعقاع[٢].

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٨]. قال الزمخشري: "وقرأ يزيد بن القعقاع (لكنَّ الذين اتقوا) بالتشديد"[٣]. وهي كذلك في كتب القراءات[٤].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**﴾ [الكهف: ٣٨]. قال الزمخشري: "قرأ ابن عامر بإثبات ألف (أنا) في الوصل والوقف جميعاً وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة، وغيره لا يثبتها إلا في الوقف"[٥].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٤٠٦/١، وانظر: أيضاً نماذج في الصفحات ٢٠٤، ٤٠٧، ٤٧٣، ٤٤٨، ٤٨٧. وغيرها.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة ٢١٣-٢١٤، والداني، التيسير، ص٨٩، وابن الجزري، النشر ١٨١/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١٨٧/١.

(٤) انظر: ابن الجزري، النشر ١٨٥/٢، والدمياطي، الاتحاف، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٦٧٥/٢، وانظر: أيضاً نماذج أولى في الصفحات: ١١، ٩٠، ١١٥، ١٢٩، ٢٠٩، ٣٥٣، ٣٦٥، وغيرها.

وفـــي كتـــب القراءات وجدت ما ذكره الزمخشري وهو أن القراء جميعاً وقفوا عليها بالألف وفي الوصل أثبت ابن عامر الألف وحده وباقي القراء بغير ألف[١].

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً ۝ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ [مـــريم: ٢٣-٢٤]. قـــال الزمخشري: "قرأ ابن وثاب والأعمش وحمـــزة وحفـــص (نسياً) بالفتح"[٢]. نسب القراءة هنا لأصحاب الشواذ ولإمام من أئمة القـــراءة السبعة ولأحد الرواة عن السبعة وهو حفص، ولم يذكر القراءة الأخرى (نِسياً) بكســـر النون لأنها قراءة أبي عمرو بن العلاء وهو يفسر القرآن على قراءة أبي عمرو لذلك ذكر القراءة الأخرى فقط. قال ابن مجاهد: "اختلفوا في كسر النون وفتحها من قوله (نسياً منسياً) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي (نِسياً) بكسر النون، وقـــرأ حمزة (نَسياً) بفتح النون. واختلف عن عاصم، فروى أبو بكر عنه (نِسياً) كسراً وروى حفص (نَسياً) فتحاً مثل حمزة)[٣]. ثم قال الزمخشري في الموضع نفسه: (وقرأ نـــافع وحمـــزة والكســـائي وحفص (من تحتها))[٤]. بعد أن ذكر القراءة الأخرى (مَن تحتَها) بفتح الميم التي هي قراءة أبي عمرو التي فسر الزمخشري القرآن وفقها. ونلحظ أيضـــاً أن الزمخشـــري كعادته غالباً خرج هذه القراءة على الأئمة السبعة وليس على العشرة وهي عند القراء العشرة كالآتي: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر شعبة عن عاصم ورويس عن يعقوب الحضرمي (مَن تحتَها) بفتح الميم والتاء. وقرأ نافع وحمزة والكســـائي وحفـــص عن عاصم وخلف وأبو جعفر وروح عن يعقوب الحضرمي (مِن تحتِها) بكسر الميم والتاء[٥].

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٩١، والداني، التيسير، ص١٤٣، وابن الجزري، النشر ٢٣٣/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١٤/٣، وانظر الصفحات: ١٣، ١٨، ١٥٠، ٢٠١، ٥٠١، ٥٣٥، وغيرها.

(٣) ابن مجاهد، السبعة، ص٤٠٨، وانظر الداني، التيسير، ص١٤٨، وابن الجزري، النشر ٢٣٨/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١٤/٣.

(٥) انظر، ابن مجاهد، السبعة، ص٤٠٨-٤٠٩، والداني، التيسير ١٤٨، وابن الجزري، النشر ٢٣٩/٢.

ومـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ۞ أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ [مريم:٦٦-٦٧].

قـــال الزمخشـــري: (القراء كلهم على (لا يذكّر) بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصماً رضي الله عنهم، فقد خففوا، وفي حرف أبي (يتذكر))[١].

وفي هذه القراءة يقول صاحب السبعة: (قرأ نافع وعاصم وابن عامر (أولا يذْكر الإنسان) ساكنة الذال مخففة. وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي (يذكّر) بفتح الذال وتشديدها وتشديد الكاف[٢].

وهـــذا عين ما قاله الزمخشري لأنه خرّج هذه القراءة على السبعة، ويمكن أن يكون تخريج الزمخشري على القراء العشرة لأن الثلاثة قرؤوها (يذكّر) بفتح الذال وتشديدها وتشديد الكاف كذلك كقراءة أبي عمرو[٣].

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ [طه: ١١-١٢].

قـــال الزمخشري: "قرأ أبو عمرو وابن كثير (أني) بالفتح... وكسر الباقون"[٤]. وهي كذلك عند أهل القراءات غير أن فيها تفصيلاً وزيادة لأن الزمخشري هنا خرجها على السبعة، وهي على العشرة كالآتي:

قـــرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر (أنيَ أنا) بفتح الهمزة والياء، وقرأ نافع وحـــده (إنـــيَ أنـــا) بكسر الهمزة وفتح الياء وقرأ باقي العشرة (إنيْ أنا) بكسر الهمزة وإسكان الياء[٥].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٤/٣.

(٢) ابن مجاهد، السبعة، ص٤١٠.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر ٢١١/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٥٦/٣، وانظر كذلك الصفحات: ٦٣/٣، ١٥٠/٣، ٢١٠/٣، ٤١٦/٣، ٥٠١/٣.

(٥) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤١٧، والداني، التيسير، ص١٥١، وابن الجزري، والنشر ٢٤١/٢.

ونجـد الزمخشري أحياناً يعزو القراءة للمصر وللقارئ في الوقت ذاته، فيقول مثلاً قرأها نافع المدني، أو ابن عامر الشامي أو يقول هي في مصاحف أهل مكة وهي قراءة ابن كثير وهكذا، ومن أمثلة ذلك في تفسيره:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:١٠٠].

قـال الزمخشري: "وفي مصاحف أهل مكة (تجري من تحتها) وهي قراءة ابن كثير، وفي سائر المصاحف تحتها بغير من"[١].

من خلال متابعتي لتفسير الكشاف في جانب القراءات خاصة المتواترة، وجدته إذا قال في مصحف أهل كذا فإنه يعني غالباً قراءة إمام ذلك المصر، ومن هنا أرى أنه لمـا قـال: (في مصاحف أهل مكة) فإنه يعزو القراءة لمصر القارئ ثم عزاها للقارئ نفسه وهذا منتشر بين أهل القراءات وأهل التفسير.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: "**إن إلينـا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**" الغاشية/ ٢٥-٢٦.

قال الزمخشري: (وقرأ أبو جعفر المدني (إيَّابهم) بالتشديد.....)[٢].

وهذا أيضاً منتشر عند القراء والمفسرين وانتشاره أكثر من السابق؛ أقصد قوله: أبو جعفر المدني وابن عامر الشامي وهكذا.

وكثـيراً مـا نجد الزمخشري يعزو القراءة لأصحاب القراءات الشاذة كالحسن البصري[٣]، والأعمش[٤]، وابن محيصن وغيرهم. أو يعزوها لأصحاب المصاحف من

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/٢٩٠.

(٢) السابق ٤/٧٤٧.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف، ١/٢٧٩، ٢٩٢، ٣٣٥، ٢/٣٤٢، ٣٤٩، ٣/١٥٨، ١٥٩، ١٦٠.

(٤) انظر السابق: ١/١٨٣، ٢٥٧، ٢٨٠، ٣٢٣، ٢/٢١٩، ٤٣٩، ٣/١٨٤، ١٩٥، ٣١٧.

الصحابة كابن مسعود[1]، وأُبي[2]، وابن عباس[3]، وغيرهم ، لكن الذي يعنينا في هذه الأطروحة هو القراءات المتواترة التي قرأ بها الأئمة العشرة.

وصف القراءة:

فيما سبق كان الحديث عن عزو القراءات للقارئ أو الراوي لكني وجدت الزمخشري في بعض الأحيان يكتفي بوصف القراءة ولا يعزوها لمن قرأ بها أو لمصره أو يصفها ويعزوها .

كأن يقول (قراءة العامة) ويقصد المتواترة في مقابلة الشاذة أو قراءة الجمهور في مقابلة من تفرد من القراء المشهورين بقراءة ، أو يقول: (وفي المشهورة) ويقصد المتواترة، أو يقول (القراءة الشائعة كذا..) وفيما يلي بعض الأمثلة لذلك من تفسيره الكشاف.

من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف:٤٠].

قال الزمخشري: (وقرأ ابن عباس (الجُمُل) وسعيد بن جبير (الجَمَل) بوزن النفر.

وقرئ (الجُمْل) بوزن القفل، و(الجَمْل) بوزن النصب، و(الجَمَل) بوزن الحبل، ومعناها القلس[4] الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة، وعن ابن عباس رضي

(١) انظر السابق: ١/١٦١، ١٦٣، ١٧٧، ١٨٦، ٢٥٦، ٢٨٣، ٢/١٩٨، ٢١٩، ٣١٧، ٣/١٥٩، ١٨٩.

(٢) انظر السابق: ١/١٨٦، ١٩٣، ٣٠٣، ٣٢١، ٢/٢٢٣، ٢٨٦، ٣١٣، ٣/١٧٥، ٣٦٦.

(٣) انظر السابق: ١/٢٥٧، ٣٠٧، ٢/٢٢٠، ٣٦٩، ٣/٢٤٥، ٣٦٨، ٤٠٣.

(٤) القلس: هو حبل السفينة تجمع حبال وتفتل وتصير حبلاً واحداً، وقيل هو الحبل الذي يصعد به في النخل وقيل غير ذلك، لكنه يشير إلى الحبل الغليظ، انظر: البحر المحيط ٤/٣٠٠.

الله عنهما أن الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل، يعني أن الجمل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة، والبعير لا يناسبه، إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك[١].

فالزمخشـــري رحمـــه الله يذكـــر في هذه الكلمة خمس قراءات من الشواذ[٢]، فـــي مقابل القراءة المتواترة عن الأئمة العشرة، ثم قال في نهاية كلامه: (إلا أن قراءة العامـــة أوقـــع) فعـــنى بهـــذا الوصـــف (قـــراءة العامة) القراءة المتواترة في مقابلة القراءة أو القراءات الشاذة.

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾ [هود:١٠٦]. قال الزمخشري: (قراءة العامة بفتح الشين، وعن الحسن (شُقُوا) بالضم) [٣].

فالزمخشـــري هـــنا يصـــف القـــراءة بقوله (قراءة العامة) ويعني بذلك القراءة المتواترة التي قرأ بها الأئمة العشرة دون مخالف، في مقابلة قراءة شاذة قرأ بها الحسن البصري رحمه الله تعالى[٤].

لكـــن ليس كل إطلاق للزمخشري على القراءة (قراءة العامة) يعني به القراءة المـــتواترة فـــي مقابلة القراءة الشاذة، فقد وجدته رحمه الله تعالى يطلق وصف (قراءة العامـــة) على قراءة متواترة قرأ بها جمهور أئمة القراءة في مقابلة قراءة متواترة أيضاً لكن تفرد بها إمام من أئمة القراءة أو قرأ بها إمامان وهكذا.

مـــن ذلك على سبيل المثال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا**

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٩٩/٢.

(٢) انظر: ابن خالويه، مختصر الشواذ، ٤٣. وفي ضبطها اعتمدت على معجم القراءات القرآنية ٣٦٠/٣

(٣) الزمخشري، الكشاف ٤٠٥/٢، وانظر مثل ذلك في الكشاف ٢٧٣/٢ و ٧٢/٣، وغيرها.

(٤) انظر: ابن خالويه، مختصر الشواذ، ص٦١.

﴿...بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

فبعد أن ذكر الزمخشري قراءة جمهور القراء (فأذنوا) وفسر الآية على هذه القراءة قال رحمه الله تعالى: "وقرئ (فآذنوا) فاعلموا بها غيركم، وهو من الأذن وهو الاستماع ، لأنه من طرق العلم، وقرأ الحسن (فأيقنوا) وهو دليل لقراءة العامة"[١].

وتفصيل القراءة في هذا الموضع كالآتي:

قرأ حمزة وشعبة (فآذنوا) وقرأ باقي الأئمة العشرة (فأذنوا). فالزمخشري هنا يطلق (قراءة العامة) ويعني بذلك قراءة جمهور أئمة القراءة. في مقابلة قراءة متواترة أخرى قرأ بها إمامان من الأئمة.

ولكن من المعلوم عند جميع أهل العلم من القراء والمفسرين وغيرهم أن أي قراءة لأي إمام من القراء العشرة هي متواترة لا ريب في ذلك[٢]. ومعنى أن ينفرد بها إمام دون غيره من الأئمة لا ينقص من قدرها بل هي قرآن لا يشك في ذلك أحد من أهل العلم فهي ثابتة متواترة عن طريق هذا الإمام كما تواتر غيرها من طريق غيره من الأئمة.

ومن الأوصاف التي اطلقها الزمخشري رحمه الله على القراءات أيضاً (المشهورة) أو (المشتهرة) من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٤٩/١.

(٢) بحثت هذه المسألة مفصلة في التمهيد من هذا الباب.

فسر رحمه الله الآية على القراءة المتواترة (فأن لله) ثم قال : (وروى الجعفي عن أبي عمرو (فإن لله) بالكسر وتقويه قراءة النخعي (فلله خمسه) والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب...) [١].

فالزمخشري هنا وصف القراءة المتواترة بـ (المشهورة) وهو لا يعني يقيناً (المشهور) باصطلاح أهل الحديث الذي هو أقل في درجة ثبوته من المتواتر، بل عنى رحمه الله المشهورة عند أهل القرآن بالتواتر لأنه ذكر مقابلها قراءة شاذة لم تتواتر عن أبي عمرو بن العلاء[٢].

وقد ذكر الزمخشري رحمه الله القراءة (المشهورة) في مقابلة القراءة المتواترة التي انفرد بها إمام من ائمة القراءة كما ذكرها في مقابلة الشاذة، ووجدت أيضاً أنه يذكرها في مقابلتهما معاً.

من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** [الأعراف: ١٠٤-١٠٥]. قال الزمخشري: "حقيق على أن لا أقول " فيه أربع قراءات، المشهورة، و(حقيق عليّ أن لا أقول) وهي قراءة نافع و(حقيق أن لا أقول) وهي قراءة عبد الله و(حقيق بأن لا اقول) وهي قراءة أبي، وفي المشهورة إشكال ولا تخلو من وجوه... [٣].

فذكر رحمه الله هنا القراءة المشهورة (حقيق على) وهي قراءة العشرة إلا نافعاً[٤]، في مقابلة انفراد نافع ومجموعة من القراءات الشواذ[٥].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/٢٠٩.

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٤/٤٩٤-٤٩٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢/١٢٩، وانظر كذلك: ٢/٣٩٨، ٣/٤٧١، وغيرها.

(٤) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٨٧، وابن الجزري، النشر، ٢/٢٠٣.

(٥) انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص٤٥، والبحر المحيط ٤/٣٥٥، ٣٥٦.

ومــن ذلك عند تفسيره لقولــه تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

قال رحمه الله: "فإن قلت كيف لفظ أئمة؟ قلت: همزة بعدها همزة بين بين، أي: بيــن مخرج الهمزة والياء، وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة، وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين(١) وأما التصريح بالياء فليس بقراءة، ولا يجوز أن تكون قراءة. ومن صرح بها لاحن محرف"(٢).

الزمخشري هنا ذكر القراءة التي فسر عليها القرآن وهي قراءة أبي عمرو أولاً وهــي تسهيل الهمزة الثانية في لفظ (أئمة) وبعدها ذكر قراءة متواترة أخرى هي قراءة تحقــيق الهمزتيــن ووصــفها بأنها قراءة مشهورة يعني بذلك أنها متواترة. وتفصيل القــراءات فــي الكلمة كالآتي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو من السبعة وأبو جعفر ورويــس عــن يعقــوب من العشرة بتسهيل الهمزة الثانية، وقرأ باقي العشرة بتحقيق الهمزتين(٣).

ووصــف الزمخشــري القراءة المتواترة بقوله (قراءة الجماعة) في مواطن من كشافه من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

بعــد أن ذكر القراءة المتواترة التي قرأ بها الأئمة العشرة (كشجرة طيبة أصلها ثابت) ذكر قراءة شاذة فقال : "وقرأ أنس بن مالك (كشجرة طيبة ثابت أصلها) فإن قلت: أي فــرق بين القراءتين، قلت: قراءة الجماعة أقوى معنى؛ لأن في قراءة أنس أجريت الصــفة علــى الشــجرة، وإذا قلت: مررت برجل أبوه قائم، فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه؛ لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا الرجل"(٤).

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك والرد عليه إن شاء الله تعالى.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٥/٢٣٨-٢٣٩.

(٣) كريم، القراءات العشر المتواترة، ص١٨٨.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٢/٥١٩.

فمعنى قول الزمخشري (قراءة الجماعة) القراءة المتواترة يقيناً لأنه لم يذكر غيرها سوى قراءة شاذة ضعفها.

كما وجدته يصف القراءة المتواترة بقوله (القراءة الشائعة) من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٦].

يذكر الزمخشري رحمه الله القراءة المتواترة أولاً ويفسر الآية وفقها ثم يذكر قراءتين شاذتين[١]. فيقول: "وقرئ (لا يلبّثون) وفي قراءة أبي (لا يلبثوا) على إعمال (إذا) فإن قلت: ما وجه القراءتين؟ قلت: أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل، وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم، وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي (إذا لا يلبثوا) عطف على جملة (وإن كادوا ليستفزونك) "[٢]. فالزمخشري في هذا الموضع يصف القراءة المتواترة بـ(الشائعة) بسبب شيوعها وانتشارها وتواترها. وبالنتيجة فإن الزمخشري إذا أطلق الأوصاف (قراءة العامة) أو (القراءة المشهورة) أو (قراءة الجماعة) أو(القراءة الشائعة) فإنه يعني بذلك القراءة المتواترة، والله تعالى أعلم.

<u>المطلب الثالث: الخطأ في عزو القراءات عند الزمخشري:</u>

قلنا فيما سبق إن الزمخشري لا يحرص كثيراً على عزو القراءات ونسبتها إلى اصحابها من القراء فهناك قراءات كثيرة تركها دون عزو لأحد، حتى تلك التي عزاها للقراء أو للأمصار وجدته رحمه الله يخطئ في عزو بعضها ولا اظن أنه يقصد ذلك الخطأ بل هو من أخطاء البشر، وقد أحصيت في تفسيره ما يزيد على مائة موضع أخطأ فيها في عزو القراءة، واختلفت وجوه هذا الخطأ في عزو القراءات عند الزمخشري فوجدته:

---

(١) قال ابن خالويه: (وإذا لا يلبثوا) بإسقاط النون أبي بن كعب، (وإذا لا يلبثون) بتشديد الباء : الحسن وعطاء وقتادة، مختصر الشواذ، ص٧٧.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٦٤١/٢.

١. تارة يعزو القراءة لمن عرف عنهم القراءة بالشاذ في حين أنها متواترة.

٢. ويفعل عكس ذلك؛ أي عزو القراءة لأصحاب القراءات المتواترة في حين أنها شاذة.

٣. وتارة وجدته يعزو القراءة لإمام أو أكثر من أئمة القراءة المتواترة في حين أنها لغيره من الأئمة.

٤. ووجدته يعزو القراءة لعدد من أئمة القراءة فقط وليس إلى جميع من قرأ بها، وهذا النوع كثير في تفسيره.

وسأذكر فيما يلي مثالين لكل نوع مما سبق أو أكثر حسب الحاجة إلى ذلك.

من النوع الأول: وهو عزو القراءات إلى من عرف عنه القراءة بالشاذ وهي عند أئمة القراءة المتواترة ما فعله الزمخشري عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة:٢٨٥]. قال الزمخشري: (وقرأ ابن عباس (وكتابه)) [١]. واشتهر نسبه الشاذ لابن عباس فأوهم ذلك أنها شاذة.

وبالرجوع إلى كتب القراءات نجد أن هذه القراءة التي عزاها لابن عباس قرأ بها ثلاثة من أئمة القراءة المتواترة وهم حمزة والكسائي وخلف، في حين أن باقي الأئمة العشرة قرأوا (وكتبه) بالجمع[٢].

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾** [المائدة: ١٣]. قال الزمخشري: "وقرأ عبد الله (قسيَّة) أي رديئة مغشوشة من قولهم، درهم قسي وهو من القسوة"[٣]. فهو يعزو قراءة تشديد الياء

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٥٨/١، وانظر كذلك: ٣٧٦/١، وكذلك ٤٥٠/١، وغيرها في تفسيره.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٩٥، والداني، التيسير، ص٨٥، وابن الجزري، النشر ١٧٨/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٦٥٠/١، وانظر كذلك الصفحات: ٥٤٢/٢ و ٢٥٨/٣ وغيرها.

لعبد الله وهذه القراءة نجدها عند إماميين من أئمة القراء السبعة هما حمزة والكسائي. قال ابن مجاهد: قرأ حمزة والكسائي (قسيّة) بغير ألف مشددة وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عمرو ابن عامر (قاسية) بألف[1]. ويضاف إلى هؤلاء أيضاً الثلاثة المتممون للعشرة وهم أبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر الذين قرأوا (قاسية) بألف كذلك[2].

من ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنعام:٣٢]. قال الزمخشري: (قرأ ابن عباس رضي الله عنه (ولدار الآخرة) [3] وهي قراءة ابن عامر الشامي[4]، لكنه رحمه الله لم يتحقق أنها عند أئمة القراءة المتواترة.

ومن ذلك ايضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦].

قال الزمخشري: (وقرأ ابن مسعود (فتثبتوا) والتثبت والتبين متقاربان...) [5]. فالزمخشري في هذا الموضع يعزو القراءة لابن مسعود وهي قراءة سبعية وعشرية متواترة، قرأ بها من السبعة حمزة والكسائي ومن العشرة خلف رضي الله عنهم جميعاً[6].

<u>ومن النوع الثاني</u>: الذي هو عزو القراءة إلى أئمة القراءة المتواترة وهي شاذة، وهذا قليل في تفسيره رحمه الله، عند تفسيره لقول الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ**

(١) ابن مجاهد، السبعة، ص٢٤٣، وانظر: الداني، التيسير، ص٩٩.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر ١٩١/٢، والدمياطي، الاتحاف، ص٢٥١.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١٨/٢، وانظر كذلك الصفحات ٤٧/٢ و ٤٢٢/٥ و ٦٧٠/٢ و ٣٤٢/٢ وغيرها.

(٤) انظر ابن مجاهد، السبعة، ص٢٥٦، والداني، التيسير، ص١٠١، وابن الجزري، النشر ١٩٣/٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٣٦٣/٤.

(٦) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٦٠٦، والداني، التيسير،ص٢٠٢، وابن الجزري، النشر٢٨١/٢

﴿هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٩]. قال الزمخشري: "وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنباً إذا جعلته جارماً له أي كاسباً" [١]. وقد راجعت كتب القراءات فلم أجد هذه القراءة في المتواتر فضلاً عن عزوها لابن كثير المكي، وهو من أئمة القراءة السبعة، ووجدت أبا حيان يشير إلى شذوذها، يقول رحمه الله: (وقرأ ابن وثاب والأعمش بضم الياء من أجرم ونسبها الزمخشري إلى ابن كثير..) [٢].

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. قال الزمخشري: (وعن نافع (عليكم أنفسُكم) بالرفع) [٣].

ورجعت إلى كتب القراءات فلم أجد هذه القراءة عند الإمام نافع ولا عند غيره من أئمة القراءة المتواترة بل هي من القراءات الشاذة. قال أبو حيان: "وحكى الزمخشري عن نافع أنه قرأ (عليكم أنفسكم) بالرفع، وهي قراءة شاذة" [٤].

<u>ومن النوع الثالث</u>: وهو الخطأ في عزو القراءة بين أصحاب القراءات المتواترة أي لا يخرج إلى الشواذ من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قال الزمخشري: (وعن أبي عمرو (يفرق) بالياء على أن الفعل لكل) [٥].

وبالرجوع إلى كتب القراءات وجدت أن هذه القراءة لم يقرأ بها أبو عمرو كما ذكر الزمخشري بل قرا بها يعقوب الحضرمي البصري [٦]، وهو من أئمة

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٩٨/٢، وانظر كذلك الشكاف ٥٣/٢ وغيرها.
(٢) انظر: البحر المحيط ٢٥٥/٥.
(٣) الزمخشري، الكشاف٧١٨/١، وانظر كذلك: الكشاف ٢٥٦/٢، وغيرها.
(٤) البحر المحيط، ٤٢/٤-٤٣.
(٥) الزمخشري، الكشاف ٣٥٨/١.
(٦) انظر: ابن الجزري، النشر ١٧٨/٢، والدمياطي، الاتحاف، ص٢١٧.

القـــراءة العشـــرة، فبقيـــت القراءات في حيز القراءات المتواترة ولا يضيرها أقرأ بها أبو عمرو أم يعقوب.

ومـــن النوع الرابع: وهو أن يعزو الزمخشري القراءة المتواترة إلى بعض من قرأ بها من ائمة القراءة وليس إلى جميع من قرأ بها منهم وهذا كثير في تفسيره:

من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى في قصة زكريا في سورة مريم: **﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾** [مريم:٩].

قال الزمخشري: (وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب (خلقناك)) (١).

نجـــد الزمخشري في هذا الموضع يعزو القراءة إلى الكسائي من القراء السبعة وإلـــى اثنين من أصحاب القراءة الشاذة وقلنا غير مرة أن القراءات الشاذة لا تعيننا في مقامـــنا هـــذا، وبالـــرجوع إلى كتب القراءات وجدت أن هذه القراءة لم يقرأ بها الإمام الكســـائي من أئمة القراءة المتواترة فحسب بل قرأ بها منهم كذلك الإمام حمزة الزيات. وفي ذلك يقول ابن مجاهد: (واختلفوا في قوله (وقد خلقتك من قبل) فقرأ ابن كثير ونافع وابـــو عمرو وعاصم وابن عامر: (خلقتك) بالتاء من غير ألف، وقرأ حمزة والكسائي (خلقناك) بنون وألف) (٢).

ومن ذلك ايضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾** [لأنفال:٥٩].

قـــال الزمخشري: "وقرأ حمزة (ولا يحسبن) بالياء على أن الفعل للذين كفروا" (٣). فالزمخشـــري يعـــزو هذه القراءة المتواترة إلى حمزة وحده ويقول في آخر كلامه: وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٩/٣.

(٢) ابن مجاهد، السبعة، ص٤٠٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢١٩/٢.

وسيأتي الحديث عن هذه القراءة بالتفصيل عند الحديث عن القراءات التي طعن فـيها الزمخشـري لكـن الذي يعنينا هنا في هذا المطلب بيان أن الزمخشري عزا هذه القراءة إلى حمزة وحده وزعم أنه تفرد بها وبالرجوع إلى كتب القراءات نجد ما يلي:

قـرأ ابـن عامر وحمزة وحفص عن عاصم من السبعة وأبو جعفر من العشرة (ولا يحسَبن) بالياء وفتح السين وقرأ شعبة عن عاصم (تحسبنَّ) بالتاء وفتح السين، وقرأ باقي العشرة (تحسِبن) بالتاء وكسر السين[1].

المطلب الرابع: عزو القراءة للنبي ﷺ:

مـن خـلال دراسـتي للقـراءات فـي تفسير الإمام الزمخشري وجدته يذكر قـراءات فـي بعـض المواضـع من تفسيره ويعزوها إلى الرسول ﷺ فيقول: (وهذه قراءة رسول الله ﷺ) أو (وفي قراءة النبي ﷺ) وهكذا[2]. فتساءلت عن مقصده في هذا العـزو، وراجعت كتب القراءات فوجدت كثيراً من هذه القراءات التي يعزوها للنبي ﷺ شـاذة وليسـت متواترة، فكيف يعزو الزمخشري القراءة للنبي ﷺ وهي في الوقت ذاته شـاذة؟ ونحـن نعلم يقيناً أن النبي ﷺ تلقى القرآن من الله تعالى بواسطة الوحي جبريل الأميـن عليه السلام، وإذا كان الأمر كذلك فكيف تنسب إليه ﷺ قراءة شاذة؟ وقد تكرر هـذا الأمر عند الزمخشري في تفسيره في عشرات المواضع، فأحصيت هذه المواضع فـي تفسيره وبدأت دراستها عنده وعند غيره من العلماء، وقبل أن أتحدث عن نتائج ما توصـلت إلـيه في دراستي لهذه القضية اسوق نماذج من تفسير الزمخشري عزا فيها القراءة إلى النبيﷺ

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٠٧، والداني، التيسير، ص١١٧، وابن الجزري، النشر ٢/٢٠٨.

(٢) لم ينفرد الزمخشري بهذا الصنيع بل فعله غيره من العلماء في كتب التفسير والقراءات، منهم ابن خالويه والقرطبي وأبو حيان وغيرهم.

من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

قال الزمخشري في (غير المغضوب عليهم) بعد أن فسرها على قراءة الجر المتواترة "وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير"[١].

وهي قراءة شاذة أي قراءة النصب، ذكرها ابن خالويه في كتابه الشواذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي عن ابن كثير، وعزاها كذلك إلى النبي ﷺ وعمر بن الخطاب[٢]، لكني لم أجد أحداً من علماء القراءات يذكر لماذا هي معزوة إلى الرسول ﷺ مع شذوذها أو لنقل عدم ثبوت تواترها.

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

يقول الزمخشري في قوله (من أنفسهم) بعد أن ذكر القراءة المتواترة "وفي قراءة الرسول ﷺ وقراءة فاطمة رضي الله عنها (من أنفَسهم) أي من أشرفهم"[٣].

والقراءة المتواترة بضم الفاء والقراءة المنسوبة للنبي ﷺ بفتح الفاء ذكرها ابن خالويه في الشواذ ونسبها كذلك للنبي ﷺ ثم قال: "تأويل هذه القراءة من أشرفهم"[٤] من غير تفسير لهذا العزو. ولم يزد محقق كتاب الكشاف للزمخشري على أن قال" "ولا يصح نسبة هذه القراءة للرسول ﷺ ثم نقل قول القرطبي في الجامع، وقرئ في الشواذ (أنْفَسهم)"[٥].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٥٩/١.

(٢) انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١، ،انظر: البحر المحيط ١٤٨/١-١٤٩.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٤٦٣/١.

(٤) ابن خالويه، مختصر الشواذ، ٢٣.

(٥) هامش الكشاف ٤٦٣/١، وليس من عادة المحقق الفاضل أن يعقب على القراءات في تفسير الكشاف قطعياً.

ورجعت إلى تفسير القرطبي فوجدته يشير إلى شذوذها فقط دون زيادة على ذلك ولم يفسر هذا العزو للنبي ﷺ بل لم يشر إليه[١].

وذكرها أبو حيان في البحر المحيط ونسبها لجمع من الصحابة رضي الله عنهم ثم عزاها إلى النبي ﷺ من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه[٢].

وكذلك فعل النسفي في تفسيره (مدارك التنزيل)[٣] والآلوسي في تفسيره (روح المعاني)[٤]، دون أن يعقب أحدهم على ما ذكره الزمخشري وغيره بكلمة واحدة.

وكذلــك أيضاً عند تفسير الزمخشري لقول الله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾** [التوبة: ١٢٨].

قـال الزمخشــري: "وقرئ (ومن أَنْفَسِكم) أي من أشرفكم وافضلكم.، وقيل هي قــراءة رســول الله ﷺ وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما"[٥]. وذكرها ابن خالويه في الشــواذ وعــزاها إلى النبي ﷺ وعائشة وابن عباس رضي الله عنهم[٦]، وراجعت كتب التفسير والقراءات فلم أجد من يعقب على هذا الموضع أيضاً.

ومــن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾** [المؤمنون:٦٠]. قال الزمخشري عند قولــه (يؤتون ما أتوا) وفــي قراءة رسول الله ﷺ وعائشة (يأتون ما أتوا) أي يفعلون ما فعلوا"[٧]. وهي قراءة شاذة أيضاً نسبها ابن خالويه للرسول ﷺ[٨]، ونسبها أبو حيان لعائشة وابن عباس وقتادة والأعمش والحسن وغيرهم[٩].

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/٤.

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط ١٠٩/٣، ١١٠.

(٣) النسفي، مدارك التنزيل ٣٠٨/١.

(٤) الآلوسي، روح المعاني ٤٤٣/٤.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٣١١/٢

(٦) انظر: ابن خالويه، الشواذ، ص٥٦، والبحر المحيط ١٢١/٥.

(٧) الزمخشري، الكشاف ١٩٤/٣.

(٨) ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص٩٨.

(٩) انظر: أبو حيان، البحر المحيط ٣٧٩/٦.

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [قٓ:١٠]. قال الزمخشري: "وفي قراءة رسول الله ﷺ (باصقات) بإبدال السين صاداً لأجل القاف"(١). وهي شاذة أيضاً (٢).

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]. قال الزمخشري: "وفي قراءة رسول الله ﷺ: (في قبل عدتهن)" (٣).

وهي شاذة ذكرها ابن خالويه وغيره في الشواذ(٤).

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]. قال الزمخشري: "وفي قراءة النبي ﷺ (ليروا) بالفتح" (٥). وهي شاذة. ذكرها ابن خالويه في شواذه(٦)، ورواها أبو حيان في البحر عن نافع بغير تواتر(٧).

ومن ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ۝ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر:٢٦]. قال الزمخشري: "قرئ (يعذَّب ويوثَق) بالفتح، وهي قراءة رسول الله ﷺ وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره"(٨).

قلت: وهي متواترة قرأ بها الكسائي ويعقوب من أئمة القراءة المتواترة(٩).

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣٨٥/٤، وانظر كذلك الكشاف ٤٦٨/٤.
(٢) انظر: البحر المحيط ١٢١/٨-١٢٢.
(٣) الزمخشري، الكشاف ٥٥٥/٤.
(٤) انظر ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٧٧.
(٥) الزمخشري، الكشاف ٧٩١/٤.
(٦) انظر، ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٧٧.
(٧) انظر: البحر المحيط، ٤٩٨/٨.
(٨) الزمخشري، الكشاف ٧٥٥/٤.
(٩) انظر: ابن مجاهد السبعة، ص٦٨٥، والداني، التيسير، ص٢٢، وابن الجزري، النشر، ٢٩٩/٢.

ومـن خـلال دراسـتي لهذه المسألة في كتب التفسير والقراءات وجدت الإمام الآلوسي يشير إشارة سريعة إلى سبب عزو مثل هذه القراءات إلى النبي ﷺ على الرغم مـن عدم ثبوت تواترها وعدم جواز القراءة بها، وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون:٦٠].

قـال الآلوسي: "وقرأت عائشة وابن عباس وقتادة والأعمش والحسن والنخعي (يـأتون مـا أتوا) من الإتيان لا الإيتاء...، وأخرج ابن مردويه وسعيد بن منصور عن عائشة أنه ﷺ قرأ كذلك وأطلق عليها المفسرون قراءة رسول الله ﷺ يعنون أن المحدثين نقلوها عنه ﷺ ولم يروها القراء من طرقهم"(١).

قلـت: وهـذا توجـيه طيـب فالقـراءة لم يثبت تواترها وإلا كنا وجدناها في المـتواترات التي رواها أئمة القراءة العشرة وفي الوقت نفسه هي منقولة عن النبي ﷺ نقـل آحاد ولم تبلغ درجة التواتر، لذلك وجدت من أصحاب كتب الحديث من أفرد كتاباً مسـتقلاً في قراءات النبي ﷺ وأكثر ما في هذا الكتاب من غير المتواتر، من ذلك على سبيل المثال كتاب الجامع الصحيح للإمام الترمذي(٢)، رحمه الله، إذ أفرد الإمام الترمذي فـي صـحيحه كتاباً بعنوان (القراءات عن الرسول ﷺ) ذكر فيه ما رواه المحدثون من قـراءات منسـوبة إلى النبي ﷺ(٣)، رواها عنه أصحابه رضي الله عنهم مع عدم ثبوت تواتر هذه القراءات.

---

(١) الآلوسي، روح المعاني، ٣٣٤/١٨.

(٢) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الحافظ العلم البارع أبو عيسى الترمذي الضرير، ولد ونشأ في ترمذ من بلاد خراسان، صاحب الجامع الصحيح من الكتب الستة، والمشهور بسنن الترمذي وله مصنفات أخرى توفي سنة (٢٧٩هـ)، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣-٢٧١، وابن حجر، تذكرة الحفاظ ٦٣٤/٢، والتهذيب ٣٨٩/٩.

(٣) انظـر: الترمذي، الجامع الصحيح، بشرح ابن العربي ٣٧/١١-٥٦، وافرد لها كتاباً أيضاً أبو داود في سننه انظر ٢٧٧/٤-٢٩٧. وغيرهما.

وكـــان مـــن الأولـــى اجتـــناب مثل هذا المصطلح الموهم حتى لا يتخذه بعض ضـــعاف الـــنفوس ومرضـــىالقلوب مسلكاً للطعن في القرآن الكريم أو القراءات مثل الـــذي فعلـــه المستشـــرق جولدتســـيهر[١] فـــي كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) يقول هـــذا المستشـــرق: "فإنـــه يـــبدو بمكان غير هين من الغرابة أن ترى قراءات مخالفة للـــنص المشـــهور ذكـــرت على أنها قراءات الرسول ﷺ مما يدعو إلى افتراض أنه لا حـــرج فـــي روايـــة كـــلام الله علـــى وجـــه آخـــر غير الوجه الذي بلغه الرسول ﷺ في الأصل"[٢].

ويـــرد علـــيه مترجم كتابه الدكتور عبد الحليم النجار فيقول: (لم يفهم المؤلف جولدتســـيهر هذا الاصطلاح عند علماء القراءات؛ فمعنى قولهم هذه قراءة الرسول أنها روايـــة آحاد، لا يجوز الأخذ بها كما لا يجوز إنكارها، لأن مجرد كونها مروية يقضي أن تكون صحيحة وعدم توافر شروط الرواية الصحيحة لها يمنع اعتمادها فالأحوط هو القـــول بأنها إذا صحت قراءة خاصة بالرسول ﷺ ولم يثبت تواترها، هذا هو معنى هذا الاصطلاح وبه ينهار كل ما بناه المؤلف على فهمه الخاطئ)[٣].

والـــذي ذكـــره الدكتور النجار لا يبعد كثيراً عن الذي ذكره الآلوسي وإن كنت أخالفـــه فـــيما افترضـــه مـــن أن مـــثل هـــذه القـــراءة قـــد تكـــون قـــراءة خاصة بالنبـــي ﷺ لأن النبي ﷺ لم يثبت بل لم ينقل عنه أنه اتخذ قراءة أو حرفاً لنفسه بل الذي ثبـــت وتواتر عكس ذلك تماماً وهو أن كل ما نزل إليه عن طريق الوحي جبريل عليه

---

(١) مستشـــرق مجـــري له مصنفات عديدة حول القرآن، حاول أن يطعن في القرآن في أكثر مصنفاته، عين استاذاً في جامعة بودابست عاصمة المجر وتوفي بها سنة (١٣٤٠) هـــ انظر: الزركلي، الأعلام، ٨٤/١.

(٢) جولدتســـهر، مذاهـــب التفســـير الإســـلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، بيروت، لبنان، دار اقرأ، ط٢، ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م، ص٥٠-٥١، وانظر صفحة ٥٨ وغيرها،

(٣) السابق هامش الصفحات (٥٠، ٥٨، ٥١) وغيرها.

السـلام بلّغه لأمته ﷺ وأباح لهم القراءة بأي حرف من الأحرف التي نزل عليها القرآن وكلها كاف شاف(١).

وقد سبق الحديث أن القراءات العشر هي المتواترة فقط وما سواها لم يصل إلى درجة التواتر ولو تواتر أي شيء مما ذكره المحدثون في كتبهم لوصلنا عن طريق أئمة القراءات المتواترة وقد ذكر ابن الجزري نحو ألف طريق من طرق القراءات المتواترة عن النبي ﷺ(٢). وبهذه الجهود العظيمة لأئمة القراءات عبر القرون الماضية التي تمتاز بـالحفظ والضـبط والإتقـان والدقة والتلقي المباشر. أقول بهذه الجهود يندفع حقد ذلك المستشرق زيهر وغيره كما تندفع أي محاولة للنيل من القرآن أو القراءات.

---

(١) انظر حديث الأحرف السبعة في التمهيد من هذا الباب.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ١/١٦٧-٢٤١.

المبحث الثالث

توظيف الزمخشري للقراءات المتواترة في تفسيره

حـــرص الإمـــام الزمخشـــري على توظيف القراءات القرآنية في خدمة تفسير القرآن الكريم. بالرغم من الكم الهائل من القراءات القرآنية الذي أورده في تفسيره. إلا أن ذلـك لم يمنعه من توجيه أكثر القراءات وتوظيفها في تفسير كتاب الله وبيان معانيه والكشـف عـن بلاغـته وإعجازه. لكنه في الوقت ذاته ترك بعض هذه القراءات دون توجيه أو توظيف.

ومن خلال دراستي لتفسير الكشاف وجدت الزمخشري يقف اثناء تفسيره للآية الكـريمة أو الكلمـة القرآنـية ويذكـر ما فيها من قراءات ثم يبين الاختلاف بين هذه القراءات وفائدة هذا الاختلاف في خدمة تفسير الآية الكريمة وبيان المعنى القرآني بما يكشف عن الثراء المعنوي واللغوي للنص القرآني وكان رحمه الله يقف كثيراً مع قضايا اللغة من نحو وصرف وبلاغة أثناء توجيهه للقراءات القرآنية. أو يبين تعدد المعاني في الآية الكريمة المترتب على تعدد القراءات فيها مع البعد عن التناقض والتضاد. أو نجده يرجح تفسيراً للآية على آخر أو معنى على غيره متكئاً في ذلك على القراءة القرآنية.

وسيتجلى جهد الزمخشري هذا في جميع صفحات هذه الأطروحة ليس فقط في هـذا المبحـث ولكني وضعت هذا المبحث تمهيداً لما سيأتي بعده في الفصل القادم في توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الزمخشري في تفسيره.

وسـأتناول في هذا المبحث أمثلة من تفسير الزمخشري تدلل على ما ذهبت إليه من توظيف الزمخشري للقراءات في تفسيره شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين لكن ما يميز الإمام الزمخشري عن غيره ما ملكه من عارضة قوية في قضايا اللغة والنحو والبيان فكان ينطلق منها إلى كل ما يريد والنماذج القادمة تميط اللثام عن ذلك.

من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى متحدثاً عن المنافقين: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [البقرة: ١٥].

قـــال الزمخشـــري في معنى قوله (ويمدهم في طغيانهم): من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحـــق بـــه ما يقويه ويكثره، وكذلك من مد الدواة وأمدها: زادها ما يصلحها ومـــددت الســـراج والأرض: إذا استصلحتهما بالزيت والسماد، ومده الشيطان في الغي وأمـــده: إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكاً فيه فإن قلت: لم زعمت أنـــه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال، قلت:كفاك دليلاً على أنه من المد قـــراءة ابـــن كثـــير وابـــن محيصن : (ويمُدّهم) وقراءة نافع ﴿**وإخوانهم يُمِدُّونهم**﴾ [الأعراف:٢٠٢]، على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له"(١).

فالزمخشـــري رحمـــه الله تعالى يتحدث عن معنى (الإمداد) في قوله (ويُمِدُهم) وأنـــه مـــن المـــدد الذي هو الزيادة والتكثير وليس من الإمداد الذي هو بعض الإملاء والإمهال ويستدل على ذلك بقرائتين إحداهما شاذة(٢)،والأخرى متواترة مروية عن الإمام نـــافع المدنـــي وقرأ بها كذلك من الأئمة العشرة أبو جعفر المدني(٣) وهي آية الأعراف (يُمِدُّونهم)

والمـــد فـــي لغة العرب التطويل وأصل المد الزيادة،وكل شيء دخل في شيء فكـــثره فقد مده، يقال: مد الجيش وأمده زاده وألحق به ما يقويه من جنسه، ومنه أيضاً قولهم: مددت الدواة أمدُها وغير ذلك(٤).

(١) الزمخشري، الكشاف، ١/١٠٥.

(٢) الشـــاذة: قـــراءة ابن محيصن من أصحاب الشواذ (ويُمِدهم) البقرة/ ١٥، بضم الياء وكسر الميم الأولى، انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص٢.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٤٤، وابن الجزري، النشر ٢/١٥٦.

(٤) انظر: الراغب، المفردات، ص٤٦٤-٤٦٥س، والبحر المحيط ١/١٩٤-١٩٥.

قـال السمين الحلبي في عمدة الحفاظ: قوله تعالى: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ**﴾ [الأعـراف: ٢٠٢]. "وقرئ في المتواتر بفتح الياء وضمها من مده وأمده فقيل: بمعـنى واحـد، يقـال: مد النهر وأمده نهر آخر، وقيل أمد في المحبوب نحو قوله:﴿ **وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ**﴾ [الطور:٢٢]، وقولـه: ﴿**وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ**﴾ [نوح: ١٢]، وفي المكروه مد نحو قوله تعالى:﴿**وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا**﴾ [مريم: ٧٩]، وهذا مردود بقولـه تعالى: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ**﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، في قراءة من ضم الـياء[١]، ولذلك عدل بعضهم إلى عبارة أخرى قال: وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه.. [٢]،

نخلـص مـن هـذا المـثال أن الزمخشـري يسـتثمر القـراءات القرآنـية في خدمة تفسير كتاب الله تعالى والاستدلال بها على بيان معاني ألفاظ الآيات الكريمة.

ومـن ذلـك عـند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ**﴾ [النحل:٦٢]. قـال الزمخشـري في قوله (مفرطون): قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففاً ومشدداً؛ فالمفـتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها، من أفرطت فلاناً وفرطته في طلب المـاء، إذا قدمـته، وقيل منسيون متروكون، من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته، والمكسـور المخفف من الإفراط في المعاصي، والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم[٣][٤].

---

(١) وهي قراءة نافع وأبي جعفر التي سبقت الإشارة إليها.

(٢) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ ٤/٨٨-٨٩.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢/٥٧٣.

(٤) ينظر ما ذكره الزمخشري في معنى (مفرطون) في مفردات الراغب، ص٣٧٦-٣٧٧، والسمين، العمدة، ٣/٢٦٠-٢٦١. وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

قلت: الآية الكريمة والسياق يحتملان ما ذكره الزمخشري من معاني القراءات في هذه اللفظة (مفرطون) بما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم ويبين أنه ليس لبشر أن يأتي بمثل هذا القرآن ولا بسورة من مثله نظماً وإعجازاً، فسبحان الله وتعالى عما يصفون.

والقراءات في الآية الكريمة كالآتي:

قرأ نافع المدني (مفرِطون) بكسر الراء مع التخفيف. وقرأ أبو جعفر المدني أيضاً (مفرِّطون) بكسر الراء مع التشديد. وقرأ باقي العشرة (مفرَطون) بفتح الراء مع التخفيف[1].

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً**﴾ [مريم: ٥١].

القراءات في قوله تعالى (مخلصاً) كالآتي:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (مخلَصاً) بفتح اللام. وقرأ باقي العشرة (مخلِصاً) بكسر اللام[2].

وذكر الزمخشري الفرق بين اللفظين فقال: "المخلص بالكسر، الذي أخلص العبادة عن الشرك من الرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله تعالى وبالفتح، الذي أخلصه الله تعالى"[3].

والخلوص، أصله الصفاء إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه. وكل ما في القرآن من هذا اللفظ إذا لم يكن بعده (الدين) قرئ بالوجهين على المعنيين اللذين ذكرهما الزمخشري أعني بكسر اللام بمعنى أخلص نفسه وطاعته لله تعالى. وبفتحها بمعنى أن الله تعالى أخلصه واصطفاه، نحو

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ٣٧٤، والداني، التيسير، ص١٣٨، وابن الجزري، النشر ٢/٢٢٨.

(٢) انظر: السبعة، ص٤١٠، والداني، التيسير، ص١٤٩، وابن الجزري، النشر ٢/٢٣٩.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٣/٢٤-٢٥.

قول الله تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، بخلاف قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، فإنه لا يليق به الفتح[١].

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ۞مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

تحدث الزمخشري عن هذه الآية عند تفسيره لها فقال: "(فارقوا دينهم) تركوا دين الإسلام. وقرئ (فرّقوا دينهم) بالتشديد أي: جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم"[٢].

فالزمخشري هنا يبين معنى كل قراءة من القراءتين بما يثبت مناسبة كل واحدة منهما لسياق الآيات الكريمة وعدم وجود التناقض والاختلاف بالرغم من اختلاف معنى القراءتين.

وأضيف إن الدين فطرة الإنسان التي لا تتبدل والشرك خروج على الفطرة التي هي الإسلام والخروج عليه يكون مفارقة وخروجاً على الفطرة ومن فارق الإسلام سيترتب على هذه المفارقة التفرق ولا شك ولذا نجد القرآن افرد النور وجمع الظلمات لأن مصدر النور واحد وهو الله تعالى وجمع الظلمات لأن مصادرها متعددة، والدين هو الصراط المستقيم وهو واحد وسبل الشيطان متعددة على رأس كل سبيل منها شيطان.

وعليه فالمفارقة للإسلام تقتضي التفرق والتيه والضياع. وهذا جمع بين القراءتين في الآية الكريمة. لأنهم فارقوا دين الإسلام أولاً ثم تفرقوا واختلفوا في أديانهم بعد ذلك حسب أهوائهم فالقراءتان تتمم إحداهما الأخرى والمعنيان صحيحان ومترابطان.

---

(١) انظر: الراغب، المفردات، ص١٥٤-١٥٥، والسمين، عمدة الحفاظ ٥٩٩/١.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٤٨٥/٣.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]، قال الزمخشري: (الولاية) بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما[١]. فهو يذكر اختلاف المعاني باختلاف القراءات.

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى في المنافقين: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١].

قال الزمخشري: "(اذن خير) كقولك: رجل صدق، تريد الجودة والصلاح، كأنه قيل: نعم هو أذن، ولكن نعم الأُذن، ويجوز أن تريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله، وليس بإذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة (ورحمةٍ) بالجر عطفاً عليه أي: هو إذن خيرٍ ورحمةٍ لا يسمع غيرهما ولا يقبله، ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله"[٢].

فالزمخشري رحمه الله يوظف القراءة في الترجيح بين معنيين ويفسر الآية الكريمة على المعنى الذي يوافق طبيعة وأخلاق النبي ﷺ الذي تؤيده وتدل عليه قراءة حمزة الزيات[٣].

ومن القراءات التي اعتمد عليها الزمخشري في ترجيح تفسير على تفسير أو معنى على غيره في آيات القرآن الكريم ما يبينه المثال الآتي:

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران:١٣].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٦٧٦/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢٧١/٢

٣) قرأ حمزة (ورحمةٍ) بالجر وقرأ باقي العشرة (ورحمةٌ) بالضم، انظر: السبعة، ص٣١٥. وانظر: الداني، التيسير، ص١١٩، وابن الجزري، النشر ٢١٠/٢.

قـال الزمخشري: "(قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش يوم بدر (يرونهم مثليهم) يـرى المشـركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريباً من ألفين أومثلي عدد المسـلمين ستمائة ونيفاً وعشرين ، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عـن قـتالهم، وكان ذلك مدداً لهم من الله كما أمدهم بالملائكة، الدليل عليه قراءة نافع (تـرونهم) بالـتاء، أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة، أو مثلي أنفسـهم. فـإن قلـت: فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال **﴿ويقللكم في أعينهم﴾** الأنفـال/ ٤٤. قلـت: قللـوا أولاً في أعنيهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين[١].

وذكـر علماء التفسير كلاماً كثيراً في هذه الآية محاولين الإجابة عن سؤال من هـو المقصـود بالخطاب في قوله (قد كان لكم آية) واعترض بعضهم على قراءة نافع (ترونهم) بالتاء إذ لو كان الخطاب كذلك لقال (ترونهم مثليكم) فيحسن أن يكون الخطاب للمسـلمين والهـاء والميم للمشركين[٢]. وأيد جماعة من العلماء اختيار الزمخشري[٣]، متكئين في ذلك على قراءة نافع المدني رضي الله عنه من السبعة ويعقوب وأبي جعفر من العشرة[٤].

وكـل ذلـك لا يعنيـنا فـي مقامنا هذا فما يهمنا الآن هو الإشارة إلى توظيف الزمخشري للقراءات والاستدلال بها في ترجيح تفسير للآية على تفسير آخر.

ومـن القضـايا التي اهتم بها الزمخشري في تفسيره ووظف القراءات لتجليتها قضـايا اللغـة من نحو وصرف وبلاغة وغيرها وهي كثيرة جداً في تفسيره ولا يعني يخف تعلق كل ذلك بالمعنى والتفسير وسأتناول منها بعض النماذج:

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٦٩/١.

(٢) هذا القول وغيره ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٨/٤-١٩.

(٣) انظر، النسفي ٢٣٩/١، والبحر المحيط ٤١١/٢، والآلوسي ١٢٨/٣-١٢٩، وغير هؤلاء.

(٤) قـرأ نـافع ويعقـوب وابـو جعفر (ترونهم) بالتاء وقرأ باقي العشرة (يرونهم) بالياء، انظر: السبعة، ص٢٠١، والتيسير، ٨٧، والنشر ١٧٩/٢.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ۞ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً ۞ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: ٨٨-٩٠].

قال الزمخشري : (وحَصِرتْ صُدُورُهم) في موضع الحال بإضمار (قد) والدليل عليه قراءة من قرأ: (حصرة صدروهم) [١][٢].

استدل الزمخشري في هذا الموضع بالقراءة على وجه نحوي والقراءة التي استدل بها قراءة متواترة قرأ بها يعقوب الحضرمي البصري من أئمة القراءة العشرة[٣]. ثم وذكر الزمخشري بعد ذلك ما ذكره العلماء من وجوه في إعراب هذه الجملة القرآنية والذي يعنينا في هذا المقام هو توظيف الزمخشري للقراءات في قضايا التفسير والنحو.

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:١٩].

قال الزمخشري: "السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولابد من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله..) تصدقه قراءة (سُقَاة الحاج وَعَمرة المسجد الحرام) والمعنى إنكار أن

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٥٧٩/١.

(٢) قال أبو حيان الأندلسي النحوي: "جمهور النحويين على أن الفعل (حصرت) في موضع الحال فمن شرط دخول (قد) على الماضي إذا وقع حالاً زعم أنها مقدرة، ومن لم ير ذلك لم يحتج إلى تقديرها، فقد جاء منه ما لا يحصى كثرة بغير (قد)" ، البحر المحيط ٣٣٠/٣.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر ١٨٩/٢، والقراءات العشر المتواترة، ص٩٢.

يشّــبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر"(١).

والقــراءة التــي استدل بها الزمخشري على ما ذهب إليه في إعراب وتفسيرها مــتواترة قــرأ بهــا أبو جعفر المدني في رواية ابن وردان وهي (سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام) (٢).

- ومــن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى في قصة موسى مع سحرة فرعون: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [يونس: ٨١].

قــال الزمخشري: "(ما جئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و (السحر) خبر: أي الــذي جئــتم بــه هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله. وقرئ (آلســحر) على الاستفهام، فعلى هذه القراءة (ما) استفهامية أي: أي شيء جئتم به أهو الســحر"؟(٣). يذكــر الزمخشــري رحمه الله معنيين للآية الكريمة ترتبا على قراءتين متواترتيــن اخــتلف إعــرابهما. قرأ (ألسحر) بزيادة همزة الاستفهام أبو عمرو وأبو جعفر. وقرأ (السحر) من غير همزة الاستفهام، باقي العشرة(٤).

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد: ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [الــنمل: ٢٢]. قال الزمخشري: "(سبأ) قرئ بالصرف ومنعه، وقد روي عن ابن كثير فــي رواية (سبا) بالألف فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر صرف"(٥).

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/٢٤٣-٢٤٤.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر ٢/٢٠٩، والقراءات العشر المتواترة، ص١٨٩.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢/٣٤٥.

(٤) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٢٨، الداني، التيسير، ص١٢٢، وابن الجزري، النشر ٢/٢١٥.

(٥) الكشاف ٣/٣٦٤.

والقراءات في كلمة (سبأ) كالآتي: قرأ أبو عمرو البصري وابن كثير في رواية البزي (سبأ) بالهمز ممنوعة من الصرف، أي غير منونة، وقرأ قنبل عن ابن كثير (سبأ) بسكون الهمز مع المنع من الصرف أيضاً وقرأ هشام عن ابن عامر وحمزة الكوفي من غير همز وقفاً ولهما تسهيله بالروم أيضاً وقرأ باقي العشرة (سبأ) بالهمز مصروفة[1]. فالقراءة المتواترة هي المرجحة إن كانت الكلمة مصروفة أو غير مصروفة وما يترتب على ذلك من معنى.

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ: **﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾** [الأحزاب: ٥٢].

في قوله تعالى (لا يحل) قرأ أبو عمرو بن العلاء من السبعة ويعقوب من العشرة (لا تحل) بالتأنيث وقرأ الباقون (لا يحل) بالياء أي بالتذكير، بعد أن ذكر الزمخشري قراءة أبي عمرو بالتأنيث[2]، وهي القراءة التي فسر عليها القرآن قال: "وقرئ (لا يحل) بالتذكير، لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ،إذا جاز بغير فصل في قوله تعالى (وقال نسوة) يوسف/ ٣٠ كان مع الفصل أجوز"[3].

- ومن الأمثلة على القراءات وتوظيفها في مسائل البلاغة عند الزمخشري الآتي:

عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [آل عمران:٧٣].

قال الزمخشري: (أن يؤتى) معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر، يعني أن ما بكم من الحسد والبغي- أن يؤتى أحد مثل ما

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤٨٠، والداني، التيسير ، ص١٦٨، والنشر ٢٥٣/٢.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٥٢٣، والداني، التيسير، ص١٧٩. وابن الجزري، النشر ٢٦١/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢٤٤/٢

أوتيتم من فضل العلم والكتاب- دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، والدليل عليه قراءة ابن كثير (أأن يؤتى أحد) بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألِ أن يؤتى أحد[١].

فالزمخشري يستدل بقراءة ابن كثير المتواترة (أأن يؤتى) بهمزة الاستفهام للوصول إلى معنى بلاغي يفيده الاستفهام وهو التقرير والتوبيخ وبنى فهمه للآية الكريمة على ما أفادته قراءة ابن كثير من معنى بلاغي.

ومن ذلك ايضاً عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [لأعراف:١٢٣].

القراءات في قوله تعالى (آمنتم) هي: قرأ حفص عن عاصم وورش عن نافع (آمنتم) بهمزة واحدة على الإخبار وقرأ باقي العشرة (أآمنتم) بهمزتين على الاستفهام[٢].

والزمخشري عند تفسيره لهذه الآية يذكر هاتين القراءتين ويبين البلاغة القرآنية فيهما. قال رحمه الله "(آمنتم به) على الإخبار أي فعلتم هذا الفعل الشنيع، توبيخاً لهم وتقريعاً، وقرئ (أآمنتم) بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد"[٣].

ذلك كثير في تفسير الزمخشري، وسيأتي الحديث عن كل ذلك بتفصيل أكثر إن شاء الله تعالى في مباحث توجيه القراءات والاحتجاج لها في الفصل الثاني من هذا الباب.

---

(١) السابق ٣/٤٠١.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٩٠، والداني، التيسير، ص١١٢، وابن الجزري، النشر ٢/٢٠٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢/١٣٣.

الفصل الثاني

الاحتجاج للقراءات وتوجيهها عند الزمخشري

المبحث الأول: احتجاج الزمخشري للقراءات في تفسيره.

المبحث الثاني: توجيه القراءات عند الزمخشري لغوياً.

المبحث الثالث: توجيه القراءات عند الزمخشري نحوياً.

المبحث الرابع: توجيه القراءات عند الزمخشري بلاغياً.

المبحث الأول:

احتجاج الزمخشري للقراءات في تفسيره

المطلب الأول: معنى الاحتجاج للقراءات والمصنفات فيه:

قبل الحديث عن احتجاج الزمخشري للقراءات وتوجيهها أبدأ ببيان معنى الاحتجاج والتوجيه.

الاحتجاج لغةً:

الاحتجاج في لغة العرب مأخوذ من الحجة التي هي البرهان والدليل، قال تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠]، وأصل الكلمة (حج) ومعناها القصد للزيارة، يقال حج البيت أي قصده، وخص في تعارف الشرع بقصد بيت الله الحرام للعبادة والنسك، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧][(١)].

والحجة: الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين، قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] أي لا احتجاج لظهور البيان[(٢)]. فاشتقاق الحجة من أصل الكلمة لأنها تقصد لإظهار الحق المطلوب.

الاحتجاج اصطلاحاً:

الاحتجاج للقراءات هو الإتيان بدليل من لغة العرب لإثبات صحة القراءة أو تقويتها لدفع مطاعن الخصوم والمشككين، وقد يكون الدليل من القرآن أو السنة أو من لغة العرب شعرها ونثرها أو غير ذلك[(٣)].

---

(١) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ٣٩١/٣. وابن فارس، معجم مقاييس اللغة مادة (حج)، ٨٩/١، الجرجاني، التعريفات، ص٨٢. وابن منظور، لسان العرب، ٢٢٨/٢.

(٢) انظر: الراغب، المفردات، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) انظر: طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ٣٣٢/٢.

التوجيه اصطلاحاً:

عـرف الإمام الزركشي علم توجيه القراءات في اصطلاح العلماء بأنه: "معرفة جـزالة معانـي القراءات بما يكون دليلاً على حسب المدلول عليه[١]. يعني رحمه الله البحث والنظر في قراءات القرآن الكريم لمعرفة معانيها ومدلولاتها وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة وكلام العرب بما يكون دليلاً وحجة لهذه القراءات وما تدل عليه.

وعليه، فتوجيه القراءات هو البحث عن دليل للقراءات من القرآن والسنة أو من الوجوه اللغوية في لغة العرب بما يكشف عن معنى هذه القراءة وما تدل عليه.

ولا يخفـى مدى التقارب بين هذين اللفظين (الاحتجاج والتوجيه) في الاستعمال اللغوي وفي استعمال علماء القراءات وتفسير القرآن الكريم.

ولكـن لا بد في هذا المقام من الإشارة إلى قضية في غاية الأهمية وهي أن هذا الاحـتجاج والتوجـيه للقراءة لا يعني ثبوت صحة هذه القراءة وجواز الصلاة بها لأن دليل صحة القراءة هو صحة سندها وثبوت تواترها كما سبق بيانه

يقول سعيد الأفغاني: "وأكرر التنبيه هنا إلى أن كلمة (الحجة) في هذه المؤلفات[٢] لا يـراد بهـا الدلـيل، لأن دلـيل القراءة صحة إسنادها وتواترها وإنما يراد بها وجه الاختـيار، لماذا اختار القارئ لنفسه قراءته من بين القراءات الصحيحة المتواترة التي أتقـنها؟ يكون هذا الوجه تعليلاً نحوياً حيناً، ولغوياً حيناً آخر، ومعنوياً تارة، ونقلياً تارة يراعـي أخباراً أو أحاديث استأنس بها في اختياره، فهي تعليل الاختيار لا دليل صحة القراءة إذ القراءة صحيحة في نفسها لتواترها لا لعلل اختيار قراء لها"[٣].

قلـت: لذلك نجد علماء القراءات وتفسير القرآن يهتمون بتوجيه القراءات الشاذة أيضـاً إلى جانب القراءات المتواترة مع علمهم بعدم ثبوت تواترها، فالقضية إذن ليست

---

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٣٩/١.

(٢) يقصد المؤلفات في كتب الاحتجاج للقراءات وتوجيهها.

(٣) الأفغاني، سعيد، مقدمة تحقيق كتاب (حجة القراءات) لابن زنجلة، ص٣٤-٣٥.

قضية إثبات صحة هذه القراءات بقدر ما هو تعليل لها وانتصار لها من لغة العرب بما يكشــف عــن معاني هذه القراءات ومدلولاتها من جهة وبما يكون رداً على الطاعنين المشــككين في بعض القراءات من جهة أخرى. وهذا بدوره يدفعنا للحديث عن السبب والدافع لنشأة وتطور علم الاحتجاج للقراءات وتوجيهها.

إن الدافــع الأهــم لظهور وتطور علم الاحتجاج للقراءات وتوجيهها هو ما لاقاه القرآن والقراءات من تشكيك وطعن وانتقاص من قبل بعض الناس. وينقسم هؤلاء إلى فريقين اثنين:

<u>أمــا الأول</u>: فهم الزنادقة والملاحدة الذين حاولوا توجيه سهام الطعن إلى القرآن الكــريم مــن خــلال القراءات والتشكيك بها أو من خلال اتهام القراء، والرواة باللحن والخطأ والكذب وهذا الفريق لا حديث لنا معه في هذا المقام[١].

<u>وأمــا الثانــي</u>: فهــم بعــض النحويين والمفسرين الذين وجدوا بعض القراءات تخــالف قواعدهــم وأقيســتهم الــنحوية فســلكوا طــريق الطعن في القراءة أو إتهام القــارئ بــالوهم أو الــراوي بعــدم دقــة الــنقل... فــردوا كثــيراً مــن القراءات المــتواترة رضــوخاً تحــت وطــأة القواعد اللغوية والأقيسة النحوية وهذا الموضوع ســيأتي الحديــث عــنه مفصــلاً عــند الحديث عن الطعن في القراءات القرآنية في الباب الثاني من هذه الاطروحة إن شاء الله تعالى.

إزاء هــذا الطعــن والتشكيك في القراءات وقف علماء القراءات وعلماء تفسير القرآن الكريم مدافعين منافحين يذودون عن حياض القرآن الكريم وقراءاته فألفت كتب الاحــتجاج للقــراءات القرآنــية وتوجيــيها سلك فيها أصحابها طريقي القياس والنظر وأعملوهمــا فيما هو ثابت بالنقل والأثر متصدين لتلك المطاعن مبينين في الوقت ذاته

---

(١) صــنفت عــدة مؤلفــات قديمــاً وحديــثاً حول الدفاع عن القراءات في مواجهة الطاعنين من الملاحدة والمستشرقين وغيرهم . ورد ذكر بعضها في التمهيد من الباب الأول.

معانـــي هـــذه القراءات بما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم وقراءاته ومن هذه الكتب والمصنفات.

- كتاب (الحجة في القراءات السبع) لابن خالويه المتوفى سنة (٣٧٠هـ). وهو كتاب مختصر عظيم في بابه على اختصاره، طبع بتحقيق الدكتور عبد العال مكرم[١].

- كتاب (الحجة في علل القراءات السبع) لأبي علي الفارسي المتوفى سنة (٣٧٧هـ). وهـو تلمـيذ ابـن مجاهد مسبع القراءات، وكتابه هذا يعد شرحاً لكتاب ابن مجاهد (السبعة) وهو مطبوع في أربعة مجلدات كبيرة ثم طبع مرة أخرى في ستة مجلدات باسم (الحجة للقراء السبعة) بتحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويحاتي[٢].

- كـتاب (المحتسـب في تبيين وجوه القراءات الشاذة وإيضاحها) لأبي الفتح عثمان بـن جنـي المـتوفى سـنة (٣٩٢هـ) وهـو تلميذ أبي علي الفارس. ومن اسم الكـتاب يتضـح أنـه عنـي بالقراءات الشاذة التي لم يثبت تواترها عنده في زمن تسـبيع القـراءات فهـو يحـتوي علـى بعض القراءات الثلاث المتواترة المتممة للعشـر. والكـتاب مطـبوع فـي مجلديـن بتحقيق كل من علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي[٣].

وغيره كتب كثيرة عنيت بالاحتجاج وتوجيه القراءات الشاذة [٤].

- كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة بن زنجلة المتوفى بعد سنة (٤٠٣)هـ.

احتج فيه للقراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، حققه سعيد الأفغاني[٥].

---

(١) انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م.

(٢) انظر: الفارسي، أبو علي، الحجة للقراءات السبعة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) انظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة وإيضاحها.

(٤) ذكرت عدداً من كتب القراءات الشاذة وتوجيهها في التمهيد من الباب الأول.

(٥) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- كتاب (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧هـ). والقيسي في هذا الكتاب شرح كتابه (التبصرة) في القراءات السبع وهو مطبوع في مجلدين. بتحقيق الدكتور محي الدين رمضان[١].
- كتاب (شرح الهداية) لأبي العباس المهدوي المتوفى سنة (٤٤٠) هـ. مطبوع في مجلدين بتحقيق الدكتور حازم سعيد حيدر[٢].
- كتاب (الموضح في وجوه القراءات وعللها) لابن أبي مريم الشيرازي المتوفى سنة (٥٦٧هـ). وهو مطبوع في ثلاثة مجلدات بتحقيق الدكتور عمر حمدان الكبيسي[٣].
- كتاب (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر) لأحمد البنا الدمياطي المتوفى سنة (١١١٧هـ). تناول فيه، القراءات العشر المتواترة والقراءات الأربع الشاذة مع توجيهها وهو محقق ومطبوع[٤].

وغير ذلك ألفت كتب كثيرة في توجيه القراءات والاحتجاج لها قديماً وحديثاً.

وممن اهتم أيضاً بتوجيه القراءات والاحتجاج لها علماء التفسير فقلما تجد تفسيراً لم يعتن مؤلفه بتوجيه القراءات والاحتجاج لها، بل أن غالب المفسرين اعتنوا بذلك عناية شديدة، فهذا ابن جرير الطبري يخصص مئات الصفحات في تفسيره لتوجيه القراءات والاحتجاج لها[٥]. وكذلك فعل ابن عطية[٦]، والزمخشري[٧] والرازي[٨]

---

(١) انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها.

(٢) انظر: المهدوي، شرح الهداية. طبعة مكتبة الرشد، الرياض.

(٣) انظر: الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها.

(٤)انظر: الدمياطي، أحمد البنا، إتحاف الفضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٥) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق المجلس العلمي بفاس – المغرب، ط ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

(٧) انظر: الزمخشري، الكشاف. لا تكاد تجد صفحة منه تخلو من توجيه القراءات.

(٨) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير. بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

والبيضـــاوي[١] والنســـفي[٢] والقرطبـــي[٣] وأبـــو حـــيان[٤] والآلوسي[٥] وغيرهم من المفسرين.

بقيـــت مســـألة تطرح نفسها في هذا المقام وهي: هل تحتاج القراءات المتواترة الثابـــتة إلـــى دلـــيل وحجة من كلام العرب حتى يأخذ بها جل أهل النحو وبعض أهل التفسير؟ أليس من الأجدر أن يكون القرآن متبوعاً لا تابعاً؟

يقول الزرقاني: "أن علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وكلام العرب، فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكـــم على علماء النحو وما قعّدوا من قواعد. ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم إليه لا أن نـــرجع نحن بالقراءات إلى قواعدهم المخالفة نحكمها فيه وإلا كان ذلك عكساً للآية وإهمالاً للأصل في وجوب الرعاية..." [٦].

نعـــم إن القـــرآن كلام عربي مبين نثق بطريقة نقله إلينا فالأصل هو الاحتجاج بالقـــراءة على غيرها لأنها قرآن لا ريب في ذلك لا أن نخضع القراءة المتواترة لقول قائل أو لشعر شاعر فالقرآن هو الحكم على غيره لا العكس.

يقـــول ســـعيد الأفغاني: "إن تأليف المؤلفين القدامى يحتجون للقراءات المتواترة بالـــنحو وشواهده عكس للوضع الصحيح، وأن السلامة في المنهج والسداد في المنطق العلمـــي التاريخـــي يقضيان بأن يحتج للنحو ومذاهبه وقواعده وشواهده بهذه القراءات المـــتواترة لما توافر لها من الضبط والوثوق والدقة والتحري... شيء لم يتوافر بعضه لأوثق شواهد النحو..." [٧].

---

(١) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

(٢) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل. طبعة دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. دار الكلم الطيب، بيروت.

(٤) انظر: أبو حيان، البحر المحيط. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) انظر: الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

(٦) الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٢٢/١.

(٧) الأفغانـــي، سعيد، مقدمة تحقيق كتاب (حجة القراءات) لابن زنجلة، ص١٩. وانظر الافغاني، في أصول النحو، ص٣١-٣٢.

ومثل هذا الكلام وجدناه عند العلماء المتقدمين أيضاً فها هو ابن حزم يقول فيما يـنقله عـنه سعيد الأفغاني: "من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العـرب حكماً لفظياً، ويتخذه مذهباً، ثم إذا تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ فـي صـرف الآية عن وجهها"(١). ويقول في موضع آخر: "ولا عجب أعجب ممن إن وجـد لامـرئ القـيس(٢) أو لزهـير(٣) أو الجرير(٤) أو الحطيئة(٥) أو الطرماح(٦)، أو لأعرابي أسدي أو سُلمى أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظاً من شعر أو نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض عليه، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفـت إليه ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرّفه عن موضعه ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه"(٧).

ولا أريـد أن أقـف طويلاً في بحث هذه المسألة في هذا المبحث لأنني سأبسط القول فيها عند الحديث عن الطعن في القراءات في الفصل القادم إن شاء الله تعالى، لكن لا بد من الإشارة والإشادة بما صنعه علماؤنا في الاحتجاج للقراءات قديماً وحديثاً فسمو الهـدف والغايـة في نفوسهم يحجب غيره من الملاحظات، ثم لا ذنب لهم إن واجهوا أقوامـاً لا يؤمـنون بثبوت القرآن وحجيته بقدر ما يؤمنون بثبوت وحجية شعر زهير

---

(١) نقلاً عن الأفغاني، في أصول النحو، ص٣٢.

(٢) هـو امـرؤ القـيس بـن حُجـر بن الحارث الكندي، أصله من اليمن، أشهر شعراء العرب، مات سنة (٨٠ ق.هـ). الأعلام، ١١/٢.

(٣) زهـير بـن أبي سلمى المزني من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، مات سنة (١٣ق.هـ). الأعلام، ٥٢/٣.

(٤) جريـر بـن عطـية بن حذيفة الكلبي اليربوعي، أشهر أهل عصره. مات في اليمامة سنة (١١٠هـ). الأعلام، ١١٩/٢.

(٥) الحطيـئة: جـرول بـن أوس بـن مالك العبسي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، مات سنة (٤٥هـ). الأعلام، ١١٨/٢.

(٦) الطرماح بن الحكيم بن الحكم من طيء، شاعر إسلامي فحل، توفي سنة (١٢٥هـ). الأعلام، ٢٢٥/٣.

(٧) الأفغاني، في أصول النحو، ص٣٣.

وجريـــر والحطيـــئة[١] وغيرهم من شعراء العرب وخطبائهم... وكذلك لا ذنب لهم في مسألة انتشار شواذ القراءات واختلاطها بالمتواتر عن قصد وعن غير قصد، ولعل هذا وغيره من الأسباب التي دفعت علماء القراءات إلى اشتراط موافقة قواعد اللغة العربية على أنه ركن من أركان صحة القراءة وقبولها.

المطلب الثاني: نماذج من احتجاج الزمخشري للقراءات في تفسيره:

هــذا المطلب يسلط الضوء على اهتمام الإمام الزمخشري بالاحتجاج للقراءات وتوجيهها في تفسيره، والحقيقة أنه كان مولعاً بالاحتجاج للقراءات وتوجيهها بالرغم من كثرة القراءات التي أوردها في تفسيره، نعم لم يوجه كل قراءة في تفسيره ولو فعل ذلك لاحتاج إلى مضاعفة حجم تفسيره لكنه إذا وجد أن المعنى يتعدد بتعدد القراءات فإنه لا يتردد غالباً في توجيهها والاحتجاج لها ويطيل النفس أحياناً، سعياً وراء بيان ثراء النص القرآنـــي وتعـــدد معانيه بتعدد قراءاته فنجده يحتج للقراءة بالقرآن والقراءات متواترها وشاذها أو بأقوال العرب شعراً ونثراً

وأود الإشارة إلى أن الزمخشري لم يفرق بين المتواتر والشاذ من القراءات عند توجـيهها والاحتجاج لها فقد وجدته يحتج للقراءات الشاذة[٢] كما يحتج للقراءة المتواترة لكني سأقف مع نماذج من احتجاجه للقراءات المتواترة في تفسيره.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾ [هود: ٦٩].

---

(١) سبقت ترجمتهم.

(٢) انظر: نماذج من توجيه الشواذ في تفسيره الكشاف، ١/ ٧٦، ١٣٢، و٢/١٠١، ٢/١٠٣، ١١٠، و٢/١٢٧، ٢٦٥، ٢٧٢، ٣٩٢، ٦٢١، و٣/٧٢، ١٤٥، ٣٥٠، ٣٥٢، و٤/٨٧، ٨٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥١، ٣١٤، وغيرها كثير.

قال الزمخشري: "وقرئ (فقالوا سلاماً قال سِلْم) بمعنى السلام"[١] وقراءة (سِلْمٌ) قرأ بها حمزة والكسائي. وقرأ باقي العشرة (سلامٌ) بألف وتنوين الميم[٢] ثم احتجّ الزمخشري لقراءة حمزة والكسائي بأقوال من كلام العرب فقال: وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وأنشد:

مررنا فقلنا إيه سِلمٌ فسلَّمتْ كما اكتلَّ بالبرق الغمامُ اللوائحُ[٣]

وهذا البيت من شعر ذي الرّمة؛ غيلان بن عقبة من شعراء العرب[٤]. وذكره الفراء في كتابه (معاني القرآن) في سياق توجيهه لهذه القراءة واحتجاجه لها[٥].

فالزمخشري هنا يحتج للقراءة المتواترة بشعر ذي الرمة.

- ومن ذلك أيضا عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۝ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ**﴾ [المؤمنون: ١٨-٢٠] قال الزمخشري بعد تفسيره لهذه الآية على قراءة حفص: "وقرئ (تُنبِت)"[٦] قرأ الجمهور (تَنبُت) بفتح التاء وضم الباء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب (تُنبِت) بضم التاء وكسر الباء[٧].

ثم شرع الزمخشري بتوجيه القراءة الثانية والاحتجاج لها فقال: "وقرئ (تُنبِت) وفيه وجهان، أحدهما: أن أنبت بمعنى نبت، وأنشد لزهير:

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣٨٦/٢.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٣٧-٣٣٨، وابن الجزري، النشر، ٢١٨/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣٨٧/٢.

(٤) إيه: طلب للحديث، اكتل الغمام: أي تبسم وذلك لمعانه بسبب ضوء البرق. اللياح: الأبيض من كل شيء، أبيض لياح، ناصع البياض.

(٥) انظر: الفراء، معاني القرآن، ٢١/٢.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ١٨٤/٣.

(٧) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤٤٥، وابن الجزري، النشر، ٢٤٦/٢.

رأيتُ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبتَ البقلْ[١]

والثاني: أن مفعوله محذوف، أي: تنبت زيتونها فيه الزيت[٢].

ويكون الجار والمجرور على هذا الوجه في موضع الحال من المفعول المحذوف[٣] فالزمخشري هنا يحتج للقراءة المتواترة (تُنبت) بشعر زهير بن أبي سلمى. على القول الأول أي إن (أنبت) بمعنى (نبت) فلا يحتاج إلى مفعول.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۞ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات:٢/٤٥-٤٧].

القراءات في قوله (ينزفون): قال ابن مجاهد: اختلفوا في فتح الزاي وكسرها من قوله تعالى: ﴿وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]. فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يُنزَفون) بنصب الزاي ههنا وفي [الواقعة: ١٩].

وقرأ عاصم ههنا: "(يُنزَفون) بفتح الزاي وفي الواقعة (يُنزِفون) بكسر الزاي. وقرأها حمزة والكسائي (يُنزِفون) بكسر الزاي في الموضعين"[٤].

قلت: هذا التخريج للقراءة على السبعة أما إذا خرجناها على العشرة فإن خلفاً العاشر قرأ بكسر الزاي مثل قراءة حمزة والكسائي. وقرأ أبو جعفر ويعقوب الحضرمي بفتح الزاي مثل قراءة الجمهور[٥] واحتج الزمخشري لقراءة الكسر (يُنزِفون) بشعر

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، انظر: ديوانه، ص١١٣، وذكره الفراء في معاني القرآن، ٢/٢٣٢، والبيت الذي قبله:

إذا السنة الشهباء بالناس أجمحت ونال كرام الناس في السنة الأكل

الشهباء: البيضاء من الجدب ليس فيها نبات، القطين: المقيم في الدار والساكن فيها ومنه القاطن.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣/١٨٤.

(٣) انظر: البحر المحيط، ٦/٣٧١، والألوسي، روح المعاني، ١٧/٣٠٦.

(٤) ابن مجاهد، السبعة، ص٥٤٧.

(٥) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢/٢٦٧.

للأبيرد اليربوعي. فقال رحمه الله: "وقرئ (يُنزِفون) من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال الشاعر:

لَعَمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا[1]

ومعناه صار ذا نزف ونظيره: أقشع السحاب، وقشعته الريح، وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما: دخلا في القشع والكب." [2].

والمعنى الذي ذكره الزمخشري لقراءة الكسر ذكره الفراء في معاني القرآن، قال رحمه الله: "وأصحاب عبد الله يقرأون (يُنزِفون) وله معنيان، يقال: قد أنزف الرجل إذا فنيت خمره، وأنزف إذا ذهب عقله، فهذان وجهان"[3].

ونجد الزمخشري يحتج للقراءة المتواترة بآية من القرآن الكريم. من ذلك على سبيل المثال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [لأنفال:٩]. قال الزمخشري: وقرئ (مردِفين) بكسر الدال وفتحها من قولك: رَدِفه إذا تبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿**رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ [النمل: ٧٢]. بمعنى ردفكم. وأردفته إياه: إذا أتبعته، ويقال: أردفته، كقولك أتبعته إذا جئت بعده، فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبِعين أو متبَعين، فإن كان بمعنى متبِعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى: متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين بعضهم لبعض، أو متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم، أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم، أو بمعنى

---

(١) البيت للأبيرد اليربوعي: الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس بن عتاب بن يربوع بن حنظلة، التميمي شاعر بدوي من شعراء صدر الإسلام دولة بني أمية، انظر: الأصفهاني، الأغاني، ٩/١٢، ومن معاني النزف: نزف دمه: خرج حتى ضعف وانقطعت حركته، ونزف الرجل في الخصومة: انقطعت حجته، والنديم: الخليل.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٥٤/٤.

(٣) الفراء، معاني القرآن، ٣٨٥/٢.

متَّبعيـــن أنفسهم ملائكة آخرين، أو متبعين غيرهم من الملائكة، ويعضد هذا الوجه قوله تعالى:﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]. وقوله: ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمـــران: ١٢٥] ومـــن قرأ (مردفين) بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين"[١].

وفســـر الألوسي قول الزمخشري الأخير بقوله: "وقرأ نافع ويعقوب[٢] (مردَفين) بفـــتح الـــدال، وفيه احتمالان أن يكون بمعنى متَّبعين بالتشديد؛ أي اتبعهم غيرهم، وأن يكـــون بمعـــنى متبعيـــن بالتخفـــيف أي جعلوا أنفسهم تابعة لغيرهم، وأريد بالغير في الاحتماليـــن المؤمـــنون، فـــتكون الملائكـــة على الأول في مقدمة الجيش وعلى الثاني تابعين"[٣] فالزمخشري في هذا الموضع يحتج للقراءة بآية من القرآن الكريم.

- ومن ذلك أيضا عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الانبـــياء:٤٧] قـــرأ نافع وأبو جعفر المدينان (مثقالُ) بالرفع وقرأ باقي العشـــرة (مثقالَ) بالنصب[٤]. قال الزمخشري: "وقرئ (مثقالُ حبة) على كان التامة، كقوله تعالى:﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]"[٥].

فعلـــى قـــراءته النصب تكون (مثقالَ) خبر كان أي وإن كان الشيء مثقالَ حبةٍ وعلى قراءة الرفع تكون (مثقالُ) فاعل (كان) التامة، فلا تحتاج إلى خبر ومثل ذلك كثير في تفسير الزمخشري.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٩١/٢.

(٢) قـــرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (مردَفين) بالفتح وقرأ باقي العشرة (مردِفين) بالكسر، انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢١٦، وابن الجزري،النشر، ١٨٢/٢.

(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني، ٢٢٩/١٠.

(٤) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٤٢٩، وانظر: ابن الجزري، النشر، ٢٤٣/٢.

(٥) الكشاف، ١٢١/٣.

- ونجده أيضاً يحتج للقراءة بقراءة شاذة.

من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [يونس:١١] القراءات في الآية الكريمة: قرأ ابن عامر (لَقَضى إليهم أجلَهم) بالبناء للفاعل وكسر هاء (إليهم) ونصب أجلَهم.

وقرأ يعقوب (لَقضى إليهُم أجلَهم) بالبناء للفاعل وضم هاء (إليهُم) ونصب أجلَهم.

وقرأ حمزة (لَقُضي إليهمْ أجلُهم) بالبناء المفعول وضم هاء (إليهُم) ورفع أجلهُم.

وقرأ باقي العشرة (لقُضي إليهِم أجلُهم) بالبناء للمفعول وكسر هاء (إليهِم) ورفع أجلُهم[١]. والزمخشري رحمه الله يذكر قراءة البناء للفاعل ويحتج لها بقراءة شاذة. يقول في تفسيره: "لقضى إليهم أجلهم) على البناء للفاعل وهو الله عزّ وجل وتنصره قراءة عبد الله، (لقضينا إليهم أجلَهم) [٢]"[٣].

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام:١٠٩]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وخلف وشعبة (إنها إذا) بكسر همزة (إنها) وقرأ باقي العشرة (أنها) بفتح الهمزة، وهو الوجه الثاني لشعبة[٤]. احتج الزمخشري لقراءة الفتح بقراءة شاذة وبنثر من أقوال العرب وبشعر امرئ القيس. قال رحمه الله بعد تفسيره للآية على قراءة أبي عمرو:

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٢٣-٣٢٤، وابن الجزري، النشر، ٢/٢١٢.

(٢) ذكرها أبو حيان في تفسيره ونسبها للأعمش، انظر: البحر المحيط، ١٣٣/٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣١٦/٢-٣١٧.

(٤) انظر: السبعة، ص٢٦٥، والتيسير، ص١٠٦، والنشر، ٣٠٢/٢.

وقيل (أنها) بمعنى (لعلها) من قول العرب: (ائت السوق أنك تشتري لحماً) وقال امرؤ القيس:

عُوجَــاً على الطلل المُحيل لأننا   نبكي الديار كما بكى ابن خُذَام[١]

وتقويها قراءة أبي (لعلها إذا جاءت لا يؤمنون) [٢] وقرئ بالكسر (إنها) على أن الكــلام قــد تــم قــبله بمعنى: وما يشعركم ما يكون منهم..." [٣]. ومثل هذا الاحتجاج للقراءات كثير في تفسير الزمخشري.

---

(١) البيــت لامرئ القيس انظر: ديوانه، ص١١٧، وقال المحقق في هامش الكشاف: ابن خذام أول من بكى الديار من شعراء العرب وكان طبيباً يضرب به المثل في الطب. الكشاف هامش، ٢/٥٤.

(٢) انظــر: الفــراء، معانــي القــرآن، ١/٣٥٠، وقال: العرب تقول ما أدري أنك صاحبها؛ يريدون: لعلك صاحبها...، ١/٣٥٠.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٢/٥٣-٥٤.

المبحث الثاني:

توجيه القراءات عند الزمخشري لغوياً

عرفنا أن توجيه القراءات يقصد منه الكشف عن وجه القراءة من حيث اللغة لمعرفة جلالة المعاني وجزالتها وبيان إعجاز القرآن الكريم[١].وسلك العلماء ومنهم العلامة الزمخشري طرقاً متعددة لبيان وجه القراءة فنجدهم يبحثون الوجه اللغوي للقراءة هذا من جهة كما نجدهم يوجهون القراءة نحوياً أو من حيث الصنعة الإعرابية وما يترتب عليها من اختلاف المعاني باختلاف الإعراب من جهة أخرى. ومن جهة ثالثة نجدهم يوجهون القراءة بلاغياً وذلك ببيان وجوه البلاغة في كل قراءة، والهدف من كل ذلك كما أشار الزركشي هو التعرف على جلالة المعاني وجزالتها المترتبة على اختلاف القراءات[٢].

وقد عني الزمخشري عناية كبيرة بتوجيه القراءات في تفسيره حرصاً منه على إبراز المعاني القرآنية العظيمة في الألفاظ القليلة والكشف عن إعجاز القرآن الكريم، ومن خلال دراستي لتوجيه القراءات عند العلامة الزمخشري في تفسيره لاحظت الأمور الآتية:

أولاً: أن الزمخشري لم يوجه جميع القراءات التي أوردها في تفسيره، بل وجدته يترك جانباً من القراءات دون توجيه ويرجع السبب في ذلك في نظري إلى وضوح مثل هذه القراءات أو لسبب آخر ولعله الأهم، وهو عدم ترتب معاني جديدة على اختلاف تلك القراءات التي تركها دون توجيه، فالزمخشري كما يعرف كل من اطّلع ودرس في تفسيره يحرص كل الحرص على إبراز المعاني القرآنية، فالقراءة التي لا يترتب عليها اختلاف في المعنى غالباً يتركها دون توجيه.

---

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٣٩/١-٣٤٠.

(٢) انظر: السابق.

ثانياً: أن الزمخشري يوجه القراءات المتواترة والقراءات الشاذة دون تفريق ويحتج أحياناً لكل نوع منهما بالآخر كما سبق وعرفنا. وكم وددت لو أنه فصل توجيه المتواتر عند توجيه الشاذ أو لو أنه صرف كل اهتمامه إلى توجيه القراءات المتواترة. ولكن لا حيلة لنا الآن.

ثالثاً: أنه يجنح أحياناً إلى الترجيح والمفاضلة بين القراءات عند توجيهها ولم يقف عند هذا الحد لكنه رحمه الله كاد يسقط كثيراً من القراءات المتواترة بترجيح غيرها عليها بل أسقط بعضها فعلاً. وسيأتي الحديث في الباب الثاني عن ذلك.

وفي هذا المبحث سأتناول نماذج من توجيه الزمخشري للقراءات لغوياً بما يكشف عن علو كعبه وقوة عارضته في الجانب اللغوي وفقه اللغة كيف لا وهو صاحب (أساس البلاغة) وهو معجم لغوي عظيم في بابه، و(الفائق في غريب الحديث) وكتاب (جواهر العربية) وكتاب (مقدمة الأدب) [١] وغيرها من مصنفات الزمخشري في اللغة العربية ومعانيها.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً**﴾ [الأعراف : ١٤٣].

قال الزمخشري: (والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ (دكاء) والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة، أو أرضاً دكاء مستوية، ومنه قولهم: ناقة دكاء؛ متواضعة السنام، وعن الشعبي: قال لي الربيع بن خيثم: ابسط يدك دكاء: أي مدها مستوية) [٢].

---

(١) انظر هذه المصنفات وغيرها في التمهيد من هذه الرسالة المبحث الثاني (مؤلفاته).

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١٤٧/٢.

القــراءات في الكلمة (دكاء) كالآتي: قرأ حمزة والكسائي وخلف (دكاءً) بالهمز وقــرأ باقي العشرة (دكاً) من غير همز بتنوين الكاف[1]. والزمخشري في هذا الموضع يذكــر التوجــيه اللغــوي للقراءة بالهمز، ولا يخرج ما ذكره في توجيهها عن ما ذكره أصحاب المعاجم اللغوية.

قــال ابــن منظور: "الدك: هدم الجبل والحائط ونحوهما، قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة:١٤]. والدكاء: الرابية من الطين ليست بالغلــيظة...، والدّكك: النوق المنفضحة الأسنمة، وبعير أدك لا سنام له... وناقة دكاء كذلــك...، والــدّك: الدق، وقد دككت الشيء أدكه دكاً إذا ضربته وكسرته حتى سويته بالأرض"[2]. وقال الفيروزأبادي: "الدك: الدق، والهدم وما استوى من الرمل كالدكة... والمستوي من المكان... وتسوية صعود الأرض وهبوطها.." والدكاء: الرابية من الطين ليست بالغليظة... ودكاء: الناقة التي لا سنام لها أو لم يشرف سنامها..." [3].

فــالملاحظ التقاء ما ذكره الزمخشري مع ما أودعه أصحاب المعاجم في كتبهم من كلام العرب.

- ومــن ذلــك عند تفسيره لقول الله تعالى في الأنعام: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:٧].

قــرأ أبو جعفر المدني (بشَق) بالفتح. وقرأ باقي العشرة (بشِق) بكسر الشين[4] قال الزمخشري: "قرئ (بشق الأنفس) بكسر الشين وفتحها، وقيل: هما لغتان في معنى المشقة، وبينهما فرق: وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقاً، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع. وأمّا الشّق – بالكسر – فهو النصف كأنه يذهب نصف قوته: لما

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٩٣، والداني، التيسير، ص١١٣، وابن الجزري، النشر، ٢٠٤/٢.
(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٨١/٤-٣٨٣.
(٣) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ٣٠٣/٣.
(٤) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٢٧/٢، والقراءات العشر المتواترة، ص٢٦٨.

ينـــاله مـــن الجهـــد"[١] وهـــذا المعـــنى الذي ذكره الزمخشري أورده علماء اللغة في مصنفاتهم.

قـــال الراغـــب: "(يوم تشقق الأرض) ... والشَّقة: القطعة المنشقة كالنصف... والشِّـــق: المشقة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن، وذلك كاستعارة الانكسار لها. قال تعالى: (إلا بشق الأنفس).." [٢].

فالزمخشـــري في توجيهه اللغوي لقراءتي الكسر والفتح لم يخرج عن ما ذكره علماء اللغة في ذلك مما يشير إلى ضلوعه وتمكنه رحمه الله في الجانب اللغوي.

- ومـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾ [الاسراء: ٣١].

قرأ ابن كثير (خِطَاءً) بالكسر والمد، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر وأبو جعفر المدني (خَطَأً) بفتح الخاء، وقرأ باقي العشرة (خِطْأً) بكسر الخاء[٣].

قـــال الزمخشـــري: وقرئ (خطأ) [٤] وهو الإثم، يقال: خَطِيء خطأ، كأثم إثماً، وخطأ وهو ضد الصواب، اسم من أخطأ، وقيل: الخِطْءُ والخطأ كالحِذر والحَذر"[٥].

والـــذي أورده الزمخشـــري في توجيه هذه القراءات من المعاني اللغوية ذكره أصـــحاب كتب اللغة. قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: اخطأ: إذا لم يصب الصواب... خطـــئَ الرجلُ خِطئا فهو خاطئ"[٦]. وقال ابن منظور: "الخطأ والخطاءُ: ضد الصواب،

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٥٥٦/٢.

(٢) الراغب، المفردات، ص٢٦٤-٢٦٥، وانظر: الجوهري، الصحاح، ٢٥١/٤-٢٥٣، وابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٥١، ٥٢.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٧٩، والداني، التيسير، ص١٤٠، وابن الجزري، النشر، ٢٣٠/٢.

(٤) ذكر هذه القراءة بعد أن فسر الآية على قراءة أبي عمرو.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٦٢١/٢.

(٦) الفراهيدي، الخليل العين، ص٢٥١-٢٥٣.

والخطئية: الذنب على عمد، والخطأ الذنب في قوله تعالى: (إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) أي إثماً وفي قوله: (إنا كنا خاطئين) أي آثمين"[١].

فالزمخشري خرّج القراءة على وجهين ذكرهما العلماء:

الأول: أن يكـون اسـم مصـدر من أخطأ يخطئ إذا لم يصب أي إن قتلهم كان غير صواب.

الثانـي: أن يكون لغة في الخطأ بمعنى الإثم كـ (مِثْل ومَثَل وحِذْر وحَذَر) [٢] وهاتان القـراءتان مأخوذتـان من (خطئ) إذا أتى الذنب على عمد[٣] وكلاهما كذلك من الخطأ في الدين[٤].

- ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان:١٨].

القـراءات فـي قوله: (تصعّر): قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (تصعّر) بالتشديد وقرأ باقي العشرة (تصاعر) بالألف[٥].

قـال الزمخشـري: "تصـاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف. يقال: أصعر خدّه، وصـعّره، وصـاعره، كقولـك: أعلاه وعلاه، وعالاه؛ بمعنى: والصعر والصَّيد: داء يصـيب البعير يلوي منه عنقه. والمعنى: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً. ولا تولّهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون..." [٦].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٣٢/٤-١٣٤.
(٢) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ٨٦/١٥-٨٧.
(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦٤/١٠.
(٤) انظر: البحر المحيط، ٢٩/٦-٣٠.
(٥) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٥١٣، والداني، التيسير، ص١٧٦. وابن الجزري، النشر ٢٦٠/٢
(٦) الزمخشري، الكشاف، ٥٠٤/٣

قال الخليل: "الصعر: ميل في العنق، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، والتصعير: إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر وعظمة كأنه معرض: قال الله عزّ وجل: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾ [لقمان: ١٨]" [١].

وقال الراغب: "الصعَر: ميل في العنق والتصعير إمالته عن النظر كبراً..." [٢].

فالمعنى اللغوي لهذه القراءة وتلك واحد، والهدف هو النهي عن الكبر والتعالي على الآخرين أو النهي عن تصرفات المتكبرين، على ما ذكر أبو السعود في تفسيره وأشار كذلك إلى أن داء الصعر الذي يصيب البعير يسمى أيضاً (الصَّيد) كما ذكره الزمخشري[٣].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى على لسان قوم عاد مخاطبين نبيهم هوداً: ﴿**قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ۞ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ**﴾ [الشعراء: ١٦٣، ١٣٧]. القراءات في قوله (خُلُق): قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف (خُلُق) بضمتين. وقرأ باقي العشرة (خَلْق) بفتح الخاء وإسكان اللام[٤].

وفي توجيه هاتين القراءتين يقول الزمخشري: "من قرأ (خَلْق الأولين) بالفتح فمعناه:

١. إن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصم كما قالوا: (أساطير الأولين).
٢. أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية. نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب.

---

(١) الخليل، العين، ص٥١٩.

(٢) الراغب، المفردات، ص٢٨١.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود، ٥/١٩٠.

(٤) انظر: السبعة، ص٤٧٢، والتيسير، ص١٦٦، والنشر، ٢/٢٥١-٢٥٢.

ومن قرأ (خُلُق) بضمتين فمعناه:

١. مـــا هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم، كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون.

٢. أو مـــا هـــذا الـــذي نحـــن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل الناس عليها في قديم الدهر.

٣. أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه"[١].

فالزمخشري يذكر وجهين لقراءة الفتح ويذكر ثلاثة أوجه لقراءة الضم، وكل هذه الوجـــوه الخمسة بناها على المعنى اللغوي لكلمة (خلق) وهي أي الوجوه الخمسة التي ذكرها الزمخشري في توجيه للقراءات في الآية الكريمة محتملة في لغة العرب.

قـــال الخلـــيل: "الخَلْق: الكذب في قراءة من قرأ (إن هذا إلا خَلْق الأولين)"[٢]، وقال ابن منظور: الخَلْق في كلام العرب: ابتداع الشيء وإحداثه على مثال لم يسبق إليه ... والخُلُق: الطبيعة والسليقة والسجية. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]. والخَلْـــق: الكذب والإفك يخلقه وتخلّقه واختلقه: افتراه وابتدعه. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٣٧]. فمعناه كذب الأولين. و(خُلُق الأولين) قيل سجية الأولين، وقيل عادة الأولين. ومن قرأ (خَلق الأولين) فمعناه افتراء الأولين"[٣].

وهـــذه المعاني كلها ذكرها الزمخشري في توجيه القراءات في الآية الكريمة بل زاد عليها رحمه الله تعالى بما أوتي من غزارة علم وسعة اطلاع على لغات العرب وما ذكره في توجيه القراءات في الآية الكريمة تبناه العلماء من بعده[٤].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣٣١/٣، ٣٣٢.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ص٢٦٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٩٢/٣-١٩٦، وانظر: الفراء، معاني القرآن، ٣١١/٢.

(٤) انظر مثلاً: البيضاوي، ١٤٦/٤، والنسفي، ٥٧٥/٢، والآلوسي، ١٥٠/١٩، وغيرهم.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ۝ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [يس:١٣، ١٤]. قرأ عاصم في رواية شعبة بن عياش (فَعَزَزْنا) من دون تشديد. وقرأ باقي العشرة (فعزَّزنا) بالتشديد[١].

قال الزمخشري في توجيه قراءة التشديد: " (فعزّزنا) فقوينا، يقال: المطر يعزز الأرض إذا لبّدها وشدها وتعزز لحم الناقة.

وقرئ بالتخفيف (فعززنا) من عزّه يعزه: إذا غلبه، أي فغلبنا وقهرنا (بثالث) "[٢]. إذن توجيه القراءة بالتشديد على معنى قوينا. والقراءة بالتخفيف بمعنى قهرنا وغلبنا.

وذكر علماء اللغة هذين المعنيين بما يتفق تماماً مع ما ذهب إليه الزمخشري[٣] ووافقه كذلك علماء التفسير قال أبو حيان: (فعزَّزنا) مشدداً أي قويناهما بثالث، ومخففاً فغلبناهم بحجة ثالث[٤]، وقال الآلوسي: (فعززنا) أي قويناهما وشددنا... ويقال تعزز لحم الناقة إذا صلب، ويقال عزز المطر الأرض إذ لبدها وشدها ويقال للأرض الصلبة العزاز، ومنه العز بمعناه المعروف..."[٥].

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا...﴾ [فصلت: ٤٠]. قرأ حمزة الزيات (يَلحَدون) بفتح الباء والحاء. وقرأ باقي العشرة (يُلحِدون) بضم الياء وكسر الحاء[٦].

---

(١) انظر: السبعة، ص٥٣٩، والتيسير، ص١٨٣، والنشر، ٢٦٤/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١١/٤.

(٣) انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٤١٢، والراغب، ص٣٣٣، والسمين، العمدة، ٨٢/٣ــ ٨٣.

(٤) انظر: البحر المحيط، ٣١٣/٧، وتفسير أبي السعود، ٢٩٢/٥.

(٥) الآلوسي، روح المعاني، ٥٣٨/٢٢.

(٦) السبعة، ص٥٧٦، التيسير، ص١٩٣، النشر، ٢٧٤/٢.

قـــال الزمخشـــري: "ألحد الحافر ولحد، إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة، وقرئ (يَلحَدون) و(يُلحِـــدون) على اللغتين"[1] فالزمخشري ذكر أصل الاستعمال اللغوي للكلمة ومعناه ثم بين انتقال هذا المعنى من الانحراف في الحفر والشق إلى الانحراف عن الحق والدين.

قال الراغب: "اللحد حفرة مائلة عن الوسط، وقد لَحد القبر: حفره كذلك.. ولحد بلسانه إلى كذا: مال، قال تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾ [النحل: ١٠٣] من لحد، وقرئ (يُلحدون) من ألحد، وألحد فلان مال عن الحق.."[2].

ومـــا ذكره الزمخشري في توجيه القراءات في الآية الكريمة من الانحراف في تـــأويل آيـــات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يشمل ما ذكره العلماء من أقوال في الآيـــة ومنها: قول قتادة: هنا الإلحاد هو التكذيب وقال مجاهد: "المكاء والصفير واللغو" عـــند تلاوة القرآن، وقال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه. وقال السدي: يعاندون رسلنا فيما جاؤوا به من البينات والآيات"[3].

- ومـــن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]. قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف (يَصُدُّون) بضم الصاد. وقرأ باقي العشرة (يصِدُّون) بكسر الصاد.

وفـــي توجـــيه القراءتيـــن قال الزمخشري مبتدئاً بقراءة أبي عمرو (بالكسر): (يصِدون)، ترتفع لهم جلبة[4] وضجيج فرحاً وجدلاً وضحكاً بما سمعوا منه من إسكات رســـول الله ﷺ بجدله، كما يرتفع لغط القوم ولجبهم[5] إذا تعيّوا بالحجة ثم فتحت عليهم.

(١) الكشاف، ٢٠٧/٤.

(٢) الراغب، المفردات، ص٤٤٨.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٨/١٥-٢٣٩، وانظر: البحر المحيط، ٤٧٨/٧.

(٤) الجلبة: هي اختلاط الأصوات المرتفعة. لسان العرب، ٣١٧/٢.

(٥) لجبهم بمعنى جلبهم: والمعنى هو ارتفاع أصواتهم واختلاطها. لسان العرب، ٢٣٧/١٢.

وأمـــا توجيه قراءة الضم (يصُدُّون) فمن الصدود أي: من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه..." [١].

فذكـــر الزمخشري معنيين في توجيهه للقراءتين وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أن ما ذهب إليه في توجيه القراءتين يتفق مع ما جاء في هذه المعاجم.

قال ابن فارس: "الصاد والدال معظم بابه يؤول إلى إعراض وعدول... فالصد: الإعراض[٢] وهذا هو المعنى الذي ذكره الزمخشري على القراءة الثانية بضم الصاد، ثم بيـــن ابـــن فارس المعنى على القراءة الأولى فقال: "ومما هو صحيح قولهم: صدَّ يصد وذلك إذا ضج ... والصديد: الدم المختلط بالقيح"[٣].

وقال ابن منظور: "الصدّ الإعراض والصدود. ويصد صداً وصدوداً: أعرض.. وصدَّ يصِدُّ: ضج وعج وفي التنزيل ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ يضـــجون ويعجـــون"[٤] فلم يخرج ابن منظور عن ما ذكره الزمخشري في توجيه القراءات في الآية وكذلك غيره من أصحاب المعاجم اللغوية.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً...**﴾ [الـــبقرة: ٢٥٩]. قـــرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (ننشرها) بالراء. وقرأ باقي العشرة (ننشزها) بالزاي[٥].

بـــدأ الزمخشـــري بتوجيه قراءة أبي عمرو (بالراء) فقال: (كيف ننشرها) كيف نحيـــيها... من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا. وقرئ (ننشزها) بالزاي بمعنى نحركها ونرفعها بعضها إلى بعض للتركيب" [٦].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢٦٢/٤.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٢٨٢/٣.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢٨٢/٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٢/٤، وانظر كذلك:الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس،٢٦٦/٨-٢٦٨.

(٥) انظر: السبعة، ص١٨٨، والتيسير، ص٨٢، والنشر، ١٧٤/٢.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ٣٣٥/١.

والنشر في اللغة يدل على فتح الشيء وتشعبه، ونشرت الأرض: أصابها الربيع فأنبتــت، ويقال: (النّشر) بالسكون الريح الطيبة، يريد انتشار وسطوع هذه الريح ونشر الله الميــت أحــياه[١]. وهــذا عين ما ذكره الزمخشري في توجيه القراءة بالراء. وأما (النشــز) بالــزاي فهــو العلو والارتفاع، قال ابن فارس: "النون والشين والزاي أصل صــحيح يدل على ارتفاع وعلو، والنشز: المكان العالي المرتفع، والنشوز الارتفاع، ثم استعير فقيل نشزت المرأة: إذا تعالت وتصعبت على بعلها[٢]. وقال ابن منظور: النشز: المتن المرتفع من الأرض، والنشوز ما ارتفع من الأرض وظهر"[٣].

فــتلاقى ما ذكره أصحاب المعاجم اللغوية مع ما ذكره الزمخشري في توجيهه اللغوي للقراءات السابقة ولا عجب في ذلك فالزمخشري لغوي كما أنه نحوي مفسر.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾** [مريم: ٥١].

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (مخلَصاً) بفتح اللام.

وقرأ باقي العشرة (مخلِصاً) بكسر اللام[٤].

قال الزمخشري: "(المخلِص) بالكسر: الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله تعالى. وبالفتح: الذي أخلصه لله تعالى"[٥].

قال ابن منظور: "خَلَص الشيء بالفتح يَخلُص خُلوصاً وخلاصاً إذا كان قد نَشِبَ ثــم نجــا وسلم وأخلص لله دينه أمحضه... والمخلَص الذي أخلصه الله فجعله مختاراً

---

(١) ابن فارس، ٥/٤٣٠، ٤٣١، وابن منظور، لسان العرب، ٧/٦١- ٦٣.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/٤٣١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٢٨٤-٢٨٦.

(٤) انظر: السبعة، ص٢٨٧، وابن الجزري، النشر، ٢/٢٣٩.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٤.

خالصاً من الدنس"[1] وهذا الذي عناه الزمخشري في توجيه قراءة الفتح (مخلَصاً) وفي قراءة الكسر قال ابن منظور: "والمخلِص: الذي وحد الله تعالى خالصاً"[2].

وفات الزمخشري أن يجمع بين القراءتين: وذلك أن موسى عليه السلام وجميع أنبياء الله تعالى ورسله أخلصهم الله تعالى واختارهم وخلصهم كل شائبة كما أنهم في الوقت ذاته أخلصوا عبادتهم وعبوديتهم لله تعالى مبتعدين كل البعد عن الشرك والرياء مسلمين وجوههم لله تعالى وحده. وبذلك تكون كل من القرائتين أثبت صفة لسيدنا موسى عليه السلام. صفة إخلاصه نفسه العبادة لله تعالى وبعده عن الشرك على قراءة الكسر. وصفة إخلاص الله تعالى له وتخليصه من زلات النفس والمعاصي. فتبارك الذي هذا كلامه.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ [الحج: ٥].

قرأ أبو جعفر (وربأت) بالهمزة وقرأ باقي العشرة (وربت) بلا همز[3].

قال الزمخشري: "(وربت) تحركت بالنبات وانتفخت. وقرئ (وربأت) أي ارتفعت"[4]. وكأن الزمخشري عنى بقوله: السابق في توجيه القراءتين أن مردهما واحد وهو الارتفاع والانتفاخ والزيادة لأن تحرك الأرض بالنبات وانتفاخها يعني ارتفاعها وهذا ما ذكره ابن فارس في معجمه فقال: "الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو: تقول ربا الشيء يربو إذا زاد. والمربأة من الأرض: المكان العالي يقف عليه عين القوم، وأربأبك عن هذا الأمر أي ارتفع بك عنه"[5].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٢٩٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٢٩٢.

(٣) انظر: السبعة، ص٣١٢، والنشر، ٢/٢٤٤.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣/١٤٦.

(٥) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/٤٨٣-٤٨٤.

المبحث الثالث

توجيه القراءات عند الزمخشري نحوياً

يخلص الناظر في كتب الزمخشري إلى نتيجة مفادها أن الزمخشري سار في تخريجاته النحوية وفق قواعد المدرسة البصرية، يظهر ذلك من خلال استعماله لمصطلحات البصريين النحوية[١].

كما نجده يصرح بانتمائه إلى مدرسة البصريين في غير كتاب من كتبه، من ذلك في كتابه (المفصل)؛ وهو أشهر كتبه في النحو يقول في أكثر من موضع في هذا الكتاب: (وإليه ذهب أصحابنا البصريون)[٢]. ويقول في موضع آخر من الكتاب ذاته: (إن فعل الأمر مبني على الوقف عند أصحابنا البصريين، وقال الكوفيون: هو مجزوم باللام مضمرة وهذا خلف من القول) [٣].

وفي كتابه (الفائق في غريب الحديث) صرح بانتمائه لمذهب البصريين غير مرة، يقول: (إن الصداق بالكسر أفصح عند أصحابنا البصريين) [٤].

أما في الكشاف؛ كتابه الذي كنز فيه عصارة فكره وعلمه فيصف فيه مذهب البصريين بالسداد والصواب ويدعو إلى وجوب اتباع ما جاء في كتاب سيبويه لما فيه من كنوز العربية التي لا توجد في غيره من الكتب ولا في غير مذهب البصريين[٥].

ومع تبني الزمخشري لقواعد وأقيسة مدرسة البصرة إلا أن عقليته الفذة وقريحته الوقادة، وعلو كعبه وقوة عارضته في علوم اللغة والنحو والبلاغة كل ذلك كان يدفعه لتجاوز أية قيود، فنجده يخرج أحياناً عن مذهب البصريين مقتفياً أثر مذهب الكوفيين.

---

(١) من هذه المصطلحات: (النعت، البدل، الممنوع من الصرف، الجر، ضمير الفصل..).

(٢) الزمخشري، المفصل في صنعة الأعراب ٥٩/١.

(٣) السابق، ١٥٦/٢.

(٤) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ٣٥٢/١.

(٥) انظر: الزمخشري، الكشاف، ١٣٧/٢، ١٣٨.

ولعـل هـذا الذي دفع بعض الأساتذة إلى أن ينسبوه إلى المدرسة البغدادية في النحو[١] التي تقوم على أساس الانتخاب والترجيح من أقوال أصحاب مدرستي البصرة والكوفة.

يقول الدكتور مهدي المخزومي: "إن المذهب البغدادي ليس إلا مذهباً انتخابياً فيه الخصـائص المنهجـية للمدرستين جميعاً"[٢]، يقصد مدرستي البصرة والكوفة ويقول محمـد طـنطاوي: "بالتئام عقد الفريقين في بغداد[٣] نشأ المذهب البغدادي الذي عماده الترجيح بين الفريقين"[٤].

ومـع أن الزمخشـري يعد نفسه بصرياً إلا أنه يقول أحياناً بآراء الكوفيين كما أشـرت ولا يبذل الباحث في كتب الزمخشري عامة وتفسيره الكشاف خاصة كبير جهد للوصـول إلـى هـذه النتيجة والتعرف على خروج الزمخشري عن المذهب البصري واتباعه لأقـوال الكوفيين في تفسيره لبعض الآيات وإعرابها، ففي أول تفسيره وعند تفسـيره للبسـملة مـن سورة الفاتحة قال الزمخشري: (فإن قلت: بم تعلقت الباء؟ قلت بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو...)[٥]. وهذا هو قول الكوفيين في تقدير المحذوف لأن البصـريين يقـدرون "ابتدائـي باسم الله أي جملة اسمية أما الكوفيون فهي عندهم فعلية"[٦].

ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ**﴾ [إبراهيم: ١٦]، قـال الزمخشـري: "فـإن قلت: ما وجه قوله (من ماء صديد) قلت: صديد عطف بيان

---

(١) نقـل ذلـك السامرائي عن الدكتور شوقي ضيف والاستاذ عبد الحميد حسن ثم قال معقباً: " ولست أدري كـيف يعد الزمخشري من نحاة بغداد وهو لم يسكنها ولم يطرقها إلا زائراً وكذلك فيما يتعلق بالأسس النحوية والمصطلحات والمسائل الخلافية فهو ليس بغدادي. الدراسات النحوية، ص٣١٩.

(٢) مدرسة الكوفة، ص٧١.

(٣) يقصد البصريين والكوفيين.

(٤) طلس، محمد اسعد، نشأة النحو، ص٢٦.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٤٧/١.

(٦) انظر، ابن هشام، مغني اللبيب ٣٧٨/٢.

لماء)[1]. وهذا الإعراب على مذهب الكوفيين أما البصريون فلا يجيزون ذلك، قال أبو حيان: (والبصريون لا يجيزون عطف البيان في النكرات وأجازه الكوفيون...) [2].

والــذي يعنيــنا في هذا المبحث هو الكشف عن توجيهات الزمخشري للقراءات القرآنــية توجــيهاً نحوياً للوصول إلى المعنى القرآني المراد محاولة منه لبيان إعجاز القرآن الكريم، ولا يخفى على أحد الارتباط والتلازم ووشائج الصلة بين النحو والمعنى، إذ الإعراب فرع المعنى كما هو معروف.

وسأقف في هذا المبحث على نماذج وأمثلة من تفسيره الكشاف أعمل فيها فكره الــنحوي فــي توجيه القراءات، على أنني لن أخوض في توجيه الزمخشري للقراءات الشــاذة، مــع أنه أبدع فيها أيضاً أيما إبداع ولم يفرق غالباً بين الشاذ والمتواتر، وذلك الــتزاماً منــي بخطة الدراسة، ولابد من الإشارة إلى أن هذه النماذج التي سأتناولها لا تشــكل إلا غــرفة مــن بحر الزمخشري الزاخر في توجيهاته النحوية للقراءات ولكن حرصت أن تكون هذه النماذج ممثلة لفكر الزمخشري النحوي قدر الإمكان.

- مــن ذلــك عــند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...**﴾ [البقرة: ١٢٥]. قرأ نافع وابن عامر (واتخَذوا) بفتح الخاء. وقرأ باقي العشرة (واتخِذوا) بكسر الخاء[3].

بعــد أن فســر الزمخشــري الآية على قراءة الكسر (واتخِذوا) بلفظ الأمر ذكر قــراءة الفــتح بلفظ الماضي ووجهها فقال: وقرئ (واتخَذوا) بلفظ الماضي عطفاً على (جعلنا) أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلّون إليها[4].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٥١٣/٢.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ٤٠٢/٥.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٧٠. والداني، التيسير، ص٧٦، وابن الجزري، النشر ١٦٦/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٢١١/١، ٢١٢.

وهـذا التوجيه للقراءة على الفعل الماضي ذكره علماء التفسير والقراءات أيضاً قال القرطبي بعد أن ذكر قراءة الفتح "وهو معطوف على (جعلنا) أي جعلنا البيت مثابة واتخذوه مصلى.."(١).

وقال ابن زنجلة: "(قرأ ابن عامر ونافع (واتخَذوا من مقام إبراهيم) بفتح الخاء. وحجتها أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم عليه السلام أنهم اتخذوا مقام إبراهيم مصلى وهو مردود إلى قوله: : ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً...** ﴾(٢).

ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة:٢٤٠]. قرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وحمزة (وصيةً) بالنصب. وقرأ باقي العشرة (وصيةٌ) بالرفع(٣).

وبدأ الزمخشري بتوجيه هاتين القراءتين قبل أن يفسر الآية فقال رحمه الله: "(تقديره فيمن قرأ (وصيةٌ) بالرفع: ووصية الذين يتوفون، أو وحكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم. أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم. وفيمن قرأ (وصيةً) بالنصب: والذين يتوفون يوصون وصية، كقولك إنما أنت سير البريد بإضمار تسير أو وألزم الذين يتوفون وصيةً...)(٤).

فالزمخشري ذكر ثلاثة أوجه لقراءة الرفع هي:

حكم الذين يتوفون وصية على أنها خبر لمبتدأ محذوف، وكذلك الوجه: ووصية الذين يتوفون. أو على أنها خبر كما في تقدير: والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٧٦/٢، وانظر: الألوسي ٥١٧/٢.

(٢) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص١١٣.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٨٤، والداني، التيسير، ص٨١، وابن الجزري، النشر، ١٧١/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣١٧/١.

أمـــا قراءة النصب فذكر لها وجهين اثنين: الأول: على أنها مفعول مطلق لفعل محـــذوف تقديـــره: والذين يتوفون يوصون وصيةً. والوجه الثاني: قدرها مفعولاً ثانياً للفعل ألزم فقال: ألزم الذين يتوفون وصيةً.

- ومـــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى في آية الوضوء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ [المائدة: ٦].

قـــرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب (وأرجلَكم) بالفتح وقرأ باقي العشرة (وأرجلِكم) بالكسر(١).

وجّه الزمخشري قراءة النصب (وأرجلَكم) على أن حكم الأرجل الغسل وقراءة (وأرجلِكـم) بالجـــر ظاهـــرها يفيد أن حكم الأرجل المسح ولكن الزمخشري جمع بين القراءتين كالآتي: قرأ جماعة (وأرجلَكم)بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة من بين الأعضـــاء الـــثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهـــي عنه فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فـــي صـــب المـــاء علـــيها، وقيل (إلى الكعبين) فجاء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة(٢).

ووجه العلماء هذه القراءة وذكروا لها عدة وجوه منها أن المسح قد يأتي بمعنى الغســل(٣)، أو أن المـــراد عدم الاكتفاء بمجرد الغسل بل لابد من الدلك باليد(٤)، أو أن العطـــف على الرأس الذي حقه المسح عطف للفظ دون المعنى(٥)، أو أن وجوب الغسل

---

(١) انظر : أبن مجاهد ص ٢٤٢، والتيسير، ص ٩٨، والنشر ٢/١٩١.

(٢) الكشاف ١/٦٤٥.

(٣) انظر: القرطبي ٦/٩٤، ومكي، الكشف، ١/٤٠٧.

(٤) انظر: الطبري ٤/٤٧١.

(٥) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٢/١٨.

للرجليــن حال كونهما حاسرتين وأن المسح حال ارتداء الخفين بشروطهما[١]،إلى غير ذلــك مــن الوجوه التي أفاضت بها قرائح العلماء لكن أحداً لم يذكر تلك الفائدة واللفتة العظــيمة التــي ذكرها العلامة الزمخشري، وتحقيق ما ذكره أن الأصل أن يقال مثلاً واغســلوا أرجلكم غسلاً خفيفاً لا إسراف فيه، كما هو المعتاد، فاختصرت هذه المقاصد بإشراكه الأرجل مع الممسوح، ونبه بهذا التشريك الذي لا يكون إلا في الفعل الواحد أو الفعليــن المتقاربين جداً على أن الغسل المطلوب في الأرجل غسل خفيف يقارب المسح وحســن إدراجــه معــه تحــت صيغة واحدة[٢]. وعليه يكون الزمخشري قد جمع بين القراءتين على أفضل وجه إذ أفادت قراءة النصب وجوب غسل الرجلين وأفادت قراءة الجر أن يكون هذا الغسل غسلاً خفيفاً من غير إسراف في الماء.

- ومــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون**﴾ [يونس: ٢٢]قرأ حفص عن عاصم (متاعَ) بالنصب. وقرأ باقي العشرة (متاعُ) بالرفع[٣].

قــال الزمخشــري رحمه الله: "وقرئ (متاعَ الحياة الدنيا) بالنصب، فإن قلت ما الفرق بين القراءتين؟ قلت: إذا رفعت كان المتاع خبراً للمبتدأ الذي هو (بغيكم) و (على أنفســكم) صــلته كقولــه: (فبغى عليهم) ومعناه: إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنســكم يعنــي بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها. وإذا نصبت فـــ

---

(١) انظر: الشافعي، أحكام القرآن، ص٥١، وابن العربي، أحكام القرآن ٥٧٨/٢.

(٢) انظر: ابن المنير، حاشية الكشاف، ٦٤٥/١.

(٣) انظر: ابن مجاهد، ص٣٣٥، والتيسير، ص١٢١، والنشر ٢١٢/٢.

(على أنفسكم) خبر غير صلة، معناه: إنما بغيكم وبال على أنفسكم، و(متاع الحياة الدنيا) في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل: تتمتعون متاع الحياة الدنيا لا بقاء لها. ويجوز أن يكون الرفع على: هو متاعُ الحياة الدنيا بعد تمام الكلام"[١].

وجّه الزمخشري هاتين القراءتين بما يكشف عن الفرق في الإعراب والمعنى بينهما فعلى قراءة الرفع ذكر الزمخشري إعرابين، الأول: أن تكون (متاعُ) خبراً للمبتدأ (بغيكم) والثاني: أن تكون (متاعُ) خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير: (هو متاع الحياة الدنيا) وعلى الإعرابين يكون بغي الناس بعضهم على بعض هو متاع ومنفعة في الحياة الدنيا التي لا بقاء لها. ووجه قراءة النصب (متاعَ) على أنها مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف أي: تتمتعون متاع الحياة الدنيا، والمراد من ذلك بيان كون ما في البغي من المنفعة العاجلة شيئاً غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال. والجملة هي (بغيكم) مبتدأ (على أنفسكم) خبر و(متاعَ) مصدر[٢].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۝ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [يونس: ٨٠-٨١]. قرأ أبو عمرو وأبو جعفر (به آلسّحر) بزيادة همزة استفهام قبل همزة الوصل. وقرأ باقي العشرة (به السحر) بلا استفهام[٣].

وبدأ الزمخشري بتوجيه القراءة الثانية (من غير استفهام) فقال رحمه الله: (ما جئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و(السحر) خبر، أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/٣٢٣.

(٢) انظر: البحر المحيط ٥/١٤٣، والعكبري ٢/٢٨، والألوسي ١١/١٣٢، ١٣٣.

(٣) انظر: ابن مجاهد، ص٣٢٨، والتيسير، ص١٢١، والنشر ٢/٢١٥.

وقرئ (آلسحر) على الاستفهام، فعلى هذه القراءة (ما) استفهامية، أي: أي شيء جئتم به، أهو السحر؟...."[1].

وتوجيه القراءة الأولى (قال موسى ما جئتم به السحر) يستفاد من النظم افادة الحصر فلما اطلقه موسى ﷺ إنما اراد إضافة السحر إلى ما جاؤوا به محصوراً فيه حتى لا يتعدى إلى الحق الذي جاء به موسى، وهذا ما عناه الزمخشري وعبر عنه بقوله في توجيه القراءة: "الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله تعالى".

وجوّز العكبري وغيره على القراءة الثانية (قراءة الاستفهام) إعراب كلمة السحر على أكثر من وجه فقال: (يقرأ بالاستفهام فعلى هذا تكون (ما) استفهاماً وفي موضعها وجهان: أحدهما: نصب بفعل محذوف تقديره: أي شيء أتيتم به وجئتم به فعلى هذا في قوله (آلسحر) وجهان:

١. هو خبر مبتدأ محذوف تقديره هو السحر.
٢. أن يكون الخبر محذوفاً والتقدير: السحر هو[2].

وذكر العلماء وجوهاً أخرى في إعرابها[3].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج:٢٥].

قال الزمخشري: "(سواءً) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع[4]، ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه أي: جعلناه مستوياً (العاكف فيه والباد) وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان"[5].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٤٥/٢.

(٢) انظر : العكبري، إملاء ما من به الرحمن ٣٢/٢.

(٣) انظر: البحر المحيط، ١٨١/٥، وأبو السعود، ٢٦٧/٣-٢٦٨، والآلوسي، ٢٢٢/١٢.

(٤) انظر: ابن مجاهد، ص٤٣٥، والتيسير، ص١٥٧، والنشر ٢٤٥/٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف ١٥٢/٣.

فالزمخشري جعل (سواء) مفعولاً ثانياً لـ(جعلنا) على قراءة النصب، وعلى هذا التوجيه أيضاً يرتفع العاكف على الفاعلية أي استوى العاكف فيه والباد(١).

وعلى قراءة (سواءٌ) بالرفع جعل الزمخشري الجملة مفعولاً ثانياً وبيان قوله كالآتي: أن يكون (العاكف) مبتدأ مؤخراً و(سواءٌ) خبراً مقدماً. ويجوز أن يكون (سواءٌ) مبتدأ و(العاكف) خبره، والأول أقوى لغة حتى لا نخبر بالمعرفة عن النكرة. والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر في موضع المفعول الثاني لـ(جعلناه) (٢).

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [النور:٥٧].

قرأ ابن عامر وحمزة (لا يَحَسَبَنَّ) بالياء وفتح السين، وقرأ عاصم وأبو جعفر (لا تَحَسبنَّ) بالتاء وفتح السين وقرأ باقي العشرة (لا تَحسِبن) بالتاء وكسر السين(٣)، قال الزمخشري: "وقرئ (لا يحسبن) بالياء وفيه أوجه: أن يكون (معجزين في الأرض) هما المفعولان والمعنى: لا يحسبن الذين كفروا أحداً يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك، وهذا معنى قوي جيد، وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله (وأطيعوا الرسول) [النور: ٥٦]، وأن يكون الأصل (لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين)، ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول، وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث"(٤).

قلت: ترك الزمخشري توجيه قراءة (لا تحسبن) بالتاء لوضوحها وعدم الحاجة إلى التقدير، فالفعل (حسب) يتعدى لمفعولين، وعلى قراءة التاء يكون (الذين كفروا) مفعولها الأول (معجزين في الأرض) مفعولها الثاني.

---

(١) انظر: ابن زنجلة، ص٤٧٥، والعكبري ١٣٧/٢.

(٢) انظر: البحر المحيط ٣٣٦/٦، والألوسي ١٨٣/١٧.

(٣) انظر: الداني، التيسير، ص١٦٣، وابن الجزري، النشر ٢٤٩/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٢٥٧/٣.

لكـــن الإشـــكال يظهـــر فـــي القراءة بالياء (لا يحسبن) وهي التي وقف عندها الزمخشري ووجهها. ولما في قراءة حمزة وابن عامر (لا يحسبن) بالياء من إشكال قال فـــيها النحاس: "ما علمت أحداً من أهل العربية بصرياً ولا كوفياً إلا وهو يخطئ قراءة حمـــزة، ومنهم من يقول: هي لحن؛ لأنه لم يأت إلا بمفعول واحد ليحسبن"[١]. والحقيقة غـــير مـــا ذكر رحمه الله فقد وجدت البصريين والكوفيين يوجهون هذه القراءة[٢]، ولن أقـــف في هذا المقام إلا مع ما ذكره الزمخشري حتى لا أطيل. والزمخشري ذكر أكثر من توجيه لقراءة (يحسبن) بالياء وهي:

التوجـــيه الأول: أن يكون قوله (معجزين في الأرض) هما المفعولان، والتقدير: لا يحســـبن الذيـــن كفروا أحداً يعجز الله في الأرض، وعليه يكون (الذين كفروا) فاعل (يحســـب) و(أحـــداً) المفعول الأول وهو محذوف والجملة (يعجز الله) المفعول الثاني. وقال في آخره وهذا معنى قوي جيد.

التوجـــيه الثانـــي: أن يكـــون الفـــاعل ضمير الرسول ﷺ لتقدم ذكره في قوله: (وأطـــيعوا الرســـول) و(الذيـــن كفروا معجزين..) المفعولين الأول والثاني، وهذا مثل توجيه قراءة (لا تحسبن) بالتاء.

واعـــترض أبو حيان أن يكون الرسول ﷺ هو الفاعل لأن مثل هذا الحسبان لا يتصـــور وقوعه فيه عليه السلام وقال: التقدير: لا تحسبن أيها المخاطب ولا يندرج فيه الرسول ﷺ[٣].

قلـــت: الأولـــى في قوله تعالى (ولا تحسبنّ) أن يكون الخطاب عاماً يدخل فيه الرســـول ﷺ وغيره من المسلمين، وإلا فماذا نفعل في خطاب الله تعالى لنبيه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب:١]، وغيره من

---

(١) انظر: النحاس، إعراب القرآن، دار الكتب العلمية، ط١، ١٠١/٣.

(٢) انظر: العكبري، ١٥٧/٢. والبحر المحيط ٤٣٢/٦. والآلوسي، ٥٤٢/١٨.

(٣) البحر المحيط، ٤٣٢/٦.

مثله في كتاب الله تعالى؟ فالأولى إبقاء الكلام على عمومه ولا نخصصه إلا بمخصص ولا مخصص هنا.

التوجيه الثالث: لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين، فيكون (الذين كفروا) فاعل والضمير (هم) مفعول به أول و(معجزين) المفعول الثاني، ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول[1].

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً**﴾ [الفرقان:١٧- ١٨].

يريد المعبودين من دون الله من الملائكة والمسيح وعزير وكل معبود من دون الله غيرهم. قرأ أبو جعفر المدني (نُتَخذ) على البناء للمفعول وقرأ باقي العشرة (نتخذ) على البناء للفاعل[2].

قال الزمخشري في توجيه القراءتين: "(وقرأ ابو جعفر المدني (نُتَخذ) على البناء مفعولين، وهذا الفعل أعني: (اتخذ) يتعدى إلى مفعول واحد، كقولك (اتخذ ولياً) وإلى المفعولين كقولك: اتخذ فلاناً ولياً قال الله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾ [الانبياء: ٢١]، وقال: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ [النساء: ١٢٥]. فالقراءة الأولى من المتعدي إلى مفعول واحد وهو (من أولياء) والأصل: أن نتخذ أولياء، فزيدت (من) لتأكيد معنى النفي. والثانية: من المتعدي إلى مفعولين، فالأول ما بني له الفعل. والثاني (من أولياء) ومن للتبعيض أي: لا نتخذ بعض أولياء"[3].

---

(١) انظر: توجيه هذه القراءة في: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٩٨، والبحر المحيط ٦/٤٣٢-٤٣٣، والألوسي ١٨/٥٤٢-٥٤٣.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر ٢/٢٥٠، والقراءات، العشر المتواترة، ص٣٦١.

(٣) الزمخشري، ٣/٢٧٥.

قـال الفراء في توجيه هذه القراءة: "القرأة مجتمعة على نصب النون في (نَتخِذ) إلا أبـا جعفـر المدني فإنه قرأ (نُتخَذ) بضم النون (من دونك) فلو لم تكن في الأولياء (مـن) كان وجها جيداً" [١]، فهو رحمه الله يجيز هذه القراءة لكنه يضعفها. أما الزجاج فإنه يرد هذه القراءة مطلقاً ويقول: "هذه القراءة خطأ"[٢].

لكـن الزمخشـري لـم يعبأ بكل ما قيل ووجه القراءتين نحوياً بما يتفق مع قواعـد اللغـة العربـية. فعلى قراءة الجمهور (نَتخِذ) على تسمية الفاعل تعدى الفعل (نـتَخذ) إلـى مفعول واحد هو (من أولياء) قال العكبري: وجاز دخول (من) لأنه في سـياق النفي، فهو كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ وهو قول الزمخشري: (لتاكيد معـنى النفـي) وعلى قراءة أبي جعفر (نُتخَذ) على البناء للمجهول. فيتعدى الفعل إلى مفعوليـن: الأول: ما بني له الفعل، وهو الضمير في (نتخذ) والثاني (من أولياء) ومن للتبعيض أي: لا نتخذ بعض أولياء.

والزمخشـري يذكـر المعنى المترتب على اختلاف القراءتين، وهو أن هؤلاء الملائكـة وبعـض الأنبياء أرادوا أن ينفوا عن أنفسهم اتخاذهم أولياء من دون الله وان ينفوا عن أنفسهم أيضاً أنهم طلبوا من غيرهم أن يتخذهم أولياء من دون الله كأنهم قالوا: ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً من دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك.. [٣].

- ومـن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [الشـعراء: ١٢-١٣]. قـرأ يعقوب البصري (يضيقَ... ولا ينطلقَ) وقرأ باقي العشرة (يضيقُ...ولا ينطلقُ) [٤].

---

(١) الفراء، معاني القرآن، ٢/٢٦٤، كذلك فعل أبو عبيدة وغيره، انظر: القرطبي ١٣/٩.

(٢) انظر: الألوسي، روح المعاني ١٨/٥٩٥.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف ٢/٢٧٥.

(٤) انظر: ابن الجزري، النشر ٢/٢٥١، القراءات العشر المتواترة، ص٣٦٧.

قـــال الزمخشـــري: "(ويضيقُ وينطلقُ) بالرفع لأنهما معطوفان على خبر (إن) وبالنصب لعطفهما على صلة أن"[1]. وتفصيل ما ذكر كالآتي:

علـــى قـــراءة (ويضيقُ... وينطلقُ) بالرفع لأنهما معطوفان على خبر (إن) في قوله (إني أخاف) وخبر (إن) في موضع الرفع (أخافُ) وكذلك ما عطف عليه.

وعلـــى قراءة (ويضيقَ...وينطلقَ) بالنصب لعطفهما على صلة (أن) وهو قوله (يكذبون) لأنه في موضع النصب بـــ(أن) والمعطوف عليه كذلك.

وبعـــد أن بيـــن الزمخشـــري وجهي القراءتين تحدث عن المعنى المترتب على اخـــتلاف الإعرابيـــن فقال رحمه الله: (والفرق بينهما في المعنى: أن الرفع يفيد أن فيه ثـــلاث علل: ١. خوف التكذيب. ٢. ضيق الصدر ٣. امتناع انطلاق اللسان. والنصب علـــى أن خوفـــه متعلق بهذه الأمور الثلاثة"[2]، وواضح المعنى الذي رتبه الزمخشري علـــى اختلاف الإعرابين وذلك لأنه على قراءة الرفع عطف على الخبر (أخافُ) وعلى قراءة النصب عطف على (يكذبون).

ثم تساءل الزمخشري: فإن قلت: "في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة، وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع، وذلك كـــان واقعاً فكيف جاز تعليق الخوف به؟ قلت: قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر، والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به، على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته[3]. وقيل: بقيت منها بقية يسيرة، فإن قلت: اعتذارك هذا يـــرده الرفع، لأن المعنى: إني خائفٌ ضيقُ الصدر غيرُ منطلق اللسان. قلت: يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها، ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به، ويجوز أن

---

(١) الزمخشري، ٣٠٨/٣.

(٢) السابق.

(٣) يقصد قوله: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي...﴾ [طه: ٢٥- ٢٨].

لا يكـــون مـــع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبســـطة المقـــال، وهارون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً**﴾ [القصص: ٣٤][١].

ولا زيـــادة علـــى هـــذا البـــيان العظـــيم مـــن العلامة الزمخشري في توجيه هاتيـــن القراءتيـــن وبـــيان المعـــنى المترتب على كل قراءة منهما بما يسلب الألباب، ولا أبـــالغ إن قلـــت أن كـــل من جاء بعده أخذ منه هذا التوجيه ولم يعترض عليه أحد حـــتى صاحب البحر الذي لا يترك قولاً للزمخشري إلا ويلمزه وينتقص منه إلا بعض أقواله وتوجيهاته وهذا منها[٢].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾ [العنكبوت:٢٥]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب (مـــودةُ بيـــنكم) بالضم والإضافة. وقرأ حفص عن عاصم وحمزة وروح عن يعقوب (مـــودةَ بينكم) بالنصب والإضافة. وقرأ باقي العشرة (مودةً بينكم) بالنصب من غير إضـــافة[٣]. قال الزمخشري في توجيه هذه القراءات: "قرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة، وعلى الرفع كذلك، فالنصب على وجهين:

١. علـــى التعليل، أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم، كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم.
٢. أن يكون مفعولاً ثانياً، كقوله تعالى (اتخذ إلهه هواه) الفرقان/ ٤٣، الجاثية/ ٢٣. أي اتخذتـــم الأوثـــان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف، أو اتخذتموها مودة

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٣٠٨-٣٠٩.
(٢) البحر المحيط ٧/٩٥٨.
(٣) انظر: السبعة، ص٤٩٨، والنشر ٢/٢٥٧.

بيـــنكم كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي الرفع وجهان:

١. أن يكون خبراً لـــ(إن) على أن (ما) موصولة.

٢. وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: إن الأوثان مودةُ بينكم، أي مودودة أو سبب مودة"[1].

فعلـــى التوجيه الأول لقراءة النصب يكون المعنى: اتخذتم الأوثان للمودة فقوله (مـــودة) مفعول لأجله. وعلى التوجيه الثاني للقراءة نفسها، (اتخذتم الأوثان مودة بينكم) تكون (الاوثان) مفعول به أول و(مودة) مفعول به ثاني.

وعلـــى التوجـــيه الأول لقراءة الرفع (إن الأوثانَ مودةً) مودة خبر (إنَّ) مرفوع وعلـــى التوجـــيه الثاني لقراءة الرفع (مودةُ) خبر لمبتدأ محذوف أي: هي مودة بينكم. وهـــذه الوجوه ذكرها الزجاج وابن زنجلة[2]، وابن عطية[3]، والعكبري[4]، وغيرهم من علماء التفسير والقراءات.

- ومـــن ذلـــك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٨-٣٩]. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح عن يعقوب (والقمرُ) بالرفع. وقـــرأ باقـــي العشرة (والقمرَ) بالنصب[5]. ووجه الزمخشري هاتين القراءتين بقوله: "قرئ (والقمرُ) رفعاً على الابتداء، أو عطفاً على الليل، يريد: ومن آياته القمر. وقرئ (والقمرَ) نصباً بفعل يفسره (قدرناه) [6].

---

(١) الزمخشري، ٤٥٤/٣-٤٥٥.

(٢) حجة القراءات، ص٥٥٠-٥٥١،

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ٢٣٢/٦، وانظر: البحر المحيط، ١٤٤/٧.

(٤) انظر: إملاء ما من به الرحمن، ١٨٢/٢.

(٥) انظر: ابن مجاهد، ص٥٤٠، الداني، التيسير، ص١٨٤، ابن الجزري، النشر ٢٦٥/٤.

(٦) الزمخشري، الكشاف ١٩/٤.

وجـه الزمخشـري قـراءة الـرفع على وجهين، الأول: أن (القمر) رفع على الابتداء، والثاني: أن (القمر) معطوف على الليل في قوله (وآية لهم الليل) والليل في الآيـة المذكـورة مبتدأ مؤخر وأصل الجملة: الليلُ آيةٌ، لذلك عطف عليه (القمرُ) على قراءة الرفع.

قلـت: وارجـح الأول من هذين التوجيهين وهو أن يعرب (القمر) مبتدأ وذلك للتباعد بين المتعاطفين على التوجيه الثاني هذا من جهة والفصل بينهما بكلام كثير هي آية كريمة كاملة من جهة أخرى فلذلك يترجح التوجيه الأول وبه أخذ جل علماء التفسير والقراءات(١).

ثم وجه قراءة (والقمرَ) بالنصب بفعل يفسره قدرناه، أي: (وقدرنا القمر قدرناه) وعليه يكون (القمر) مفعولاً به لفعل تقديره: (قدرنا) (٢).

- ومـن ذلـك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى رداً على إبليس: ﴿**قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۞ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [صٓ:٨٥].

قرأ عاصم وحمزة وخلف (فالحقُّ) بالضم وقرأ باقي العشرة (فالحقَّ) بالفتح(٣).

قـال الزمخشـري: "قرئ (فالحقَ والحقَ) منصوبين على أن الأولى مقسم به كالله في: **إن عليك الله أن تبايعا**(٤).

وجوابـه (لأملأن) (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقـول إلا الحـق، والمراد بالحق: إما اسمه عز وعلا الذي في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥]، أو الحق الذي هو نقيض الباطل، عظّمه الله بإقسامه به"(٥).

---

(١) انظر: ابن عطية ٤١٧/٥، القرطبي ٢١/١٥، البحر المحيط ٣١٩/٧، العكبري ٢٠٣/٢.

(٢) انظر: الآلوسي، روح المعاني ٢٧/٢٣-٢٩.

(٣) انظر: ابن مجاهد، ص٥٥٧، والداني، التيسير، ص١٨٨، وابن الجزري ٢٧١/٢.

(٤) صدر بيت استشهد به سيبويه في الكتاب ١٥٦/١، لم اهتد إلى قائله والبيت هو:

إن عليك الله أن تبايعا ... تؤخذ كرهاً أو تجيء طائعاً

(٥) الزمخشري ١١٠/٤.

فالزمخشــري يوجه قراءة النصب على القسم وعليه يكون (الحق) الأول مقسماً به منصوباً حذف منه حرف القسم والتقدير: فبالحق، وهو الله تعالى اقسم بنفسه أو أقسم تعالى (بالحق) الذي هو نقيض الباطل تعظيماً له كما اقسم بالعصر والشمس وغير ذلك، وقولــه (لأمــلأنّ) جــواب القسم والجملة (والحق أقول) جملة معترضة بين المقسم به والمقســم علــيه. ثم بين الزمخشري معنى الجملة على هذا التوجيه وهو: ولا أقول إلا الحق ووجه بعض العلماء نصب (فالحقَّ) على الاغراء أي فالزموا الحقَّ[1].

وقال أبو علي الفارسي، منصوب بفعل مضمر تقديره: يحق الله الحق[2].

والــذي يــترجح هو توجيه الزمخشري بالنصب على القسم وبه أخذ جل علماء التفسير والقراءات[3]. ولا اختلاف في أن الثاني (والحقَّ) منصوب بــ(أقول).

ثم وجه الزمخشري القراءة المتواترة الثانية (فالحقُ والحقَ) برفع الأول ونصب الثاني على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر أي فالحق قسمي لأملان، وعليه يكون (الحق) مبــتدأ والخبر محذوف تقديره (قسمي)[4]. والثاني (والحقَّ) منصوب بإيقاع القول عليه لا خلاف في ذلك.

- ومــن ذلــك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾** [فصلت: ٩-١٠]. قرأ أبو جعفر المدني (سواءٌ) بالرفع وقرأ يعقوب البصري (سواءٍ) بالجــر وقــرأ باقــي العشــرة (سواءً) بالنصب[5]. قال الزمخشري: "وقرئ (سواء)

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤٩/١٥.

(٢) انظر السابق.

(٣) انظر: البحر المحيط ٣٩٢/٧-٣٩٣، أبو السعود ٣٧٥/٥، العكبري ٢٠٩/٢.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف، ١١٠/٤-١١١.

(٥) انظر: ابن الجزري، النشر ٢٧٤/٢، والدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، ص٣٧٧.

بالحـــركات الـــثلاث: الجـــر على الوصفِ،والنصب على استوت سواءً، أي استواءً، والرفع على هي سواءٌ"[1].

فوجه رحمه الله قراءة الجر على الصفة أي تكون (سواء) صفة لأيام أو لأربعة أي: فـــي أربعـــة أيام مستوية. وقراءة النصب على المصدرية وسواء بمعنى استواء والـــتقدير: استوت استواءً فتكون (سواء) مصدراً لمضمر هو صفة لأيام، وقيل نصبت على الحال. وقراءة الرفع (سواء) على الخبرية لمبتدأ محذوف نقدره هي سواء وتجعل الجملة من المبتدأ والخبر في محل جر صفة لأيام[2].

هذه نماذج قليلة من بحر الكشاف الزاخر بالدرر في توجيه القراءات وهي على قلتها تكشف عما يتمتع به النص القرآني من ثروة معنوية بفضل تعدد قراءاته في الكلمة الواحـــدة، وكل قراءة بمثابة آية مستقلة بما تعطيه من معنى جديد يترتب على اختلاف القـــراءات فـــي الإعراب، والزمخشري فطن لهذه المسألة وأخذ يبين بحرص اختلاف إعراب القراءات وما يترتب على ذلك من اختلاف المعاني بين هذه القراءات.

ولاحظنا أيضاً أنه مع هذا الاختلاف في الإعراب والمعنى بين القراءات القرآنية إلا أننا لا نجد تناقضاً أو تعارضاً بين القراءات المختلفة بل وجدنا أن كل قراءة جاءت بمعـــنى مكمـــل لمعنى القراءة الأخرى فيتآخى المعنيان والثلاثة لإبراز الثروة العظيمة للقرآن الكريم ومن ثم إعجازه ينجلي لمن أنعم النظر والتدبير في توجيه هذه القراءات. فـــسبحان القائل في كتابه العزيز: **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾** [النساء:٨٢].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١٩٣/٤.

(٢) انظر: القرطبي، ٢٢٤/١٥، والبحر المحيط ٤٧١/٧، والآلوسي ٤٨٤/٢٤-٤٨٥.

المبحث الرابع

توجيه القراءات عند الزمخشري بلاغياً

لا يمـــاري أحد في أن الإمام الزمخشري هو فارس ميدان البلاغة القرآنية ولا أزعـــم أننـــي فـــي أطروحة دكتوراة واحدة استطيع أن أكشف عن قدرات الزمخشري ونبوغه في البلاغة القرآنية فلعمري إذا كان ذلك لا يتحقق في أطروحة ولا اثنتين فكيف يتحقق في مبحث واحد من أربعة مباحث في فصل من بين أربعة فصول؟!

ولكـــن عذري أنني سأقف مع توجيهات الزمخشري البلاغية للقراءات القرآنية ولـــيس لجمـــيع القـــراءات بل للقراءات المتواترة في تفسيره فقط، وهذا أيضاً كثير لذا سأقف مع نماذج من توجيهاته للقراءات المتواترة والله المستعان.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى عن المنافقين: **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** [البقرة:٩]. قرا نافع وابن كثير وأبو عمرو (وما يخادعون) وقرأ باقي العشرة (وما يخدعون) [١].

وبعـــد أن فســـر الزمخشـــري الآية على قراءة (يخادعون) التي هي قراءة ابي عمرو ذكر "أن من معانيها يخدعون فجيء به على لفظ (يفاعلون) للمبالغة"[٢].

والمـــبالغة بـــاب مـــن أبـــواب الـــبلاغة العربية ذكره الإمام أبو الحسن علي الرمانـــي[٣]، تحت أقسام البلاغة حين تحدث عن وجوه إعجاز القرآن وعرّف المبالغة بقوله: هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة، ومثل لذلك بقوله

---

(١) انظر: السبعة، ص١٤١، والتيسير، ص٧٢، والنشر ١٥٦/٢.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف ٩٧/١.

(٣) هو علي بن عيسى بن علي أبو الحسن الرماني، من علماء المعتزلة، أصله من سامراء ولد في بغداد سنة (٢٩٦هـ) وأصبح من كبار العلماء في النحو والتفسير توفي سنة (٣٨٦هـ). بغية الوعاة، ٣٤٤.

تعـــالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ [طـــه: ٨٢]، معدول عن غافر للمبالغة"[١]. وهذا ما عناه الزمخشري في القراءة السابقة.

- ومن ذلك أيضاً في تفسير الزمخشري عند تفسيره لقول الله تعالى في آيات المنافقين نفســـها: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [الـبقرة:١٠]. قـرأ نـــافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقــوب (يُكذِّبـــون) بالتشديد وضم الياء وقرأ باقي العشرة (يَكذِبون) بالتخفيف وفتح الياء[٢].

قال الزمخشري: "وقرئ (يُكذِّبون) من كذَّبه الذي هو نقيض صدقه، أو من كذَّب الـــذي هـــو مبالغة في كَذَبَ، كما بولغ في صَدَقَ فقيل: صدَّق، ونظيرهما: بان الشيء وبيَّن، وقلص الثوب وقلَّص.."[٣]. فجاءت قراءة التشديد لتفيد معنى المبالغة في الكذب وهـــو معـــنى بلاغـــي عظيم واجتماع قراءتي التشديد والتخفيف لعلة هي أنهم يكذبون عظائم الأمور وصغائرها، كما أنهم يكذبون إذا حدثوا غيرهم ويكذِّبون حديث غيرهم.

- ومن ذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ [الكهف: ١٨].

قـــال الزمخشـــري: وقرئ (ولملِّئت)[٤]، بتشديد اللام للمبالغة[٥]. ويقال في هذا التوجيه ما قيل في سابقيه من المعاني البلاغية في المبالغة.

ومن ذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١].

---

(١) انظـر: الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، القاهرة، مصر، دار المعارف، ط٤، د. ت، ص٧٥، ٧٦، ١٠٤، ١٠٥.

(٢) انظر: السبعة، ص١٤١، والتيسير، ص٧٢، والنشر ١٥٦/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١٠٠/١.

(٤) قراءة تشديد اللام (لملِّئت) قراءة نافع وابن كثير، انظر: السبعة، ص٣٨٩، والتيسير، ص١٤٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٦٦٣/٢.

قـــرأ ابـــن كثـــير وأبـــو عمرو (وفرّضناها) بتشديد الراء، وقرأ باقي العشرة (فرضناها) بالتخفيف[1].

وجّـــه الزمخشري قراءة أبي عمرو بالتشديد فقال: "(فرّضناها) فرضنا أحكامها التي فيها، وأصل الفرض: القطع، أي جعلناها واجبة مقطوعاً بها، والتشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيده، أو لأن فيها فرائض شتى. أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهـــم"[2]. وبهـــذا التوجيه يلفت الزمخشري النظر إلى أن قراءة التشديد أفادت معنى المبالغة في فرض هذه السورة وإيجابها لما حملته بين ثنايا آياتها الكريمة من الفرائض والحدود والتوجيهات.

- ومـــن ذلـــك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنعام:١٠٠].

قـــال الزمخشري: وقرئ (وخرّقوا) [3] بالتشديد للتكثير لقوله (بنين وبنات) [4]، يقصـــد للمبالغة أي مبالغة الكفار في نسبة البنين والبنات لله تعالى اختلاقاً وإفكاً وكذباً. وعلـــيه فإن قراءة التشديد كشفت البون البعيد الذي قطعه الكفار في الإفك والكذب على الله تعـــالى فمنهم من نسب البنين إلى الله تعالى ومنهم من نسب له البنات فجاءت قراءة التشديد مناسبة لذلك.

- ومـــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾ [الأعراف: ١٠٥]. قرأ نافع (حقيق عليَّ) بالياء. وقرأ باقي العشرة (حقيق على) بالألف[5].

---

(١) انظر: السبعة، ص٤٥٢، والتيسير، ص١٦١، والنشر ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٢) الزمخشري ٣/٢١١، وانظر من ذلك ايضاً: ٣/٨٦ وغيرها.

(٣) قرأ المدنيان (خرّقوا) بالتشديد والباقون (خرقوا) بالتخفيف، النشر ٢/١٩٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٢/٥٠.

(٥) انظر: السبعة، ص٢٨٧، والتيسير، ص١١١، والنشر ٢/٢٠٣.

وقــد ســبق أن تحدثت عن هذه القراءة لكن الذي يعنينا في هذا المقام هو قول الزمخشــري فــي توجــيه هذه القراءة "(أن يضمن {حقيق} معنى حريص، كما ضمن {هيجني} معنى ذكرني في بيت الكتاب) [1].

يقصــد رحمــه الله بالكــتاب: كــتاب ســيبويه، (وهيجنــي) وردت في قول النابغة الذبياني:

إذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تسلَّيت عنها أمَّ عمّار [2]

والتضــمين أسلوب من اساليب البلاغة العربية ذكره الرماني في رسالة (النكت في إعجاز القرآن) على أنه قسم من أقسام البلاغة [3]، وعرفه بقوله: "(تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه" [4].

وقال أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس: "وإنما كان التضمين بلاغة؛ لأن الكلمة التــي يدخلهــا التضمين لا تخرج عن معناها الرئيس الذي وضعت له، وإنما تبقى دالة على معناها، ولكنها تضمن معنى آخر، منسجماً مع المعنى الأول مكملاً له" [5].

وبذلك يتبين لنا مقصود الزمخشري وهو أن تضمن كلمة (حقيق) معنى حريص على قراءة الجمهور وعليه يكون المعنى على قراءة الجمهور حريص على أن لا اقول على الله إلا الحق [6].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ**﴾ [الصافات:١٧٢].

---

(١) الكشاف ١٢٩/٢-١٣٠.

(٢) الشاهد في بيت النابغة السابق قوله (هيجني) ضمنه معنى ذكرني، انظر: سيبويه، الكتاب ٢٨٦/١.

(٣) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص٧٥-٧٩.

(٤) السابق، ص١٠١-١٠٣.

(٥) عباس، فضل حسن، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، ص٥١، ص٩٧-٩٩.

(٦) انظر: البحر المحيط ٣٥٦/٤، والآلوسي، روح المعاني ٢٨/٩-٣٢، القرطبي، ٢٩٧/٧.

قـــال الزمخشـــري: "وفي قراءة ابن مسعود (على عبادنا) على تضمين سبقت معنى حقت"[١]، لوجود حرف الجر (على). ويقال في معنى التضمين على هذه القراءة ما قيل في سابقتها.

- ومــن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى راداً على الكفار: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٣-١٥٥]. قرأ أبـــو جعفـــر (اصـــطفى) بـــدون استفهام وقرأ الباقون (أصطفى) بالاستفهام[٢]. قال الزمخشري في توجيه قراءة الجمهور: "(أصطفى البنات) بفتح الهمزة، استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد[٣].

نحـــن نعرف أن الاستفهام يكون للاستفسار عن شيء ولأجل ذلك وجدت أدوات الاستفهام. لكن قد يخرج الاستفهام عن هذا الوضع إلى أغراض تفهم من السياق من هذه الأغراض التقرير، ومعناه أن نقرر المخاطب بشيء ثبت عنده مثل قولـــه تعالى:﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ [الكهـــف:٧٥]، ومنها الإنكار والتعجب والاســـتبعاد والـــتهكم[٤] وغـــيرها من المعاني والأغراض التي يفيدها الاستفهام. وهذا الخـــروج يكون لهدف بلاغي، ويدل عليه سياق الكلام، وفي هذا المثال الذي بين أيدينا يشير الزمخشري إلى أن الاستفهام في قراءة الجمهور لا يراد منه حقيقة الاستفسار إنما جـــيء بـــه على هذه الصيغة لغاية بلاغية هي الإنكار والاستبعاد. فهو ينكر عليهم هذه الافتراءات والأكاذيب وهي أن الله أصفاهم بالبنين واتخذ من الملائكة بنات له، ويستبعد ذلـــك علـــى الله تعالى الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، وهذا الإنكار والاستبعاد إنما أفادته قراءة الاستفهام.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٦٩/٤.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر ٢٦٨/٢، الدمياطي، الاتحاف، ص٣٥٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٦٥/٤.

(٤) انظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص٣٥٢.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ۝ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ [ص:٦٣].

قال الزمخشري: "(اتخذناهم)[١]، قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لـ(رجالاً) مثل قوله (كنا نعدهم من الأشرار) وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم"[٢].

فالاستفهام في القراءة الثانية جاء لغاية وفائدة بلاغية هي الإنكار على أنفسهم وتوبيخها على ما قدموا في الدنيا من السخرية بالمؤمنين وازدرائهم لهم وهذا الحديث في جهنم لقوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المِهَادُ﴾ [ص: ٥٥-٥٦]. فلما عرف الكفار الطغاة عاقبتهم وتيقنوا أنهم كانوا على باطل وأن الذين كانوا يعدونهم من الأشرار هم على الحق أنكروا على أنفسهم ووبخوها. على ما كان منها.

ثم جمع الزمخشري بين القراءتين فقال: "ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزته، لأن (أم) تدل عليها، فلا تفترق القراءتان، بإثبات همزة الاستفهام وحذفها"[٣]، لأن أم والمعادل يدلان على همزة الاستفهام وبذلك تدل قراءة الإخبار أيضاً على المعنى البلاغي الموجود في قراءة الاستفهام.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾ البقرة/ ١١٩.

---

(١) قرأ على لفظ الإخبار أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ الباقون بالاستفهام، انظر: السبعة، ص٥٥٦، والنشر ٢٧١/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١٠٥/٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١٠٦/٤.

قرأ نافع ويعقوب (ولا تَسألْ) على النهي، وقرأ باقي العشرة (ولا تُسألُ) بالنفي وعلى البناء للمفعول[1].

قـــال الزمخشري في توجيه قراءة (النهي) عن السؤال عن أحوال الكفرة: معناه تعظـــيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان؟ سائلاً عن الواقع في بلية، فيقال لك: لا تسأل عنه، ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فـــيه لفظاعـــته، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره وأنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره، فلا تسأل عنه[2].

وكما عرفنا من قبل أن صيغ الأمر والاستفهام والنداء تخرج أحياناً عن دلالاتها الأصلية كذلك صيغة النهي من الصيغ التي تخرج عن دلالتها التي وجدت لها أصلاً إلى معانٍ وأغراض تعرف من سياق الكلام لغاية بلاغية، ومن الأغراض التي تخرج إليها صيغ النهي: التهديد، والتوبيخ، والتعظيم، والتهويل، والتحقير... وغيرها[3].

وفـــي هذا المثال خرجت صيغة النهي (ولا تسألْ) على قراءة نافع ويعقوب عن النهـــي الحقيقي إلى التهويل والتفضيع من حال أصحاب الجحيم وتعظيم ما صاروا إليه من العذاب وأهواله. وهذا المعنى البلاغي فهمناه من كلام الزمخشري في توجيه قراءة الجزم (ولا تسألْ).

ومـــن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **والذيـن اتخـذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بـين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ..** ﴾ [التوبة: ١٠٧] قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (الذين اتخذوا) من غير واو وقرأ باقي العشرة (والذيـــن اتخذوا) بالواو[4]، قال الزمخشري في توجيه هاتين القراءتين: "في مصاحف

(١) انظر: السبعة، ص١٦٩، والتيسير، ص٧٦، والنشر ١٦٦/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٢٠٨/١.

(٣) انظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص١٥٤-١٥٥.

(٤) انظر ابن مجاهد، السبعة، ص ٣١٨ ، والتيسير، ص ١١٩، والنشر ٢١١/٢

أهـل الشـام والمديـنة (الذين اتخذوا) بغير واو لأنها قصة على حيالها. وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم"[١].

هـذا التوجيه يتعلق بمبحث بلاغي من علم المعاني غاية في الدقة والبلاغة ذلكم هـو مبحـث الوصـل والفصل. ونعني بالوصل وجود روابط بين الجمل هي حروف العطـف والفصـل هـو عدم التعاطف بين الجمل بحروف العطف و يترتب على هذا العطـف ارتباط الجمل اللاحقة بالسابقة أو استقلالها عنها وفي المثال الذي نحن بصدده قـرئ بالفصـل (بغير الواو) وقرئ بالوصل (بواو العطف) كذلك، فعلى قراءة الوصل بوجـود واو العطف عطف سبحانه هذه الجريمة للمنافقين وهي اتخاذ مسجد الضرار على أفعالهم وجرائمهم السابقة التي سبقت هذه الآية في نفس السورة ومنها قوله تعالى: **﴿ وممن حولكم من الإعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق .. ﴾ ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف...﴾ ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين .. فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم﴾ ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذُن﴾** وغيرها من أفعالهم وجـرائمهم الكثيرة بحق الإسلام وأهله فعطفت هذه الجريمة على جرائمهم السابقة على قـراءة العطف وأما على القراءة من غير عطف (الفصل) فقد جعل تعالى هذه الفعلة مستقلة عن أفعالهم وجرائمهم السابقة تنبيهاً إلى خطورتها فجعلها جملة مستأنفة فلم تأت واو العطف .

وقـد أشار الزمخشري إلى ملحظ آخر في مجيء الواو العاطفة بين كلامين أو جملتيـن له تعلـق وارتـباط بالوصل والفصل ذلكم هي مسألة الموازنة بين الجملتين المتعاطفتين، فإذا جاءت الواو بين قولين فهي مدعاة إلى التمييز بين المعنيين وأدراك ما

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/٢٩٤

فـــي كل منها من الصواب والخطأ ، فإذا سقطت الواو كان الكلام على الاستئناف ومن ذلك في تفسير الزمخشري

عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ۝ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [القصص: ٣٦- ٣٧] قرأ ابن كثير المكي (قال موسى) بغير واو وقرأ باقي العشرة ، (وقال موسى) بالواو(١).

قـــال الزمخشري في توجيه هاتين القراءتين((وقرأ ابن كثير: (قال موسى) بغير واو، علـــى مـــا في مصاحف أهل مكة، وهي قراءة حسنة؛ لأن الموضع موضع سؤال وبحـــث عمـــا أجـــابهم بـــه موســـى ﷺ عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحراً مفترى))(٢).

يعنـــي رحمـــة الله أنهم أطلقوا كلامهم هذا فأجابهم موسى عليه ولا يحتاج إلى الـــواو، كأنه قيل ماذا أجابهم موسى على كلامهم ؟ فكان الجواب على الاستئناف ﴿قَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. والجواب لا يحتاج إلى الواو.

ثـــم أضـــاف الزمخشـــري: "ووجه الأخرى (القراءة بالواو) : أنهم قالوا ذلك وقـــال موســـى ﷺ هـــذا، لـــيوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر"(٣).

وهذا المعنى البلاغي الذي ذكره الزمخشري هو ثمرة من ثمار الوصل والفصل.

---

(١) انظر: ابن مجاهد ص ٤٩٤، والداني التيسير، ص ١٧١، وابن الجزري ٢٥٦/٢

(٢) الكشاف ٤١٥/٣-٤١٦

(٣) السابق ٤١٦/٣-٤١٧

ومـــن القضايا البيانية التي أشار إليها الزمخشري ووجه عليها بعض القراءات المتواترة عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤].

قال الزمخشري: "هذا مثل، كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا وألقي الألواح وجر برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة : (ولما سكن عن موسى الغضب)(١)، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة" (٢).

فســـر الزمخشـــري هـــذه الآية على القراءة المتواترة (ولما سكت عن موسى الغضـــب) بالتاء وترك القراءة الشاذة (ولما سكن عن موسى الغضب) بالنون، وبين ما فـــي القـــراءة المتواترة من بلاغة عظيمة يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح، تحـــدث فـــي الـــنفس الذواقة هزة وروعة لا تجدها في القراءة الشاذة. وعقب الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي على كلام الزمخشري السابق بقوله: "يعني أنه شبه الغضب بشخص آمر ناه فهو استعارة مكنية، وأثبت له السكوت على طريق التخييل(٣).

وتوضيح هذه الاستعارة كالآتي:

الاستعارة في أصلها تشبيه حذف أحد طرفيه فإذا حذف المشبه كانت الاستعارة تصـــريحية وإذا حـــذف المشـــبه به كانت الاستعارة مكنية وعند حذف المشبه به على الاســـتعارة المكنية لابد من أن نرمز له بشيء من لوازمه، ثم يسند هذا الذي من لوازم المشبه به إلى المشبه وعندها تكون استعارة تخييلية.

---

(١) قراءة شاذة ذكرها ابن خالويه في شواذه، انظر: ص ٤٦.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ١٥٤/٢

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي ٢٢٣/٤، وانظر: الألوسي ٩٦/٩-٩٧.

فكل استعارة مكنية لابد أن تشتمل على استعارة تخييلية، فهي مكنية لأنها حذف منها المشبه به وهي تخييلية لأننا أضفنا أو أسندنا ما هو من لوازم المشبه به إلى المشبه[1].

وهذا ما عناه الزمخشري لما قال: (هذا مثل) بقصد الاستعارة التخييلية.

وما عناه الشهاب لما قال: (استعارة مكنية... على طريق التخييل). شبه الغضب بشخص يأمر موسى وينهاه ثم حذف المشبه به (الشخص) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو قوله: (سكت) على سبيل الاستعارة المكنية وأسند السكوت إلى المشبه الذي هو الغضب على طريق الاستعارة التخييلية. لأن السكوت لا يسند إلى الغضب على وجه الحقيقة.

وأختم هذا المثال بكلمة جميلة للرماني في هذا المثال يقارن بين الاستعارة والحقيقة قال رحمه الله تحت باب الاستعارة: (ولما سكت عن موسى الغضب) وحقيقته انتفاء الغضب والاستعارة أبلغ؛ لأنه انتفى انتفاء مراصد بالعودة[2]، فهو كالسكوت على مراصدة الكلام بما توجبه الحكمة في الحال، فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره، والمعنى الجامع بينهما الامساك عما يكره[3].

لكن إذا اقتضت الحكمة أن يغضب موسى عليه السلام لله تعالى فيرجع هذا الغضب لذلك عبر سبحانه بالسكوت على الاستعارة ولم يقل انتفى حقيقة الذي يفيد انتفاءه كلياً.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾** [التوبة: ١٧]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (مسجد الله) بالإفراد. وقرأ باقي العشرة (مساجد الله) بالجمع[4].

---

(١) انظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان البديع، ص١٧٩-١٨٥.

(٢) يقصد رحمه الله أن هذا الانتفاء للغضب ليس نهائياً بل هو ممكن أن يرجع إذا اقتضته الحكمة.

(٣) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص٨٧-٨٨.

(٤) انظر: ابن مجاهد، ص٣١٣، والداني، التيسير، ص١١٨، وابن الجزري، النشر ٢/٢٠٩.

فسر الزمخشري الآية على القراءة بالإفراد لأنها قراءة أبي عمرو فقال: (ما كان للمشـــركين) مـــا صـــح وما استقام (أن يعمروا مسجد الله) يعني المسجد الحرام لقوله: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩].

ثم بدأ بتوجيه القراءة الثانية (مساجد) فقال رحمه الله: (وأما القراءة بالجمع ففيها وجهـــان، أحدهمـــا، أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل (مساجد) لأنه قبلة المساجد كلها وإمامهـــا، فعامــره كعامر جميع المساجد، ولأن كل بقعة منه مسجد. والثاني، أن يراد جـــنس المســـاجد وإذا لـــم يصلحوا لأن يعمروا جنسها، دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية، كما لو قلت: فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك) [١].

التوجـــيه الأول للقـــراءة الثانـــية (مساجد) على الجمع يجعلها كالقراءة بالإفراد وســـبق شـــرحه، لكـــن الذي يستوقفني هو التوجيه الثاني الذي هو على طريقة الكناية وهـــي مـــن علـــم البـــيان ولا يخفـــى مـــا يمثله علم البيان في البلاغة العربية. وبين علمـــاء البلاغة معنى الكناية بقولهم: هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينـــتقل مـــن المذكور إلى المتروك كما تقول فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة[٢].

والزمخشري بوصفه فارس ميدان البلاغة القرآنية يتحدث عن الكناية في مواطن كثـــيرة من تفسيره اختار أول موطن تحدث فيه عن الكناية وذلك عند تفسيره لقول الله تعـــالى فـــي ســـورة البقرة: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]. بعد أن تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن الكريم.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/٢٤٠-٢٤١.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم، المكتبة العلمية، بيروت، ص١٨٩.

قــال الزمخشــري: (فــإن قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بســورة مــن مــثله: قلــت: إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة، صح عــندهم صــدق رسول الله ﷺ، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشــايعوا، اســتوجبوا العقــاب بالــنار فقــيل لهــم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع (فاتقوا النار) موضعه، لأن اتقاء النار لصيقة وضميمه ترك العناد، من حيث أنه مــن نــتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه: إن أردتم الكــرامة عندي فاحذروا سخطي، يريد: فأطيعوني واتبعوا أمري، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط، وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة فائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن..)[1].

وفي المثال الذي بين أيدينا جاء الكلام على طريقة الكناية أيضاً فهو لما نفى عن المشــركين صلاحيتهم لعمارة جنس المساجد دخل فيه المسجد الحرام دخولاً أولياً لأن تعمــيره مناط افتخار كفار قريش، ونفي الجمع يدل على النفي عن كل فرد فيلزم نفيه عن الفرد المعين بطريق الكناية[2].

ومن شعب البلاغة العربية ايضاً أسلوب الالتفات.

ويحدثــنا الزمخشري عن الالتفات في أول تفسيره عند قوله تعالى: **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٤-٥].

يقــول رحمــه الله: (فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومــن الغيــب إلــى الــتكلم كقولــه تعــالى: **﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾** [يونس: ٢٢]. وقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾**

---

(١) الزمخشــري، الكشاف ١/١٣١-١٣٢، وانظر: محمد ابو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية فقد شرح هذا الكلام وذكر نماذج، ص٥٤٥-٥٥٢.

(٢) انظر: الآلوسي، روح المعاني ١٠/٣٦٠-٣٦٢.

[فاطـــر:٩][1]، ثــم تحدث عن التفات امرئ القيس في شعره ثم قال: (وذلك علم عادة افتـــنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى اسلوب كان ذلك أحســـن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد...) [2].

وذكر رحمه الله من هذه الفوائد في مواطن أخرى من تفسيره: التنبيه، والتشهير والمدح والثناء واللوم والإنكار، وغيرها[3].

- ومـــن ذلك في توجيهه للقراءات عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [الحديد:١٦].

قال الزمخشري: (ولا يكونوا) عطف على تخشع وقرئ بالتاء[4]، على الالتفات، ويجوز أن يكون نهياً لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا.. [5].

فعلـــى القراءة بالتاء يكون الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، إذ كان الحديث في قولــه (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم....) غيبة ثم تحول من الغيبة إلى الخطاب فقـــال (ولا تكونـــوا..).ينهاهم مواجهة عن مماثلة أهل الكتاب ويحذرهم كذلك فجاءت قراءة التاء على الالتفات لزيادة التوبيخ[6].

- ومـــن ذلـــك عـــند تفســـيره لقول الله تعالى:﴿ **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**﴾ [الشعراء:١٠- ١١].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٥٦/١.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٥٦/١.

(٣) انظر: أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص٤٤٥-٤٤٧.

(٤) قرأ رويس عن يعقوب (ولا تكونوا) بالتاء وباقي العشرة (ولا يكونوا) بالياء، النشر ٢٨٧/٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٤٧٥/٤.

(٦) انظر: حاشية القونوي ٤٥٦/١٨.

قـال الزمخشري: وأما من قرأ (ألا تتقون) على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم أو جبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جـناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر، فإذا اندفع في الشكاية وحرّ مزاجه وحمي غضـبه قطع مباثه صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له: الم تتق الله، ألـم تستح من الناس، فإن قلت: فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة، والملتفت إليهم غيب لا يشعرون؟ قلت: إجراء ذلك في تكليم المرسـل إلـيهم فـي معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية أنزلت في شان الكافريـن وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها[1]- ومن هذا القبيل أيضـاً عـند تفسير الزمخشري لقول الله تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ**﴾ [القيامة:٢٠-٢١].

قال الزمخشري: (وقرئ بالياء وهو أبلغ) [2]، يقصد (يحبون... ويذرون) بالياء. قـال الآلوسـي شارحاً عبارة الزمخشري في توجيه القراءة بالياء: وقرا ابن كثير وأبو عمرو ومجاهد (يحبون) و(يذرون) بياء الغيبة فيهما، وهي أبلغ من حيث أن فيها التفاتاً وإخـراجاً له علـيه الصلاة والسلام من صريح الخطاب بحب العاجلة، لطفاً منه تعالى شأنه في شأنه ﷺ، وأما القراءة بالتاء ففيها تغليب المخاطب والالتفات وهو عكس الأول، هذا خلاصة ما رمز إليه جار الله على ما أفيد[3].

والحق أن المتتبع لتفسير الزمخشري والناظر فيه بعمق وتأمل لا يخرج بغير ما خـرج به الآلوسي، ونظر الزمخشري دائماً يسمو إلى المعاني القرآنية العظيمة وتجلية

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣٠٨/٣.
(٢) السابق، ٦٦٣/٤.
(٣) الآلوسي، روح المعاني ٢٢١/٢٩.

الصــــور البلاغـــية الجمـــيلة بحسن التدبر وعمق التأمل للنص القرآني. وهو لا يترك فرصـــة تفوتـــه دون أن يكشف عن الجانب البلاغي الإعجازي في آيات القرآن الكريم متجاوزاً في ذلك أقوال كثير من العلماء والبلاغيين، أنظر مثلاً إلى ما قاله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

قـــال الزمخشري: (فأن لله) مبتدأ خبره محذوف، تقديره: فحق أو فواجب أن لله خمســـه، وروى الجعفـــي عـــن أبي عمرو (فإن لله) بالكسر وتقويه قراءة النخعي (فلله خمســـه) والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل: فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلـــى الإخـــلال بـــه والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات، كقولك ثابت، واجب، حق، لازم، وما أشبه ذلك، كان أقوى لإيجابه من النص على واحدة"(١)

يعـــرف البلاغيون الحذف والذكر في علم المعاني ولم يكن كلام الزمخشري في توجـــيه القـــراءة المـــتواترة مقصوراً على بيان المحذوف كما هو الحال عند كثير من البلاغيين وإنما كان يبحث عن سره دائماً ويكشف ما ينطوي عليه من معنى بلاغي.

فهـــناك فوائد بلاغية ترجع على الجملة جراء حذف الخبر، والزمخشري يكشف فـــي المـــثال السابق عن سر عظيم لحذف الخبر في القراءة المتواترة، وهو أن حذف الخبر في الجملة السابقة كان أقوى للوجوب من ذكره بالقول: فواجب أن لله خمسة لأن الجملـــة عـــند حذف الخبر تحتمل تقدير غير واحد من الألفاظ مثل لازم، حق، واجب، ثابت وغيرها، فلو قرئ بواحد منها لكان اقل في الوجوب من القراءة بحذف الخبر(٢).

وهو ينتصر للقراءة المتواترة لما فيها من البلاغة والإعجاز.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢٠٩/٢.

(٢) انظر: أبو موسى، البلاغة القرآنية، ص٤٠٤.

انظر مثلاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُم تُبْصِرُونَ ۝ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [النمل/ ٥٤-٥٥].

يقول الزمخشري: فإن قلت (تجهلون) صفة لقوم، والموصوف لفظه لفظ الغائب، فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء؟!

وكذلك (بل أنتم قوم تفتنون) [النحل: ٤٧] قلت: اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وارسخ أصلاً من الغيبة(١).

وهذا التوجيه الذي يشير إلى بلاغة وقوة التعبير القرآني وعظمة معانيه بخلاف مـا لو جاءت القراءة بالياء لا يقول به إلا متأمل في كتاب الله تعالى ثاقب النظر متوقد القريحة.

وقـد سـمى علماء البلاغة هذا الأسلوب الذي وجه به الزمخشري هذه القراءة أسلوب التغليب، فمن قرأ بتاء الخطاب غلب جانب (أنتم) على جانب (قوم) (٢).

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/٣٧٨.

(٢) انظر: أبو موسى، البلاغة القرآنية، ص٦٠٨.

الباب الثاني

نقد الزمخشري للقراءات المتواترة في تفسيره

الفصل الأول: موقف الزمخشري من القراءات ورسم المصحف

الفصل الثاني: الطعن في القراءات المتواترة والمفاضلة بينها عند الزمخشري

الفصل الأول

موقف الزمخشري من القراءات ورسم المصحف

المبحث الاول: الزمخشري فسر القرآن على قراءة أبي عمرو البصري

المبحث الثاني: موقف الزمخشري من القراءات نشأة ورواية.

المبحث الثالث: موقف الزمخشري من رسم المصحف

المبحث الأول

الزمخشري فسر القرآن على قراءة أبي عمرو البصري

جـرى الزمخشـري في تفسيره للقرآن الكريم على قراءة أبي عمرو بن العلاء البصـري غالباً خلافاً لأغلب المفسرين الذين اعتمدوا قراءة عاصم برواية حفص، ولا يخفى على الناظر المتتبع للقراءات في تفسير الزمخشري أنه سار على قراءة أبي عمرو مع حرصه غالباً على ذكر كثير من القراءات المتواترة والشاذة عند تفسيره للنص القرآني، وقد أشرت غير مرة في المباحث السابقة إلى هذه المسألة عند ورود قراءة يتضح فيها الأمر مقارناً بين قراءة أبي عمرو وقراءة عاصم. صحيح أن الزمخشـري كان يفسر بعض الآيات على غير قراءة أبي عمرو سعياً وراء المعنى والبلاغة القرآنية أو حتى القاعدة النحوية أو الأقيسة اللغوية واللهجات لكن جل تفسيره لآي القرآن الكريم جرى على قراءة أبي عمرو البصري.

ولـيس يخفى أن هذه القضية من القضايا المهمة التي ينبغي على دارس تفسير الكشـاف أن يدركهـا، ويستحضـرها أثـناء قـراءته لتفسير الزمخشري ولاسيما أن المؤسسـات الطابعة لم تراع هذا أثناء الطباعة، على الأقل في النسخ التي وقفت عليها أثـناء إعـداد هـذه الأطروحة، فكنت أجد النص القرآني مثبتاً وفق رواية حفص عن عاصم لأن مصاحف بلادنا على هذه القراءة في حين أجد التفسير من كلام الزمخشري وفق قراءة أبي عمرو وسأذكر بعض النماذج على ذلك، وسأبدأ بذكر نماذج من تفسير الزمخشري يظهر فيها أنه فسر القرآن على قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري.

– من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى في المنافقين: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ٩].

قـــرا نــــافع وابـــن كثـــير وأبـــو عمـــرو (ومـــا يخادعون) وقرأ باقي العشرة (وما يخدعون) [١].

قال الزمخشري عند تفسيره للآية الكريمة: "(وما يخادعون إلا أنفسهم) قلت: يجوز أن يراد: وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم، وأن يراد: وما يخدعون فجيء به على لفظ (يفاعلون) للمبالغة. وقال في آخر تفسيره للآية وقرئ (وما يخدعون).." [٢].

نلحظ أنه فسر الآية على قراءة (يخادعون) التي هي قراءة أبي عمرو ثم ذكر قراءة عاصم في آخر تفسيره للآية (وما يخدعون).

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [البقرة:٥١].

قـــرأ أبـــو عمـــرو وأبـــو جعفـــر ويعقـــوب (وَعَدْنَـــا) وقـــرأ باقـــي العشرة (واعدنا) [٣].

قال الزمخشري: "لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه، وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة، وقوله (وعد) هي قراءة ابي عمرو وفي آخر تفسيره للآية ذكر قراءة عاصم فقال: وقرئ (واعدنا) لأن الله تعالى وعده الوحي ووعد المجيء للميقات إلى الطور" [٤].

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:٢٣٦].

---

(١) السبعة، ص١٤١، التيسير، ص٧٢، النشر ١٥٦/٢

(٢) الزمخشري، الكشاف ٩٧/١.

(٣) السبعة، ص١٥٥، التيسير، ص٧٣، النشر ١٥٩/٢.

(٤) الكشاف ١٦٧/١.

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر وشعبة عن عاصم ويعقوب (قدْره) معاً بإسكان الدال. وقرأ باقي العشرة (قدَره) بفتح الدال[1].

فسر الزمخشري الآية على القراءة الأولى التي هي قراءة أبي عمرو فقال: (قدْره) مقداره الذي يطيقه لأن ما يطيقه هو الذي يختص به، ثم ذكر قراءة عاصم فقال: وقرئ (قدَره) بفتح الدال..." [2].

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾** [آل عمران:٩٧]. قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف (حِج) بالكسر وقرأ باقي العشرة (حَج) بالفتح[3].

وفسر الزمخشري الآية على قراءة الفتح (حَج) التي هي قراءة أبي عمرو ثم قال في آخر تفسيره للآية: "وقرئ (حِج البيت) بالكسر"[4].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** [الأعراف: ١٦٤]. قرأ حفص وحده (معذرةً) بالنصب وقرأ باقي العشرة (معذرةٌ) بالرفع[5]. وفسر الزمخشري الآية على قراءة الرفع (معذرةٌ) التي هي قراءة أبي عمرو ثم قال بعد تفسيرها: "وقرئ (معذرةً) بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة"[6].

---

(١) السبعة، ص١٨٣، التيسير، ص٨١، النشر ١٧٢/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٣١٣/١.

(٣) انظر: ابن مجاهد، ص٢١٤، والداني، ص٨٨، وابن الجزري، النشر ١٨١/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف ٤٢٠/١، وانظر: ٨٧/١، ٢٠١، ٢٨٥، ٣٩٤ وغيرها.

(٥) ابن مجاهد، ص٢٩٦، والداني، ص١١٤، وابن الجزري، النشر ٢٠٥/٢.

(٦) الزمخشري، الكاف ١٦١/٢.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً**﴾ [الأنعام: ١١٥]. قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (كلمة) بالأفراد. وقرأ باقي العشرة (كلمات) بالجمع.

وفسر الزمخشري الآية على قراءة (كلمات) بالجمع لأنها قراءة أبي عمرو فقال: "(وتمت كلمات ربك) أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد..ثم قال: وقرئ (كلمة ربك) أي ما تكلم به، وقيل: هي القرآن"(١).

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [التوبة: ٣٠].

قرأ عاصم وحده (يضاهئون) بالهمز وقرأ باقي العشرة (يضاهون) بلا همز(٢).

فسر الزمخشري الآية على قراءة أبي عمرو ثم قال في آخر تفسيره للآية: "وقرئ (يضاهئون) بالهمز"(٣). وكما عرفنا قراءة الهمز هي قراءة عاصم وحده.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [يونس: ٢٣]. قرأ حفص وحده (متاعَ) بالنصب وقرأ باقي العشرة (متاعُ) بالضم(٤).

فسر الزمخشري الآية على قراءة (متاعُ) بالضم لأنها قراءة أبي عمرو ثم قال: "وقرئ (متاعَ الحياة الدنيا) بالنصب"(٥).

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢/٥٧.

(٢) انظر: ابن مجاهد، ص٣١٤، والداني، ص ١١٨، وابن الجزري، ٢/٢٠٩.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٥١.

(٤) انظر: ابن مجاهد، ص٣٢٥، والداني، ص١٢١، وابن الجزري، ٢/٢١٠.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٢/٣٢٣.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ**﴾ [الرعد:١٧]. قرأ: حفص وحمزة والكسائي وخلف (يوقدون) بالياء. وقرأ الباقون (توقدون) بالتاء[١].

فسر الزمخشري الآية على قراءة (توقدون) بالتاء لأنها قراءة أبي عمرو ثم قال: "وقرى (يوقدون) بالياء. أي يوقد الناس"[٢].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٤٢]. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر (وسيعلم الكافر) بالإفراد. وقرأ باقي العشرة (وسيعلم الكفار) بالجمع[٣].

وفسر الزمخشري الآية على قراءة الإفراد (الكافر) لأنها قراءة أبي عمرو ووجهها بقوله: "والمراد بالكافر الجنس، ثم ذكر قراءة (الكفار) بالجمع فقال: وقرئ (الكفار)"[٤].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً**﴾ [الكهف: ٦٤].

قرأ نافع وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر (نبغي) وصلاً فقط، وقرأ ابن كثير ويعقوب في الحالين بإثبات الياء وقرأ الباقون (نبغِ) بحذف الياء[٥].

---

(١) انظر: ابن مجاهد، ٣٥٨، والداني، ص ١٣٣، وابن الجزري، ٢٢٣/٢.
(٢) الزمخشري، الكشاف، ٤٩٣/٢.
(٣) انظر: ابن مجاهد، ص٣٥٩، والداني، ص١٣٤، وابن الجزري، ٢٢٤/٢.
(٤) الزمخشري، الكشاف، ٥٠٣/٢.
(٥) انظر: القراءات العشر المتواترة، ص٣٠١.

قـــال الزمخشري: "قرئ (نبغ) بغير الياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لخط المصحف"[١].

- ومـــن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾ [الحج:٣٨]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (يدفع) وقرأ باقي العشرة (يدافع) بإثبات الألف[٢].

وفســـر الزمخشري الآية على قراءة (يدفع) لأنها قراءة أبي عمرو فقال: "خصَّ المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾[غافر: ٥١]، وفي آخر تفسيره ذكر قراءة (يدافع) ومعناها يبالغ في الدفع عنهم[٣].

- ومـــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النمل:٨٨]. قرأ ابـــن كثـــير وأبـــو عمرو ويعقوب وهشام عن ابن عامر (يفعلون) بالياء. وقرأ باقي العشرة (تفعلون) بالتاء[٤].

وفســـر الزمخشـــري الآية على قراءة (يفعلون) لأنها قراءة أبي عمرو ثم قال: "وقرئ (تفعلون) على الخطاب"[٥].

- ومـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً**﴾ [الجـــن:٢٠]. قرأ عاصم وحمزة وأبو جعفر (قل) وقرأ باقي العشرة (قال) [٦].

---

(١) الكشاف ٦٨٥/٢، وانظر: ١٣١/٢، ١٦٧، ٢٢٦، ٣٩١، ٣٩٦، ٤٩٣، ٥٢٢، ٥٨٣ وغيرها.

(٢) انظر: ابن مجاهد، ص٤٣٧، والداني، ص١٥٧، وابن الجزري ٢٤٥/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١٦١/٣.

(٤) انظر: ابن مجاهد، ٤٨٧، والداني، ص١٦٩، وابن الجزري، ٢٥٣/٢.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٣٩٣/٣، وانظر: ٢١١/٣، ٣٧٨، ٥٦٢ وغيرها.

(٦) انظر: ابن مجاهد، ص٦٥٧، والداني، ص٢١٥، وابن الجزري، ٢٩٣/٢.

وفســـر الزمخشـــري الآية على قراءة (قال) لأنها قراءة أبي عمرو فبدأ تفسيره للآية بقوله: "قال للمتظاهرين عليه... ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده أو قال للجن..." [١]. ويتضح مما ذكر أنه فسر الآية على قراءة الجمهور (قال).

- ومـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر:٣٣]. قرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وخلف (إذ أدْبر) وقرا باقي العشرة (إذا دَبَرَ) [٢].

قال الزمخشري في تفسيرها: (دبر) بمعنى أدبر، كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كأمس الدابر، وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه وقرئ (إذ أدبر) [٣].

نجـــده يفسر الآية على قراءة أبي عمرو ثم ذكر قراءة عاصم في نهاية تفسيره كمـــا يفعـــل فـــي أغلـــب تفســـيره ولا أريد أن اطيل أكثر من ذلك في هذا الموضوع لوضوحه.

ولا أبـــالغ إن قلت إن من أسباب اختيار الزمخشري لقراءة أبي عمرو البصري يفسر القرآن وفقها أن أبا عمرو من رؤوس المدرسة البصرية في النحو والعربية وهم الذين يعتد الزمخشري دائماً بهم ويعتز بالانتساب لمدرستهم وذكرهم وأشاد بهم في كتبه مرات عديدة.

بل صرح أن أبا عمرو أعلم الناس بالنحو والعربية في كشافه وذلك عند تفسيره لقـــول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة:٢٨٤]. ذكـــر الزمخشـــري القـــراءة بالجزم (فيغفرْ.. ويعذبْ) بإدغام الراء في اللام في (يغفرْ لمن) وممن قرأ بهذه القراءة أبو عمرو بن العلاء [٤].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٤/٦٣٣.

(٢) انظر: ابن مجاهد، ص٦٥٩، والداني، ص٢١٦، وابن الجزري، ٢/٢٩٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤/٦٥٥.

(٤) انظر: ابن مجاهد، ص١٩٥، والداني، ص٨٥، وابن الجزري ٢/١٧٨.

ثم قال: "ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطا فاحشاً وراويه عن أبي عمرو مخطـــئ مرتيـــن، لأنـــه يلحن وينسب اللحن إلى أعلم الناس بالعربية مما يؤذن بجهل عظيم"[1]. فهو يصرّح بأن أبا عمرو بن العلاء البصري أعلم الناس بالعربية وقد تكون هـــناك أســـباب أخرى لاختيار الزمخشري لقراءة أبي عمرو يفسر القرآن وفقها والله تعالى أعلم.

ولكن ثمة قضية أحب أن أشير إليها في هذا السياق وهي أنه لا يفهم من التعليل السابق لاختيار الزمخشري لقراءة أبي عمرو يفسر عليها القرآن أن المفسرين ملزمون بتفســـير القـــرآن على قراءة عاصم أو غيره من القراء، لأن القراءات العشر جميعها مـــتواترة فكمـــا يجوز للمسلم أن يقرأ القرآن على أية قراءة من العشر المتواترة يجوز كذلك للمفسر أن يفسر القرآن على أية قراءة شاء من العشر المتواترة.

---

(١) الزمخشري، الشكاف ٣٥٧/١-٣٥٨.

المبحث الثاني

موقف الزمخشري من القراءات نشأة ورواية

دار جدل كبير بين العلماء حول موقف الزمخشري من القراءات ونشأتها. ففي الوقت الذي نجد فيه بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين يتهمون الزمخشري بأنه يرى أن القراءات تخضع لاجتهادات القراء والرواة وأنها ليست سنة متبعة يأخذها اللاحق عن السابق(١). نجد كثيراً من علماء التفسير يأخذون منه القراءات ويعتمدونه مصدراً لها(٢). والأمانة العلمية وخطورة هذا الموضوع يقتضيان التريث في الحكم على الزمخشري وتتبع ما ذكره في هذا الشأن في تفسيره كاملاً لا أن نأخذ بعض كلامه وندع بعضه الآخر، ومن خلال دراستي الاستقرائية للقراءات في تفسير الزمخشري وجدته يتردد بين موقفين اثنين تجاه القراءات القرآنية ونشأتها وروايتها.

الموقف الأول: موقف اللغوي النحوي الذي يحكم قواعد اللغة العربية في القراءات وينكر على القراء والرواة جهلهم بقواعد النحو والعربية ويعزو الوقوع في اللحن في القراءات بنظره إلى قلة بضاعة القراء والرواة في النحو والعربية، بل يفهم من ظاهر كلامه في بعض المواضع أن القارئ ينشئ القراءة باجتهاده فيخطئ بذلك ويلحن.

الموقف الثاني: موقف المدافع عن القراءات القرآنية والقراء من الصحابة ومن جاء بعدهم وإثبات دقة وضبط الرواة في نقلهم للقراءات وإعطاء القراءات قدسيتها

---

(١) من هؤلاء ابن المنير في حاشيته على الكشاف، وأبو حيان في البحر المحيط، وابن التمجيد في حاشيته على البيضاوي، وغيرهم من المتقدمين ومن المتأخرين ابن عاشور في التحرير والتنوير وسعيد الأفغاني وغيرهما.

(٢) منهم البيضاوي والنسفي وأبو حيان والآلوسي وغيرهم كثير.

المستمدة من كونها تتعلق بكلام الله تعالى المنقول إلينا بالتواتر والاستفاضة بواسطة قراء يستحيل تواطؤهم على الكذب مع بلوغهم الذروة في دقة النقل والحفظ.

ويظهر مما سبق التباين والتباعد بين الموقفين فكيف يكون هذا عند شخص واحد في الوقت ذاته بل في كتاب واحد.

وسأذكر نماذج من تفسيره تؤيد ما ذهبت إليه في هذا التقديم ثم أحاول تحليل موقفي الزمخشري تجاه القراءات القرآنية للخروج بنتيجة يتجلى فيها موقفه.

نماذج من الموقف الأول:

أعني الموقف الذي تابع فيه خط النحويين واللغويين الذين أخضعوا القراءات القرآنية لقواعدهم وأقيستهم الأمر الذي دفعهم إلى رد بعض القراءات التي ثبتت قرآنيتها بالنقل المتواتر وتلقي الأمة لها بالقبول، أو تضعيفها أو التشكيك بقدرة الرواة على ضبط القراءات بسبب قلة بضاعتهم في النحو واللغة على ما زعم الزمخشري وغيره، وفيما يلي بعض هذه النماذج:

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة:٦].

ذكر الزمخشري القراءات المتواترة وغير المتواترة في قوله (أأنذرتهم) ثم لحّن قراءة ورش عن نافع وهي قلب الهمزة الثانية ألفاً[١]، قال رحمه الله: "فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً؟ قلت: هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين:

<u>أحدهما</u>: الإقدام على جمع الساكنين على غير حدّه، وحدّه أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفاً مدغماً نحو قوله (الضالين).

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٣٦، والداني، التيسير، ص٣١-٣٢، وابن الجزري، النشر ١٥٦/٢.

الثانـــي: اخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قــبلها أن تخـــرج بين بين فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس"[١].

القــراءات في قوله تعالى (أأنذرتهم): قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وروح عن يعقوب وخلف بتحقيق الهمزتين. وقرأ ابن كثير وقالون عن نافع وأبو عمرو ورويـــس عن يعقوب بتخفيف الثانية بين بين. وقرأ هشام بتوسيط ألف بينهما محققتين. وقـــرأ أبـــو جعفـــر المدني بتسهيل الثانية مع توسط الألف. وقرأ ورش عن نافع بقلب الهمزة الثانية ألفاً[٢]، وهي التي لحّنها الزمخشري. على الرغم من تواترها وثبوتها عن النبي ﷺ إلا أن قواعد اللغة دفعت الزمخشري إلى تلحين هذه القراءة السبعية المتواترة. مـــع عدم تأثير ذلك في معنى القراءة أو معنى الآية الكريمة لأن الاختلاف في قراءات هذه الكلمة يدخل في إطار علم الصوتيات.

ثم إن اتهام القارئ باللحن والخطأ أمر يدفعنا إلى التساؤل هل جاء القارئ بهذه القراءة من عند نفسه أو أنه نقلها عن مثله إلى النبي ﷺ بأمانة وثقه وإتقان. نحن على يقين بأن هذه القراءة نقلت على هذه الصورة لأن القراءة سنة متبعة وليست باجتهاد هذا القارئ أو غيره ولا يجوز أن تخضع إلى قواعد قعدت بعد أكثر من مائة وخمسين سنة مـــن نزولها لأنها إذا خالفت قواعد مدرسة من مدارس اللغة فإنها توافق قواعد مدرسة أخـــرى وهذا ما رد به العلماء على الزمخشري في تلحينه لقراءة نافع، لأن الذي قاله الزمخشـــري هو مذهب البصريين، أما الكوفيون فقد أجازوا الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون وأن القراءة من قبيل الأداء[٣].

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١/٨٧-٨٨.

(٢) ابن مجاهد، ص١٣٦، ابن الجزري، ٢/١٥٦، القراءات العشر المتواترة، ص٤.

(٣) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ١/١٧٨-١٧٩.

- ومــن ذلــك عــند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

ذكــر الزمخشــري القراءات في قوله (بعوضة) بالنصب والرفع ثم علق على قــراءة الــرفع بقــوله: "وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج، وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم[١] والمشهود له بالفصاحة، وكانوا يشبهون به الحسن، وما أظنه ذهب إلى هذه القراءة إلا لهذا الوجه وهو المطابق لفصاحته"[٢].

يفهم من كلام الزمخشري أن القراءة موكولة إلى اجتهاد رأي القارئ أو الراوي وهــذا خطــأ في الفهم وعقب عليه ابن المنير بقوله: "وأما تبجحه بالعثور على الوجه الــذي ظن أن رؤبة بن العجاج راعاه في قراءته فكلام ركيك يوهم أن القراءة موكولة إلــى رأي القــارئ... وليس الأمر كذلك، بل القراءة على اختلاف وجوهها سنة تتبع وسماع يقضي بنقله الفصيح وغيره على حد سواء لا حيلة للفصيح في تعسر شيء منه عمــا ســمعه علــيه، وما يصنع بفصاحته في القرآن الذي بدد كل فصاحة وعزل كل بلاغــة، فالصــحيح والمعــتقد أن كــل قــارئ معزول إلا عما سمعه فوعاه، وتلقفه مــن الافــواه، فــأداه إلــى أن ينتهــي ذلك إلى استماع من أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد ﷺ"[٣].

إذن القــراءة ليســت بالاجــتهاد كما ظن الزمخشري بل هي سنة متبعة يتلقاها اللاحق عن السابق ولو تركت القراءات للاجتهاد لامتلأت الدنيا بالقراءات.

- ومــن ذلــك عند تفسيره لقوله الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

---

(١) الشيح والقيصوم من النباتات التي تنبت في الصحراء مذاقها مر جداً. هامش الكشاف، ١/١٤٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١/١٤٣، ١٤٤.

(٣) ابن المنير، حاشية الكشاف، ١/١٤٣.

سـيأتي الحديـث مفصلاً عن القراءات في هذه الآية وغيرها مما ذكر في هذا المبحـث لكـن ما يعنينا هو رأي الزمخشري في نشأة القراءات ونقلها وضبطها. قال رحمه الله: "قرئ (فيغفر) و(يعذب)[1] مجزومين عطفاً على جواب الشرط، ومرفوعين علـى: فهو يغفر ويعذب، فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً. وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو..."[2].

مرة أخرى يلحّن الزمخشري قراءة متواترة لظنه أن الناقل لها أخطأ لقلة دراية القـراء والرواة بقضايا النحو والعربية، ويصرح بأن الأجدر والأولى بضبط القراءات هم علماء النحو لا القراء والرواة.

ومـا ذكـره الزمخشري من عدم جواز إدغام الراء في اللام هو مذهب الخليل وسيبويه وأصحابه من البصريين وأجاز ذلك الكسائي والفراء ونقلاه سماعاً... وهو في قراءة أبي عمرو رأس البصريين... [3].

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ**﴾ [الأنعام: ١٣٧].

قـرأ ابـن عامر: (زُين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم) على بناء (زُيّن) للمفعول برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (فيغفرُ ... ويعذبُ) بالضم، وقرأ الباقون (فيغفرْ... ويعذبْ)، انظر: السبعة، ص١٩٥، والنشر، ٢/١٧٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١/٣٥٧، ٣٥٨.

(٣) البحر، ٢/٣٧٨، وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في فصل طعن الزمخشري في القراءات.

وقــرأ باقـــي العشـــرة (زَين لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم) ببناء (زيــن) للفــاعل الــذي هــو شـــركاؤهم. ونصب (قتل) على المفعول وإضافته إلى (أولادهــم)[1]. وطعــن الزمخشري في قراءة ابن عامر ولحنها بعبارات لا تليق فقال: "وأمـــا قراءة ابن عامر برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكـــان سمجاً مردوداً... فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء – لأن الأولاد شركاؤهم في أموا لهم– لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب"[2].

لا يشك أحد في أن ما قاله الزمخشري: يكشف عن فكرة عنده مفادها أن القارئ إنمـــا يقرأ من عند نفسه وأنه هو من ينشئ القراءة ولذلك عليه أن ينشئ قراءة تتوافق مع قواعد اللغة العربية. وإذا جاء القارئ بقراءة مخالفة لقواعد وأقيسة اللغة العربية فلا يســـع الزمخشـــري إلا أن يـــردها كما فعل في هذا الموضع وغيره، وسيأتي تفصيل الحديث حول طعن الزمخشري في القراءات في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

والذي يعنينا في هذا المبحث هو الوقوف مع عبارات الزمخشري الموهمة التي فهم الناس منها أن الزمخشري يعزو القراءة في نشأتها إلى القراء لا إلى الوحي. لذلك رد عليه العلماء مشنعين عليه صنيعه هذا. قال ابن المنير: "لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء، وتاه في تيهاء، وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه، وحفظة كلامه ممـــا رمـــاهم به، فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجـــتهاداً، لا نقـــلاً وســـماعاً فلذلـــك غلّط ابن عامر في قراءته هذه، وأخذ يبين وجه

---

(١) انظر: ابن مجاهد، ص٢٧٠، والداني، ص١٠٧، وابن الجزري، ١٩٧/٢، ١٩٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٦٦/٢.

خطئه... ظناً منه أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه وكان الصواب خلافه والفصيح سواه، ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة قرأ بها النبي ﷺ على جبريل كما أنزلت ثم تلاها النبي ﷺ على عدد التواتر من الصحابة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضاً كما سمعها، ولم يقل أحد من المسلمين بما قاله الزمخشري، وما حمله على هذا الخيال إلا التغالي في اعتقاده اطراد الأقيسة النحوية، فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها.." (١).

وقال أبو حيان بعد أن بين أن ابن عامر الشامي أخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب: "وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء والأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم"(٢).

- ومن ذلك أيضاً وجدته يعمد إلى قراءة شاذة تحقق معنى جديداً في الآية فيصحح هذه القراءة ويثني عليها لأن القارئ راعى المعنى وأعرض عن اللفظ، وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال الزمخشري في تفسيرها: "وقرأ أبي والأعمش: (إلا قليلٌ) بالرفع(٣)، وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً، وهو باب جليل من علم العربية، فلما كان معنى (فشربوا منه) في معنى فلم يطيعوه، حمل عليه كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم..." (٤).

---

(١) ابن المنير، حاشيته على الكشاف، ٢/٦٥، ٦٦.
(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ٤/٢٣٢.
(٣) انظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٥.
(٤) الزمخشري، الكشاف، ١/٣٢٣.

ونحن نتفق مع الزمخشري على أهمية المعنى لكن يكون هذا بالاتفاق مع صحة اللفـظ أيضاً وقد وجه أبو حيان الأندلسي هذه القراءة على قراءة النصب المتواترة (إلا قلـيلاً)[1] بمـا لا نحـتاج إلـيه من صنيع الزمخشري في اللجوء إلى القراءة الشاذة. وتقديمها على القراءة المتواترة.

ثم إن القراء لا يراعون المعنى على حساب اللفظ وهو ما صرّح به الزمخشري بمـا يشعر أنهم يقرأون القراءة بما يحقق معنى جديداً ولو كان ذلك على حساب اللفظ. بل أول ما يعني به القراء هو سلامة اللفظ المنقول عن المعصوم عليه الصلاة والسلام ثم يكون بعد ذلك البحث في معنى القراءات، فقد يذكر بعض المفسرين معنى لقراءة لا يذكـره غـيره وقد يذكر مفسّرٌ آخر معنى آخر غير الذي ذكره الأول تحتمله القراءة والسـياق، وقد يتجلى معنى ثالث للقراءة ذاتها لمفسر ثالث وهكذا فالعبرة في القراءات أولاً هـي صحة اللفظ بالنقل المتواتر ثم يبحث بعد ذلك في المعنى لا العكس كما ذهب الزمخشري.

- ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾** [الأعـراف:١٤٥]، قال الزمخشري: وقرئ (سأورثكم) بالثاء[2] وهـي قـراءة حسـنة يصـححها قولـه: (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) (الأعراف: ١٣٧) [3] يحسن هذه القراءة بالنظر إلى المعنى.

ووصف قراءة ابن كثير المتواترة بقوله: (حسنة) للسبب نفسه عند تفسيره لقول الله تعـالى: **﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ...﴾** [القصص: ٣٧]، قـال الزمخشـري: "وقرأ ابن كثير (قال موسى) بغير واو، على ما في مصاحف أهل

---

(١) انظر: البحر المحيط، ٢/٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) انظر: شواذ ابن خالويه، ص٢٧.

(٣) الزمخشري، ٢/١٥٠.

مكـــة، وهـــي قـــراءة حسنة لأنه موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة: سحراً مفترى.." [1].

لذلـــك جـــاءت قراءة ابن كثير بغير الواو وهو ما يسميه البلاغيون الفصل وقد ســـبق الحديـــث عـــن هذه القراءة في مبحث التوجيه البلاغي للقراءات المتواترة عند الزمخشـــري. لكـــن الذي أود التنبيه إليه هنا هو وصف الزمخشري للقراءة الشاذة أو المتواترة بقوله (قراءة حسنة) وذلك بالنظر إلى المعنى أو بالنظر إلى القارئ كما قال: "وقرأ عمرو بن عبيد (الحقَّ) في قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ**﴾ [الكهف: ٤٤] بالنصب على التأكيد، وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم"[2].

ونجـــده فـــي الوقت ذاته يلحّن قراءات لأئمة السبعة بل ويخرجها خارج دائرة القراءات لأنها ليست فصيحة من وجهة نظره.

- ومـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾ [التوبة:١٢]، قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف لفظ أئمة؟ قلت: همزة بعدها همزة بين بين، أي: بين مخرج الهمزة والياء، وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة[3]، وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين، وأما التصريح بالياء فليس بقراءة، ولا يجوز أن تكون قراءة، ومن صرح بها فهو لاحن محرف"[4].

---

(١) الزمخشري، ٣/٤١٥-٤١٧.

(٢) الزمخشري، ٢/٦٧٧.

(٣) عرفنا أن مقصود الزمخشري بلفظها (مشهورة)أي متواترة انظر الفصل الأول من الباب الأول.

(٤) الزمخشري، ٢/٢٣٨، ٢٣٩.

ولا نـــدري كـــيف يلحّن الزمخشري هذه القراءة بل كيف يخرجها خارج دائرة القراءات وقد قرأ بها رأس البصريين النحاة أبو عمرو بن العلاء وقارئ مكة ابن كثير الداري وقارئ مدينة الرسول الله ﷺ نافع ورويت عن يعقوب الحضرمي(١).

ووجـــدت الزمخشري إن لم يخطئ القارئ يلجأ إلى تخطئة الراوي بنسبة الوهم والظن إليه.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[فاطر:٤٣].

قـــال الزمخشـــري: (وقـــرأ حمـــزة (ومكر السيئْ) بإسكان الهمزة. وذلك لاستثقاله الحـــركات مـــع الـــياء والهمـــزة، ولعله اختلس فظّن سكوناً أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدى)(٢).

بـــل هـــي قـــراءة حمـــزة بالســـكون وصلاً(٣) وليس في حال الوقف كما ذكر الزمخشـــري ومـــن قبله الزجاج(٤)، ولا نشك أبداً أن الراوي عن حمزة أو عن غيره يخلط بين الاختلاس والسكون. ولكن هذا من نتائج التعصب لمدرسة البصريين.

- ومـــن ذلـــك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: **﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾** [هود:٢٨].

قال الزمخشري في قولـــه: "(أنلزمكموها): وحكي عن أبي عمرو إسكان الميم. ووجهـــه أن الحـــركة لم تكن إلا خلسة خفيفة، فظنها الراوي سكوناً والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين؛ لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر"(٥).

---

(١) انظر: البحر المحيط، ١٧/٥. سيأتي الحديث عنها مفصلاً.

(٢) الزمخشري، ٦٢٩/٣.

(٣) القراءات العشر المتواترة، ص٤٣٩.

(٤) انظر: البحر المحيط، ٣٠٥/٧.

(٥) الزمخشري، ٣٦٩/٢.

وهــذه القراءة رواها الجعفي وهارون عن أبي عمرو (بَغَتَّة) بفتح الغين وتشديد الــتاء، وهــي صفة وانتصابها على الحال وما قاله الزمخشري على عادته في تغليط الرواة[1].

- ومــن ذلــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**﴾ [الانسان:٤]. قال الزمخشري: "وقرئ (سلاسل) غير منون و(سلاسلاً) بالتنوين وفيه وجهان:

أحدهمــا: أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف.

والثانــي: أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري براوية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف"[2].

قرأ نافع وهشام وشعبة والكسائي وأبو جعفر (سلاسلاً) وصلاً بالتنوين وبإبداله ألفاً وقفاً. وقرأ الباقون (سلاسلَ) وصلاً. بلام مفتوحة. واختلفوا في الوقف فأبو عمرو وروح عــن يعقوب بالألف: (سلاسلا) وقنبل وحمزة ورويس وخلف من غير ألف مع إسكان اللام (سلاسلْ) وللبزي وابن ذكوان وحفص وجهان وقفاً (سلاسلا) كأبي عمرو (وسلاسلْ) كحمزة[3].

وســيأتي تفصيل الحديث والإجابة على ما ذهب إليه الزمخشري في توجيه هذه القــراءة. لكــن الــذي نقف عنده هو اتهام الراوي بالغلط في القراءة لأنه ممن ضري بــراوية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف وفي الحقيقة أن هذا الراوي

---

(١) انظر: البحر المحيط، ٧٩/٨. والآلوسي، روح المعاني، ٢٩١/٢٦.

(٢) الزمخشري، ٦٦٧/٤، ٦٦٨.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٥٩/٢، والقراءات العشر المتواترة، ص٥٧٨.

أخـــذ هذه القراءة عن أئمة القراءة الذين بدورهم نقلت إليهم بالتواتر عن النبي ﷺ الذي أنزل عليه القرآن فمثل هذا الاتهام لا يليق برواة القرآن الكريم وحفاظه.

مما سبق من أمثلة، ونماذج من تفسير الزمخشري يتجلى لنا الموقف الأول عند الزمخشـــري تجاه القراءات القرآنية نشأة ورواية وقد جاء في كلامه ما يفيد أن القارئ ينشئ القراءة من عند نفسه كما صرّح غير مرة أن الرواة أخطأوا في بعض رواياتهم للقـــراءات القرآنية مما جعلهم يخطئون في بعض القراءات بسبب قلة بضاعتهم بالنحو وكـــلام العرب ولا يضبط مثل ذلك إلا أهل النحو كما ورد على لسان الزمخشري وقد عرفنا فيما سبق آراء المتقدمين(١) في صنيع الزمخشري هذا من أمثال ابن المنير وأبي حيان والشهاب وغيرهم. وفيما يلي أقوال بعض المتأخرين في ذلك:

قـــال ابـــن عاشور متحدثاً عن القراءات: "وأما ما خالف الوجوه الصحيحة في العربية ففيه نظر قوي، لأنا لا ثقة لنا بانحصار فصيح كلام العرب فيما صار إلى نحاة البصرة والكوفة، وبهذا نبطل كثيراً مما زيفه الزمخشري في القراءات بعلة أنها جرت على وجوه ضعيفة في العربية"(٢). فهو يرى أن تضعيف الزمخشري لعدد من القراءات زيف وباطل.

وقـــال سعيد الأفغاني متحدثاً عن تواتر القراءات ومنبهاً على أنها تؤخذ بالنقل المتواتر: "ولا بد من هذا التنبيه لأن عدداً من الباحثين البعيدين عن الاطلاع على هذا الفن تورطوا في مزالق ومزلات كما انزلق قديماً الإمام الزمخشري وهو لا يحسن فن القـــراءة ولا ثقـــف مصطلحه حين ظن أن القارئ حر في اختيار قراءته أو أنه أسير الرسم فانتقد بعض القراءات وغاب عنه أن القراءة سنة متبعة تتلقى تلقياً بالتواتر"(٣).

---

(١) ومنهم أيضاً ابن الجزري الذي اتهم الزمخشري بتوهم أن اختلاف القراءات مبني على أقوال المفسرين. انظر النشر ٣٠/١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٥/١.

(٣) سعيد الأفغاني، مقدمة كتاب حجة القراءات لابن زنجلة، ص٣٥.

وقـــبل الإجابة عن الأقوال السابقة لا بد من بيان موقف الزمخشري الثاني من القراءات نشأة ورواية.

الموقف الثاني: موقف المدافع عن القراءات والقراء:

لم يكن الطعن في القراءات والتقليل من شأن القراء والرواه هو الموقف الوحيد للزمخشـــري تجـــاه القـــراءات ونقلتها. بل وقف الزمخشري أيضاً موقف المدافع عن القـــراءات وتواتـــرها المــــادح للقراء والرواة واصفاً إياهم بالأعلام الضابطين للقراءة المحتاطيـــن فـــي دين الله. وفيما يلي بعض النماذج من تفسير الزمخشري يظهر فيها دفاعه عن القراءات والقراء والرواة.

- مـــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ [الرعد: ٣١].

قـــال الزمخشري: "ومعنى (أفلم ييئس) أفلم يعلم... استعمل اليأس بمعنى العلم لتضـــمنه معناه؛ لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء بمعنى الخـــوف، والنســـيان بمعـــنى الـــترك... ويدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا: (أفلم يتبين) وهو تفسير (أفلم ييئس) وقيل: (إنما كتبه الكاتب وهـــو نـــاعس مستوى السينات، وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الـــباطل مـــن بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمـــام، وكان متقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلـــون عـــن جلائله ودقائقه، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي علـــيها البـــناء، وهذه والله فرية ما فيها مرية)"[1]. فالزمخشري لم يقبل أن يتهم حملة كتاب الله تعالى وكتبته وحفاظه هذا الاتهام وسارع إلى تبرئتهم وتبرئة كتاب الله تعالى مـــن الخطأ والتهاون، وهذا دفاع عظيم عن القرآن والقراءات والصحابة والقراء الذين

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢/٤٩٩.

نقلوا القرآن والقراءات بأمانة واقتدار وإتقان إلى عهد الزمخشري، ينبري الزمخشري للدفاع عن القراءات والقراء في وجه صاحب هذه الفرية وهذا يسجل لجار الله، وكنت أود من الذين يتتبعون كبوات الزمخشري وسقطاته أن يذكروا ماله في مجال الدفاع عن القراءات والقراء وعن ماهو مخطوط في المصحف الإمام، لأنه من الإنصاف والانتصاف أن يذكروا ما للرجل وما عليه غفر الله لجميع العلماء المدافعين عن دينه وكتابه الكريم.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النور:٢٧]. بعد أن فسر الزمخشري هذه الآية قال: "وفي قراءة عبد الله: (حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا) وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: إنما هو (حتى تستأذنوا) فأخطأ الكاتب، ولا يعول على هذه الرواية"(١).

والزمخشري بعد أن يسوق الرواية عن ابن عباس وابن جبير التي يخطئ فيها الكاتب؛ كاتب القرآن الكريم، سواء قصد كاتب الوحي أو كاتب المصحف الإمام فهو مفتر على ابن عباس رضي الله عنهما. لذا وجدنا الزمخشري يدافع بكل ثقة عن ابن عباس وعن القرآن وخط المصحف الشريف بقوله: "ولا يعول على هذه الرواية".

قال أبو حيان: "ومن روى عن ابن عباس أن قوله (تستأنسوا) خطأ، أو وهم من الكاتب، وأنه قرأ (حتى تستأذنوا) فهو طاعن في الإسلام، ملحد في الدين، وابن عباس بريء من هذا القول، وتستأنسوا متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب"(٢).

فوافق كلام أبي حيان كلام الزمخشري في الدفاع عن القرآن والقراءات.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢٣٢/٣.

(٢) البحر المحيط، ٤١٠/٦.

- ومــن ذلــك أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٩٠]. قال الزمخشري: "(المعذرون) من عذر في الأمر إذا قصر فيه أو توانى ولم يجدّ، وحقيقته أنه يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم، ولكن لم يثبت بهما قراءة.." (١).

فالزمخشــري فــي هذا الموضع يذكر وجهين في العربية محتملين في قولــه (المعــذّرون) وصـــرّح أنه لم يقرأ بهما ليقول للقارئ الكريم إنه لا يقحم في القراءات شـــيء لم تثبت القراءة به. فالأول هو ثبوت القراءة وليس القاعدة العربية. وهو المقدم كما فهم من كلام الزمخشري رحمه الله تعالى.

- ومــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [الشورى:٣٢-٣٥].

قــرأ نـــافع وابـــن عامـــر وأبـــو جعفر (ويعلمُ) بالرفع. وقرأ الباقون (ويعلمَ) بالنصب[٢].

وجـــه الزمخشـــري القراءات في قوله: (ويعلم) ثم رد على الزجاج في توجيه قراءة (ويعلمَ) بالنصب على إضمار (أن) فقال رحمه الله: "ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة[٣]، على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه.." (٤).

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٨٠.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٥٨١، والداني، التيسير، ص١٩٥، وابن الجزري، النشر، ٢/٢٧٥.

(٣) يقصد القراءة المتواترة عرفنا ذلك باستقراء مثل هذه الألفاظ عنده في الباب الأول.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٤/٢٣٢.

ثـم خـرّج الزمخشـري قراءة (ويعلمَ) بالنصب على أنه معطوف على تعليل محـذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون. وهذا كثير في كتاب الله تعالى منه قولـه تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[مريم: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثـية:٢٢]. وهناك كلام طويل ذكـره علمـاء التفسير في توجيه قراءة النصب هذه، لكن الذي يلفت أنظارنا ما ذكره الزمخشـري من عدم جواز أن تحمل القراءة المتواترة على وجه ضعيف في العربية وهذا من دفاعه عن القراءات والمعاني القرآنية.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤].

قـرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب (بظنين) بالظاء. وقرأ باقي العشرة (بضنين) بالضاد[(١)]. وبدأ الزمخشري تفسيره للآية على قراءة أبي عمرو كمـا هـي عادته فقال: "(بظنين) [(٢)] بمتهم من الظنة وهي التهمة. وقرئ (بضنين) من الضـن وهو البخل أي: لا يبخل بالوحي فيروي بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمـه؛ وهو في مصحف عبد الله بالظاء. وفي مصحف أبي بالضاد، وكان رسول الله ﷺ يقـرأ بهما. وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد مـنه للقـارئ، فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقاً غير صواب. وبيـنهما بون بعيد؛ فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان، وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره. وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهـي أحـد الأحرف الذلقية أخت الذال والثاء، ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم بالقراءة. ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتراكيب..."[(٣)].

---

(١) انظر: ابن مجاهد، ص٦٧٣، وابن الجزري، ٢/٢٩٨.

(٢) في المطبوع في (الكشاف) النسخ التي رجعت إليها على قراءة عاصم والتفسير على قراءة أبي عمرو.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤/٧١٣.

هـذا الفصـل الـذي عقـده الزمخشري لتفصيل الحديث عن هاتين القراءتين والـتفريق بيـنهما والإشارة إلى خطورة هذا الأمر بالنسبة للقارئ وبيان أصل هاتين القراءتيـن الـذي أخـذ عن سيد القراء وهو رسول الله ﷺ، بل إن الزمخشري يوجب معرفة أصول القراءات والتفريق بين هاتين القراءتين وغيرهما.

كـل ذلـك يشـير إلـى اهـتمام الزمخشري بالقراءات في تفسيره أولا وإلى معـرفة أصـل ومصـدر القـراءات الذي تلقى عنه الصحابة القرآن والقراءات وهو الرسول الله ﷺ من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة وجوب إتقان القارئ للقراءة التي ينقلها عن النبي ﷺ كما سمعها لذلك أشاد الزمخشري بعمر بن الخطاب لما نقل عنه أنه كان أتقن الناس لمخرج الضاد؛ يخرجها من جانبي لسانه(١).

الخلاصة:

بعـد الوقوف على النماذج السابقة من تفسير الزمخشري التي صرّح فيها بأن مصـدر القراءات إنما هو الوحي جبريل الأمين تلقاها من الحق سبحانه وتعالى وأداها إلـى محمد ﷺ الذي بلغها لأصحابه الذين نقلوها بدورهم إلى من بعدهم مع غاية الدقة والحرص والإتقان، وهذا عكس ما فهمه العلماء والناقدون من كلام الزمخشري من أن القـارئ إنمـا ينشئ قراءته بنفسه يعينه على ذلك ما بلغه من الفصاحة في لسانه وما تعلمـه سماعاً وقياساً من القضايا النحوية، وعذر هؤلاء أنهم وجدوا مثل ذلك في كلام الزمخشري نفسه.

والذي يتحصل لدي من خلال الدراسة الاستقرائية لما قاله الزمخشري في بعض القـراءات وبنى العلماء على ذلك موقفين للرجل على ما تقدم ذكره، أن الزمخشري لا يعـتقد أن القـارئ إنمـا ينشئ القراءة من عند نفسه معتمداً في ذلك على اجتهاده وما حصـله مـن الفصاحة والبيان كما فهم ابن المنير وأبو حيان وغيرهما. ولا أقول في

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٧١٣/٤.

الوقـــت ذاته أن الزمخشري غير مؤآخذ فيما قاله في تلحينه للقراءات المتواترة وطعنه على القراء متهماً إياهم بالجهل بقضايا النحو وقواعد العربية، ومتهماً الرواة بعدم الدقة في روايتهم للقراءات لغفلتهم أو لنسيانهم أو لجهلهم التفريق بين الخلسة والسكون وغير ذلـــك، بـــل هو مؤآخذ على ذلك فمن يرى أن القراءات وحي منزل من عند الله تعالى مـــنقول إليـــنا بالتواتر والاستفاضة كما صرح هو بذلك لا يقبل منه هذا التشنيع على القراء والرواة وهذا الطعن والتلحين لبعض القراءات.

ولعـــل عذره في هذا تشديد علماء القراءات على معرفة النحو وقواعد العربية حتى لا ينسى القارئ فيقرأ فيلحن، فهذا مسبع القراءات وصاحب أول كتاب وصلنا في القـــراءات ابن مجاهد يقول[١]: "فمن حملة القرآن من يعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلـــك، فذلـــك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامـــه... ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداء لما تعلم، ولا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظ، فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده، فيضيع الإعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة، لأنه لا يعتمد على علـــم العربية وليس به بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه، وقـــد ينســـى الحافظ، فيضيع السماع، وتشتبه الحروف، فيقرأ بلحن لا يعرفه وتدعوه الشـــبهة إلـــى أن يرويه عن غيره، ويبرئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مصدقاً فيحمل ذلك عنه، وقد نسيه ووهم فيه، وجسر على لزومه والإصرار عليه، أو يكون قد قـــرأ مـــن نسي وضيع الإعراب ودخلته الشبهة فيتوهم فذلك لا يقلد القراءة ولا يحتج بنقله..." [٢].

ومـــثل ذلـــك من أقوال العلماء الذين شددوا على معرفة القراء لقواعد العربية وأقيسة النحو والإعراب، ولكننا متيقنون أن أئمة القراء العشرة ليسوا من هؤلاء الذين

---

(١) ذكر ابن مجاهد قوله هذا في عرض حديثه عن أسباب اختياره للقراء السبعة في كتابه دون غيرهم من أصحاب القراءات، ص٤٥، ٤٦.

(٢) ابن مجاهد، السبعة، المقدمة، ص٤٥-٤٦.

عـناهم ابـــن مجاهد بقوله السابق بل هم فرسان الإعراب والعربية إضافة إلى حفظهم وإتقـــانهم لما نقلوه من القراءات، ولكن إزاء ما فعله الزمخشري في كشافه من تلحين لبعض القراءات المتواترة نفعل أمرين اثنين:

أولاً: ندعو الله تعالى أن يغفر للزمخشري وغيره من علماء المسلمين كبواتهم وزلاتهم في مثل هذه المواطن.

ثانـياً: تتـبع وإحصاء جميع القراءات المتواترة التي لحنها الزمخشري وطعن بها أو بقارئهـــا أو بمـــن رواهـــا، والتنبيه إلى كل ذلك ثم بيان وجه الحق فيها، وهذا ما سيكون في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

موقف الزمخشري من رسم المصحف

لا تقل قضية رسم المصحف في خطورتها وأهميتها كثيراً عن قضية سند القراءات وتواترها فرسم المصحف كما علمنا هو الركن الثاني من أركان قبول القراءة، وقد اختلف العلماء حول موقف الزمخشري من رسم المصحف فمنهم من رأى أنه اهتم بقضية الرسم وعلاقته بالقراءات القرآنية ومنهم من رأى غير ذلك، وهذا الاختلاف ناشئ عما ورد في تفسيره الكشاف فيما يتعلق بقضية رسم المصحف وعلاقته بالقراءات موافقة ومخالفة، وللوقوف على حقيقة الأمر وتجلية موقف الزمخشري من هذه القضية جمعت ما جاء في تفسيره من أقوال حول الرسم مناقشاً له فيما ذهب إليه ومجلياً حقيقة الأمر، ولكن وجدت من الخير أن أسبق ذلك بحديث موجز عن تاريخ رسم المصحف ومراحل جمعه.

المطلب الأول: تاريخ رسم المصحف(1):

أولاً: في عهد رسول الله ﷺ:

مما هو معلوم بالضرورة عند علماء الأمة وخاصة علماء التفسير وعلوم القرآن أن القرآن الكريم كتب بتمامه بين يدي الرسول الله ﷺ، قام بذلك من يسمون (كتّاب الوحي) وهم ثلة من الصحابة الذين برعوا بالكتابة أشهرهم الخلفاء الأربعة وزيد بن

---

(1) ينظر هذا المطلب في: الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ص٢-١٠، والزركشي، البرهان، ١/٣٦٧-٤٢٩، والسيوطي، الإتقان، ١/٢٦٩-٣٠٥، والمارغني، إبراهيم بن أحمد التونسي، دليل الحيران على موارد الضمآن في فني الرسم والضبط، ص٥-١٥، وشلبي، عبد الفتاح، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين، ص٩-١٣، وقدوري، غانم، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، ص٩٥-١٦٢، والفرماوي، عبد الحي، رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين، ص١٧-٣٥، والطحان، إسماعيل أحمد، من قضايا القرآن: الأحرف السبعة والرسم والقراءات، ص٦٩-٩٦، وسري، حسن، الرسم العثماني للمصحف الشريف مدخل ودراسة، ص٩-٣١.

ثابت، وأبي بن كعب والزبير بن العوام ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم؛ ينزل النجم من القرآن على رسول الله ﷺ فيأمر بكتابته في السورة كذا بعد الآية وهكذا. فيكتبونه على أوراق الشجر أو جلود الأنعام أو الحجارة أو ما تيسير من أدوات الكتابة في زمنهم غير ذلك.

قال زيد بن ثابت ﷺ: (كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع)(١) والرقعة: هي القطعة من الجلد كانوا يستعملونها لكتابة الوحي المنزل وتأليفه يعني جمعه، وسيأتي عند الحديث عن جمع القرآن قول زيد أيضاً (فجمعته من الرقاع ومن صدور الرجال)(٢).

فالقرآن محفوظ في السطور بالإضافة إلى حفظ الآلاف من الصحابة له زمن النبي ﷺ في صدورهم فاجتمع حفظه في السطور والصدور جميعاً.

وكان النبي ﷺ يحث الصحابة على كتابة القرآن وينهاهم عن كتابة غيره. جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: "قال ﷺ: (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن)."(٣).

ثانياً: في عهد أبي بكر الصديق ﷺ:

بعد وفاة النبي ﷺ وانتقال روحه الطاهرة الشريفة إلى الرفيق الأعلى قامت حروب المرتدين عن الإسلام، وقتل عدد من الصحابة رضي الله عنهم جلّهم من حفاظ القرآن الكريم. فرأى بعض الصحابة أن يجمع القرآن من الصحف والجلود والرقاق التي كتبها كتّاب الوحي بين يدي الرسول الله ﷺ في مصحف واحد حتى لا يضيع شيء

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢١٦٠٧)، والترمذي برقم (٣٩٥٤) والحاكم في المستدرك برقم (٢٩٠١).
(٢) سيأتي هذا الحديث بتمامه بعد قليل.
(٣) أخرجه مسلم في الصحيح، برقم (٣٠٠٤) في كتاب الزهد، انظر: شرح النووي، ٤١٩/١٨.

مــن القرآن، وأول من رأى ذلك عمر بن الخطاب فأشار على الصديق أبي بكر بذلك فتردد أول الأمر ثم وافق. ونترك زيد بن ثابت كاتب الوحي بين يدي الرسول ﷺ ينقل لنا هذا الحدث العظيم في تاريخ جمع القرآن وكتابته.

يــروي الــبخاري فــي صــحيحه: أن زيد بن ثابت ﷺ قال: "أرسل إلي أبو بكــر الصــديق بعــد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمــر أتانــي فقــال: إن القــتل قــد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يســتمر القــتل بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلــت لعمــر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يــزل عمــر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قــال زيــد: قــال أبــو بكــر: إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرســول الله ﷺ فتتــبع القــرآن فأجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: "كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب"[١] واللخاف[٢] وصدور الرجال..." [٣] وبقيت هذه الصحف عند أبي بكر إلى أن مات ﷺ ثم عند الفاروق عمر بن الخطاب إلى أن مات ثم عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنهم جميعاً.

---

(١) العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل يكتبون عليه، لسان العرب، ٢٤٢/٩.

(٢) اللخاف: بكسر اللام جمع لخفه بفتح اللام، وهي الحجارة الرقاق كانت تستعمل للكتابة،اللسان، ٢٦١/١٢.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، ج٦، ص٢٢٤، برقم (٤٩٨٦)، والترمذي برقم (٣١٠١)، وابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ص١٤، ١٥.

ثالثاً: في عهد عثمان بن عفان ﷺ (الرسم العثماني):

بعد عهد الصديق أبي بكر اتسعت رقعة البلاد الإسلامية في جميع الاتجاهات، وأقبل الناس على تعلم كتاب الله تعالى وقراءته، وانبرى نفر من الصحابة الذين تلقوا القرآن عن الرسول ﷺ لتعليم الناس القرآن منتشرين في الأمصار الإسلامية فشيدت المساجد وظهرت مدارس تعليم القرآن الكريم في الأمصار التي فتحت جميعها.

والصـــحابة والمتعلمون يقرأون القرآن بحسب الأحرف السبعة التي نزل عليها القـــرآن كل منهم يقرأ بالحرف الذي اختاره من هذه الأحرف، إلا أن الأتباع بعد ذلك اخـــتلفوا في قراءتهم لكتاب الله لأسباب منها: العجمة، وعدم معرفة جواز القراءة بأي حرف من الأحرف السبعة.

روى البخاري في صحيحه عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فأتى عثمان فقال: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم. ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة..."(١).

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، ٢٢٦/٦. رقم الحديث (٤٩٨٧). وروى كذلك صاحب كتاب المصاحف رواية عن أنس بن مالك ﷺ قال: "اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون فبلغ ذلك عثمان بن عفان. فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشدّ تكذيباً وأكثر لحناً. يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً فاجتمعوا فكتبوا" السجستاني، المصاحف، ص٢١، ٢٣، وقد اقتصرت في المتن على ذكر حديث حذيفة لأنها الراوية الأصح لورودها في صحيح البخاري ولا يمنع ذلك من تعدد القصص في سبب هذا النسخ.

ثم بعث عثمان بنسخة من هذا المصحف إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية يكون إماماً لهم في ضبط القراءة وعدم الاختلاف. وعدد هذه المصاحف سبعة، بعث بواحد إلى مكة المكرمة وآخر إلى الشام وثالث إلى الكوفة ورابع إلى البصرة وخامس إلى سائر العراق وأبقى مصحفاً في المدينة واتخذ لنفسه مصحفاً[(١)]. وكل واحد من هذه المصاحف يسمى (المصحف الإمام).

وتجدر الإشارة إلى أن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بعث مع كل مصحف من هذه المصاحف بإمام من أئمة القراءة من أصحاب النبي ﷺ يعلم الناس القرآن، وأجمع الصحابة على صنيع عثمان هذا[(٢)].

وهذا الذي قام به عثمان وصحبه الكرام يسمى (الرسم العثماني للمصحف) وهو غاية في الإتقان والدقة والضبط حتى عد العلماء بعد ذلك موافقته من ضوابط وشروط قبول القراءة وصحتها. وسبق الحديث مطولاً في التمهيد من الباب الأول حول ضوابط قبول القراءة وصحتها ومن ذلك موافقة الرسم العثماني. وهذا الضابط يأتي من حيث الأهمية مباشرة بعد ضابط صحة السند والشهرة والاستفاضة، وقد كان صنيع عثمان ﷺ عظيماً في درء ما قد يلحق كتاب الله من اختلاف لولا أن وفقه الله لهذا العمل العظيم، وكانت قراءة المصاحف التي أرسلها عثمان مع مقرئ المصر الذي يرسله إليه لا تخرج عن خط المصحف الذي بعث به إليهم[(٣)].

وعرفنا كذلك أن ثمة خلافات يسيره بين هذه المصاحف العثمانية التي بعث بها إلى الأمصار من زيادة الواو أو حذفها أو تثنيه في هذا المصحف وجمع في ذاك إلى غير ذلك من الاختلافات التي تشير إلى تعدد القراءات الثابتة عن النبي ﷺ في هذه

---

(١) انظر: الداني، المقنع، ص٢، ٣، وانظر: السجستاني: المصاحف، ص١٧، والسيوطي، الإتقان، ١/٢٧٩-٢٨١.

(٢) انظر: قدروري، رسم المصحف، ص١٢٤-١٢٩، والمارغني، دليل الحيران، ص١٧.

(٣) انظر: ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٢٣-٢٥.

المواطن وتعذر رسمها على هيئة تحتمل جميع هذه القراءات المتواترة فرسمت على أكثر من صورة بعضها في المصحف الشامي وصورتها الأخرى في المصحف المكي وهكذا. ويشير بعض العلماء إلى إن الرسم إنما وضع علاجاً لتكاثر الروايات والقراءات، وجموح بعضها إلى حد أدى إلى افتتان الجماعة المسلمة، ومن ثم فإذا كانت الرواية من الناحية التاريخية سابقة على الرسم، فإن الرسم بصورته المختارة إنما كان دليلاً على وجود الروايات المتعددة واعترافاً بها، وإن كان من أهدافه أن يكون حصراً لها في إطار، وبعد أن أجمع المسلمون على اعتبار الرسم أساساً تلتزمه الرواية أخذ وضع التابع الملتزم[١].

المطلب الثاني: موقف الزمخشري من رسم المصحف:

عرفنا في المبحث الثاني من هذا الفصل موقف الزمخشري من أخطر قضية من قضايا القراءات وهي قضية السند أو قضية نشأة القراءات وروايتها، وخلصنا إلى نتيجة مفادها أن الزمخشري يرى أن الوحي هو منشأ القراءات التي نقلها إلينا القراء والرواة بأمانة واقتدار، بعد دراسة استقرائية لمواقفه في تفسيره الكشاف. وستعزز هذه النتيجة وتزداد تأكيداً لدى القارئ الكريم إذا ما عرفنا موقف الزمخشري ورأيه في قضية رسم المصحف[٢] التي لا تقل في أهميتها وخطورتها عن مسألة السند والرواية في القراءات حتى عدها علماء الأمة مجمعين الركن الثاني من أركان القراءة الصحيحة بعد السند الذي هو الركن الأول. وللوقوف على رأي الزمخشري في قضية رسم المصحف تتبعت أقوال الزمخشري في هذه القضية في تفسيره ووقفت على النماذج التالية:

---

(١) انظر: شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ذهب الدكتور عبد العال مكرم إلى أن موقف الزمخشري في قضية رسم المصحف هو الذي دفع المستشرق جولد زيهر إلى القول بحرية القراءة وأنها ترجع إلى اجتهادات القراء. انظر: القراءات القرآنية لمكرم، ص٩، ١٠.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:].

قال الزمخشري: "(السراط) الجادة: من سرط الشيء إذا ابتلعه، لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه، كما سمي: لقماً: لأنه يلتقمهم[1]. و(الصراط) من قلب السين صاداً لأجل الطاء[2]. كقوله (مصيطر) (الغاشية: ٢٢) في (مسيطر)، وقدتشم الصاد صوت الزاي، وقرئ بهن جميعاً. وفصحاهن إخلاص الصاد، وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام"[3] يقصد رحمه الله المصحف الإمام وهو مصحف عثمان الذي تحدثنا عنه في المطلب السابق. فهي إشارة مبكرة إلى رسم المصحف وفي هذا دليل اهتمام وعناية.

القراءات في قوله (الصراط): قرأ ابن كثير في رواية قنبل ويعقوب في رواية رويس (السراط) بالسين وقرأها بإشمام الصاد زاياً حمزة. وقرأها باقي العشرة (الصراط) بالصاد[4].

والشاهد في هذا المثال قول الزمخشري: (وفصحاهن إخلاص الصاد، وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام). حيث أشار الزمخشري إلى رسم المصحف العثماني (الإمام) ورجح القراءة بالصاد لهذا السبب ولكونها لغة قريش وفي هذا المثال إشارة إلى اهتمام الزمخشري برسم المصحف الركن الثاني من أركان القراءة الصحيحة، مع أن القراءة بالصاد عدول عن الأصل الذي هو القراءة بالسين كما هو ثابت عند أهل اللغة[5]. إلا أن اهتمام الزمخشري برسم المصحف وبلغة قريش التي نزل عليها القرآن الكريم دفعاه إلى ترجيح قراءة الصاد. وسيأتي الحديث مفصلاً عن الترجيح بين القراءات في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) ذكر ذلك مكي في الكشف، ٣٢/١، والعكبري في الإملاء، ٧/١، وتوسع في بيانه.

(٢) انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص٦٢، ٦٣، وذكر أن الأصل هي السين.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٥٨/١.

(٤) انظر: ابن مجاهد، ص١٠٥، والداني، التيسير، ص١٨، ١٩، وابن الجزري، النشر، ٢٦٧/١.

(٥) ذكر ابن خالويه في الحجة، ص٦٢، وابن زنجلة، الحجة، ص٨٠، والعكبري، ٧/١.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً للمتقين﴾ [البقرة:١- ٢] تحدث الزمخشري عن الأحرف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن، ثم قال: "فإن قلت: فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها، لا على صور أساميها"؟[١]. ثم أجاب عن ذلك التساؤل وقال بعده: "وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف، قال عبد الله بن دستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء: خطان لا يقاسان: خط المصحف لأنه سنة، وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه"[٢].

فالزمخشري يبين في هذا الموضع المبكر من تفسيره موقفه من رسم المصحف وينص على أن اتباع رسم المصحف العثماني (الإمام) سنة لا تخالف وهذا الموقف الذي سار عليه في هذا الموضع وغيره في تفسيره ثم ينقل عمن يرى هذا الرأي قوله لتأييد ما ذهب إليه.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. تحدث الزمخشري عن قوله (أنما) وقال: "هي أن وما مصدرية، بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير، وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة، ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف، وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف"[٣].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٦٨/١، ٦٩.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٦٩/١.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤٧٢/١.

فالزمخشري في هذا الموضع أيضاً يشير ضرورة إلى متابعة رسم المصحف الإمام وإن خالف ذلك قياس علم الخط لأن موافقة ومتابعة رسم المصحف الإمام سنة لابد منها.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: ٥٤]. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (يرتدِد) بفك الإدغام. وقرأ باقي العشرة (يرتدَّ) بالإدغام[١].

وبعد أن ذكر الزمخشري هاتين القراءتين قال: "وهو في الإمام بدالين"[٢] يقصد في رسم المصحف العثماني وكأنه يشير رحمه الله إلى ترجيح قراءة فك الإدغام (يرتدد) على قراءة الإدغام لأن رسم المصحف الإمام جاء على صورة القراءة الأولى بفك الإدغام، بالرغم من أن قراءة الإدغام قرأ بها أبو عمرو بن العلاء وهي كما عرفنا القراءة التي فسر الزمخشري القرآن عليها غالباً إلا أنه ولشدة تمسكه بموافقة ومتابعة رسم المصحف الإمام تراجع عنها هنا.

ولكن هل هذا القول يعني أن من قرأ بالإدغام خالف رسم المصحف؟ الجواب: لا، لم يخالف فمن قرأ بالإدغام وافق كذلك رسم المصحف، وتفسير ذلك كالآتي:

عرفنا في التمهيد من الباب الأول أن موافقة رسم المصحف العثماني شرط من شروط قبول القراءة وصحتها، وعرفنا كذلك أن القراءة تكون موافقة لرسم المصحف الإمام إذا وافقت أياً من المصاحف العثمانية التي بعث بها عثمان إلى الأمصار الإسلامية ولو وافقت القراءة مصحف مصر غير مصحف مصر القارئ كأن توافق قراءة عاصم الكوفي مصحف أهل الشام وهكذا. وفي المثال الذي بين أيدينا ذكر مكي

---

(١) انظر: ابن مجاهد، ص٢٤٥، والداني، التيسير، ص٩٢، وابن الجزري، النشر، ١٩١/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٦٧٧/١.

بن أبي طالب القيسي والداني أن (يرتدّ) بالإدغام وقع في مصاحف الكوفة والبصرة ومكة[1]. فتكون بذلك قراءة الإدغام أيضاً موافقة لخط المصحف الإمام موافقة تحقيقية، وليس الأمر كما ظهر من كلام الزمخشري أن المصحف الإمام اقتصر على قراءة (يرتدد) بدالين.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى بعد حديثه عن ثلة من الأنبياء والرسل عليهم السلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر (اقتدهْ) بإثبات الهاء وصلاً ووقفاً. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف وابن عامر (اقتدهْ) وقفاً. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (اقتدِ) بغير هاء في الوصل. وقرأها (اقتدهِ) وصلاً ابن عامر وهشام من غير إشباع، وابن ذكوان بإشباع كسرة الهاء وصلاً[2]. والهاء مثبتة في المصحف الإمام.

قال الزمخشري: "الهاء في (اقتده) للوقف. وتسقط في الدرج. واستحسن إثبات الوقف لثبات الهاء في المصحف"[3].

فهو يؤثر أن يقف القارئ عليها بإثبات الهاء كونها مثبتة في رسم المصحف. ولكن بالمتابعة نجد أن إثباتها في الوصل أيضاً قراءة متواترة قرأ بها خمسة من القراء العشرة وأربعة من الأئمة السبعة منهم أبو عمرو بن العلاء الذي فسر الزمخشري القرآن على قراءته، ولعل الزمخشري فاته هذا أو أنه نظر إلى الذين أسقطوها في الدرج فقط[4].

---

(١) انظر: القيسي، مكي، الكشف عن وجوه القراءات، ٤١٣/١، وابن خالويه، الحجة، ص١٣٢، والداني، المقنع، ص١٣.

(٢) انظر: ابن مجاهد، ص٢٦٢، والداني، التيسير، ص١٠٥، وابن الجزري، ١٥٩/٢.

(٣) الكشاف، ٤٢/٢.

(٤) ومع ذلك لم يخف اهتمام الزمخشري وعنايته برسم المصحف وأتباعه.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤]. قرأ نافع وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر (نبغي) وصلا. وقرأ ابن كثير ويعقوب (نبغي) وصلاً ووقفاً. وقرأ باقي العشرة (نبغ) وصلاً ووقفاً[١].

قال الزمخشري: "وقرئ (نبغ) لغير ياء في الوصل، وإثباتها أحسن، وهي قراءة أبـي عمـرو، وأمـا الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لخط المصحف"[٢].وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

وتارة نجده يعلل لماذا رسمت في المصحف على صورة كذا.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧].

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف خط في المصحف "(علماؤا) بواو قبل الألف؟ قلت: خط على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت: "الصلوة، والزكوة، والربوا"[٣].

وأيـد هـذا التوجـيه بعـد الزمخشـري عـدد من العلماء. منهم أبو حيان[٤] والبيضاوي[٥] والنسفي[٦] والآلوسي[٧] وغيرهم.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [التحريم:٤].

---

(١) انظر: القراءات العشر المتواترة، ص٣٠١.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٦٨٥/٢.

(٣) السابق، ٣٤٠/٣.

(٤) انظر: البحر المحيط، ٣٩/٧.

(٥) انظر: البيضاوي، ١٥٠/٤.

(٦) انظر: النسفي، ٥٨٣/٢.

(٧) انظر: الآلوسي، ١٦٩/١٩-١٧٠.

قـــال الزمخشـــري: "فإن قلت: (صالح المؤمنين) واحد أم جمع؟ قلت: هو واحد أريـــد به الجمع كقولك: لا يفعل هذا الصالح من الناس، تريد الجنس، كقولك: لا يفعله مـــن صـــلح مـــنهم، ومثله قولك: كنت في السامر والحاضر. ويجوز أن يكون أصله: صالحو المؤمنين بالواو، فكتب بغير واو على اللفظ؛ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه، كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها اللفظ دون وضع الخط"(١).

لاحظنا كيف انصب حديث الزمخشري في قوله الثاني على خط المصحف مما يشعر بمدى تعلق واهتمام الزمخشري برسم المصحف وما يتعلق به من أحكام.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: (كتابيه... حسابيه... ماليه.. سلطانيه) من سورة الحاقة.

قال الزمخشري: "والهاء في (كتابيه) للسكت... وحق هذه الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل. وقد استحب إيثار الوقف إيثاراً لثباتها في المصحف، وقيل: لا بأس بالوصل والإسقاط..." (٢).

ورد ابـــن المنير الإسكندري على قول الزمخشري السابق بقوله: "تعليل القراءة باتـــباع المصـــحف عجيـــب مع أن المعتمد الحق أن القراءات السبع بتفاصيلها منقولة تواتـــراً عـــن النبي ﷺ، فالذي أثبت الهاء في الوصل إنما أثبتها من التواتر عن قراءة النبـــي ﷺ، أي هـــي كذلـــك قـــبل أن تكتب في المصحف، وما نفس هؤلاء إلا إدخال الاجتهاد في القراءات المستفيضة واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظري وهذا خطأ لا ينبغي فتح بابه، فإنه ذريعة إلى ما هو أكبر منه"(٣).

والحـــق أن ابـــن المنير بالغ وقسا في رده على الزمخشري في هذا الموضع، فالزمخشـــري إن قلـــنا إنـــه يفهـــم من كلامه القول بالاجتهاد في القراءات في بعض

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٤/٥٧١.

(٢) السابق، ٤/٦٠٧.

(٣) ابن المنير، هامش الكشاف، ٤/٦٠٧.

المواضع وناقشناها سابقاً فنحن على يقين أنه لا يفهم من كلامه القول بالاجتهاد في هذا الموضع، وغاية ما في الأمر أنه أشار إلى القراءة بإثبات الهاء في الوقف وسقوطها في الوصـل وأشار كذلك إلى القراءات الأخرى، وهي مثبتة في كتب القراءات أما ربطها برسـم المصـحف فهو يشير إلى اختيار واستحباب القراءة بقراءة متواترة توافق رسم المصـحف موافقـة تحقيقـية. في مقابل قراءة متواترة توافق رسم المصحف موافقة احتمالية[1]، ولا شيء في ذلك ثم هو بعد ذلك يذكر قراءة الجمهور بإثبات الهاء وصلاً ووقفاً.

ولمزيد من الفائدة والبيان نذكر القراءات في الآية الكريمة وما قاله العلماء في توجيهها: (كِتَابيه) (حِسَابيه) حذف يعقوب الهاء وصلاً وأثبتها غيره. وكلهم أجمعوا على إثباتها في الوقف.

(مالِيه) قرأ حمزة ويعقوب بحذف هاء (ماليه) وصلاً، والباقون بإثباتها كذلك. وللمثبتين وصلاً وجهان: الأول: الإدغام، والثاني: الإظهار.

(سُـلطَانيَه) حـذف الهـاء حمـزة ويعقـوب وصـلاً، وأثبتها غيرهما كذلك وللجمـيع إثـباتها وقفـاً[2]. وحجة من حذف الهاء في الوصل: أن هذه الهاء أُدخلت ليبيـن بهـا حـركة الياء في حال الوقف، فإذا لم يكن الوقف لم تسكن الياء فلم يحتج إلـى الهـاء التـي تحفـظ حركة الياء. وحجة من أثبت الهاء وصلاً ووقفاً، أنها ثابتة في المصحف الإمام[3].

- ومـثل ذلـك عـند قـول الله تعـالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١٠- ١١]

---

(١) تقدم الحديث مفصلاً عن موافقة خط المصحف تحقيقاً واحتمالاً في التمهيد من الباب الأول.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢/٢٩١، والقراءات العشر المتواترة، ص٥٦٧.

(٣) انظر: ابن زنجلة، ص٧١٩، ٧٢٠، والعكبري، الإملاء، ٢/٢٦٨.

قـال الزمخشري: "(هيه) ضمير الداهية التي دل عليها قوله: (فأمه هاوية)، أو ضـمير هاويـة، والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حذفها، وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف، وقد أجيز إثباتها مع الوصل"[1].

وما قيل في الآيات السابقة يقال في هذه الآية.

والقـراءات فـي قوله (ماهيه): قرأ يعقوب وحمزة بحذف الهاء الساكنة وصلاً وإثباتها وقفاً، وقرأ باقي العشرة بإثباتها وصلاً ووقفاً[2].

ومـا ذكره الزمخشري من تفضيل القراءة بعدم الدرج أي بالوقف على (ماهيه) حـتى لا تسـقط الهـاء الثابتة في المصحف، وافقه عليه أبو حيان فقال رحمه الله في الـبحر: "وقـرأ الجمهـور (كتابيه وحسابيه) في موضعيهما و(ماليه وسلطانيه)، وفي القارعة (ماهيه) بإثبات هاء السكت وقفاً ووصلاً لمراعاة خط المصحف"[3].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**كَذَّبَ أَصْحَابُ لَأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء: ١٧٦]. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر (أصحاب لَيْكةَ) بالنصب من غير ألف وبلا همز، وقرأ باقي العشرة (أصحاب الأيْكةِ) بإثبات الألف والهمزة والجر[4].

قـال الزمخشـري: "قـرئ (أصحاب الأيكة) بالهمزة وبتخفيفها، وبالجر على الإضـافة وهو الوجه، ومن قرأ بالنصب وزعم أن (ليكة) بوزن (ليلة). اسم بلد، فتوهم قـاده إليه خط المصحف، حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة (ص) بغير ألف، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت فـي هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ، كما يكتب أصحاب النحو (لان) و(لولى)

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٧٩٧/٤. والداهية جهنم، والهاوية دركة من دركاتها، انظر: البحر المحيط، ٨/ ٥٠٤.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٩٣/٢، والقراءات العشر المتواترة، ص٦٠٠.

(٣) البحر المحيط، ٣١٩/٨، وتجدر الإشارة أن أبا حيان وافق الزمخشري في جل ما ذهب إليه في حديثه عن رسم المصحف، انظر في: البحر المحيط، ١٦٤/٤، ٣٩/٧، ١٤٥/٧، ٢٨٧/٨، ٣١٩/٨، ٥٠٤/٨، وغيرها من المواضع التي وافق الزمخشري عليها.

(٤) انظر: ابن مجاهد، ص٤٧٣، والداني، التيسير، ص١٦٦، وابن الجزري، النشر، ٢٥٢/٢.

على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة على أن (ليكة) اسم لا يصرف"[١].

ضعّف الزمخشري قراءة (ليكة) بالنصب وقال هي وهم قاد إليه خط المصحف: وهي في رسم المصحف (ليكة) في سورتي الشعراء و(ص) ورسمت كذلك بالألف (الأيكة) في سورتي الحجر و(ق).

وكنت أود أن لا يتسرع الزمخشري وغيره[٢]، إلى تضعيف هذه القراءة المتواترة واتهام القراء بالوهم والخطأ، والأخطر من ذلك أنه بنى هذا الوهم والخطأ ورده إلى رسم المصحف الذي هو موجود أصلاً لصيانة القراءات عن الوهم والخطأ. بل أن الزمخشري أقر بذلك في الأمثلة السابقة، فكيف هو الآن يعد رسم المصحف هو الذي قاد القراء إلى الوهم والخطأ في قراءة (ليكة) من غير ألف لأنها كما زعم كتبت في سورتي الشعراء و(ص) على حكم لفظ اللافظ، فلعمري كيف ترسم في سورتين على صورة وترسم في سورتين أخريين على صورة أخرى واللفظ واحد في الجميع فإذا كان الذي كتبها في موضع على حكم لفظ اللافظ. هو من كتبها في السورتين الأخريين على صورة مغايرة، فلماذا لا يكتبها في الوضع الآخر على حكم لفظ اللافظ كما زعم أبو القاسم الزمخشري.

إذن لا بد من سبب آخر وعلة غير تلك التي ذكرها الزمخشري وهي عند علماء التفسـير والقــراءات واضحة وضوح الشمس. إنها ما رسمت في موضع على صورة بعينها ورسمت في موضع آخر على صورة مغايرة إلا لتدل على قراءة أخرى مروية عن المعصوم ﷺ تواتر نقلها إلينا أيضاً في هذا الموضع ويدل الرسم الآخر على قراءة أخـرى مــروية عن المعصوم تواتر نقلها إلينا أيضاً فالتقى النقل والرسم للدلالة على تواتر كل قراءة منهما[٣] ولا أجد ما اعتذر به عن جار الله غفر الله له.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣/٣٣٧.

(٢) ممن ضعفها أيضاً من العلماء ووهموا القراء بها: المبرد والزجاج وأبو علي الفارسي. انظر: البحر المحيط، ٧/٣٦.

(٣) سبق الحديث حول المسألة هذه عموماً في نهاية المطلب الأول في هذا البحث.

الفصل الثاني

الطعن في القراءات المتواترة والمفاضلة بينها عند الزمخشري

تمهيد: الزمخشري يطعن في القراءة أو القارئ أو الراوي.

المبحث الأول: طعنة في القراءات بسبب مذهبه النحوي.

المبحث الثاني: طعنة في القراءات بسبب البلاغة.

المبحث الثالث: طعنة في القراءات بسبب المعنى اللغوي.

المبحث الرابع: طعنه في القراءات بسبب اختلاف اللهجات.

المبحث الخامس: القراءات في ضوء عقيدة الاعتزال عند الزمخشري.

تمهيد

الزمخشري يطعن في القراءة أو القارئ أو الراوي.

وقع الزمخشري فيما وقع فيه غيره من المفسرين واللغويين من الطعن في القراءات المتواترة والتقليل من شأنها وتضعيفها أو الطعن في القراءة من خلال اتهام القارئ بالخطأ أو الراوي بالوهم وعدم الدقة في النقل.

وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك عند الحديث في الفصل السابق عن موقف الزمخشري من القراءات "نشأة ورواية". فالزمخشري رحمه الله وغفر له لم يتردد في الطعن في بعض القراءات المتواترة التي ثبتت صحتها وتواتر نقلها عن النبي ﷺ فيصفها بالضعف تارة وبالغلط تارة أخرى وبأنها مسترذلة تارة ثالثة وغير ذلك من ألفاظ الطعن والانتقاص من شأن القراءات.

فعلى سبيل المثال يقول في قراءة ابن عامر السبعية المتواترة: "والفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف شيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً... فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته"(١).

وفي موضع آخر يقول: "وقرأ أبو جعفر (للملائكةُ اسجدوا) بضم التاء للاتباع. ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة"(٢). وفي موضع آخر يقول: "وقرئ (وأرْنا مناسكنا) بسكون الراء قياساً على فَخْذ في فَخِذ وقد

((١) انظر الزمخشري، ٢/٦٦، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: (وكذلك زين لكثير من المشركين..)، الأنعام، آية١٣٧.

(٢) الزمخشري، ١/١٥٦، عند تفسيره قوله تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا) البقرة، آية٣٤.

استرذلت"[١]. وهي قراءة متواترة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو من أئمة السبعة ويعقوب من العشرة[٢]. وغير ذلك من ألفاظ الطعن والتضعيف للقراءات[٣].

هــذا في جانب الطعن في القراءة بشكل مباشر. ووجدت الزمخشري يطعن في القراءة من جانب آخر، وهو الطعن في القارئ أو الراوي ونحن نعلم أن الطعن في أي مــنهما يقود إلى الطعن في القراءة فإذا اتهم القارئ باللحن أو الخطأ وإذا اتهم الراوي بالغفلــة أو النسيان فإنه يترتب على ذلك طعن في القراءة وهذا ما فعله الزمخشري في بعض القراءات.

فمــن الطعن في القراء أو الرواة عند الزمخشري قوله: "ومدغم الراء في اللام لاحــن مخطئ خطئاً فاحشاً. وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلــى أعلــم الناس بالعربية مما يؤذن بجهل عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية..." [٤].

ومن ذلك أيضاً قوله: "والنون لا تدغم في الجيم، ومن تمحل لصحته فيجعله فعّل وقال نَجّى النجاءُ المؤمنين فمتعسف بارد التعسف"[٥].

يقول ذلك والذي قبله في قراءتين متواترتين الأولى قرأ بها أبو عمرو في رواية الــدوري. والثانية قرأ بها ابن عامر، وعاصم في رواية شعبة. وهم من أئمة القراءات السبع[٦].

---

(١) الزمخشري، ٢١٤/١، عند تفسيره قوله تعالى (وأرنا مناسكنا) البقرة، ١٢٨.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٧١/٢.

(٣) انظر من ذلك أيضاً الكشاف، ٢١٩/٢ و٢٣٨/٢ و٥١٧/٢ و٥٨٠/٣، و٦٥/٤. وغيرها وسيأتي بيان كل ذلك والرد عليه إن شاء الله تعالى.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣٥٧/١، ٣٥٨. عند تفسيره لقوله تعالى: (فيغفر لمن يشاء..) البقرة/٢٨٤.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ١٣٣/٣. عند تفسيره لقوله تعالى: (وكذلك ننجي المؤمنين) الأنبياء/٨٨.

(٦) سيأتي الحديث مفصلاً عن كل ذلك.

وفي مواطن أخرى يتهم الراوي بالوهم والغلط فيقول مثلاً: "ولعل الإمام اختلس الضمة فظنه الراوي سكوناً"[١]. وقال عند تفسير قوله تعالى: (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) محمد/١٨. ذكر قراءة مروية عن أبي عمرو ثم قال: "وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو"[٢]. وغير ذلك من طعون الزمخشري في القراء والرواة[٣].

ويلحق بهذا أيضاً جانب آخر من جوانب الطعن في القراءات ذلكم هو المفاضلة والترجيح بين القراءتين بأن يقدم قراءة ويمدحها ويذم الأخرى. لأن مثل هذه المفاضلة تفضي إلى إسقاط إحدى القراءتين أو تضعيفها أو التقليل من شأنها ومن أشنع صور المفاضلة والترجيح بين القراءات تفضيل الشاذ على المتواتر سعياً للوصول إلى الإعراب الأقوى أو إلى صور بلاغية وقد وقع ذلك عند الزمخشري في غير ما موضع من تفسيره وسيأتي بيانه. وقد يقول قائل: إن للقارئ أو المفسر أن يختار أي قراءة شاءَ مما تواتر يقرأ عليها القرآن ويفسره.

والجواب عن ذلك: إنه لا اعتراض على اختيار قراءة يفسر عليها القرآن. وقد علمنا من قبل أن الزمخشري فسر القرآن غالباً على قراءة أبي عمرو بن العلاء، لكن الذي يؤخذ على الزمخشري أنه كان أثناء تفسيره يفاضل بين بعض القراءات المتواترة بما يشير إلى قوة قراءة وبلاغتها وضعف الأخرى وقلة فصاحتها فيقول مثلاً: وقرئ بالرفع والقراءة بالنصب أوفق[٤]، أو وقرئ بالفتح والضم أقوى[٥]، وقرئ بالياء وهو أبلغ[٦]، وغير ذلك في تفسيره[٧].

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ١/٣٠٨، وقد تكرر هذا عنده غير مرة وسيأتي بيانه.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٤/٣٢٦.

(٣) انظر ذلك أيضاً: الكشاف، ١/٨٨، ٢/٢٣٩، ٣/٥٨٠، ٤/٦٥٥ وغيرها وسيأتي الجواب عنها.

(٤) انظر: الزمخشري، ١/٥١١.

(٥) السابق، ٣/٤٩٢.

(٦) السابق، ٤/٦٦٣.

(٧) انظر: الزمخشري،٢/٢٦٠،٢/١٩٨، ١/٤٠٥، ٢/٦٨٥، ٤/٧٥، ٥٧١ وغيرها. وسيأتي تفصيل ذلك كله.

وقد يقول قائل إن المفاضلة بين القراءات ليست طعناً فيها. وأجيب على ذلك بما قالــه العلماء، قال أبو جعفر النحاس: "هذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال إحداهمــا أجــود من الأخرى كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها"[١]. وقـــال أبو شامة: "قد أكثر المصنفون في القراءات والتفسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين (مالك)، و(ملك) حتى أن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القـــراءة الأولى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين.." [٢] ثم إننا نعلم أن القراءات قرآن والقرآن كلام الله تعالى ولا تجوز المفاضلة بين كلام الله تعالى فليس بعض كلامه ســبحانه أفضـــل مـــن بعضه الآخر. كما أننا ملزمون بالإيمان والعمل بكل قراءة ثبت تواتـــرها. يقـــول الإمام ابن تيمية: "وكل قراءة منهما مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهمـــا لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض بل كما قال ابن مسعود: "من كفر بحرف مـــنه فقد كفر به كله.."[٣].وهذا قول العلماء في المفاضلة بين القراءات المتواترة فكيف هو الحال إذا فضلت القراءة الشاذة على القراءة المتواترة؟

ولما تقدم فإني سأتحدث عن الترجيح والمفاضلة بين القراءات تحت باب الطعن في القراءات لأنه يفضي إلى التقليل من شأن بعض القراءات وتضعيفها.

وفـــيما يلـــي القراءات التي طعن فيها الزمخشري أو فاضل بينها أو أنقص من شأن بعضها مقسمة إلى خمسة مباحث.

---

(١) نقلاً عن القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٩١/١٤.

(٢) أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص٧١.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ٣٩١/١٣، ومثل ذلك قال أبو حيان في البحر، ٢٦٥/٢.

المبحث الأول

طعنه في القراءات بسبب مذهبه النحوي

اقتفى الزمخشري مذهب البصريين النحوي وعرفنا من قبل أنه كان من المتعصبين لهذا المذهب ولم يخالفه إلا قليلاً. وهذا التعصب دفع الزمخشري في كثير من الأحيان إلى رد بعض القراءات المتواترة أو تضعيفها والتقليل من شأنها أو تفضيل قراءة على قراءة وهذا كله من باب الطعن في القراءات كما علمنا.

وفيما يلي القراءات، التي طعن فيها الزمخشري في تفسيره الكشاف من جهة النحو والردود على ما ذكره فيها.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء:١]، ذكر الزمخشري القراءات في الآية الكريمة ومنها القراءات في قوله (والأرحام) فقال: "وقرئ (والأرحام) بالحركات الثلاث[١]، فالنصب على وجهين، إما على: واتقوا الله والأرحامَ، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيد وعمراً وينصره قراءة ابن مسعود: (تسألون به وبالأرحام)[٢]. والجر على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: (مررت به وزيد) و(هذا غلامه وزيد) شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة، فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك: (مررت

---

(١) قراءة الرفع شاذة، وقرأ حمزة وحده (والأرحامِ) بالجر وقرأ الباقون (والأرحامَ) بالنصب، انظر: السبعة، ص٢٢٦، والتيسير، ص٩٣، والنشر ١٨٦/٢.

(٢) (تسألون به وبالأرحام) قراءة ابن مسعود والأعمش، انظر: ابن خالويه مختصر في الشواذ، ص٢٤.

بـــه وبزيد) و(هذا غلامه وغلام زيد)... وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها:

فاذْهَبْ فما بِكَ والأيام مِنْ عجب[1][2].

وهـــذا هـــو قـــول نحويي البصرة، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضـــمر مخفـــوض، قـــال الزجاج[3] عن المازني[4]: لأن المعطوف والمعطوف عليه شـــريكان يحل كل منهما محل صاحبه، فكما لا يجوز مررت بزيدٍ وك، فكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ وأما سيبويه فهي عنده قبيحة لا تجوز إلا في الشعر[5].

لاحظـــنا كـــيف قـــاد المذهـــب النحوي الزمخشري إلى الطعن في هذه القراءة وتضـــعيفها مـــع علمه أنها مروية متواترة، ولم يكن الزمخشري وحده هو من رد هذه القراءة. بل عدد من المفسرين والنحاة سلكوا الطريق نفسه.

نذكـــر منهم شيخ المفسرين الطبري[6] وابن عطية[7] والبيضاوي[8] والفارسي[9] والفراء وقال الأخير: وفيه قبح[10]" وقال المبرد: "لا تحل القراءة بها"[11].

ويجاب عمّا ذكره الزمخشري وغيره في تضعيف هذه القراءة بما يلي:

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٤٩٢/١.

(٢) هـــذا عجز بيت للأعشى وصدره: (فاليومَ قد بتَّ تهجونا وتشتمنا). والشاهد فيه أنه عطف قوله (والأيام) على الضمير المجرور في (بك).

(٣) الـــزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، من علماء النحو واللغة، مات ببغداد سنة (٣١١هـــ). معجم الأدباء، ٤٩/١.

(٤) المازنـــي: بكـــر بـــن محمـــد بـــن حبيب بن بقية أبو عثمان المازني أحد أئمة النحو مات بالبصرة سنة (٢٤٩هـــ)، انظر: شذرات الذهب، ٢٩٧/٥.

(٥) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤٨٣/٣. وانظر: مكي، الكشف، ٣٧٥/٢، ٣٧٦.

(٦) انظر: جامع البيان، ٥٦٨/٣.

(٧) انظر: المحرر الوجيز، ٤٨٤/٣.

(٨) انظر: أنوار التنزيل، ٥٨/٢.

(٩) انظر: الحجة، ٦٢/٢.

(١٠) معاني القرآن، ٢٥٢/١.

(١١) انظر: حاشية الشهاب، عناية القاضي، ١٩٤/٣.

اعـــتمد البصريون ومنهم الزمخشري في رد هذه القراءة على قاعدة عدم جواز عطـــف الظاهر على مضمر مخفوض، وأثبت الكوفيون ونفر من النحاة[1] جواز عطف الظاهـــر على المضمر المجرور مطلقاً. ومما روي في ذلك من قول العرب: (ما فيها غيره وفرسه). بجر فرسه عطفاً على الضمير في غيره. ومن الشعر نقل أبو حيان في تفســيره تسعة أبيات من الشعر المحتج به تؤكد صحة ما ذهب إليه الكوفيون من صحة هذه القراءة في لغة العرب وأقيستهم من ذلك قول الشاعر:

نعلـــق في مثل السواري سيوفَنَا　　　فما بينها والأرضِ غوط نفانفُ[2]

الشاهد فيه قوله: فما بينها والأرض. والأصل أن يقول بينها وبين الأرضِ.

لكـــنه عطـــف (الأرض) علـــى الضمير المخفوض في (بينها) من غير إعادة العامل، وقول الشاعر:

إذا أوقـــدوا نـــاراً لحـــربِ عدوهم　　　فقد خابَ منْ يصلى بها وسعيرِهَا[3]

والشـــاهد فيه قوله: بها وسعيرها. حيث عطف (سعير) على الضمير المخفوض في (بها). من غير إعادة الخافض.

وقول العباس بن مرداس[4]:

أكـــرُّ علـــى الكتيـــبةِ لا أبالي　　　أحتفـــي كـــان فيها أمْ سواهَا

والشاهد فيه قوله: فيها أمْ سواها. حيث عطف (سواها) على الضمير المخفوض في (فيها) من غير إعادة الخافض وأنشد سيبويه:

---

(١) منهم أبو الحسن الأخفش وأبو علي الشلوبين وآخرين.

(٢) البيـــت لمســـكين الدارمـــي، ذكـــره شيخ المفسرين الطبري عند تفسيره لهذه الآية. انظر: جامع البيان، ٥٦٨/٣. وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن، ٢٥٣/١.

(٣) لم أهتد إلى قائل هذا البيت. وهو في تفسير ابن عطية، ٤٨٤/٣، وشرح المفصل لابن يعيش، ٧٨/٣.

(٤) هـــو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي من مضر أمه الخنساء الشاعرة أدرك الجاهلية وأسلم قبيل فتح مكة، توفي سنة (١٨هـ). انظر: تهذيب التهذيب، ١٣١/٥. والبيت في خزانة الأدب، ٤٣٨/٢.

فالـــيوم قـــد بتَّ تهجونا وتشتُمنا فاذهبْ فما بكَ والأيام من عجب[1]

والشـــاهد فيه قوله: بك والأيام، حيث عطف (الأيام) على الضمير المجرور في (بك) من غير إعادة الجار ذكر أبو حيان هذه الأبيات الشعرية في تفسيره ثم قال: "فأنت ترى هذا السماع وكثرته وتصرّف في حرف العطف، فتارة عطفت بالواو، وتارة بأو، وتارة ببل، وتارة بأم، وكل هذا التصرف يدل على الجواز"[2].

ويعضـــد ما جاء في لسان العرب ما جاء في كتاب الله تعالى على العطف بغير إعادة الجار من ذلك.

قول الله تعالى: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾ [النساء:١٢٧]. فقد عطف قوله (ما يتلى عليكم) على الضمير في قوله (فيهن) على قول الكوفيين في جواز عطف الظاهر على المضمر المخفوض. ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ [البقرة: ٢١٧]. فقد عطف قوله (المسجدِ الحرام) على الضـــمير المجـــرور في (به) من غير إعادة لحرف الجر. ومن ذلك أيضاً قراءة حمزة بخفض (والأرحامِ) التي نحن بصددها وغير ذلك[3].

وبعـــد أن تقرر أن العطف بغير إعادة الجار ثابت في لسان العرب نثراً ونظماً وثبـــت كذلك في كتاب الله وهو المقدم والحكم على غيره لا العكس كما ظنوا، تبين أن تضعيف الزمخشري وغيره وطعنهم في هذه القراءة المتواترة لا يلتفت إليه، ونحن لسنا متعبديـــن بما قرره وقعّده علماء مدرسة البصرة وهو ليس قرآناً بل القرآن هو ما نقله

---

(١) ذكـــر محقق كشاف الزمخشري أن هذا البيت للأعشى، ٤٩٢/١، وهو في الكتاب، ٣٩٢/١. وابن يعيش، ٧٨/٣.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ١٥٦/٢، ١٥٧، وانظر: ١٦٥/٣-١٦٧.

(٣) أنظـــر: فـــي الـــرد علـــى الزمخشري، حاشية زاده على البيضاوي، ٢٤٧/٣، ٢٤٨، وحاشية الشهاب، ١٩٤/٣، ١٩٥، والألوسي، ٥٣٦/٤-٥٣٧.

حمــزة بالســند المتواتر إلى النبي ﷺ الذي تلقاه عن ربه تعالى بواسطة جبريل الأمين عليه السلام، ونقول غفر الله لمن طعن في مثل هذه القراءات من علماء المسلمين.

ومــن ذلــك أيضــاً عــند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ**﴾ [الأنعام: ١٣٧].

قال الزمخشري: "وقرئ (زَيَّن) على البناء للفاعل الذي هو (شركاؤهم). ونصب (قتلَ أولادِهم). وأما قراءة ابن عامر: (قتلُ أولادَهم شركائهم) برفع قتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، كما سمج وردّ:

زجَّ القلوصَ أبي مَزَادَةْ[1]

فكيف به في الكلام المنثور؛ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والــذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء. ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب"[2].

قســا الزمخشري على ابن عامر كثيراً، فهو لم يكتف برد قراءته وتضعيفها بل ظهــر مــن كلامــه أن ابن عامر جاء بهذه القراءة من عند نفسه لأنه رأى في بعض المصــاحف (شــركائهم) مكــتوباً بالياء[3]. وهذا الطعن والاتهام غير مقبول بحال من

---

(١) قال محقق كشاف الزمخشري: "عجز بيت أنشده أبو الحسن الأخفش أمام أبي علي الفارسي"، ٦٦/٢ وهذا خطــأ لأنــي رجعــت إلــى كتاب الفارسي فوجدته يقول: وزعموا أن أبا الحسن أنشد" زج القلوص..، ٢١٥/٢. فلو كان أنشده أمامه لما قال ما قال. وهو بلا نسبة في الكتاب، ١٧٦/١، والأشموني، ٣٢٧/٢، وصــدره: فزججــتها بمزجة. الزج: الطعن، المزجة: الرمح القصير، القلوص: الناقة الفتية والشاهد فيه (القلوص) مفعول به فصل به بين المضاف (زجَّ) والمضاف إليه (أبي مزاده). هامش الكتاب، ١٧٦/١.

(٢) الكشاف، ٦٦/٢.

(٣) سبق الحديث عن موقف الزمخشري فيما يتعلق برسم المصحف.

الأحوال لا من الزمخشري ولا من غيره في أحد أئمة القراءة السبعة لذا وجدت العلماء يقسون في ردهم على الزمخشري.

يقــول ابن المنير الإسكندري في حاشية الانتصاف رداً على تلحين الزمخشري لقراءة ابن عامر السابقة: "لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء، وتاه في تيهاء. وأنــا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به، فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا نقلاً وسماعاً فلذلك غلّط ابنَ عامــر في قراءته هذه، وأخذ يبين أن وجه غلطه رؤيته الياء ثابتاً في شركائهم.. فظن الزمخشــري أن القراءات تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل. وهذا لم يقل به أحد من المسلمين، وما حمله على هذا الخيال إلا التغالي في اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها.." [(١)].

ويقــول أبو حيان الأندلسي: "وقرأ ابن عامر بنصب (أولادَهم) وجر (شركائِهم) فصــل بيــن المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول. وهي مسألة مختلف في جوازها، فجمهــور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في القراءة المتواترة المنسوبة إلى ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب، ولوجودهــا أيضاً في لسان العرب في عدّة أبيات.. ولا التفات إلى قول الزمخشري في تلحيــنها.. وأعجــب لعجمي ضعيف في النحو[(٢)] يرد على عربي صريح محض قراءة مــتواترة.. وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً..."[(٣)].

---

(١) ابن المنير، حاشية الانتصاف على الكشاف، ٢/٦٥.

(٢) يقصد الزمخشري.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ٤/٢٣١-٢٣٢.

فــإذا ثبــت جــواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف في لسان العرب وتأكد ذلك بما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفــه، فإنا لا ننظر في كلام طاعن في قراءة متواترة لمجرد أنها خالفت قاعدة نحوية عــند طائفة من الناس ولكنها في الوقت ذاته وافقت قاعدة نحوية عند قوم آخرين. نعم هناك الأكثر انتشاراً وتداولاً في اللسان العربي لكن هذا لا يضير لأن القرآن جاء بهذه وتلــك. قال الشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي في رده على قول البيضاوي: "وهو ضــعيف في العربية" إشارة إلى الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول: "وليس بضــعيف فــي نفسه بل هو حسن يدل على حسنه ورود القرآن عليه، والطريق إثبات حسن التراكيب بوقوعها في القرآن لا إثبات حسن ما وقع فيه بوقوعه في غيره"[١].

وقــال القونوي في حاشيته على البيضاوي في السياق ذاته معلقاً على قراءة ابن عامــر: "وإن كــان صــحيحاً فصيحاً لكن عدم الفصل به أفصح"[٢]، ويعني بالفصيح والأفصــح انتشار ذلك في لسان العرب قلة وكثرة. ومن المعلوم ضرورة أن جميع آي القرآن وقراءاته فصيح.

بقي أن نذكر الشواهد على قراءة ابن عامر من لسان العرب.

جاء في قول بعض العرب الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجملة نحو: هو غلام إن شاء الله أخيك، فالفصل بالمفرد أسهل[٣].

وحكى الكسائي أن العرب يفصلون بينهما بالقسم فيقولون: هذا غلامُ والله زيدٍ.

وحكى أبو عبيدة قال: سمعت بعض العرب يقول: إن الشاة لتجتر فتسمع صوتَ والله ربِّها[٤].

---

(١) حاشية زاده على تفسير البيضاوي، ٤/١٥٠.

(٢) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ٨/٢٧٣.

(٣) انظر: البحر المحيط، ٤/٢٣٢.

(٤) انظر: أوضح المسالك، ٢/١٨٥.

وما جاء في الشعر من هذا القبيل كثير نختار منه الآتي:

قول الشاعر:

فسقناهم سوق البغاثَ الأجادلِ[1]

والشاهد فيه قوله: سوق البغاث الأجادلِ فإن (سوق) مصدر مضاف إلى فاعله وهو (الأجادل) وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول الذي هو (البغاث). وهذا الشاهد مشابه لقراءة ابن عامر في الآية الكريمة تماماً.

وقول الشاعر:

وسواك مانعُ فضلَهُ المحتاجِ[2]

والشاهد فيه قوله: مانع فضلَه المحتاجِ، مانع اسم فاعل مضاف إلى مفعوله الأول (المحتاج) وفصل بين اسم الفاعل ومفعوله الأول بالمفعول الثاني وهو قوله (فضله).

وقول معاوية بن أبي سفيان ﷺ يخاطب عمرو بن العاص:

من ابن أبي شيخِ الأباطح طالبِ[3]

والشاهد فيه قوله: (أبي شيخ الأباطح طالب) حيث فصل بين المضاف وهو قوله (أبي) والمضاف إليه (طالب) بنعت المضاف وهو قوله (شيخ الأباطح). وترتيب الكلام من ابن أبي طالب شيخ الأباطح.

---

(١) لم أعثر له على قائل، ذكره ابن هشام في أوضح المسالك، ٢/١٨٠. وهو عجز لبيت من الطويل وصدره: عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رأفة. والبغاث: طائر ضعيف، الأجادل: جمع أجدل وهو الصقر.

(٢) عجز بيت من الكامل لم أهتد إلى قائله أيضاً وصدره: ما زال يوقنُ من يؤمُّك بالغنى. يؤمك: يقصدك، المحتاج، الفقير أو صاحب الحاجة. انظر: هامش أوضح المسالك ٢/١٨٢.

(٣) نسبوا هذا البيت إلى معاوية بن أبي سفيان بقوله بعد أن نجا من ضربة من أراد قتله، وكان ابن ملجم المرادي قتل علي بن أبي طالب ﷺ في مؤامرة اتفق فيها مع اثنين من الخوارج، أن يقتل كل واحد منهم واحداً من الثلاثة علي ومعاوية وعمرو بن العاص فقتل علي ونجا معاوية من الطعنة ولم يخرج عمرو ليلة التنفيذ. وصدر البيت: نجوت وقد بل المراديُّ سيفه. انظر هامش أوضح المسالك ٢/١٩٣، وانظر: حاشية زادة على البيضاوي، ٤/١٥٢.

ومنه قول بجير بن زهير بن أبي سلمى المزني لأخيه كعب:

وفاق كعبُ بجيرٍ منقذ لك من تعجيل تهلكةٍ والخلد في سفر

فإن قوله (وفاق) مضاف إلى (بجير) وقد فصل بينهما بالمنادى. وأصل الكلام: وفاق بجير يا كعب منقذ لك..(١).

كذلك جاء الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور ومنه قول ذي الرمة:

كأن أصواتَ من أيغالهن بنا أواخرِ الميسِ أصوات الفراريج(٢)

حيث أضاف (أصواتَ) إلى (أواخرِ الميسِ) وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور وهو قوله (من إيغالهن بنا).

وغير ذلك ذكر العلماء أبياتاً كثيرة من الشعر المحتج به في جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف(٣). نلاحظ كيف فصلوا بينهما بالمفعول والفاعل والنعت والمنادى والجار والمجرور والقسم وغير ذلك(٤).

وبعد كل هذه الشواهد في اللسان العربي هل يشك أحد في صحة قراءة ابن عامر؟ وهل يلتفت إلى قول من طعن في هذه القراءة ولحّنها؟ الحقيقة لا، لا ينظر ولا يلتفت إلى قول الطاعنين في هذه القراءة وليتهم تريثوا قليلاً قبل إطلاق أحكامهم بضعفها وقبحها وليتهم بحثوا بجد في توجيهها ونقبوا عن شواهدها في اللسان العربي وذلك لتطمئن قلوبُهم، وإلا فمجيئها في القرآن يكفي في إثبات صحتها وزيادة.

---

(١) انظر السابق.

(٢) الميس: شجر تعمل منه الرحال، الإيغال: سرعة السير. فهو يقول: كأن أصوات أواخر الميس من شدة سير الإبل بنا واضطراب الرحال عليها أصوات الفراريج. انظر: مجمع البيان لعلوم القرآن، ٣/٤، ٥.

(٣) أما الفصل بالظرف فقد وقفت على عشرات الأبيات الشعرية.

(٤) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك، ٢/١٧٣-١٩٣؛ والقرطبي، ٧/٦٠-٦٣؛ وحاشية الشهاب على البيضاوي، ٤/٢٠٩-٢١١؛ وحاشية القونوي، ٨/٢٧٢-٢٧٥؛ والآلوسي، ٨/٣٨٦-٣٨٩.

وقبل أن انتقل إلى المثال اللاحق أود أن أشير إلى أن بعض العلماء حاول توجيه هذه القراءة على أساس ضعف الاتصال بين المضاف والمضاف إليه وأنه ليس كاتصال غيره ولذا جاز الفصل بينهما بما ليس أجنبياً. وقصدوا بذلك الفصل بين المصدر وفاعله بالمفعول، وأن المفعول حقه التأخير عن الفاعل أصلاً فلا يضير ذلك الفصل[١].

وهذا كلام طيب لكنا وجدنا الفصل بينهما بما هو أجنبي في الشعر أيضاً[٢]. وفرقوا كذلك بين المضاف الذي يعمل وغيره، فإن الثاني يفصل فيه بالظرف والأول إذا كان مصدراً ونحوه يفصل بمعموله مطلقاً لأن إضافته في نية الانفصال[٣].

ومنه عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ**﴾ [لأنفال:٥٩].

قال الزمخشري: "وقرأ حمزة (ولا يحسبن) بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه: أصله أن سبقوا فحذفت (أن) كقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ**﴾ [الروم: ٢٤]. واستدل عليه بقراءة ابن مسعود ﷺ (أنهم سبقوا)[٤]. وقيل: وقع الفعل على (أنهم لا يعجزون) على أن (لا) صلة، وسبقوا في محل الحال، بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين. وقيل معناه: ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا، فحذف الضمير لكونه مفهوماً. وقيل: ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا. وهذه الأقاويل كلها محتملة، وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة"[٥].

---

(١) انظر: ابن المنير، حاشية الانتصاف ٦٦/٢؛ وحاشية الشهاب على البيضاوي، ٢٠٩/٤.

(٢) انظر: أوضح المسالك، ١٨٥/٢-١٨٧.

(٣) انظر: حاشية الشهاب، ٢٠٩/٤.

(٤) أي بزيادة (أنهم). ذكرها الطبري في تفسيره، ٢٧٣/٦. وأبو حيان في البحر، ٥٠٥/٤.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٢١٩/٢.

فالزمخشـــري هنا طعن في قراءة سبعية متواترة وقال أنها ليست نيّرة كما زعم أن حمزة تفرد بها[1]، والحقيقة ليس كما ذكر فحمزة ﷺ لم يتفرد بها بل قرأها كذلك من السـبعة ابن عامر الشامي وهو من أعلى القراء إسناداً فقد ولد في حياة النبي ﷺ ومن العشـــرة أبــو جعفــر المدنــي شيخ الإمام نافع في القراءة. وكلاهما أقصد ابن عامر وأبا جعفر من العرب الذين كانوا قبل فشو اللحن، وقرأ بها من السبعة كذلك عاصم في روايــة حفص[2]. ومع ذلك فلو تفرد بها حمزة لكان ذلك كافياً في ثبوتها وتواترها لأننا نعلم يقيناً أن قراءة حمزة وقراءة أي إمام من العشرة متواترة بسند متصل إلى النبي ﷺ ولا يقلل تفرد أي إمام بقراءة من شأنها بل هي قرآن لا ريب في ذلك.

والذي دفع الزمخشري وغيره[3] إلى الطعن في هذه القراءة (بالياء) أنها مشكلة لعــدم وجود المفعول الأول لحسب، مما اضطر العلماء إلى تقدير محذوف أو ادعاء أن (لا) فــي قولِــه: (لا يعجزون) زائدة[4] وغير ذلك. ولكن في الوقت ذاته وجد العلماء توجــيهات لهــذه القراءة تتوافق مع سياق الآيات الكريمة وبما يكشف عن ثراء النص القرآني بتعدد قراءاته. وكلها توجيهات مقبولة منسجمة مع قواعد لغة العرب.

فعلــى قراءة الجمهور (ولا تَحسِبنَّ الذين كفروا سبقوا) بالتاء. الخطاب للنبي ﷺ أو للسامع. والذين كفروا مفعول (حسب) الأول وسبقوا المفعول الثاني. أما على القراءة الثانية (ولا يحسبن) بالياء على أن (الذين كفروا) فاعل يحسبن و(سبقوا) المفعول الثاني،

---

(١) ولعل الزمخشري أطلق عبارة: (تفرد حمزة) لا يهام القارئ أنها ليست إلا قراءة شاذة خارجة عن إجماع القراء فلا يقف عندها. والحقيقة أنها متواترة قرأ بها ثلاثة أئمة من السبعة وأربعة من العشرة.

(٢) قــرأ ابن عامر وحمزة، وحفص عن عاصم وأبو جعفر (ولا يَحسَبَنْ) بالياء وفتح السين وقرأ شعبة عن عاصــم (ولا تَحْسَــبَنْ) بالتاء وفتح السين وقرأ الباقون (ولا تَحسِبنَ) بالتاء وكسر السين. انظر: السبعة، ص٣٠٧. والنشر، ٢٠٨/٢.

(٣) من الذين ضعّفوا هذه القراءة أيضاً: الطبري في تفسيره، ٢٧٣/٦؛ والبيضاوي، ١١٩/٢؛ وغيرهما.

(٤) لا نقول بزيادة كلمة ولا حرف في كتاب الله تعالى بل كل حرف فيه جاء في مكانه لحكمة عظيمة. انظر: العكبري، الإملاء، ٨/٢.

والمفعول الأول محذوف تقديره: ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا، أو على إضمار (أن) علـى تقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، فيكون المصدر (أن سبقوا) ساداً مسد المفعولين(١). أو أن يكون المحذوف هو الفاعل على تقدير ولا يحسبنَّ الرسول، أو حاسـب والذيـن كفـروا المفعول الأول وسبقوا المفعول الثاني(٢) وعلى هذا الإعراب تستوي القراءتان معنى وإعراباً. ولا حاجة لنا أن نرد إحدى القراءتين ونحن نعلم يقيناً أنهما قرآن.

ومـن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ**﴾ [إبراهيم/٢٢].

قرأ حمزة وحده (بمصرخيِّ) وقرأ باقي العشرة (بمصرخيَّ)(٣).

قـال الزمخشري: "وقرئ (بمصرخيِّ) بكسر الياء وهي ضعيفة. واستشهدوا لها ببيت مجهول:

قـال لهـا هـل لـك ياتا فيِّ قالت له: ما انت بالمرضيِّ(٤)

وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة، فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صحيح، لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة، حيث قبلها

---

(١) انظـر: الفارسـي، الحجـة، ٣٠٥/٢، ٣٠٦؛ وابـن زنجلـة، الحجـة، ص٣١١؛ ومكـي، الكشف، ص٤٩٣-٤٩٤، وابن عطية ٣٥٣/٦؛ والبحر المحيط، ٥٠٥/٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٦٢؛ وابن الجزري، النشر، ٢٢٤/٢.

(٤) قـائل هـذا البيت ليس مجهولاً كما ظن الزمخشري، فهو الأغلب العجلي من بني عجل بن لجيم، شاعر إسـلامي توفـي سنة (٢٩١هـ). و(تا) اسم إشارة يشار به إلى المؤنث، والشاهد فيه قوله (في) بإضافة حـرف الجـر إلـى ياء المتكلم وكسرها. انظر: خزانة الأدب، ٢٥٧/٢، ٢٥٨؛ وهامش معاني القرآن للفراء، ٧٦/٢.

ألف في نحو عصاي، فما بالها وقبلها ياء؟ فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصـــحيح لأجــل الإدغـــام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحركت بالكسر على الأصل. قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات[1].

تابع الزمخشري من سبقه من النحويين الذين طعنوا في هذه القراءة وضعفوها. قال الفراء: ولعلها من وهم القراء.. [2].

وقـــال أبـــو عبـــيد: "نراهم غلطوا"، وقال الأخفش: "ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين" وقال الزجاج: "هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجـــه لها إلا وجه ضعيف"[3]. وهذه الأقوال لا تليق ولا ينبغي أن تكون من هؤلاء العلمـــاء في حق قراءة متواترة ونحن على يقين تام أن قراءة حمزة قرآن لكن من أراد أن يطمئـــن قلبه فليبحث في لهجات العرب ولغاتها، فلابد أن يجد الباحث لغة من لغات العـــرب توافق هذه القراءة، نعم ليست اللغة الأشهر لكنها فصيحة مستعملة عند قوم من العرب، ولهذا السبب وجدت الإمام ابن زنجلة يخالف من سبق ذكرهم في تلحين قراءة حمـــزة ويقـــول: "وأما حمزة فليس لاحناً عند الحذاق، لأن الياء حركتها حركة بناء لا حـــركة إعـــراب، والعرب تكسر لالتقاء الساكنين كما تفتح، قال الجعفي[4]: "سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله (بمصرخيّ) فقال: إنها بالخفض لحسنة"[5].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٥١٧/٢.

(٢) الفراء، معاني القرآن، ٧٥/٢.

(٣) نقلاً عن أبي حيان، في البحر المحيط، ٤٠٨/٥.

(٤) الجعفي: جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، تابعي من فقهاء الشيعة مات بالكوفة سنة (١٢٨هـــ). انظر: التهذيب، ٤٧/٢.

(٥) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٣٧٨. وذكر أبو حيان إنكار أبي حاتم على أبي عمرو تحسينها ثم قال: لا الـــتفات إلى قول أبي حاتم فأبو عمرو إمام لغة وإمام قراءة وعربي صريح وقد أجازها وحسنها. البحر، ٤٠٩/٥ وانظر خزانة الأدب، ٢٥٩/٢.

وقال قطرب[١]: هذه لغة بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء[٢].

وقـــال ابن هشام في أوضح المسالك متحدثاً عن كسر الياء: "وكسرها بعد الألف الأعمش والحسن في قراءة (هي عصاي)[٣] طه/١٨. وهو مطرد -أي كسر الياء- في لغـــة بنـــي يـــربوع فـــي الـــياء المضاف إليها جمع المذكر السالم وعليه قراءة حمزة (بمصرخيِّ)"[٤].

والأصـــل في هذه القراءة (بمصرخين) فأضيفت إلى ياء المتكلم، فحذفت النون للإضـــافة وأدغمت ياء الجماعة في ياء الإضافة، وحركت بالكسر على الأصل لالتقاء الساكنين[٥].

وقال أبو حيان: وهي لغة باقية في أفواه كثير من الناس إلى اليوم ثم ذكر شاهداً لها من شعر النابغة الذبياني. وهو قوله:

علـــيِّ لعمـــرو نعمة بعد نعمة لوالـــده ليست بذات عقارب[٦]

والشاهد فيه قوله (عليِّ) بخفض الياء بإضافة حرف الجر (على) إلى ياء المتكلم وبعـــد أن عرفنا أن هذه القراءة التي بين أيدينا قراءة متواترة، وعرفنا كذلك أنها جاءت وفـــق لغـــة من لغات العرب مستعملة عند بعض القبائل لا نلتفت إلى تضعيفها والطعن فيها ولا نرتضيه.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾ [البقرة٣٤]، قرأ أبو جعفر بضم التاء في (للملائكةُ) وقرأ الباقون (للملائكةِ) بكسرها[٧].

---

(١) قطرب: محمد بن المستنير بن أحمد عالم بالأدب والنحو من علماء البصرة توفي سنة (٢٠٦هـ). انظر: وفيات الأعيان: ٤٩٧/١..

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٥/٩.

(٣) ذكـــرها أبـــو حيان في البحر فقال: "وقرأ الحسن (عصاي) بكسر الياء وهي مروية عن ابن أبي إسحاق وأبي عمرو أيضاً وهذه الكسرة لالتقاء الساكنين، البحر ٢٢٠/٦.

(٤) أوضـــح المســـالك، ١٩٧/٢، وقـــال صاحب التحرير والتنوير هي لغة بني عجل بن لجيم أيضاً، انظر: ٢٢١/١٣.

(٥) انظر: حاشية زادة على البيضاوي، ١٥٩/٥؛ وحاشية الشهاب أيضاً، ٤٦٠/٥؛ والقرطبي، ٢٣٥/٩.

(٦) البحر المحيط، ٤٠٩/٥؛ والعقارب المنن ومراد الشاعر أنها نعمة هنيئة غير ممنونة، الهامش، ٤٠٩/٥.

(٧) ولابن وردان فيها الإشمام. انظر: ابن الجزري، النشر، ١٥٨/٢، والقراءات العشر المتواترة، ص١١.

قـــال الزمخشـــري: "وقرأ أبو جعفر (للملائكةُ اسجدوا) بضم التاء للاتباع. ولا يجــوز اســتهلاك الحــركة الإعرابــية بحــركة الاتــباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم (الحمدِ لله)[1]"[2].

فالزمخشري يرى أن قراءة أبي جعفر المتواترة لغة ضعيفة، ذلك أن الأصل في حــركة الــتاء الكسر لأنها مجرورة بحرف الجر (للملائكةِ) وقد سبق الزمخشري إلى تضــعيف وتخطــئة هذه القراءة، قال أبو علي الفارسي: وهذا خطأ وقال الزجاج: أبو جعفر من رؤساء القراء ولكنه غلط في هذا، ومثله قال ابن جني[3].

وقراءة أبي جعفر السابقة لغة عربية فصيحة، هي لغة أزد شنوءة، فلا يجوز أن يخطـــأ القارئ بها، وهو أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضاً عن عبدالله بن عباس وأنس وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ قبل اللحن وهو شيخ نافع قارئ المدينة أحد القراء السبعة.

وقد ذكر العلماء أكثر من تخريج وتوجيه لقراءة أبي جعفر منها أنهم في لغة أزد شـــنوءة يســـتثقلون الانـــتقال مـــن الكسرة إلى الضمة، إجراء للكسرة اللازمة مجرى العارضـــة[4]. ومنها أن التاء تشبه ألف الوصل لأن الهمزة تسقط في الدرج لأنها ليست بأصل... والتاء في الملائكة تسقط أيضاً لأنها ليست بأصل، وقد ورد (الملائك)[5] بغير تـــاء فلما أشبهتها ضمت كما تضم همزة الوصل ولا التفات إلى قول من طعن في هذه القــراءة[6]. وقبل كل ذلك هي قراءة متواترة ثبتت قرآنيتها بالنقل الصحيح المتواتر ولا قيمة بعد ذلك لطعن الطاعنين.

---

(١) يشير إلى قراءة شاذة بكسر الدال في (الحمد) وهي للحسن البصري، انظر: ابن خالويه، ص٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١/١٥٦.

(٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي، ١/٢٦٢، ابن عطية، المحرر الوجيز، ١/٢٤٤.

(٤) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢/١٥٨؛ وانظر: البحر المحيط، ١/٣٠٢.

(٥) ذكـــر ذلك أبو حيان في البحر، ١/٣٠٢؛ والعكبري في الإملاء، ١/٢٧، ٢٨؛ وابن الجزري في النشر، ٢/١٥٨؛ والآلوسي، ٢/١٢٢١. وغيرهم.

(٦) انظر: البحر المحيط، ١/٣٠٢؛ والنشر، ٢/١٥٨.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: ٨١].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إلا امرأتُك) بضم التاء. وقرأ باقي العشرة (إلا امرأتَك) بالنصب(١).

قال الزمخشري: "قرئ (إلا امرأتك) بالرفع والنصب.. فإن قلت: ما وجه قراءة من قرأ بالنصب؟ قلت: استثناها من قوله: (فأسر بأهلك) والدليل عليه قراءة عبدالله: (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك)(٢). ويجوز أن ينتصب عن (لا يلتفت)، على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل؛ أعني قراءة من قرأ بالرفع، فأبدلها عن (أحد). وفي إخراجها مع أهله روايتان: روي أنه أخرجها معهم، وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت: يا قوماه، أدركها حجر فقتلها. وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم، فلم يسر بها. واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين"(٣).

فالزمخشري يفضل قراءة الرفع على قراءة النصب، بل يفهم من قوله (وإن كان الفصيح هو البدل، أعني قراءة الرفع) أن غير الرفع ليس فصيحاً، وقبل أن أفصل الحديث حول القراءتين أود أن أبدأ من حيث انتهى الزمخشري وهو قوله: (اختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين) فهذا كلام خطير ولا يقبل البتة. فالزمخشري ذكر روايتين متضادتين إحداهما تفيد أنه عليه السلام سرى بها والأخرى تفيد أنه لم يسر بها، وبصرف النظر عن صحة هاتين الروايتين، فإن إحداهما باطلة قطعاً لأن القصة واحدة فهو إما أن يكون قد أسرى بها أولا، فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يجوز القول: اختلاف

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة؛ ص٣٣٨، والداني، التيسير، ص١٢٥؛ وابن الجزري، النشر، ٢/٢١٨.
(٢) أي من غير قوله (ولا يلتفت منكم أحد). وهي شاذة. ذكرها الطبري، ٧/٩١، وصاحب البحر، ٥/٢٤٨.
(٣) الكشاف، ٢/٣٩٢، ٣٩٣.

القراءتين لاختلاف الروايتين، ونحن نعلم يقيناً أن القراءتين ثابتتان فكيف تبنى قراءتان متواترتان على روايتين متضادتين إحداهما باطلة؟ فإقحام القراءات المتواترة في مثل ذلك لا يجوز، ثم إننا نشم من كلامه أن القراءات المتواترة تخضع للرأي والاجتهاد وعلمنا سابقاً بطلان ذلك[١].

وجه الزمخشري قراءة (إلا امرأتَك) بالنصب على الاستثناء من قوله (فأسر بأهلك) ووجه قراءة (إلا امرأتُك) بالرفع على الاستثناء من (أحد) في قوله (ولا يلتفت منكم أحد) ثم رجح قراءة الرفع على قراءة النصب ليوافق ما عليه مذهب البصريين، وذلك أن البصريين جعلوا المستثنى تابعاً للمستثنى منه على أنه بدل بعض من كل[٢]. ولبيان الأمر في هاتين القراءتين أقول:

على قراءة النصب يكون الاستثناء من قوله (فأسر بأهلك) وقد جاء على أصل الاستثناء لأن الاستثناء إذا كان بـإلا وكان موجباً مسبوقاً بكلام تام وجب نصب المستثنى[٣].

وأما على قراءة الرفع فيكون الاستثناء من قوله (ولا يلتفت منكم أحد) فهذا استثناء سبقه نهي فهو على رأي البصريين بدل من قوله (أحدٌ). وعلى قراءة النصب خرجه العلماء على أصل الاستثناء لأن النهي في الآية بمعنى النفي، وأن النهي إنما قصد به لوط عليه السلام وحده، والالتفات منفي عنهم فالمعنى: لا تدع أحداً منهم يلتفت. كما تقول لرجل: لا يقم من هؤلاء أحد. وأولئك لم يسمعوك[٤]. وهو وجه فصيح في لغة العرب وعليه أكثر القراء. وجاء الاستثناء مع النفي في قوله تعالى: (ما فعلوه إلا قليلاً

---

(١) انظر:حاشية زادة علي البيضاوي،٤/٦٧٦؛ وأضاف ابن الجزري في النشر: قد وهم الزمخشري، ١/٣٠.

(٢) انظر: ابن هشام، قطر الندى، ص٢٤٦.

(٣) انظر: السابق، ص٢٤٧.

(٤) انظر: البحر، ٥/٢٤٨، وزاده، ٤/٦٧٦.

منهم) النساء/٦٦، على قراءة ابن عامر[١] وفي ذلك الموضع قال الزمخشري: "وقرئ: (إلا قليلاً) بالنصب على أصل الاستثناء"[٢] ولم يقلل من شأن قراءة ابن عامر.

وخرج بعض العلماء القراءتين على الاستثناء المنقطع؛ الذي يكون فيه المستثنى من غير جنس المستثنى منه وأن امرأته ليست من أهله لأن المراد بالأهل المؤمنون وإن لم يكونوا من أهل بيته، كما قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]. لأن الاستثناء المنقطع يجوز فيه النصب على لغة أهل الحجاز والرفع على لغة بني تميم[٣].

والتوجيه الأخير يحتاج إلى تأويل أنها ليست من أهله فالمرجح الذي سبقه لأن توجيه القراءتين (الرفع والنصب) جاء على وجوه عربية فصيحة. وهذا يكفينا.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠]

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف (ولا يأمَرَكم) بالنصب وقرأ الباقون (ولا يأمُرُكم) بالرفع، واختلس الضمة أبو عمرو في رواية الدوري[٤].

قال الزمخشري: "وقرئ (ولا يأمَرَكم) بالنصب عطفاً على (ثم يقولَ) وفيه وجهان أحدهما أن تجعل (لا) مزيدة[٥] لتأكيد معنى النفي في قوله (ما كان لبشر) والمعنى: ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك

---

(١) انظر: السبعة، ٢٧٩؛ والنشر، ١٨٨/٢.

(٢) الكشاف، ٥٦٢/١.

(٣) انظر: البحر، ٢٤٩/٥؛ والشهاب، ٢٠٧/٥؛ والألوسي، ٤٢٥/١٢.

(٤) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢١٣؛ وابن الجزري، النشر، ١٨١/٢.

(٥) لا نقول بزيادة حرف في كتاب الله تعالى.

الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) كمـا تقـول: ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي. والثاني: أن تجعل (لا) غـير مـزيدة. والمعنى: أن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح، فلما قالوا له: أنتخذك رباً؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يسـتنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء[١]. والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبدالله (ولن يأمركم)"[٢].

يتضح من الجملة الأخيرة في كلام الزمخشري أنه يقدم قراءة الرفع على قراءة النصـب لأنها أظهر، ووجهت الأظهرية بأنها خالية عن تكلف جعل عدم الأمر بمعنى النهي وبأن العطف يستدعي تقديمه على لكن في قوله (ولكن كونوا ربانيين)[٣].

وبيان ذلك كالآتي:

على قراءة النصب يكون (ولا يأمرَكم) معطوفة على قوله (ثم يقولَ) والمعنى ما كـان لبشـر أن يجمع بين النبوة وبين أن يأمر بعبادة نفسه والنهي عن عبادة الملائكة والنبييـن مع استواء الجميع في عدم استحقاق العبادة بل كما ينهى عن عبادة اكفائه من الملائكة والنبيين ينهى أيضاً عن عبادة نفسه[٤].

وهذا الذي قلل من قيمة قراءة النصب عند الزمخشري وهو جعل عدم الأمر في قوله (ولا يأمركم) بمعنى النهي مع أن عدم الأمر أعم من النهي وكذلك أن العطف على (ثـم يقول) يستدعي تقديمه عن لكن في قوله (ولكن كونوا ربانيين) لأنها توسطت بين المعطوف (ولا يأمرَكم) والمعطوف عليه (ثم يقولَ).

---

(١) لأن الجميع سواء في عدم استحقاق العبادة. انظر: حاشية القونوي، ٢٠٦/٦.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٤٠٥/١.

(٣) انظر: حاشية الشهاب، ٧٨/٣؛ والقونوي، ٢٠٦/٦؛ والآلوسي، ٢٧٤/٥.

(٤) انظر: حاشية زادة، ١٠٢/٣، ١٠٣؛ والآلوسي، ٢٧٥/٣.

وأجيب عن الأول وهو أن عدم الأمر أعم من النهي بأن عدم الأمر هنا فسر بالنهي لكونه أمس بالمقام العام وإن لم يكن دالاً على الخاص لكنه يراد به مجازا[1]. ويزاد على ذلك أنه إذا نهى الناس أن يتخذوه معبوداً فهو من باب أولى أن ينهى عن اتخاذ أقرانه من الأنبياء وكذلك الملائكة. فيدخل النهي في عدم الأمر دخولاً أوليا.

ويجاب عن الثاني وهو توسط جملة (ولكن كونوا ربانيين) بين المعطوف والمعطوف عليه بأن هذا التقديم كان مبادرة وإسراعاً لبيان ما يجب أن يكون عليه الأنبياء في دعوة الناس. وهو أسلوب عربي فصيح[2] ولا يغض من قيمة قراءة النصب.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾ [النساء:١١].

قرأ نافع وأبو جعفر (واحدةٌ) بالرفع وقرأ الباقون (واحدةً) بالنصب[3].

قال الزمخشري: "وقرئ (واحدةٌ) بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله (فإن كن نساءً)"[4].

يفهم من عبارة الزمخشري (القراءة بالنصب أوفق) أنه يقدم قراءة النصب على قراءة الرفع مراعاة لما تقدم من قوله تعالى (فإن كن نساءً). ونحن نعلم أن القراءتين من كلام الله تعالى فلا يجوز تقديم واحدة وتفضيلها على الأخرى.

وقد دفع صنيع الزمخشري هذا أحد العلماء إلى معارضته بتقديم قراءة الرفع على قراءة النصب. فقد وجدت ابن التمجيد[5] في حاشيته على البيضاوي نقل عبارة

---

(١) انظر: القونوي، ٢٠٦/٦.

(٢) أعني الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه. انظر: قطر الندى، ص٢٩٨-٣٠٢.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر، ١٨٦/٢، والقراءات العشر، ص٧٨.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٥١١/١.

(٥) هو مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، مصلح الدين ابن التمجيد، مفسر من علماء الدولة العثمانية، كان معلم السلطان العثماني محمد الفاتح، توفي سنة (٨٨٠هـ)؛ انظر: الزركلي، الأعلام، ٢٢٨/٧. ومقدمة حاشية القونوي، ٧/١.

الزمخشري السابقة دون الإشارة إلى اسمه ثم قال رداً عليها: "القراءة بالرفع أولى وأنسب للنظم من القراءة بالنصب لتفكك النظم في القراءة بالنصب بحسب الظاهر فإنه لو كان الضمير في كانت في قوله (فإن كانت واحدة) راجعاً إلى الأولاد يفسد المعنى إذ يكون التقدير حينئذٍ وإن كانت الأولاد واحدة، وهذا كما ترى لا معنى له وإن كان عائداً إلى المولودة يلزم الإضمار قبل الذكر لعدم جري ذكر المولودة وأما على قراءة الرفع يكون (واحدةٌ) فاعل كانت والمعنى إن وجدت بنت واحدة من تلك الأولاد، وصح المعنى من غير ارتكاب تأويل وإخراج للكلام عن ظاهره"[1].

ولكن هذا الكلام ليس على إطلاقه ولا يقبل منه الانتقاص من شأن قراءة النصب كما لم نقبل ما ذكره الزمخشري في قراءة الرفع، ثم إن اعتراض ابن التمجيد على قراءة النصب بقوله: (الإضمار قبل الذكر) ليس في محله لأن المحققين لا ينكرون مثل هذا الإضمار لتضمن قوله (أولادكم) ذكر المولودة[2]. وعليه فالقراءتان متواترتان موافقتان لسياق الآية الكريمة وموافقتان كذلك لقواعد النحو العربي، فلا يجوز الانتقاص من أي منهما.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**﴾ [الانسان:٤].

قرأ نافع وهشام وشعبة الكسائي وأبو جعفر (سلاسلاً) وصلاً وبإبداله ألفاً وقفاً وقرأ الباقون (سلاسلَ) وصلاً. واختلفوا في الوقف فأبو عمرو وروح عن يعقوب وقفوا عليها بالألف. وقنبل وحمزة ورويس وخلف من غير ألف مع إسكان اللام. وللبزي وابن ذكوان وحفص وجهان وقفاً: الأول كأبي عمرو والثاني كحمزة[3].

---

(١) انظر حاشيته ابن التمجيد على البيضاوي في ذيل حاشية القونوي، ٥٥/٧.

(٢) انظر: الألوسي، ٥٨٦/٤.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٩٥/٢، ٢٩٦؛ والقراءات العشر المتواترة، ص٥٧٨.

قال الزمخشري: "وقرئ (سلاسل) غير منون و(سلاسلاً) بالتنوين. وفيه وجهان: أحدهمـــا أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف. والثانـــي: أن يكـــون صـــاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف"[1].

الـــذي يعنيـــنا من قولي الزمخشري الثاني الذي يظهر منه أن صاحب القراءة القرآنية يأتي بها من عند نفسه لأنه ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصـــرف فقرأها بالتنوين. وهذا القول غير مقبول مطلقاً، وهو طعن في قراءة خمسة مـــن القـــراء العشرة هم الذين قرأوا (سلاسلاً) بالتنوين ونحن نعلم يقيناً أن القراءة سنة متـــبعة وهي مروية بسند متصل إلى النبي ﷺ فكيف يقال مثل هذا القول في قراءة ثبت تواترها؟ وقد سبق الزمخشري إلى مثل هذا القول؛ أن هذا لغة الشعراء لأنهم اضطروا إلى صرف ما لا ينصرف في الشعر فجرت ألسنتهم على ذلك...[2].

ولسنا بحاجة إلى كل ذلك من اتهام القراء والرواة، بل نقول إنها قراءة متواترة جـــاءت وفـــق قواعـــد اللغة العربية، ومعلوم أن العلماء جوزوا صرف ما لا ينصرف لاســـيما الجمـــع فإنـــه سبب ضعيف لشبهة بالمفرد في جمعه. كما حكي عن قبائل من العـــرب تصـــرف مـــا لا ينصرف وذكروا شواهد كثيرة من أشعارهم تثبت ذلك وذكر البيضـــاوي أن التنويـــن جاء للمناسبة، يقصد مناسبة الاسمين بعده (أغلالاً) و(سعيراً) والمناسبة والمشاكلة طريقة فصيحة في الكلام العربي[3]. وهذه القراءة جاءت وفق هذه القواعد العربية الفصيحة.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٦٦٧/٤، ٦٦٨.

(٢) انظـــر: الفـــراء، معاني القرآن، ٢١٤/٣، ٢١٥؛ والفارسي، الحجة، ٨٠/٤، ٨١؛ وابن زنجلة، الحجة، ص٧٣٧، ٧٣٨، وغير هؤلاء.

(٣) انظر: حاشية الشهاب، ٣٥٢/٩، ٣٥٣؛ والألوسي، ٢٣٧/٢٩، ٢٣٨؛ وابن عاشور، ٣٧٨/٢٩، ٣٧٩.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**كَذَّبَ أَصْحَابُ لَأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء: ١٧٦]، قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر (أصحابُ ليكةَ) بالفتح من غير تعريف وقرأ الباقون (أصحابُ الأيكةِ) بالجر والتعريف[١].

قال الزمخشري: "قرئ (أصحابُ الأيكة) بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه، ومن قرأ بالنصب وزعم أن (ليكةَ) بوزن ليلة: اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف، حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة (ص) بغير ألف. وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أهل النحو (لان) و(لولى): على هذه الصورة لبيان النظر المخفف، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة"[٢].

مرة أخرى يصف الزمخشري القراء بالوهم والخطأ، وكأنهم يأتون بهذه القراءات من عند أنفسهم وباجتهادهم، وقد طعن في هذه القراءة أيضاً المبرد وابن قتيبة والزجاج وأبو علي الفارسي والنحاس والبيضاوي وغيرهم[٣]. وأيضاً هذه القراءة جاءت وفق كلام العرب في الكلمات المصروفة والممنوعة من الصرف. فقراءة (ليكةَ) جاءت وفق قواعد المنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقراءة (الأيكةِ) بحرف التعريف بعده همزة مفتوحة وبجر آخره على أنه تعريف عهد لأيكة معروفة. وهذا ليس بخارج عن كلام العرب وقواعده مع صحة المعنى وقد ذكرت كتب التفسير الفرق بين (ليكة) و(الأيكة) فقيل: (ليكة) اسم القرية التي كانوا فيها و(الأيكة) اسم البلاد كلها كالفرق بين مكة وبكة، ثم أنها في رسم المصحف في سورتي الحجر و ق (الأيكة) وفي سورتي الشعراء و (ص) (ليكة) والقراء لم يخرجوا عن ذلك، فلما صار اسم (ليكة) علماً على

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٣٩٢؛ وابن الجزري، النشر، ٢/٢٥٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣/٣٣٦، ٣٣٧.

(٣) انظر: البحر، ٧/٣٦؛ والبيضاوي، ٤/١٦٩.

البلاد جاز منعه من الصرف لذلك، وليس لمجرد نقل حركة الهمزة إلى اللام كما توهمه النحاة ولا لأن القراءة اغترار بخط المصحف كما تعسفه الزمخشري[1]. ونحن نعلم يقينا أن القـــراءة سنة متبعة وقراءة (ليكة) قرأ بها أقدم أئمة القراءة وأسبقهم وفاة وهما (ابن كثـــير وابـــن عامـــر) كما قرأ بها نافع إمام المدينة المنورة وشيخه أبو جعفر يزيد بن القعقـــاع. وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر أخذوا القراءة مباشرة عن نفر من أصحاب النبي ﷺ فلا يقبل بحال من الأحوال وصفهم بالوهم والخطأ.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [المائدة:٣٨].

قـــال الزمخشـــري: "(والسارق والسارقة) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل: وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما. ووجه آخر أن يرتفعا بالابتداء، والخبر (فاقطعوا أيديهما).. وقرأ عيسى بن عمر بالنصب[2]، وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن (زيداً فاضربه) أحسن من (زيدٌ فاضربه)"[3].

وفـــي هـــذا الموضـــع ينقل الزمخشري ترجيح سيبويه لقراءة شاذة على قراءة مـــتواترة أجمـــع علـــيها الأئمة العشرة، وهذا باب خطير لابد من إغلاقه والدفاع عن القراءات المتواترة، والزمخشري نقل هذا الترجيح دون أن يتعقبه وكأنه يتبناه ويقول به، لذلـــك عـــنف العلماء الزمخشري لتبنيه لهذا القول، ليس لهذا فحسب بل لأنه فهم كلام ســـيبويه أيضاً فهما خاطئاً فسيبويه لم يقصد الطعن في القراءة المتواترة وتفضيل الشاذة علـــيها كما فهم الزمخشري بل قصد تفضيل إعراب على إعراب ولكنه في الوقت نفسه فضـــل القراءة المتواترة قراءة الرفع (والسارقُ والسارقةُ) على القراءة الشاذة بالنصب

---

(١) انظـــر: حاشية الشهاب، ٢٠٥/٧، ٢٠٦؛ وحاشية القونوي، ١٩٧/١٤، ١٩٨، وابن عاشور، ١٨٢/١٩، ١٨٣.

(٢) يقصد (والسارقَ والسارقةَ) بالنصب وهي شاذة، وقرأها كذلك ابن أبي عبلة؛ انظر: البحر، ٤٩٠/٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٦٦٣/١، ٦٦٤.

ولبيان ذلك أنقل كلام ابن المنير مع شيء من التوضيح لأنه أول من أشار إلى ذلك وبين مقصود سيبويه. ومن جاء بعد ابن المنير أخذ كلامه بتمامه(١).

قال رحمه الله: "المستقرأ من وجوه القراءات أن العامة لا تتفق أبداً على العدول عن الأفصح وجدير بالقرآن أن يجري على أفصح الوجوه، وأن لا يخلو من الأفصح وسيبويه يحاشي من اعتقاد عراء القرآن عن الأفصح واشتماله على الشاذ الذي لا يعد من القرآن ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النقل(٢). قال سيبويه في ترجمة باب الأمر والنهي، بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب: وملخصها أنه متى بني الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار النصب، ثم قال: كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب. وأما قوله عز وجل: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا**﴾. وقوله: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا..**﴾ فإن هذا لم يبن على الفعل، ولكنه جاء على مثال قوله: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾ [محمد:١٥]، ثم قال بعد ذلك (فيها أنهار) فيها كذا... قلت: يريد سيبويه تمييز هذه الآي عن المواضع التي بين اختيار النصب فيها، ووجه التمييز بأن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيها مبنياً على الفعل وأما في هذه الآية فليس بمبني عليه فلا يلزم اختيار النصب. ثم قال: وإنما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده أخباراً وقصصاً، فكأنه قال: ومن القصص مثل الجنة، فهو محمول على هذا الإضمار.

وكذلك (والسارق والسارقة) وفيما فرض عليكم السارق والسارقة...، فإنما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث. وقد قرأ ناس (والسارقَ والسارقةَ) بالنصب وهو في العربية على ما ذكرت لك القوة، ولكن أبت العامة إلا الرفع، قلت: يريد سيبويه

---

(١) انظر حاشية الشهاب، ٤/٤٦٩-٤٧١؛ والبحر، ٣/٤٩٠-٤٩٣؛ والألوسي، ٦/٤١١-٤١٣ وغيرهم.

(٢) يقصد ما ذكره الزمخشري من تفضيل سيبويه للقراءة الشاذة على المتواترة. وهذا الفصل في كتاب سيبويه، باب الأمر والنهي، ١/١٤٢-١٤٥.

أن قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنياً على الفعل، غير معتمد على متقدم، فكان النصب قويـاً بالنسـبة إلى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم، فإنه قد بين أن ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب[١]. فكيف يفهم منه ترجيحه عليه، والباب مع القراءتيـن مخـتلف، وإنما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب... ثم حقق سيبويه هذا المقـدر بـأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار، ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سـيبويه إلـى تقديـر، بـل كـان يرفعه على الابتداء ويجعل الأمر خبره كما أعربه الزمخشري..."[٢].

وبهـذا التوضيح يتبين لنا أن سيبويه في هذا المثال لم يقدم القراءة الشاذة على القـراءة المتواترة التي أجمع عليها أئمة القراءة. وكان الأولى بالزمخشري أن لا يفهم هـذا الفهم الخاطئ. حتى لو كان فهم الزمخشري لما ذكره سيبويه فهما صحيحاً ما كان عليه أن يمر دون أن يبين وجه الحق في ذلك وأن القراءة المتواترة صحيحة ومتفقة مع قواعد لغة العرب وهي المقدمة على القراءة الشاذة.

---

(١) يكـون النصـب قوياً وهو عنوان الباب لو عري من الفاء المقدر دخولها على خبر الاسم المرفوع على الابتداء وجملة الأمر خبره، ولكن جمهور القراء على الرفع لعلة دخول الفاء، إذ لا يصح أن تكون جملة الأمر خبراً لهذا المبتدأ، ولذلك لما ذكر سيبويه اختيار النصب في الأمر والنهي لم يمثله بالفاء بل عارياً منها فمثل وذلك قولك: زيداً اضربه، وعمراً امرر به. ثم قال: وقد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم وذلك قوله: عبدالله فاضربه ابتدأت عبدالله فرفعت بالابتداء ثم بنيت الفعل عليه كما فعلت ذلك في الخبر. فإذا قلت: زيداً فاضربه لم يستقم لم تحمله على الابتداء، ألا ترى أنك إذا قلت: زيد فمنطلق لم يسـتقم فهذا دليل على أنه لا يجوز أن يكون مبتدأ، يعني مخبراً عنه بفعل الأمر المقرون بالفاء، انظر: البحر، ٤٩١/٣.

(٢) الكشاف، حاشية، ٦٦٣/١، ٦٦٤. والكتاب، ١٤٢/١-١٤٥.

المبحث الثاني

طعنه في القراءة المتواترة بسبب البلاغة

عني الإمام الزمخشري بالجانب البلاغي وإظهاره في تفسيره عناية كبيرة فقلما تجد صفحة في تفسيره تخلو من نكتة بلاغية أو معنى بلاغي، وقد مر بنا في الفصل الثاني من الباب الأول شيء من التوجيهات البلاغية للقراءات القرآنية أبدع فيها الزمخشري أيما إبداع. لكن هذا الشغف بالنكات البلاغية عند الزمخشري دفعه إلى ترجيح قراءة على أخرى للوصول إلى صورة بلاغية ونحن نعلم أن المفاضلة بين القراءات تفضي إلى الطعن في بعضها أو التقليل من شأنها خاصة إذا كان هذا التفضيل من باب تفضيل القراءات الشاذة على المتواترة وقد وقع هذا عند الزمخشري مما دفعني إلى جمع هذه المواضع من تفسيره وبيان وجه الحق فيها سواء تلك التي فاضل فيها بين المتواتر أم تلك التي قدم فيها الشاذ على المتواتر.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾** [النحل:٥٣- ٥٤].

قال الزمخشري: "وقرأ قتادة (كاشف الضر)[1] على فاعل بمعنى فعل، وهو أقوى من كشف؛ لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة"[2].

الزمخشري في هذا الموضع يقدم قراءة قتادة الشاذة (كاشف) على قراءة الجمهور المتواترة (كشف) والدافع هو الصورة البلاغية لأن (كَشَفَ) على وزن (فَعَلَ) و(كاشف) على وزن (فاعَلَ) وقال بعدها، لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة. وقد علمنا

---

(١) شاذة قرأ بها قتادة، انظر: ابن خالويه، مختصر الشواذ، ص٧٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٢/٥٧١.

أن المبالغة لون من ألوان البلاغة العربية[1]. ولكن هل تخلو القراءة المتواترة من وجه مـــن الوجـــوه البلاغية؟ حتى نلجأ إلى القراءة الشاذة ويقدمها الزمخشري بعد ذلك على القراءة المتواترة هذا صنيع غير مقبول فالقراءة المتواترة أقوى من القراءة الشاذة وهي في مكانها غاية في البلاغة والإعجاز لذلك وجدت ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز بعــد ذكــر قراءة قتادة (كاشف) قال: وهي ضعيفة[2]. في إشارة إلى شذوذها من جهة وإلـــى أن القـــراءة المتواترة في مكانها أكثر بلاغة وانسجاماً حتى لو قالت قواعد اللغة غـــير ذلـــك فالمعـــتمد والمقدم هو تواتر القراءة لا ما قعده أهل اللغة. فالقراءة الأقوى والأبلغ هي المتواترة لا الشاذة.

ولم أجد من المفسرين من تعقب الزمخشري في هذا الموضع الذي قدم فيه قراءة شـــاذة على قراءة متواترة بحجة البلاغة. ومثل ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى مخاطباً أزواج النبـــي ﷺ: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً**﴾ [التحريم: ٥].

قـــال الزمخشـــري في قوله تعالى (سائحات): "وقرئ سيّحات" وهي أبلغ"[3] ولم يـــتطرق أحد من المفسرين إلى بيان هذا عند الزمخشري كما لم يرد أحد عليه لتقديمه لهـــذه القـــراءة الشاذة[4]. هذا لا يليق ولا يقبل من فارس البلاغة كما لا يقبل من غيره الســـكوت علـــيه. فالقراءة المتواترة يقيناً أكثر بلاغة وقوة وملائمة للسياق القرآني من الشاذة ولا ينظر إلى قواعد بعض أهل اللغة إذا تعارضت مع القراءة المتواترة. فالمقدم هي القراءة المتواترة لتواترها ثم نبحث بعد ذلك في بلاغتها لا أن نقدم الشاذة عليها.

---

(١) المـــبالغة: هـــي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة. وذلك على أبنية كثـــيرة منها: فعلان، فعال، فعول، مفعل، فاعل وغيرها، انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، رسالة الرماني (النكت في إعجاز القرآن)، ص١٠٤-١٠٧.

(٢) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤٤٣/٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٥٧١/٤.

(٤) قال أبو حيان قرأ الجمهور (سائحات) وقرأ عمرو بن فائد (سيّحات)، البحر، ٢٨٧/٨.

ويقـال مـثل ذلـك فـيما ذكـره الزمخشـري عـند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

قـال الزمخشـري: "(أحـق هو) استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء، وقرأ الأعمش: (آلحق هو)[١] وهو أدخل في الاستهزاء، لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل؛ وذلـك أن الـلام للجـنس فكأنـه قـيل: أهـو الحق لا الباطل؟ أو أهو الذي سميتموه الحق؟"[٢].

فالزمخشري يرى أن القراءة الشاذة أدخل في الاستهزاء من القراءة المتواترة[٣] مـع أن القـراءة المتواترة أفادت الإنكار والاستهزاء كذلك، فلا حاجة إلى تقديم الشاذة علـى المـتواترة قـال ابن جني في المحتسب: "إن الأجناس تتساوى فائدتها معرفتها ونكـرتها في نحو هذا، نقول: ثق بأمان من الله، وثق بالأمان من الله، وهذا حق، وهذا الحـق، وهـذا صدق وهذا الصدق، ومنه قولهم: خرجت فإذا بالباب أسد، وإذا بالباب الأسد، المعنى واحد ووضع اللفظ مختلف وسبب ذلك كون الموضع جنساً"[٤].

فإذا كان الأمر كذلك نقول القراءة المتواترة أفادت الإنكار والاستهزاء ويؤيد ذلك المعـنى قـراءة الأعمش وعند ذلك تكون القراءة الشاذة مؤيدة للمعنى الذي جاءت به القراءة المتواترة وليست الشاذة هي المقدمة كما فهم من كلام الزمخشري.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: ابن جني، المحتسب، ٣١٣/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣٣٥/٢.

(٣) السـؤال فـي الآية الكريمة عن العذاب الوارد في قوله تعالى: (قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً) يونـس/٥٠. أو عـن العـذاب يوم القيامة في قوله (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) يونس/٥٢. وسـؤالهم هـذا معناه الإنكار والاستبعاد لهذا العذاب، سواء كان المعنى (أهو حق لا الباطل) من قصر المسـند إلـيه على المسند كما ذكر الزمخشري أم من قصر جنس الحق على المراد بلفظ (هو) أي من قصـر المسـند علـى المسـند إليه كما ذكر غيره، انظر: حاشية الشهاب، ٢٧٩/٤؛ وحاشية القونوي، ٤٩١/٩.

(٤) ابن جني، المحتسب، ٣١٣/٢.

ومـــن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى عن كفار قريش: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٤].

قـــرأ أبـــو جعفر وحده (اصطفى) بهمزة الوصل وقرأ باقي العشرة (أصطفى) بهمزة الاستفهام[١].

قـــال الزمخشري: "فإن قلت (أصطفى البنات) بفتح الهمزة: استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد، فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات؟

قلـــت: جعلـــه مـــن كـــلام الكفـــرة بدلاً عن قولهم (ولد الله) وقد قرأ بها حمزة والأعمش[٢] رضي الله عنهما وهذه القراءة –وإن كان هذا محملها- فهي ضعيفة، والذي أضعفها: أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله: (وإنهم لكاذبون) وقوله (ما لكم كيف تحكمون) فمن جعلها للإثبات، فقد أوقعها بين نسيبين"[٣].

الزمخشري في هذا الموضع يضعف قراءة متواترة قرأ بها إمام من أئمة القراءة العشـــرة. ذلكـــم هو أبو جعفر شيخ الإمام نافع قارئ المدينة المنورة، وبيان الأمر في القراءتين أن قراءة الجمهور (أصطفى) بهمزة الاستفهام أفادت معنى بلاغياً هو الإنكار والاستبعاد لما زعمه كفار قريش من نسبة البنات إلى الله تعالى.

وهـــذا المعنى البلاغي يغيب عن قراءة أبي جعفر (أصطفى) بهمزة الوصل إلا إذا وجهـــنا القـــراءة الثانية على حذف همزة الاستفهام لدلالة (أم) في قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١٥٦]. عليها وإن كانت منقطعة غير معادلة لها، لكن لكثرة استعمالها معها قالوا ذلك[٤].

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢/٢٧٠؛ والقراءات العشر المتواترة، ص٤٥١.

(٢) لم يقرأ بها حمزة كما ذكر الزمخشري وإنما هي في روايات شاذة عن نافع وغيره. انظر: البحر المحيط، ٣٦١/٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٦٥/٤، ٦٦.

(٤) انظـــر: البيضاوي، ١٩/٥؛ وحاشية الشهاب، ١٠٩/٨؛ ورجحه الألوسي على غيره من الأقوال، انظر: روح المعاني، ٢٠٠/٢٣.

وهذا التوجيه وإن كان صحيحاً لكنا لسنا بحاجة إليه، لأن هذا التوجيه يرد قراءة أبي جعفر إلى قراءة الجمهور في الوقت الذي نستطيع أن توجهها توجيهاً آخر يدفع ما ذكره الزمخشري من تضعيف لهذه القراءة ويكشف عن ثراء النص القرآني.

والتوجيه المختار لقراءة أبي جعفر إنها جاءت للإثبات وليست للإنكار وأنها من كلام الكفار لا من كلام الله تعالى أو رسوله الكريم ﷺ. وهي ليست دخيلة بين نسيبين كما زعم الزمخشري بل لها مناسبة وتعلق بقولهم (ولد الله): حكى الله تعالى شنيع قولهم أن نسبوا له سبحانه الولد ولم يقفوا عند هذا الحد حتى جعلوا ذلك الولد بنات الله.

وأما جملة (وإنهم لكاذبون) فقد جاءت جملة اعتراض بين مقالتي الكفار (ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله) و(أصطفى البنات على البنين) مبادرة ومسارعة للكشف عن إفكهم وكذبهم وافترائهم على الله تعالى. ثم جاءت جملة (ما لكم كيف تحكمون) للتقريع والتوبيخ للكفار على صنيعهم هذا وللاستفهام عن الحجة والبرهان على دعواهم[1].

وذكر بعض العلماء أن قراءة أبي جعفر على الإثبات بإضمار القول، أي لكاذبون في قولهم اصطفى البنات[2].

ولسنا بحاجة إلى هذا التوجيه لأن (القول) ذكر في الجملة السابقة ولا حاجة لتكراره وتقديره مرة أخرى لأن كلتا الجملتين (ولد الله) و(أصطفى البنات) من كلام لكافرين على قراءة أبي جعفر.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**﴾ [القيامة:٢٠-٢١]. قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب (يحبون، ويذرون) بالياء وقرأ باقي العشرة (تحبون وتذرون) بالتاء[3].

---

(١) انظر: البحر المحيط، ٣٦١/٧؛ والبيضاوي، ١٩/٥.

(٢) ذكر ذلك البيضاوي، ١٩/٥؛ وأبو السعود، ٣٤٠/٥ وغيرهما.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٥١١؛ وابن الجزري، النشر، ٢٩٤/٢.

بعد أن ذكر الزمخشري قراءة التاء على الخطاب قال: "وقرئ بالياء وهو أبلغ"(١).

وفعل قريباً من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾(٢) [الأعلى:١٦]. يقول الزمخشري بعد أن فسر الآية على قراءة الخطاب بالتاء: "وقرئ (يؤثرون) على الغيبة ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود: (بل أنتم تؤثرون) فجاء بالقراءة التي تعضد القراءة التي يرجحها(٣) على الرغم من أن قراءة الغيبة قرأ بها أبو عمرو البصري الذي فسّر الزمخشري القرآن وفق قراءته، وسبب تقديم الزمخشري لقراءة (تؤثرون) بالتاء هو الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى**﴾ إلى الخطاب في قوله (بل تؤثرون) بالتاء. ونكتة الالتفات المبالغة في الذم فإن الذم مواجهة أبلغ في الذم وأقوى في التوبيخ والتقريع مما يكون في الغيبة(٤).

نرجع الآن إلى آية القيامة على قراءة (يحبون، ويذرون) بالياء التي وصفها الزمخشري بأنها أبلغ من القراءة بالتاء ولم يبين رحمه الله سبب هذا الترجيح ولا سبب هذه الأبلغية لوضوحها عند أهل التفسير؛ فهي أبلغ من حيث أن فيها التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة فالآيات السابقة لها مباشرة خطاب للنبي ﷺ: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ... فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة:١٦-١٩] وجاءت القراءة بالياء (يحبون، يذرون) على الغيبة، ومعلوم أن فوائد الالتفات عظيمة منها أنه تنشيط للسامع بسبب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو العكس ويفيد الالتفات فوائد أخرى حسب المقام، وفي

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٦٦٣/٤.

(٢) قرأها أبو عمرو (يؤثرون) بالياء والباقون (تؤثرون) بالتاء. انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٥٤٣؛ وابن الجزري، النشر، ٢٩٩/٢.

(٣) رجحها قبله الإمام الطبري في تفسيره، انظر: تفسير الطبري، ٥٤٨/١٢.

(٤) انظر حاشية زادة، ٥٨٠/٨؛ وحاشية الشهاب، ٤٧٤/٩.

هـــذا المقـــام أفاد الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إخراج النبي ﷺ من صريح الخطاب بحب العاجلة وترك الآخرة مراعاة لشأنه ومكانته عند الله تعالى[1].

ولكـــن ألا نجـــد مثل هذه البلاغة في قراءة (تحبون، وتذرون) بالتاء حتى قدم الزمخشري قراءة على أخرى ووصفها بأنها أبلغ؟

والإجابـــة علـــى هـــذا التساؤل تدفع تقديم الزمخشري لقراءة الغيبة على قراءة الخطـــاب فالآيـــات على قراءة الخطاب انتقلت من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب جنس الإنسان وقد سبق أن تحدثت الآيات عن جنس الإنسان في قوله تعالى: (بل الإنسان على نفســـه بصيرة) القيامة/١٤، وفي هذا الخطاب العام إشعار بأن بني آدم مطبوعون على الاســـتعجال يؤيـــده قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء:١١]، ولا يخفى ما في ثنايا هذا الخطاب من التوبيخ والتقريع على حب العاجلة والتهديد والوعيد لمن ترك العمل للآخرة[2].

فـــإذا كـــان الأمر كذلك عرفنا أن بلاغة قراءة الخطاب لا تقل بلاغة عن قراءة الغيـــبة. وعرفنا كذلك أن القراءتين تعانقتا لإظهار وتجلية إعجاز القرآن الكريم، فلسنا بحاجة بحال من الأحوال إلى تقديم قراءة متواترة على أخرى متواترة.

---

(١) انظر: الألوسي، ٢٩/٢٢١.

(٢) مـــن العلمـــاء مـــن أبقى الالتفات على قراءة الخطاب من الغيبة في قوله تعالى (بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره) انظر: حاشية زادة، ٨/٤٢٠، ٤٢١.

المبحث الثالث

طعن الزمخشري في القراءات المتواترة بسبب المعنى اللغوي

عنـــي الإمـــام الزمخشـــري كثيراً بالمعنى اللغوي، كيف لا وهو صاحب كتاب أســـاس الـــبلاغة وهـــو معجم لغوي صنفه الزمخشري قبل تأليف كتابه الكشاف وبدا الاهـــتمام واضحاً بالمعنى اللغوي في الكشاف أيضاً، وقد تميزت الدراسات اللغوية عند الزمخشري بعدة خصائص أهمها عقد الصلة بين المعنى واللفظ. والرجوع إلى الأصل اللغوي عند النظر في الاشتقاق، ثم ربط ذلك بتفسير الآية الكريمة[1]، لكن هذا الاهتمام وهـــذه الدراسات اللغوية في كشاف الزمخشري شابها بعض الشوائب خاصة فيما يتعلق بالقراءات المتواترة موضوع هذه الأطروحة، فقد وجدت الزمخشري رحمه الله يضعّف بعض القراءات المتواترة أو يفاضل بينها بسبب المعنى اللغوي مقتفياً في ذلك أثر بعض من سبقه من العلماء غالباً. وفيما يلي بعض تلك المواضع التي وقفت عليها في تفسيره ومناقشة كل موضع منها.

- مـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ في سورة الفاتحة، قال الزمخشـــري: "قرئ ملك يوم الدين و(مالك)[2] ثم ذكر قراءات شاذة في (مالك) وقال بعدهـــا: و(مَلِك) هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ (غافـــر: آيـــة١٦)، ولقوله: ﴿**مَلِكِ النَّاسِ**﴾ (الناس: آية٢)، ولأن المُلْك يعم والمِلْك يخص"[3].

---

(١) يظهر ذلك واضحاً في تفسيره الكشاف، انظر على سبيل المثال الصفحات التالية من تفسيره ١٠٣/١، ٢٨٢، ٣٥١، ٤٦٧، و ٥٢٧/٢، ٥٧٩، و ٢٩١/٣، و ٣٥٢، و ١١٧/٤، ٥٢٤، ٦١٢ وغيرها. انظر: السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية، ص٢٨٥-٣١٣. وانظر الباب الأول من هذه الدراسة.

(٢) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مالك) وقرأ باقي العشرة (مَلِك). انظر: السبعة، ص١٠٣، والنشر، ١١٧/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٥٤/١.

رجح الزمخشري قراءة (ملك) على قراءة (مالك) لأسباب عدة، صرّح بها رحمه الله، أولها أنها أي القراءة المختارة والمقدمة عنده (ملِك) قراءة أهل الحرمين.

ويجاب على ذلك بان القراءة إذا صحت وثبت تواترها قبلت سواء قرأ بها أهل الحرمين أم أهل البصرة أم أهل الكوفة، ولا يضير القراءة المتواترة إذا لم يقرأ بها أهل الحرمين ولا يغض ذلك من قيمتها عند أهل القرآن، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يجوز أن تقدم قراءة على أخرى لمجرد أنه قرأ بها أو اختارها أئمة الحرمين. وإلا كانت المصاحف التي بعث بها عثمان ﷺ إلى الأمصار متفاوتة وهذا لم يقل به أحد.

قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي: "إنه لو سلم كون أوائلهم أعلم بالقرآن لا نسلم ذلك في عهد القراء المشهورين ألا ترى صحيح البخاري يقدم على موطأ مالك وهو عالم المدينة، على أن القراءة المشهورة كلها متواترة وبعد التواتر المفيد للقطع لا يلتفت إلى أصول الرواة.."[1].

أما ما يتعلق بعنوان المبحث وهو المعنى اللغوي في كلام الزمخشري عندما قال (ولأن المُلك يعم والمِلك يخص) فلم يشرح الزمخشري قوله هذا ومقصوده منه، وكان ابن جرير الطبري قد رجح قراءة (مَلِك) على قراءة (مالك) لأسباب منها المعنى اللغوي فقال: "وأصح القراءتين في التلاوة عندي قراءة من قرأ (ملك يوم الدين) بمعنى المُلك، لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجاباً لانفراده بالمِلك، وفضيلة زيادة المَلِك على المالِك. إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا وهو مالك. وقد يكون المالك لا ملكاً.."[2].

إذن هذه هي الحجة التي من أجلها قدم الزمخشري وغيره قراءة (مَلِك) على قراءة (مالِك) ولا يسلم لهم بهذه الحجة، ولكن قبل مناقشة ما ذكر لغوياً لابد من الإشارة

---

(١) حاشية الشهاب، ١/١٥٠.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ١/٩٥، ٩٦، وهذه الحجة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رحمه الله: "كل من يَمْلِك من المُلك فهو مالك"، الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ٣/٣٢١.

أن هذا الترجيح وهذه المفاضلة بين هاتين القراءتين المتواترتين عابها كثير من العلماء، قـــال أبو شامة: "قد أكثر المصنفون في التفسير من الترجيح بين قراءة (مالِك) و(ملِك) حـــتى بالغ بعضهم إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأولى وهذا ليس بمحمود بعد ثبوت القراءتين واتصاف الرب بهما بمعناهما"(١). وقد وجدت من فعل عكس فعل الزمخشري: محـــاولاً الانتصــــار لقراءة (مالِك) ويرد الحجة التي ذكرها الزمخشري ومن سبقه في تقديم قراءة (مَلِك) قال ابن عطية في تفسيره بعد أن ذكر حجة الطبري السابقة: "وتتابع المفسرون على سرد هذه الحجة وهي عندي غير لازمة؛ لأنهم أخذوا اللفظين مطلقين لا بنسبة إلى ما هو المملوك وفيه الملك، فأما إذا كانت نسبة المِلْك هي نسبة المالك فالمالك أبلغ، مثال ذلك أن نقدر مدينة آهلة عظيمة ثم نقدر لها رجلاً يملكها أجمع أو رجلاً هو مَلِكُهـــا فقط إنما يملك التدبير والأحكام، فلا شك أن المالك أبلغ تصرفاً وأعظم، إذ إليه إجـــراء قوانين الشرع فيها كما لكل أحد في ملكه ثم عنده زيادة التملك، وملك الله تعالى لـــيوم الديـــن هو على هذا الحد، فهو مالكه وملكه والقراءتان حسنتان"(٢). كما نقل أبو حـــيان كثيراً من المرجحات لقراءة (مالك) على قراءة (ملك) منها أن القراءة بِـــ(مالك) أمـــدح لحســـن إضـــافته إلى من لا تحسن إضافة المَلِك إليه، نحو مالك الجن والإنس والملائكة والطير فهو أوسع لشمول العقلاء وغيرهم... ولا يقال هنا ملك، ولقولهم مالك الشيء لمن يملكه وقد يكون ملكاً لا مالكاً(٣)، ولزيادته في البناء والعرب تعظم بالزيادة في البناء وغير ذلك(٤).

---

(١) أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، ص٧١.

(٢) ابـــن عطـــية، المحـــرر الوجـــيز فـــي تفســـير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب، ط١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م، ٦٨/١، ٦٩.

(٣) عرفـــنا فـــي التاريخ ملوكاً لا يملكون في ممالكهم كثيراً. ويملك بعض أفراد الرعية أضعاف أضعاف ما يملكون.

(٤) انظر: البحر المحيط، ١٣٨/١، ثم ذكر ما ذكره الزمخشري في تقديم قراءة (مَلِك) وزاد عليه.

وفــي مواجهة الحجة القائلة إن (المُلك) يعم و(الملك) يخص، قال ثعلب[1]: "قد يدخــل فــي الملِــك ما لا يجوز ولا يصح دخوله في المُلك، وذلك أن يقال: فلان مالك الدراهــم والطير، وغير صحيح أن يقال: فلان ملك الدراهم والدنانير. قالوا: فالوصف بـــالملِك أعم من الوصف بالمُلك. والله سبحانه مالك كل شيء وقد وصف نفسه سبحانه بأنـــه مالك المُلك فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ (آل عمران: آية٢٦)، ولا يقال هــو مَلِــك المُلــك، قــالوا: فوصــفه بالمِلك أبلغ في الثناء وأعم في المدح من وصفه بالمُلك"[2].

وهذه الأقوال وغيرها جواب على ما ذكره الزمخشري من حجة في تقديم قراءة (مَلِك)، ولا نقبل أيضاً أن تقدم قراءة (مالك) على قراءة (مَلِك) لذا حاول بعض العلماء الجمع بين القراءتين بأن (مالك) و(ملك) معناهما واحد. وهذا أيضاً تأباه لغة العرب، فقد نقــل الســمين الحلبي في العمدة عن بعض العلماء بعد أن ذكر الخلاف بين القراءتين ومعــنى كــل واحدة منهما قوله: "هذا مخصوص بصفات المخلوقين، وأما في صفات الخالق فهما سواء"[3].

وقال ابن عاشور: "وقد تصدى المفسرون والمحتجون للقراءات لبيان ما في كل قــراءة مــن خصوصــيات بحسب قصر النظر على مفهوم كلمة (مَلِك) وكلمة (مالك) وغفلــوا عــن إضــافة الكلمــة إلــى يوم الدين فأما والكلمة مضافة إلى يوم الدين فقد استويا.."[4].

---

(١) هو أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار، الشيباني بالولاء أبو العباس المعروف بــ(ثعلب) ولد في بغداد في سنة (٢٠٠هـ) وهو إمام الكوفيين في النحو واللغة بعد الكسائي توفي ببغداد سنة (٢٩١هـ)، ابن خلكان، ٣٣/١.

(٢) نقلاً عن الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، ٣٣/١.

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ١٢٥/٤.

(٤) التحرير والتنوير، ١٧٥/١.

والحقـيقة أنـنا لسنا بحاجة إلى كل هذا العناء، فكل قراءة منهما متواترة يجوز القـراءة بها ولا أفضلية لإحداهما على الأخرى، وكل قراءة منهما جاءت بمعانٍ لم تأت بها الأخرى وفي هذا إثراء للنص القرآني وعليه أيضاً لا يستغنى باحداهما عن الأخرى لان كـلاً منهما مقصودة لذاتها وقد وردت كل منهما في بعض سور القرآن ولما كانت الفاتحة أم الكتاب فقد جمعت القرائتين معاً، وما ذكره أهل اللغة من معاني قراءة (مالك) لا يـنقص من قيمة قراءة (مَلِك) وما ذكروه من معاني قراءة (ملك) لا ينقص من قيمة قراءة (مالك) بل تعانقت القراءتان لبيان أن الله تعالى هو المالك المتصرف في كل شيء في ذلك اليوم وهو في الوقت ذاته الملك الذي يحكم ويفصل القضاء بين المخلوقات في ذلك اليوم العظيم.

- ومـن ذلـك عـند تفسـيره لقـول الله تعـالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ (البقرة: آية٢٧٨، ٢٧٩).

قـرأ عاصـم في رواية شعبة، وحمزة (فآذنوا) بالمد وقرأ باقي العشرة (فأذنوا) بالقصر[١].

قال الزمخشري: "(فأذنوا بحرب) فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به، وقرئ (فـآذنوا) فأعلموا بها غيركم، وهو من الإذن وهو الاستماع، لأنه من طرق العلم، وقرأ الحسـن (فأيقـنوا)[٢] وهو دليل لقراءة العامة"[٣]. يظهر من كلام الزمخشري أنه يقدم قـراءة القصـر (فأذنوا) لذلك وجدناه يذكر لها دليلاً من القراءات الشاذة. وهذا ما فعله

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ١٩١، وابن الجزري، النشر، ١٧٧/٢.

(٢) قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط، ٣٥٢/٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣٤٩/١.

عـــدد مـــن المفسرين على رأسهم شيخهم الإمام الطبري، قال رحمه الله: "قراءة القصر أرجح لأنها تختص بهم، وإنما أمروا على قراءة المد بإعلام غيرهم"(١).

وقبل أن أخوض في كلام المفسرين حول هاتين القرائتين أود أن أذكر شيئاً مما قاله علماء اللغة في معاجمهم في معنى (أذِن).

قال الخليل: "يقال للرجل هو أُذُن، وللمرأة: هي أُذُن، وللقوم كذلك، أي يسمع من كل أحد، وأذِنتُ بهذا الشيء علمت به، وآذنني: أعلمني، وفعله بإذني أي بعلمي"(٢).

وقـــال ابـــن منظور: "أذِن بالشيء إذْناً وأذَناً وأذَانةً: علِم، وآذنه الأمر وآذنه به أعلَمه، والأذان الإعلام وهو النداء إلى الصلاة أي الإعلام بها وبوقتها"(٣).

ولـــم يخرج أهل التفسير عمّا ذكره علماء اللغة في معاجمهم. وإذا كانت كل من القراءتيـــن تفيد معنا منسجماً مع سياق الآيات ومعناها، وإذا ثبت تواتر القراءتين فلماذا تقدم قراءة على أخرى؟

وقد وجدت بالمقابل من العلماء من رجح قراءة المد (فآذنوا) على قراءة القصر خلافاً للزمخشري. ونسب ابن عطية ذلك إلى أبي علي الفارسي(٤) فقال: "قال أبو علي: مـــن قـــرأ (فـــآذنوا) فمـــد فتقديره: فأعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب والمفعول هنا محـــذوف... وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم لا محالة، ففي إعلامهم غيرهم علمهم وليس في علمهم إعلامهم غيرهم فقراءة المد أرجح لأنها أبلغ وآكد..."(٥).

---

(١) الطـــبري، جـــامع البـــيان، ١٠٧/٣، ١٠٨، وانظر كذلك ابن زنجلة، الحجة، ص١٤٨، ١٤٩، والبحر المحيط، ٣٥٣/٢، وغيرهم.

(٢) الخليل، العين، ٢٤/١، ٢٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٢١/١، ٢٢، وانظر: ابن فارس، ٤٥/١، ٤٦، والفيروزأبادي، ١٩٥/٤.

(٤) قلـــت نسبه إلى أبي علي الفارسي وكذلك أبو حيان في البحر، ٣٥٣/٢، إلا أني رجعت إلى كتاب الحجة للفارسي فوجدت بعض ما ذكر لأبي عبيدة لا للفارسي. انظر: كتاب الحجة، ٤٨٨/١.

(٥) ابن عطية، ٤٩١/٢-٤٩٣.

وقال القونوي في حاشيته على البيضاوي: "(فآذنوا) فأعلموا بها غيركم أي فكونوا معلمين غيركم بعد كونكم عالمين بها إذ الإعلام يستلزم العلم فهي أبلغ من القراءة الأولى"[(1)].

مما سبق يتبين لنا أن بعض العلماء رجح قراءة المد على القصر ومنهم من فعل عكس ذلك، وحجة من رجح قراءة القصر أن هذه الآية وما سبقها من آيات في خطاب المؤمنين المرابين وهو أبلغ في التهديد والتحذير من الاستمرار بالمراباه من القراءة بالمد التي عرفنا حجة من رجحها قبل قليل.

ولا حاجة لنا إلى ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى لأن كل قراءة جاءت بمعنى يتوافق مع ما ذكره أهل التفسير وأهل اللغة. واختلاف معنى القراءتين ليس عيباً من أدلة إعجاز القرآن بقراءاته، لأن قراءة المد جاءت بمعنى لم تأت به قراءة القصر، وقد ثبت تواتر القراءتين وكل واحدة قرآن لا ريب في ذلك فبأي قراءة أخذ المسلم وصل إلى معنى صحيح لا يتعارض مع المعنى الذي تفيده القراءة الأخرى.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ (النساء: آية١٤٥). قرأ الكوفيون؛ عاصم وحمزة، والكسائي وخلف (الدَّرْك) بسكون الراء وقرأ باقي العشرة (الدَّرَك) بفتحها[(2)].

قال الزمخشري: "(الدَّرْك الأسفل) الطبق الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات، سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض، وقرئ بسكون الراء، والوجه التحريك لقولهم (أدراك جهنم)"[(3)].

---

(1) حاشية القونوتي، ٥/٤٦٩.

(2) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ٢٣٩، وابن الجزري، النشر، ٢/١٨٩.

(3) الزمخشري، الكشاف، ١/٦١٤.

فهـو يـرى أن الوجه المقدم لغة هي قراءة (الدَّرَك) بفتح الراء وتحريكها لأن الجمـع على (أدْراك). وما قاله الزمخشري لا يخلو من مناقشة، لأن العرب تجمع على (أدْرَاك) كما تجمع على (أدْرُك).

قـال الطـبري: (درك) وفـيه لغتان (دَرَك) بفتح الراء و(درْك) بتسكينها فمن فـتح الـراء جمعـه في القلة (أدْراك) وإن شاء جمعه في الكثرة (الدُّروك) ومن سكن الـراء قـال (ثلاثـة أدْرُك) وللكثير (الدروك) ثم ذكر القراءتين السابقتين وقال بعدها: وهمـا قـراءتان معروفـتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك واستفاضة القـراءة بكـل واحدة منهما في قرأة الإسلام..."[١] وقال مثل ذلك أبو علي الفارسي[٢] وابن زنجلة[٣] وغير هؤلاء.

ولـم يفـرق علمـاء اللغـة فـي معاجمهم بين الصيغتين بل هما عندهم لغتان صـحيحتان، قال الخليل: "الدَّرَك: أسفل قعر الشيء، والدَّرْك واحد من أدراك، والدَّرْك لغة في الدَّرَك الذي هو من القعر"[٤].

وقـال ابـن منظور: الدَّرْك والدَّرَك: أقصى قعر الشيء أو أسفل كل شيء ذي عمق... والقعر الآخر: دَرْك ودَرَك..."[٥]. فذكر الكلمتين دون تفريق بينهما.

ولا يضـير القـراءة أنهـا لم تأت على اللغة الأفشى والأكثر انتشاراً ما دامت فصـيحة وكل قراءة متواترة فصيحة لا ريب في ذلك. لذلك قال الشهاب في رده على قـول الزمخشري والبيضاوي من بعده: (والتحريك أوجه)، يعني أن الفتح أكثر وأفصح لأنـه ورد جمعه على أفعال وأفعال في (فَعَل) المحرك كثير مقيس ووروده في الساكن

---

(١) الطبري، جامع البيان، ٣٣٦/٤.
(٢) الفارسي، الحجة، ٩٦/٢، ٩٧.
(٣) ابن زنجلة، الحجة، ص٢١٨.
(٤) الخليل، العين، ص٢٨٩.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ٣٣٤/٤-٣٣٦.

نـــادر: كفرْخ وأفراخ وزنْد وأزناد، وكونه استغنى بجمع أحدهما عن الآخر جائز لكنه خلاف الظاهر"[1].

لماذا يستغني الزمخشري وغيره بإحدى صيغتي الجمع عن الأخرى؟ ما دام أن الجمعين وردا في لسان العرب، إن هذه الحجة التي ذكرها الزمخشري لا تضير القراءة المـــتواترة مطلقـــاً. فالقـــراءة بالسكون ثبت تواترها وهي فصيحة كما نصت على ذلك معاجم اللغة وكتب التفسير فلا يجوز بعد ذلك أن يغض أحد من قيمة القراءة أو يفضل غيرها عليها.

- ومـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿...**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾ [الأعراف: آية١٣٧]. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية شعبة (يعرُشون) بالضم وقرأ الـــباقون (يعرِشـــون) بالكســـر[2] وكذلك الأمر في سورة النحل ﴿**وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ [النحل: آية٦٨].

قـــال الزمخشـــري: "قرئ (يعرشون) بالكسر والضم. وذكر اليزيدي أن الكسر أفصح"[3]. ولم يعقب الزمخشري على قول اليزيدي الذي نقله ومعنى ذلك أنه يراه.

وقـــد ذكر أهل اللغة أن الكسر والضم لغتان فصيحتان وليست واحدة أفصح من الأخرى.

قال الفيروزأبادي: "عَرَش يعرِشُ ويعرُش بنى عريشاً"[4].

وقـــال ابن منظور: "العرش: سرير الملك، وهو البيت أو ما يستظل به، وعَرَش يعْرِشُ ويعرُشُ عرشاً أي بنى بيتاً من خشب" [5].

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي، ٣/٣٨٠، ونقل الكلام ذاته الألوسي، ٥/٢٣٢.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٩٢، وابن الجزري، النشر، ٢/٢٠٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٢/١٤٠.

(٤) الفيروزأبادي، ٢/٢٧٨.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ٩/١٣٢، ١٣٤.

فلا فرق عند أهل اللغة بين الكسر والضم وهذا ما أكده المفسرون، قال الطبري بعد أن ذكر القرائتين، "وهما لغتان مشهورتان في العرب يقال (عَرَش يعْرِشِ ويعرُش) فإذا كان ذلك كذلك فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك وأنهما معروفتان من كلام العرب[1].

وقال الشهاب بعد أن ذكر القراءتين في الكلمة: "والضم والكسر في رائه لغتان"[2]. وعليه فلا نحتاج أن نفضل قراءة على أخرى لأن الجميع قرآن.

- ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾ [الروم: آية٥٤].

قرأ حمزة وعاصم بفتح الضاد في (ضَعف وَضعف وَضعفاً) وروي عن حفص فورد عنه أنه اختار فيها الضم خلافاً لعاصم قال رحمه الله: "ما خالفت عاصماً، في شيء من القرآن إلا في هذا الحرف" وقد صح عنه الفتح والضم جميعاً[3].

وقرأها باقي العشرة بضم الضاد في الثلاثة[4].

قال الزمخشري: "قرئ بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان، والضم أقوى في القراءة لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قرأتها على رسول الله ﷺ (من ضَعف) فأقرأني (من ضُعف)"[5].

فالزمخشري قدم قراءة الضم على قراءة الفتح لأجل الحديث، لكن سبق هذا بقوله: (وهما لغتان) فلابد من بحث هذه المسألة عند أهل اللغة أولاً.

---

(١) الطبري، جامع البيان، ٤٥/٦.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي، ٣٥٨/٤. وهو قول الألوسي، ٥٦/٩ وغيرهما.

(٣) ابن الجزري، النشر، ٢٥٩/٢.

(٤) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٥٠٨، والداني، التيسير، ص١٧٦.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٤٩٢/٣، والحديث رواه أبو داود في سننه برقم (٣٩٧٨) ورواه كذلك الترمذي في صحيحه، وقال: هو حسن، انظر: صحيح الترمذي، كتاب القراءات، حديث رقم (٢٩٣٦).

قال الخليل: "ضعف: ضعُف يضْعُفُ ضَعْفاً، والضعف خلاف القوة، ويقال الضّعف في العقل والرأي والضُعف في الجسد، ويقال هما لغتان جائزتان في كل وجه"[1].

فالخليل لم يفرق بين اللفظين في المعنى وقال هما لغتان جائزتان في كل وجه وهذا ما أكده ابن فارس[2] والفيروزأبادي[3] وابن منظور[4] في معاجمهم. وإذا كان الأمر كذلك فإن لغة العرب لم تفرق بين اللفظين ولم تحل دون الأخذ بالقراءتين. وقد علمنا أن القراءتين متواترتان فلم يبق إلا ذلك التعارض الظاهر بين القراءة والحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما. وقد جاء في حاشية الشهاب على البيضاوي: "الضم لغة قريش والفتح لغة تميم، ولذا اختار النبي ﷺ قراءة الضم لأنها لغته لا رداً للقراءة الأخرى، فإنهما متواترتان في السبعة"[5] فالنبي ﷺ لم يقصد بذلك رد القراءة الأخرى لأنها ثابتة بالوحي أيضاً كالقراءة التي اختارها، وهذا الاختيار لا يبنى عليه بحال من الأحوال تقديم قراءة وتفضيلها على الأخرى كما فهم الزمخشري، فالقراءتان صحيحتان متواترتان بأي منها قرأ القارئ فله ذلك لأن الجميع قرآن منزل.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ**﴾ [الصافات: آية٨]. قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (لا يسَّمَّعون) بالتشديد. وقرأ باقي العشرة (لا يسْمعون) بلا تشديد[6].

---

(١) الخليل: العين، ص٥٤٩. وأكد صاحب اللسان أن الفرق الذي ذكره الخليل بين الضم والفتح لم يثبت وأنهما لغتان جائزتان في كل وجه كما أشار الخليل في آخر كلامه.

(٢) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣٦٢/٣.

(٣) انظر: الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ١٦٥/٣.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦١/٨، ٦٢.

(٥) هذه العبارة ذكرها الشهاب في حاشيته، ٤٠٤/٧، وكذلك فعل القونوي، ١٧١/١٥.

(٦) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص ٥٤٧، وابن الجزري، النشر، ٢٦٧/٢.

قـــال الزمخشري: "وقرئ بالتخفيف والتشديد، وأصله -أي التشديد- يتسمعون. والتســمع تطلــب السماع. يقال: تسمّع فسمع أو فلم يسمع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، (هم يتسمعون ولا يسمعون) وبهذا ينصر التخفيف على التشديد"[١].

والــذي ذكره ابن عباس هو ما فهمه من حديث النبي ﷺ الذي رواه البخاري[٢] وفيه: أن الجن كانوا يسترقون السمع من أهل السماء، فهم يتسمعون ويحاولون استراق الســمع ولكن بعد البعثة المحمدية اختلف الأمر، والدليل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً**﴾(الجــن:آية٩).

ولا يفهم من قول ابن عباس السابق أنه يقدم قراءة وينصرها على الأخرى وهذا ما أثبتته المعاجم اللغوية.

قال ابن منظور: "استمعَ له، وتسمَّعَ إليه: أصغى، فإذا أدغمت قلت (اسَّمَّع إليه) يقال سَمَّعْتُ إليه وسمعت إليه، وسمعت له وكله بمعنى"[٣].

وعداه بـــ (إلى) لتضمنه معنى الإصغاء. ولما كانت ثمرة التسمع هو السمع وقد انتفى السمع بنفي التسمع على قراءة التشديد لانتفاء ثمرته فهو أبلغ"[٤].

وللجمـــع بين أحاديث استراق السمع وقراءة التشديد التي يفهم منها عدم استراق السمع، قال الشهاب معقباً على قراءة التشديد: "هو إما ادعاء للمبالغة في نفي سماعهم، أو هو بعد وصولهم إلى السماء لخوفهم من الرجم حتى يدهشوا عن طلب السماع فضلاً عـــنه، فاندفع بذلك أن قول ابن عباس رضي الله عنهما (يتسمعون فلا يسمعون) ينصر القراءة بالتخفيف"[٥].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣٨/٤.

(٢) انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٧٠١)، ٢١٠/٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٣٦٣/٦-٣٦٤.

(٤) انظر: الفارسي، الحجة، ٣١٤/٣، ٣١٥، والبحر المحيط، ٣٣٨/٧.

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوي، ٥٩/٨.

المبحث الرابع

طعن الزمخشري في القراءات المتواترة بسبب اختلاف اللهجات

يتناول هذا المبحث القراءات المتواترة التي طعن فيها الزمخشري أو فاضل بينها بسبب الاختلاف في اللهجات العربية؛ وهي تلك القراءات التي ترجع إلى أصول القراءة غالباً وليس إلى فرش القراءة ومن ثم فإنه لا يترتب على اختلاف القراءات فيها غالباً اختلاف في المعنى. وقبل أن اذكر نماذج من تلك القراءات التي طعن فيها الزمخشري لا بد من الإشارة إلى معنى اللهجة لغة واصطلاحاً.

اللهجة لغة:

قال ابن سيده في المحكم: "لَهِجَ بالأمر لَهجاً فهو لَهِجٌ، ولَهْوَج، وألْهَجَ: أولعَ به واعتاده"(1).

واللهْجة بإسكان الهاء وقد ورد فتحها أيضاً؛ هي اللسان، أو طرف اللسان أو جرس الكلام. أو هي اللغة التي جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها(2).

يظهر من التعريف الأخير أن المتقدمين استعملوا كلمة (اللغة) و(اللهجة) بمعنى واحد تقريباً.

اللهجة اصطلاحاً:

عرف الدكتور إبراهيم أنيس اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث بأنها: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل

---

(1) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ٤/١٢٠.

(2) انظر: السابق، وابن منظور، لسان العرب، ١٢/٣٤٠، والزبيدي، تاج العروس، ٢/٩٥، والجوهري، الصحاح، ١/٣٣٩، ٣٤٠.

منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات ببعضهم"(١).

وعرفها الدكتور عبد الوهاب حمودة: "بأنها أسلوب أداء الكلمة إلى السامع من مثل إمالة الفتحة والألف أو تفخيمها ومثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها فهي محصورة في نفس الألفاظ وأصوات الكلمات وكيفية أدائها"(٢).

ومن الجدير ذكره أن العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"(٣).

مما سبق يتبين لنا أن الاختلاف في القراءات مما يرجع إلى اللهجات يتعلق بقضايا الإمالة والتفخيم والإدغام والفك والإبدال وتسهيل الهمزة أو تحقيقها وغير ذلك وفيما يلي مواضع من تفسير الزمخشري طعن فيها في قراءات متواترة لأسباب ترجع إلى ما سبقت الإشارة إليه.

- من ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة:٦].

في قوله (أأنذرتهم) قرأ عاصم والكسائي وابن عامر وروح عن يعقوب وخلف بتحقيق الهمزتين وقرأ ابن كثير وقالون عن نافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بتخفيف الثانية بين بين. وقرأ هشام عن ابن عامر بتوسيط الألف بينهما محققتين، وقرأ

---

(١) أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص١٦.

(٢) حمودة، عبد الوهاب، اللهجات والقراءات، ص٢١، وانظر أيضاً، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، للدكتور غالب المطلبي، ص١٧-٢٣.

(٣) انظر: أنيس، في اللهجات العربية، ص١٦.

أبو جعفر بتسهيل الثانية مع توسط الألف وقرأ ورش عن نافع بقلب الهمزة الثانية ألفاً[١].

قال الزمخشري بعد أن ذكر القراءات في قوله: (أأنذرتهم): "فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً؟ قلت: هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين: أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده؛ وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفاً مدغماً نحو قوله: (الضالين)... والثاني: إخطاء طريق التخفيف؛ لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوحة ما قبلها أن تخرج بين بين[٢]، فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس"[٣].

والقراءة التي لحّنها الزمخشري وخطأ من قرأ بها هي قراءة ورش عن نافع قارئ مدينة الرسول ﷺ وهي متواترة تؤخذ بالنقل والسماع ولا تدفع باختيار مذهب البصريين، وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون[٤] فإذا كان الأمر كذلك كيف يلحّن ورش ويطعن في قراءته؟!.

وقد ورد عن فصحاء العرب إبدال الهمزة المتحركة ألفاً كما في قول حسان بن ثابت ﷺ:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما قالت ولم تصب[٥]

فقلب همزة (سألت) وأبدلها ألفاً. وكقول الفرزدق:

ومضت بمسلمة البغال مشية فارعن فزارة لا هناك المرتع[٦]

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٣٤، وابن الجزري، النشر، ٢٩٣/١، و١٥٦/٢، وشكري، أحمد، قراءة الإمام من روايتي قالون وورش، ص٩٢.

(٢) معنى قوله: (بين بين) أي بين مخرجها ومخرج الحرف الذي منه حركتها، انظر: ابن يعيش، شرح المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، ١٠٧/٢، وشاهين، القراءات القرآنية، ص١٠٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٨٨/١.

(٤) انظر: البحر المحيط، ١٧٥/١.

(٥) انظر: ابن يعيش، ١٥٩/٣. والشاهد فيه قوله (سالت) بلا همز.

(٦) انظر: ابن يعيش، ١٥٩/٣. والشاهد فيه قوله (هناك) بلا همز أيضاً.

أصـــله (لا هـــنأك) بالهمزة فأبدلت الهمزة المتحركة ألفاً. فإذا ثبت مثل ذلك في كلام الفصحاء ونقل عمن ثبتت عصمته من الغلط[١] يجب قبوله والقراء أعدل من النحاة فيرجح ما نقل عنهم على قول النحاة. وأجيب عن التقاء الساكنين بأن من قلبها ألفاً أشبع فـــي مد الألف بزيادة ألف أو ألفين ليكون ذلك فاصلاً بين الساكنين يقوم مقام الحركة، وهـــذا مـــا اتفق عليه القراء وقالوا التخلص من التقاء الساكنين إذا كان على غير حده بـــالمد[٢]. وبذلـــك لا يكون لكلام الزمخشري وطعنه في القراءة المتواترة أية قيمة بعد الذي سبق ذكره والتدليل عليه من أقوال العرب وفصحائهم متوجاً بما نقل عن النبي ﷺ من القرآن والحديث.

- ومـــن ذلـــك عـــند تفســـيره لقوله تعالى: **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾** [البقرة: ١٢٧، ١٢٨] قـــرأ ابن كثير والسوسي عن أبي عمرو ويعقوب (وأرْنا) بتسكين الراء وبالاختلاس عن أبي عمرو وقرأ باقي العشرة (وأرِنا) بكسر الراء[٣].

قال الزمخشري: "وقرئ (وأرْنا) بسكون الراء قياساً على فخْذ في فَخِذ، وقد استرذلت؛ لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة ودليل عليها، فأسقاطها أجحاف"[٤].

طعن الزمخشري رحمه الله وغفر له في هذه القراءة المتواترة ثم ذكر العلة التي من أجلها استرذلت القراءة بسكون الراء. فأصل الكلمة (أرئنا) فحذفت الهمزة للتخفيف بعد أن نقلت حركتها وهي الكسرة إلى الراء لتدل على المحذوف وهي الهمزة فأذهابها

---

(١) في ذلك إشارة إلى حديث النبي ﷺ (ارجعن مازورات غير مأجورات)، ابن جني، سر صناعة الأعراب نقلاً عن اللهجات العربية، لعبد الغفار هلال، ص١٦٢، ١٦٣. والحديث المذكور رواه ابن ماجه في سننه برقم (١٥٧٨).

(٢) انظر: حاشية زادة على البيضاوي، ٢٢٩/١، وحاشية الشهاب ٤٢٢/١.

(٣) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٧٠، وابن الجزري، النشر، ١٦٧/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٢١٤/١.

بإسكان الراء يخل بدلالتها[1]. وكلام الزمخشري هذا مردود لأن الحذف إذا وجب بقياس وعلى باب مطرد كان هو والإثبات سواء في المساغ ألا ترى اتفاقهم في قوله تعالى: ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ [الكهف: ٣٨] فإن أصله (لكن أنا) فنقلت حركة الهمزة إلى النون وحذفت الهمزة وبقيت الفتحة دالة عليها ثم سكنت النون الأولى وأدغمت في الثانية. فلزم فيه حذف بعد حذف، واتفاق الجمهور على أنه لا بأس في حذف الحرف ثم حذف ما يدل عليه من حركته. وفي المثال الذي بين أيدينا بعد أن انتقلت الحركة إلى الراء صارت كأنها حركة للراء فجاز حذفها تخفيفاً[2].

وقد نقل أبو حيان شاهداً من أشعار العرب جاءت فيه (أرْنا) بالسكون وهو سماع يؤكد ما سبق بيانه، قال الشاعر:

أرْنا إداوة عبدِ اللهِ نملؤُها من ماءِ زمزمَ إنَّ القوم قد ظمئوا[3]

عجباً! نحاول إثبات قراءة متواترة قرأ بها ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وأخذوها مشافهة من شيوخهم إلى النبي ﷺ وكلاهما توفي قبل اللحن بعقود من الزمن وأكد قراءتها يعقوب البصري أقول: نحاول إثباتها بما ذكرته المدارس اللغوية وبيت من الشعر لم يهتد أحد إلى قائله إلى الآن، لمجرد طعن من هذا أو ذاك، والأصل أن تسير الأمور عكس ذلك. فالقراءة المتواترة حجة ثابتة والطعن فيها مرجوح مردود أياً كان قائله وبهذا تستقيم الأمور لأن القراءات المتواترة قرآن فصيح والقرآن مقدم على قول البشر.

- ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى في قصة بني إسرائيل: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا**﴾ [البقرة: ٢٤٦].

---

(١) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤٨٩/١، وحاشية زادة ٢٠٣/٢، ٢٠٤.

(٢) انظر: الفارسي، الحجة، ٣٨٣/١، وزادة، ٢٠٤/٢.

(٣) البحر المحيط، ٥٦١/١، والبيت لم ينسبه أبو حيان لأحد. وقال محققو البحر: لم يعلم قائله.

قرأ نافع (عَسِيتُم) بكسر السين. وقرأ الباقون (عَسَيتُم) بفتح السين[١] وكذلك في سورة القتال، ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ [محمد: ٢٢].

قال الزمخشري عند آية البقرة: "وقرئ (عَسِيتُم) بكسر السين وهي ضعيفة"[٢].

ووصفها عند آية القتال بالغرابة فقال: "وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب"[٣].

فالزمخشري يضعف القراءة بكسر السين ويصفها بالغرابة. وهذا لا يليق لأن القراءة ثبت تواترها فهي قرآن لا ريب في ذلك. وأثبت العلماء موافقتها للغة العرب وذكروا لها شواهد كثيرة.

قال أبو علي الفارسي (عَسَيتُ) الأكثر فيه فتح السين وهي المشهورة، ووجه قراءة نافع أنهم قالوا: هو عسٍ بذاك وأعْسِ به حكاه ابن الأعرابي، فقولهم عسٍ يقوي قراءة (عَسِيتم) بالكسر. ألا ترى أنه مثل حَرٍ وشَجٍ وقد جاء فَعِلَ وفَعَلَ في نحو: نَقِمتُ ونَقَمتُ فكذلك عَسِيتُ وعَسَيتُ، فإن اسند الفعل إلى ظاهر فقياس عَسِيتمُ أن تقول: عَسِيَ زيدٌ مثل رَضِيَ. فسائغ أن يأخذ باللغتين"[٤].

وقال مكي: والكسر لغة في (عسى) إذا اتصل بمضمر خاصة. وقد حكي في اسم الفاعل (عَسِيَ) فهذا يدل على كسر السين في الماضي"[٥]. ونقل أبو حيان عن أبي بكر الأدفوي[٦] وغيره أنها لغة أهل الحجاز[٧].

---

(١) انظر ابن مجاهد، السبعة،ص١٦٨، وابن الجزري، النشر، ١٧٣/٢.

(٢) الكشاف، ٣١٩/١.

(٣) الكشاف، ٣٢٧/٤.

(٤) الفارسي: الحجة، ٤٥٤/١.

(٥) مكي، الكشف، ٣٠٣/١.

(٦) هو محمد بن علي بن محمد أبو بكر الأدفوي النحوي، عالم في التفسير والنحو والقراءات، من أشهر مصنفاته كتاب الاستغناء في علوم القرآن، توفي سنة (٣٨٨هـ). انظر: السيوطي، البغية، ص٨١.

(٧) انظر: البحر المحيط، ٢٦٤/٢.

وبناءً على ما تقدم من ذكر الشواهد لقراءة نافع التي ثبت تواترها فإنه لا يلتفت إلى قول الزمخشري في تضعيفها. وإن كانت القراءة بفتح السين هي اللغة الأفشى لكن قراءة الكسر صحيحة نقلاً وفصيحةً لغةً.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ) بالرفع فيهما وقرأ الباقون (فيغفرْ لمن يشاء ويعذبْ) بالسكون فيهما(١).

قال الزمخشري: "وقرئ (فيغفر) و (يعذب) مجزومين عطفاً على جواب الشرط، ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب، فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأً فاحشاً، وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو"(٢).

وعجباً كيف يؤذن الالتزام بالرواية المتواترة بجهل عظيم، ويكون القارئ بها متهماً باللحن وعدم الدراية وقلة الضبط. إن الضبط إذا فقد فإنا لا نجده إلا عند أهل القراءات ورواتها، وهذه القراءة التي طعن فيها الزمخشري ثابتة متواترة. وإن خالفت مذهب سيبويه(٣) والبصريين الذي بسببه طعن الزمخشري في قراءة الإدغام.

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٩٥، وابن الجزري، النشر، ١٧٨/٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣٥٨/١.

(٣) انظر: الكتاب لسيبويه. ٥٨٥/٤.

فقد ذهبوا إلى أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام من أجل التكرير الذي في الراء، والتكرير صفة قوة واللام ضعيفة(١) والأقوى لا يدغم في الأضعف.

وأجاب أبو حيان على طعن الزمخشري السابق: "أن أبا عمرو كان يدغم الراء في اللام متحركاً ما قبلها نحو: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤]. فإن سكن ما قبل الراء أدغمها في اللام في موضع الضم والكسر نحو (الأنهارُ لهم) و(النارِ ليجزي) فإن انفتحت وكان ما قبلها حرف مد ولين أو غيره لم يدغم نحو (من مصرَ لامرأته) و(الحميرَ لتركبوها) فإن سكنت الراء أدغمها في اللام. وأجاز ذلك الكسائي والفراء وحكياه سماعاً ووافقهما على سماعه رواية وأجازه أبو جعفر الرواسي(٢). وهو إمام من أئمة اللغة والعربية من الكوفيين، فإن لسان العرب ليس محصوراً فيما نقله البصريون فقط، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه. وقد اتفق على نقل إدغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وكبراء أهل الكوفة الرواسي والكسائي والفراء وأجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله(٣).

وقبل كل ذلك رووه عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى برواية متواترة لا تقبل التشكيك من إنسان، فالأحرى أن يلتزم الجميع الروايات الصحيحة المتواترة ولا يقدّم عليها ما قعّده الناس.

---

(١) لاتصافها بعدد من الصفات الضعيفة مثل الإذلاق، الاستفال، والانفتاح. انظر: مكي، الرعاية لتجويد القراءة، ص١٢٣، ١٤٠.

(٢) هو محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي اللغوي النحوي أبو جعفر، وهو أول من وضع للكوفيين كتاباً في النحو وهو أستاذ الكسائي، والفراء، انظر: بغية الوعاة، ٨٧/١.

(٣) انظر: البحر المحيط، ٣٧٧/٢. وانظر: حاشية الشهاب، ٦١٧/٢، ٦١٨. وزاد السيرافي في كتابه إدغام القراء أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاماً ولفظ اللام أسهل وأخف من أن تأتي براء فيها تكرير وبعدها لام وهي مقاربة للراء فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من مخرج واحد، نقلاً عن: الجبوري، القراءات القرآنية، ص٩٥-٩٦.

- ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف لفظ أئمة؟ قلت: همزة بعدها همزة بين بين، أي بين مخرج الهمزة والياء. وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة، وإن لم تكون بمقبولة عند البصريين. وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون قراءة. ومن صرح بها فهو لاحن محرف"[١].

هــذه القــراءة التي رفض الزمخشري الإقرار بأنها قراءة ولحّن من صرّح بها قــراءة متواترة قرأ بها من أعلام القراءة المتواترة. نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو بن العلاء البصري وأبو جعفر ورويس عن يعقوب[٢].

ويجاب على كلام الزمخشري بما قرره علماء اللغة والقراءات ونقله هو وسار وفقه من أنه عند التقاء همزتين في كلمة فالوجه قلب الثانية إلى حرف لين كقولهم في (أأدم) آدم وفي (أئمة) أيِّمه[٣].

وأصل كلمة (أئمة) (أأْمِمَه) على زنة (أفْعِله) جمع إمام كعماد وأعمدة. ثم وجب الإدغام في المثلين وهما الميمان، فألقيت كسرة الميم الأولى على الهمزة الساكنة التي هي فاء الفعل، وهي في الأصل همزة (إمام) إلا أنها تغيرت في الجمع إلى السكون. لأن فاء الفعل في الجمع ساكنة كالحاء من (أحْمرة)، فلما ألقيت، الكسرة على الهمزة الساكنة انكسرت، ثم قلبت الهمزة ياءً لانكسارها ولاجتماع همزتين في كلمة واحدة. ومن قرأ بهمزتين محققتين فقد راعى الأصل[٤] وبهذا قرئ في المتواتر ولا يلتفت إلى

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢٣٨/٢، ٢٣٩.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٩٤/١-٢٩٥.

(٣) نقل هذا الزمخشري في المفصل، وانظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ١١٨/٩، وهو في كتاب سيبويه، انظر: ١٦٧/٢.

(٤) انظر: مكي، الكشف، ٤٩٨/١، ٤٩٩، وابن عطية، المحرر الوجيز، ٤٢٦/٦، ٤٢٧، والفارسي، ٣١١/٢ -٣١٥. (ومن الجدير ذكره أن كلاً من الفارسي ومكي ضعف قراءة تحقيق الهمزتين التي قرأ بها الكوفيون وابن عامر، منتصراً للقراءة التي لحنها الزمخشري ومقدماً لقراءة الإبدال على قراءة التحقيق لموافقتها لقواعد أهل اللغة، ولا مجال لمناقشتهما في هذا المقام) انظر جواب ذلك في النشر، ٢٩٤/١- ٢٩٦.

اعتراض الزمخشري وتلحينه لهذه القراءة المتواترة لأنها ثابتة في النقل موافقة لقواعد أهل اللغة، فلا وجه لإنكارها.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى على لسان يعقوب مخاطباً ابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾ [يوسف: ٥].

قرأ أبو عمرو في رواية السوسي (رُوياك) بقلب الهمزة واواً.

وقرأ أبو جعفر (رُيَّاك) بالإبدال والإدغام.

وقرأ الباقون (رُءياك) بتحقيق الهمزة[١].

قال الزمخشري: "وقرئ (روياك) بقلب الهمزة واواً. وسمع الكسائي (رُيَّاك) و(رِيَّاك) بالإدغام وضم الواو وكسرها وهي ضعيفة؛ لأن الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامهما كما لم يقو الإدغام في قولهم (اتزر) من الإزار و(اتجر) من الأجر".

والقراءة التي ضعفها الزمخشري متواترة قرأ بها أبو جعفر المدني يزيد بن القعقاع شيخ نافع قارئ مدينة رسول الله ﷺ، وقد ثبت جواز إبدال الهمزة حرف مد بحسب حركة ما قبلها إن كانت ضمة فواو أو كسرة فياء أو فتحة فألف[٢].

قال ابن الجزري متحدثاً عن أبي جعفر المدني: "وأجمع الرواة عنه على أنه إذا أبدل الهمزة واواً في (رؤياك، والرؤيا) وما جاء منه يقلب الواو ياءً ويدغم الياء في الياء التي بعدها معاملة للعارض معاملة الأصلي"[٣].

وإذا ثبت هذا نقلاً عن أبي جعفر الذي أخذ القراءة عن بعض أصحاب النبي ﷺ، ووافقت هذه القراءة ما ذكره أهل اللغة في قواعدهم فلا يعبأ بما ذكره الزمخشري من طعن وتضعيف لهذه القراءة المتواترة.

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ٣٤٥/١، ٣٤٦، وما ذكره الزمخشري في الشواذ، انظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٦٢.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ٣٠٣/١.

(٣) السابق.

- ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤]. قرأها (نبغي) نافع وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر، بإثبات الياء وصلاً. وأثبتها ابن كثير ويعقوب وصلاً ووقفاً. وقرأها (نبغ) بحذف الياء وصلاً ووقفاً باقي العشرة[١].

قال الزمخشري: "وقرئ (نبغ) بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن، وهي قراءة أبي عمرو، وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لخط المصحف"[٢].

فضل الزمخشري قراءة إثبات الياء في حال الوصل على القراءة بحذفها. مع أن القراءة بحذف الياء وصلاً أيضاً متواترة ونحن نعلم أنه لا يجوز تفضيل قرآن على قرآن. فما دام قد ثبت تواتر القراءة فهي قرآن وجب علينا الأخذ به. ثم إن حذف الياء في مثل هذا الموضع له شواهد في لغة العرب، والغريب أن الزمخشري نفسه نقل جواز ذلك عن الخليل وسيبويه كما نقل كثرة استعماله في اللغة، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥]. قال الزمخشري: "قرئ (يوم يأت) [٣] بغير ياء. ونحوه قولهم: لا أدر، حكاه الخليل وسيبويه، وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل"[٤].

وأقر الفراء هذه القراءة وذكر لها شاهداً من شعر العرب فقال رحمه الله: "فإن أثبت فيه الياء إذا وصلت القراءة كان صواباً، وإن حذفتها في القطع والوصل كان صواباً. قد قرأ بذلك القراء وأنشد بعضهم:

كفاك كفٌّ ما تليق درهماً جُوداً وأُخرى تُعطِ بالسيفِ الدَمَا[٥]

---

(١) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص١٥٣، وابن الجزري، النشر، ١٣٦/٢.

(٢) الكشاف، ٦٨٥/٢.

(٣) هي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة بغير ياء في الوصل، انظر: السبعة، ص٣٢٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٤٠٤/٢.

(٥) غير معروف قائل هذا البيت، وهو من شواهد ابن جني في الخصائص، ١٣٣/٣. وابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف، ٣٨٧/١. والشاهد في هذا البيت قوله: (تعطِ) واصله (تعطي) حذف الياء من الفعل من غير ناصب ولا جازم. وتليق معناه تحبس من آلاقه أي حبسه، يصف ممدوحه بالجود والغلظة على عدوه. انظر: الفراء معاني القرآن، هامش ٢٧/٢، ٢٨.

وبذلك النقل عن أهل العربية وفرسانها يتبين لنا أنه لا يجوز تقديم قراءة الإثبات على قراءة الحذف وتفضيلها عليها لأن الجميع فصيح. وإن كان يكفينا ثبوتها وتواترها. ولكن نقل هذه الشواهد يعزز ذلك التواتر.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [القصص:٧١- ٧٢].

قال الزمخشري: "وقرئ (أريتم) بحذف الهمزة، وليس بحذف قياسي"(١).

ومثله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ**﴾ [الماعون: ١]. قال الزمخشري: قرئ (أريت) (٢) بحذف الهمزة، وليس بالاختيار، لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب: (ريت) ولكن الذي سهل أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام. ونحوه:

صاح هل رَيْتَ أو سمعت براعٍ رد في الضَّرع ما قرى في الحلاب(٣)(٤)

والقراءات في الآيات الثلاثة واحدة واعتراض الزمخشري على قراءة الكسائي (أريت) بحذف الهمزة الثانية. وقال: إن هذه القراءة وهذا الحذف مخالف لقياس أهل

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٤٣٣/٣، والقراءات فيها كالآتي: قرأها بتسهيل الهمزة الثانية نافع وأبو جعفر، وأبدلها ألفاً مع المد ورش. وحذفها الكسائي والباقون بالتحقيق ووقف حمزة بالتسهيل. انظر: ابن الجزري، والقراءات العشر، ص٣٩٤.

(٢) مثل قراءة (أرأيتم) بلا خلاف. انظر: السابق.

(٣) البيت لإسماعيل بن بشار، كما ذكر محقق الزمخشري، و(صاحِ) منادى مرخم أصله يا صاحبي، وقرى معناه جمع والحِلاب: إناء الحلب. والشاهد فيه قول: (ريت) واصلها (رأيت) حذفت الهمزة للتخفيف. انظر: حاشية الكشاف، ٨٠٨/٤.

(٤) الكشاف، ٨٠٨/٤.

اللغة، ولم يصح عن العرب أنهم قالوا (ريت) في (رأيت). وقبله قال مكي: "في حذفها إجحاف بالكلمة"(١).

ومعنى قول الزمخشري: (حذفها مختص بالمضارع) لأن مضارع رأى: (يرى) واصله يرأى فحذفت الهمزة للتخفيف فصار (يرى) بلا همز.

ويجاب على اعتراض الزمخشري على القراءة المتواترة من كلامه. فهو يرى أن كلمة (ريت) لم يصح عن العرب أنهم قالوها والبيت والآية تثبتان عكس ذلك هذا من جهة ومن جهة أخرى قال هو: (ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام). ووجه التسهيل أن الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لأن في الطلب معنى الاستقبال فأخذ حكم المضارع لذلك. كما أن مجيء الهمزة أول الكلام أوجب ثقل وقوع همزة أخرى بعدها فسهل أمر حذفها لذلك أيضاً وحذفها في الآية أسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري؛ لأن البيت وإن كان فيه حرف الاستفهام لكن ذلك الحرف ليس الهمزة. فلو لم تحذف همزة (رأيت)في بيت الشعر المذكور لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية الكريمة(٢). وإذا كان الأمر كذلك وعرفنا أن القراءة متواترة بإجماع الأمة قرأ بها علم من أعلام النحو العربي هو الإمام الكسائي وذكر العلماء لها الشواهد من لغة العرب فإنه لا يلتفت إلى قول الزمخشري في التقليل من شأنها.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ**﴾ [سبأ:٩].

قال الزمخشري: "وقرأ الكسائي (يخسف بهم) بالإدغام وليست بالقوية"(٣)، سبقه في ذلك أبو علي الفارسي فقال: "فأما إدغام الكسائي الفاء في الباء في (نخسف بهم) فإن ذلك لا يجوز"(٤).

---

(١) مكي، الكشف، ٨٣/١.

(٢) انظر: حاشية زاده، ٦٩٧/٨، والشهاب، ٥٧٣/٩.

(٣)الزمخشري، الكشاف، ٥٨٠/٣، وذكر قراءات كثيرة في نفس الآية لكن ما يتعلق بعنوان المبحث القراءة الأخيرة التي ذكرتها.

(٤) الفارسي، الحجة، ٢٨٩/٣.

وإن كانت الباء تدغم في الفاء في قولك (اضرب فلاناً). قال أبو حيان: والقراءة سنة متبعة وفيها الفصيح والأفصح، وكل ذلك من تيسره تعالى القرآن للذكر فلا التفات لقول أبي علي ولا الزمخشري"[1].

ثم إنا لا نرد القراءة التي ثبت تواترها وثبتت قرآنيتها بالقياس والذي أدغمها إمام الكوفيين الكسائي رحمه الله تعالى.

وعلـــى العكس من ذلك فقد قدم الزمخشري الإدغام على الإظهار في (بلْ ران) في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين:١٤] وقال "الإدغام أجود"[2]، ويرد عليه بأن قراءة الإظهار متواترة[3] ولها شواهد من لغة العرب وقـــال ســـيبويه "وهي لغة لأهل الحجاز"[4]. وذكرها أبو علي الفارسي في سياق المدح والقبول[5]، فلا التفات إلى قول الزمخشري.

- ومـــن ذلـــك عند تفسيره لقول الله تعالى في قصة سلميان ﷺ: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ**﴾ [ســـبأ: ١٤].

قـــرأ نـــافع وأبو عمرو وأبو جعفر (منساته) من غير همز. وقرأ ابن عامر في روايـــة ابن ذكوان (منسأْته) بإسكان الهمزة. وقرأ الباقون (منسأَته) بفتح الهمزة ووقف حمزة بالتسهيل[6].

---

(١) البحر المحيط، ٢٥١/٧.

(٢) الكشاف، ٧٢٢/٤.

(٣) (بلْ ران) سكت حفص سكتة لطيفة من غير تنفس على لام (بلْ) ويلزم منه الغظهار. وأدغم الباقون. انظر: القراءات العشر المتواترة، ص٥٨٨.

(٤) البحر، ٤٣٣/٨.

(٥) الفارسي، الحجة، ١٠٤/٤.

(٦) انظر: ابن الجزري، ٢٦٢/٢، والقراءات العشر، ص٤٢٩.

قال الزمخشري: "والمنسأة: العصا، لأنه ينسأ بها، أي: يطرد ويؤخر. وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً وكلاهما ليس بقياس، ولكن إخراج الهمزة بين بين[١] هو التخفيف القياسي"[٢].

فالزمخشري يرى أن قلب همزة (منسأته) ألفاً ليس موافقاً لأقيسة أهل اللغة وهذا عنده يقلل من قيمة القراءة ويجعله يفضل غيرها عليها كما عرفنا من النماذج السابقة. وللإجابة على اعتراض الزمخشري نذكر ما قاله أهل اللغة والتفسير فيها.

قـــال الفـــراء: "(تأكل منسأته) هي العصا العظيمة، أخذت من نسأت البعير إذا زجـــرته ليزداد سيره، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن، ولعلهم أرادوا لغة قريش؛ فـــإنهم يـــتركون الهمزة وزعم[٣] لي أبو جعفر الرؤاسي أنه سأل عنها أبا عمرو فقال: (مِنْسَاتَهُ) بغير همزة"[٤].

يتضح من قول الفراء السابق أن (منساته) من غير همز هي لغة قريش وعند أهل الحجاز أي في البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم وهي عند أهل البصرة كذلك شهد بذلك أبو عمرو والحسن البصريان.

وأكد الطبري ما قاله الفراء وأتى له بشواهد من كلام العرب نثراً وشعراً[٥].

قال رحمه الله: "واختلفت القرأة في قراءة "منسأته" فقرأ ذلك عامة أهل المدينة وبعض أهل البصرة (منساته) غير مهموزة، وزعم من اعتلّ لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة أن المنساة: العصا، وأن أصلها من نسأت بها الغنم، وهي من الهمز الذي تركته العرب كما تركوا همز (النبي والخابية) وأنشد لترك الهمز في ذلك بيتاً لبعض الشعراء:

---

(١) أي بين الهمزة والألف.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٥٨٣/٣.

(٣) يعني: قال لي.

(٤) الفراء، معاني القرآن، ٣٥٦/٢، ٣٥٧.

(٥) سبق الحديث عن بيت حسان بن ثابت (**سالت هذيل ...**) بحذف همزة (سألت) وبيت الفرزدق (... **لا هناك المرتع**) بحذف همزة (هنأك).

إذا دببتَ على المِنساةِ من هَرَمٍ   فقد تباعَدَ عنك اللهوُ والغزل[1]

وبعد هذا النقل من كلام العرب شعراً ونثراً وما ذكره علماء اللغة والقراءات والتفسير. وبعد ثبوت وتواتر هذه القراءة فإنه لا قيمة لأي انتقاص من شأنها وطعن فيها.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى عن الذين كفروا: ﴿**اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: ٤٣].

قرأ حمزة وحده (ومكر السَّيِّءْ) بإسكان الهمزة وصلاً. ووقف بإبدالها ياءً حمزة وهشام، ولهشام أيضاً الروم مع إبدالها ياءً. وله التسهيل مع الروم.

وقرأ باقي العشرة (ومكر السيِّءِ) بهمزة مكسورة[2].

قال الزمخشري: "وقرأ حمزة (ومكر السيءْ) بإسكان الهمزة، وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة، ولعله اختلس[3] فظن سكوناً أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ..."[4].

فالزمخشري في هذا الموضع لم يرتض قراءة حمزة بإسكان الهمزة فراح يخرج قراءة الإسكان متهماً الراوي عنه بالظن وعدم الدقة في التفريق بين السكون والاختلاس أو أنه وقف ثم ابتدأ وكل هذه التخريجات غير مقبولة لأن القراءة سنة متبعة. وقد ثبت تواتر القراءة بنقل المئات من الحفاظ المتقنين فلا يليق ولا يقبل اتهام القراء أو الرواة عنهم بالوهم والظن، لأن هذه القراءة متواترة ولها شواهد من كلام العرب.

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن) والرواية فيه (حببت) من الحبو وليس (دببت). والشاهد فيه قوله (المِنساة) بغير همز. انظر: تفسير الطبري، ١٠/٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢/٢٦٤، والقراءات العشر، ص٤٣٩.

(٣) الاختلاس هو الإتيان ببعض الحركة وترك بعضها بحيث يكون الذي تحذفه منها أقل مما تأتي به. انظر: حاشية زادة، ٧/٤٨.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣/٦٢٨.

قال أبو علي الفارسي: "فأما قراءة حمزة (ومكر السيءْ) وإسكانه الهمزة في الإدراج فإن ذلك يكون على إجرائها في الوصل مجراها في الوقف وهو في الشعر كثير. ومما يقوي ذلك: أن قوماً قالوا في الوقف: أَفْعَيْ وأَفْعَوْ. فأبدلوا من الألف الواو والياء ثم أجروها في الوصل مجراها في الوقف، فقالوا: هذا أفعوْ يا هذا، فكذلك قراءة حمزة بإسكان الهمزة فخفف بالإسكان لتوالي الكسرتين إحداهما ياءٌ قبلها ياءٌ... فإذا ساغ ما ذكرنا في هذه القراءة من التأويل لم يسغ لقائل أن يقول: إنه لحن[1]"[2].

واحتج لها ابن الجزري أيضاً بقراءة أبي عمرو (بارئْكم) وقال: إسكانها في قراءة حمزة أحسن من إسكانها في قراءة أبي عمرو[3].

وبعد أن عرفنا ثبوت قراءة حمزة وتواترها فهي إحدى القراءات السبع وعرفنا الآن موافقتها لما عليه لغة العرب فلا ينقص كلام الزمخشري من شأنها ولا من شأن الرواة عن حمزة رحمهم الله تعالى جميعاً.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾** [الحجرات: ٩].

قال الزمخشري: "وعن أبي عمرو (حتى تفي) بغير همزة؛ ووجهه أن أبا عمرو خفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها"[4].

فالزمخشري هنا يطعن مرة أخرى بالرواة عن الأئمة ويتهمهم بالخطأ والوهم وعدم التحقق من القراءة وهذا باب خطير لا بد من إغلاقه لأن القراء والرواة نقلوا

---

(١) لحنها غير الزمخشري: الزجاج، انظر: البحر، ٣٠٥/٧، والطبري، في تفسيره، ٤٢٢/١٠، كما ضعفها مكي في الكشف، ٢١٢/٢.

(٢) الفارسي، الحجة، ٣٠٢/٣-٣٠٣.

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر، ٢٦٢/٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣٦٧/٤.

القراءات بمنتهى الدقة واليقظة. ثم إنه لو افترضنا جدلاً أن الراوي نقل خطئاً عن الإمام صاحب القراءة. فهل يعقل أن يبقى هذا الخطأ متداولاً بين القراء والحفظة حتى يأتي الزمخشري بعد مئات السنين ليكتشف ذلك الخطأ ثم يعتذر عن أولئك الرواة، إن الذي ينبغي أن يوصف بعدم الدقة في نقل القراءات في هذا المقام هو الزمخشري لأنه ذكر أن أبا عمرو قرأ (حتى تفي) بغير همز والصحيح أن أبا عمرو قرأ بتسهيل الهمزة الثانية لا بحذف الأولى كما ظن الزمخشري والقراءات في الآية كما يلي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس عن يعقوب (تفيءَ إلى) بتسهيل الهمزة الثانية. وقرأها الباقون بالتحقيق وصلاً، وإذا وقف على (تفي) فلحمزة وهشام حذف الهمزة[١].

أما القراءة بحذف الهمزة فهي شاذة قرأ بها الزهري كما صرح بذلك ابن خالويه في مختصر الشواذ[٢] وأكد ذلك أبو حيان في البحر[٣].

---

(١) انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٣٠٠، والبحر المحيط، ٨/١١١، والقراءات العشر المتواترة، ص٥١٦.

(٢) ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٤٣.

(٣) البحر المحيط، ٨/١١١.

المبحث الخامس

القراءات في ضوء عقيدة الاعتزال عند الزمخشري

عرفنا من قبل أن الأمام الزمخشري من أهل الأعتزال ، وعرفنا كذلك شيئا وان كان مختصرا عن هذه العقيدة ونشأتها وأصولها الخمسة. ولم يقف الزمخشري عند اعتناق هذه العقيدة بل انتقل إلى دعوة الناس إلى اعتناقها ووظف تفسير للقرآن الكريم لبيان وخدمة أصول هذه العقيدة. وكان من شأنه أنه إذا واجه آية من آي القرآن الكريم تصادم مذهبه الاعتزالي أن يسارع إلى تأويلها عن ظاهرها سالكاً في ذلك سبلاً متعددة. منها اللغة ومنها النحو ومنها البلاغة ومنها العقل ومنها القراءات. وهذا المبحث يتناول القراءات التي وظفها الزمخشري لخدمة مذهبه الاعتزالي أو القراءات التي وجهها من منطلق اعتزالي. فإذا واجه الزمخشري آية تصادم مذهب المعتزلة فإنه يبحث لها عن قراءات أخرى تخدم مذهبه حتى لو كانت من الشواذ.

وقد أدرجت هذا المبحث ضمن فصل طعن الزمخشري في القراءات أقول: (أن إخضـــاع الزمخشـــري للقراءات وتفسيرها وفق مذهبه الاعتزالي تشويه لها خاصة إذا دفعـــه ذلك الاعتقاد إلى تقديم قراءة شاذة على قراءة متواترة أو المفاضلة بين القراءات تحت وطأة الهوى الفاسد وهذا بالنتيجة طعن في القراءات القرآنية وزج لها في مسالك كان من الأولى أن نجنبها إياها وأن لا تقحم القراءات في مثل هذه المتاهات.

وقبل أن أذكر نماذج من تفسير الزمخشري تدلل على ما ذهبت إليه أود أن اذكر بالأصول الخمسة عند المعتزلة وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- من ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩].

قال الزمخشري مبيناً المقصود بأولي العلم: "هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد"[١].

وهذه مقدمة لما سيعقبها من توظيف للقراءات المتواترة والشاذة على حد سواء لخدمة هذا المبدأ الاعتزالي فقال غفر الله له: "وقرئ (أنه) بالفتح و(إن الدين) بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه، أو بأنه. وقوله: (إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى، فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدة أن قوله: (لا إله إلا هو) توحيد، وقوله: (قائماً بالقسط) تعديل، فإذا أردفه قوله: (إن الدين عند الله الإسلام) فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازه الرؤية[٢]، أو ذهب إلى الجبر[٣] الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام"[٤].

نلاحظ كيف وظف الزمخشري القراءات لخدمة مبدئه الاعتزالي وغمز مذهب أهل السنة والجماعة بل أخرجهم من الملة والدين ولم يقف عند هذا الحد في توظيف القراءات للانتصار لمعتقده فقد قال بعد ذلك مباشرة متحدثاً عن (أنه) في قوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو...) و(إن): في قوله (إن الدين عند الله الإسلام) "وقرئا مفتوحين على أن الثاني بدل من الأول. كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل هو المبدل منه في المعنى. فكان بياناً صريحاً، لأن دين الله هو التوحيد والعدل، وقرئ الأول

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣٧٣.

(٢) من مستلزمات التوحيد عند المعتزلة نفي رؤية الناس لربهم تعالى يوم القيامة، لذا هم يؤولون آيات الرؤية ويردون الأحاديث في هذا الشأن، انظر: شرح الأصول الخمسة، ص٣٢٨.

(٣) ومن مستلزمات العدل عندهم أن الإنسان هو الخالق لأفعاله تنزيها لله عن خلق الشر من كفر ومعصية فالله تعالى لا يخلق أفعال العباد التي تشتمل على الظلم والجور ثم يحاسبهم عليها لأنه عادل. انظر: شرح الأصول الخمسة، ص٣٨١.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣٧٣/١.

بالكسر، والثاني بالفتح، على أن الفعل واقع على (أن الدين) وما بينهما اعتراض مؤكد. وهذا أيضاً شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك"[1]. ولم يقف الزمخشري في الترويج لمذهبه وعقيدته عند هذا الحد حتى حشد ما يزيد على ثلاث قراءات كلها شاذة ليصل إلى نتيجة أن دين الإسلام هو دين العدل والتوحيد الذي تنادي به المعتزلة.

وفيما يلي القراءات في الآيتين الكريمتين. قراءة (أنه) بالفتح في (شهد الله أنه) عند جميع أصحاب القراءات المتواترة. وقرأ الكسائي (أنَّ الدين) بفتح الهمزة. وقرأ باقي العشرة (إنَّ الدين) بكسر الهمزة[2] هذا ما ذكرته كتب القراءات من قراءات متواترة في الآيتين الكريمتين وما سوى ذلك من القراءات التي ذكرها الزمخشري في تفسير الآية فهي قراءات شاذة منها ما وقفت على مصدرها ومنها ما لم أجد لها أثراً. وهي كما يلي: قراءة (شهد الله إنه) بكسر (إنه) وهي شاذة عن ابن عباس[3]. وقراءة (شهداء الله) بالرفع شاذة قرأ بها أبو الشعثاء وأبو نهيك[4]. وقراءة (شهداءَ لله) بالنصب. شاذة لم أقف عليها في كتب الشواذ. وقراءة عبد الله (أن لا إله إلا هو) ذكرها أبو حيان في البحر المحيط [5]، وقراءة أبي (أن الدين عند الله الإسلام) شاذة ذكرها الفراء في معاني القرآن[6].

---

(١) السابق.

(٢) انظر: ابن مجاهد، السبعة، ص٢٠٢، والداني، التيسير، ص٨٧، ومكي، الكشف، ٣٣٨/١، وابن الجزري، النشر، ١٧٩/٢. والقراءات العشر المتواترة، ص٥٢.

(٣) انظر: شواذ ابن خالويه، ص١٩.

(٤) المصدر السابق وأبو الشعثاء: هو جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدي البصري فقيه مشهور بكنيته متقن للقراءة بارع في العربية توفي سنة (٩٣هـ)، انظر: طبقات ابن سعد ١٧٩/٧ والتقريب ١٢٧/١.

- وأبو نهيك: علباء بن أحمر اليشكري الخراساني من أهل البصرة له حروف من الشواذ، تنسب إليه وقد وثقوه، انظر: الغاية، ٥١٥/١.

(٥) انظر: البحر المحيط ٤٢٤/٢.

(٦) الفراء، معاني القرآن، ١٩٩/١.

هذا فيما يتعلق بالقراءات التي استشهد بها الزمخشري منتصراً لعقيدة الاعتزال(١).. فنجدها كلها شاذة إلا ما كان من قراءة الكسائي بفتح همزة (أن الدين). أما ما يتعلق بقضايا العقيدة فنحن نؤمن بوحدانية الله تعالى وعدله، ونثبت له تعالى من الصفات ما أثبت لنفسه، ولا نجرده من الصفات كما فعلت المعتزلة كما نؤمن بعد له سبحانه وأنه لا يظلم مثقال ذرة كما نرفض الجبر ونعتقد أن مذهب الجبرية باطل لكن في الوقت ذاته نؤمن أن الله تعالى خالق كل شيء كما أخبر هو عن نفسه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

قال ابن المنير معقباً على ما سبق من قول الزمخشري في غمز أهل السنة: "وقد بنى ذلك على مذهب الاعتزال، أما قوله: (من ذهب إلى تشبيه) فإن كان مراده المجسمة المشبهة فهؤلاء أهل باطل. وقد اندثر عامتهم والحمد لله. وأما قوله: (ذهب إلى الجبر) فإن كان مراده الجبرية فهم أيضاً على باطل. وأما قوله: (كإجازة الرؤية) فالزمخشري هو الذي على الباطل، وهو معطل من نفاة الصفات، فأحاديث الرؤية يوم القيامة متواترة، ومنكرها فاسق ضال وكذا الذي يؤولها والصواب من مذهب أهل السنة أنهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تكييف ولا تعطيل ولا تأويل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١](٢).

ورد ابن التمجيد في حاشيته على البيضاوي رداً قاسياً على الزمخشري أذكر جانباً منه. قال رحمه الله: ولقد خاض صاحب الكشاف ههنا في التعصب للاعتزال وزعم أن الآية دالة على أن الإسلام هو العدل والتوحيد وكان ذلك المسكين بعيداً عن معرفة هذه الأشياء إلا أنه فضولي كثير الخوض فيما لا يعرف فزعم أن الآية دالة على

---

(١) رجعت إلى ما ذكره أبو علي الفارسي في كتابه الحجة بوصفه معتزلياً فوجدته يذكر جانباً مما صرح به الزمخشري في مسألة أن الإسلام هو دين العدل والتوحيد على أساس البدلية. لكنه لم يتعرض لأهل السنة كما فعل الزمخشري كما أنه لم يخض في الشواذ. انظر: الحجة، ٢/١٠، ١١.

(٢) ابن المنير، حاشية الانتصاف على الكشاف، ١/٣٧٣.

أن من أجاز الرؤية أو ذهب إلى الجبر لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام والعجب أن أكابر المعتزلة وعظمائهم أفنوا أعمارهم في طلب الدليل على أنه لو كان مرئياً لكان جسماً وما وجدوا فيه سوى الرجوع إلى الشاهد من جامع عقلي قاطع، فهذا المسكين الذي ما شم رائحة العلم من أين وجد ذلك..." (١).

وإن كنت اتفق مع ابن التمجيد في نقد كلام الزمخشري ونقد ما ذهب إليه في توجيه القراءات في الآية الكريمة وتعصبه للاعتزال، إلا أنني أخالفه في مسألة اتهام الزمخشري بالجهل وانعدام العلم وغيره من الكلام القاسي بهذا الاتجاه.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى في المنافقين: **﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** [البقرة:٩].

في هذه الآية يواجه الزمخشري ما يخالف اعتقاده في توحيد الله تعالى عند المعتزلة فهذا الاعتقاد عندهم يقتضي أن لا يشبه الله تعالى خلقه بوجه من الوجوه فتراهم ينفون عنه الصفات التي يلمح من ظاهرها مشابهة الله تعالى لمخلوقاته ومنها قوله تعالى: (يخادعون) لأن المخادعة من المفاعلة التي تقتضي المشاركة وصدور الفعل من الجانبين وهنا وقعت المفاعلة بين الله تعالى والمنافقين.

كما أن هذه الآية تصتدم بعقيدة العدل عند المعتزلة، فالعدل عندهم يقتضي أن لا يفعل الله تعالى القبيح(٢). والخداع في ظاهره فعل قبيح.

قال الزمخشري في بيان معنى الخداع: "الخدع: أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم: ضب خادع، إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر"(٣).

وأجاب الزمخشري عن القضية الأولى بأكثر من جواب أهمها:

---

(١) حاشية ابن التمجيد في ذيل حاشية القونوي، ٦/٦٥، ٦٦.

(٢) انظر: الملل والنحل، ١/٣٨، وشرح الأصول الخمسة، ص٣٢٨- ٣٣٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ١/٩٥.

الأول: أن هذا الخداع ليس على الحقيقة والثاني أنه ذكر الله تعالى وأراد رسول الله ﷺ ومصداقه عنده قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]. والثالث: أن يكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله[١].

وأجاب عن مسألة المشاركة والمفاعلة بقوله:

"فإن قلت: هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح؟ قلت: وجهه أن يقال: عنى به (فعلت) إلا أنه أخرج في زنة (فاعلت) لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة، والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه[٢]. ويعضده قراءة من قرأ: (يخدعون الله) وهو أبو حيوة[٣]".

فالزمخشري في هذا الموضع يستدل بقراءة شاذة لصرف معنى قراءة متواترة عن ظاهرها تمشياً مع عقيدة الاعتزال التي يدين بها ولم يكفه ذلك حتى سلك مسالك شتى لصرف معنى هذه القراءة المتواترة (يخادعون) التي خالفت اعتقاده ومذهبه.

يقول ابن المنير: "هذا الفصل من كلام الزمخشري جمع فيه بين الغث والسمين... فما خالف فيه السنة: اعتقاده أن في الكائنات ما ليس مخلوقاً لله تعالى، لأنه قبيح على زعمه كالمفهوم من الخداع في الآية، ونحن معاشر أهل السنة نمنع أن ينسب الخداع إلى الله تعالى لما يوهم ظاهره من أنه إنما يكون عن عجز عن المكافحة وإظهار المكتوم، هذا هو المتوهم منه في الإطلاق، ولكن حيث أطلقه الله تعالى مقابلاً لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلاً سماه

---

(١) انظر: الكشاف، ٩٦،٩٧/١. وهذه الأقوال كلها عند أبي علي الفارسي، انظر: الحجة ٢٠١/١-٢٠٢.

(٢) هذا المعنى ذكره أبو علي في الحجة أيضاً فقال: ووجهه أن ينزل ما يخطر بباله ويهجس في نفسه من الخدع منزلة آخر يجازيه ذلك ويقاوضه إياه فعلى هذا يكون الفعل كأنه من اثنين فيلزم أن يقول (فاعل). وإن لم يكن الفعل إلا من واحد. الحجة ٢٠٢/١-٢٠٣.

(٣) قراءة شاذة ذكرها ابو حيان في البحر ١٨١/١.

خداعاً مقابلة ومشاكلة، وإلا فهو سبحانه قادر على هتك سترهم وإنزال العذاب بهم رأي العين، فهذا معتقد أهل السنة"[1].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ [البقرة:٤٨].

قال الزمخشري: "وقرأ قتاده: (ولا يَقْبَلُ منها شفاعة) [2] على بناء الفعل للفاعل وهو الله عزّوجل، ونصب الشفاعة... فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم، لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك. ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة"[3].

فالزمخشري في هذه الآية يستدل على نفي الشفاعة عن العصاة من المؤمنين وهذا المعنى ينسجم مع أصل من أصول المعتزلة هو الوعد والوعيد. فالوعد لمن آمن وعمل صالحاً والوعيد لمن عصى الله تعالى ولو كان مؤمناً. وهذا المعنى استفاده من الآية الكريمة على القراءة المتواترة ومع ذلك وجدناه يحشد القراءات الشاذة التي تؤيد هذا المعنى. فذكر قراءة قتادة (ولا يَقْبَلُ) على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى. وذكر قراءة من قرأ (لا تجزئ) [4] من أجزأ عنه إذا أغنى عنه وذكر كذلك قراءة شاذة ثالثة هي: (لا تجزي نسمة عن نسمة شيئاً)[5] وكل القراءات بنظره تصب في معنى نفي الشفاعة للعصاة.

وأهل السنة يعتقدون أن شفاعة الأنبياء والصالحين تقبل في العصاة من المسلمين، خلافاً للمعتزلة الذين يرون أن صاحب الكبيرة من المسلمين في منزلة بين

---

(١) ابن المنير، حاشية الانتصاف، ٩٥/١.

(٢) قراءة شاذة، انظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٥.

(٣) الكشاف، ١٦٥/١.

(٤) هي قراءة شاذة لأبي السمال. انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص٥.

(٥) شاذة كذلك، انظر: السابق.

الإيمان والكفر وهو خالد في جهنم ولا تقبل فيه الشفاعة لكن عذابه دون عذاب الكافر في جهنم أعاذنا الله تعالى جميعاً منها[1].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة:٢١٢].

قال الزمخشري: المزين هو الشيطان، زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يرون غيرها.

فسر الزمخشري هذه الآية على القراءة المتواترة حسب قاعدة العدل عند المعتزلة فلم يسند تزيين الدنيا إلى الله تعالى تنزيهاً لله تعالى عن إرادة الضلال لعباده فالله تعالى يترك الخيار والإيجاد لأفعال الناس لحريتهم واختيارهم فإذا أسند التزيين إلى الله تعالى يكون ذلك من باب التدخل في اختياراتهم واضلالهم فلا يكون عدلاً ولما كانت هناك قراءة شاذة تتعارض مع اعتقاد الزمخشري المعتزلي وحتى لا تكون حجة عليه لأنها بُني فيها الفعل على الفاعل بإسناد التزيين إلى الله تعالى جاء بها الزمخشري وفسرها على إضافة التزيين إلى الله تعالى مجازاً لا حقيقة، فقال غفر الله له: "ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين له تزييناً. ويدل عليه قراءة من قرأ: (زَيَّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا) [2] على البناء للفاعل"[3].

قال ابن المنير معقباً على صنيع الزمخشري: "وردت إضافة التزيين إلى الله تعالى وإضافته إلى غيره في مواضع من الكتاب العزيز، وهذه الآية تحتمل الوجهين، لكن الإضافة إلى قدرة الله تعالى حقيقة والإضافة إلى غيره مجاز على قواعد أهل السنة، والزمخشري يعمل عكس هذا، فإن أضاف لله فعلاً من أفعاله إلى قدرته جعله

---

(١) انظر: ابن المنير، حاشية الانتصاف، ١٦٥/١، وانظر: البحر المحيط، ٣٤٩/١.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى مجاهد في كتب الشواذ، انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٣.

(٣) الكشاف، ٢٨٢/١.

مجازاً وإن أضافه إلى بعض مخلوقاته جعله حقيقة. وسبب هذا وهو التعكيس باتباع الهوى في القواعد الفاسدة"(١). يقصد قواعد المعتزلة وأصولهم.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤].

هذه الآية من الآيات التي تصادم عقيدة الاعتزال في قضية صفات الله تعالى وتوحيده، لأن المعتزلة يرون أن كلام الله تعالى مخلوق محدث لأنه لا يناسب قدم الله تعالى فلو قلنا على زعمهم هو قديم لتعدد القديم وهذا شرك. فالقرآن على زعمهم أيضاً مخلوق محدث(٢) وهم ينفون عن الله مشابهته لخلقه بوجه من الوجوه فكيف يدور كلام بينه وبين موسى عليه السلام وهم ينكرون ذلك ويرون أن الذي تكلم هو موسى لذلك لما جاء الزمخشري يفسر الآية التي بين أيدينا لم يفسرها على القراءة المتواترة إنما ذكر قراءة شاذة فهم منها أنه يفسر الآية بها ويتبنى هذا التفسير وهو قوله: "وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب: أنهما قرا (وكلَّم اللهَ) بالنصب"(٣).

وبعد ذلك ذكر الزمخشري تفسيراً شاذاً لبعض المعتزلة وأنكره ورفضه قائلاً: (ومن بدع التفاسير أنه من الكَلْم، وان معناه وجرّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن"(٤).

فالزمخشري قدم القول الذي ارتضاه ولم يعقب عليه دليل تبنيه له. وأخر القول الذي أنكره وعقب عليه بما دل على إنكاره له. ولم يذكر غير هذين القولين في تفسير الآية الكريمة. والقول الذي ارتضاه هو قراءة شاذة تبين أن الذي تكلم هو موسى عليه السلام وبذلك تنفي هذه القراءة نسبة الكلام إلى الله تعالى وهذا يتناسب مع عقيدة الاعتزال لذا

---

(١) الكشاف، هامش صفحة ٢٨٢/١، وهامش صفحة ٣٧٠/١.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص٥٨٢. وقد شرح هذه المسألة باستفاضة وحققها أستاذنا الدكتور إبراهيم خليفة في كتابه منة المنان في علوم القرآن، المجلد الأول، ص٢٣٥- ٢٥٩.

(٣) الكشاف، ٦٢٤/١، والقراءة التي ذكرها شاذة. انظر: ابن خالويه، ص٣٠.

(٤) الكشاف، ٣٢٤/١.

قدمه الزمخشري. وبهذا يفر الزمخشري من الآية التي تصادم مذهبه بتمسكه بقراءة شاذة وتفسير المتواترة بها[1].

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨].

هذه الآية أيضاً معناها يصادم اعتقاد المعتزلة في خلق أفعال العباد وتنزيه الله تعالى عن اضلال الناس أو إرادة الضلال لهم. فسلك الزمخشري طريق التأويل فراراً من المواجهة فقال: (من أغلفنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان. أو وجدناه غافلاً عنه كقولك: أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك"[2].

ثم جاء بقراءة شاذة أسند فيها الفعل إلى القلب فقال: "وقرئ (أغفَلَنَا قلبُه)[3] بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حَسِبَنَا قلبُه غافلين، من أغفلته إذا وجدته غافلاً"[4].

وبهذه القراءة الشاذة يفر الزمخشري من إسناد خلق الغفلة في القلب إلى الله تعالى بإسناده الفعل إلى القلب.

قال ابن المنير: "هو يشمر للهرب من الحق. وهو أن المراد خلقنا له، وجدير به أن يشمر في اتباع هواه، فإن محل (أغفل) على بابه صرفه إلى الخذلان... وأهل السنة يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقاً له، وإلى العبد من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره ولا تنافي بين الإضافتين"[5].

---

(١) ولذلك وجدناه في آية مشابهة في قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه...) [الأعراف: ١٤٣]. يلجأ إلى التصريح بمعتقده فقال في تفسيرها: "وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح". الكشاف، ١٤٣/٢. فالزمخشري هنا لم يعثر على قراءة يفسر بها آية الأعراف وفق اعتقاده كما فعل في آية النساء.

(٢) الكشاف، ٦٧١/٢.

(٣) القراءة (أغفَلَنَا قلبُه) بفتح اللام وضم الباء، شاذة قرأ بها عمرو بن فائد. انظر: ابن خالويه مختصر في الشواذ، ص٧٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٦٧١/٢.

(٥) السابق، هامش صفحة، ٦٧١/٢.

- ومن ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

هذه الآية أجمعت القراء فيها على قراءة (كلَّ شيءٍ) بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده وهو قوله خلقناه. ومعنى الآية على هذه القراءة أن كل شيء في هذا الكون مخلوق لله تعالى بقدره لأن (خلقناه) على هذه القراءة هي الخبر فأخبرت أن كل شيء مخلوق لله تعالى. ولما كان هذا المعنى يصادم أصلاً من أصول عقيدة الاعتزال. وهو العدل لأن الله تعالى لا يخلق الشر ولا اراده ولم يخلق أفعال العباد لما فيها من المعاصي والقبح. لجأ الزمخشري إلى قراءة شاذة فقال: "وقرئ (كلُّ شيء)[١] بالرفع"[٢].

فأفادت قراءة الرفع هذه التي ذكرها الزمخشري أن الأشياء تنقسم إلى قسمين قسم خلقه الله فهو بتقديره وإرادته وقسم يخلقه الناس، لم يقدره الله تعالى ولا يريده. وذلك بجعل الكلام جملة واحدة فيكون (كلُّ شيءٍ) مبتدأ و(خلقناه) نعت لشيء و(بقدر) خبر للمبتدأ فيكون المعنى حينئذٍ أن كل شيء مخلوق لله بقدر وما هو مخلوق لغير الله ليس بقدر.

قال ابن المنير: "اعلم أنه إنما عدل عن الرفع إجماعاً لسر لطيف يعين اختيار النصب: وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التي هي (خلقناه) صفة لشيء. ورفع قوله (بقدر) خبراً عن كل شيء المقيد بالصفة، ويحصل الكلام على تقدير: إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر فأفهم ذلك أن مخلوقاً ما يضاف إلى غير الله تعالى ليس بقدر، وعلى النصب يصير الكلام: إنا خلقنا كل شيء بقدر[٣]، فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى، فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللفظية على قراءة الرفع مع ما في الرفع من نقصان المعنى ومع ما في هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تاماً واضحاً

---

(١) قراءة شاذة قرأ بها أبو السمال، انظر: ابن خالويه، مختصر في الشواذ، ص١٤٨.

(٢) الكشاف، ٤/٤٤١.

(٣) أي وقع فعل الخلق على (كل شيء) فأفاد نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى.

كفلق الصبح لا جرم أجمعوا[1] على العدول عن الرفع إلى النصب، لكن الزمخشري لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات إلى مخلوق لله ومخلوق لغير الله. وقام إجماع القراء حجة عليه أخذ يستروح إلى الشقاء وينقل قراءتها بالرفع"[2].

لاحظنا كيف لجأ الزمخشري إلى القراءات لتمرير معتقده في مواجهة الاعتقاد الصحيح الذي دلت عليه القراءات المتواترة وإجماع القراء لكن كل هذا لم يثنه عن الاستعانة بالشواذ لتحقيق مآربه.

ووجدت في حاشية ابن التمجيد وغيره[3] أن القراءة الشاذة بالرفع تحقق المعنى المقصود عند أهل السنة كقراءة النصب إذا قلنا: (كلٌ شيء) مبتدأ و(خلقناه) خبره و(بقدر) منصوب على الحالية. فعلى هذا الإعراب تفيد قراءة الرفع المقصود ويطابق المعنى الذي أفادته قراءة النصب[4]. لكن القراءة بالنصب هي المقدمة لأنها متواترة بل أجمع القراءة كلهم على القراءة بها، ولأنها نص في المقصود وتؤيدها الشاذة.

- ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾ [الإنسان:٣].

قال الزمخشري: "وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في (أما) [5]. وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكراً فبتوفيقنا وأما كفوراً فبسوء اختياره"[6].

وواضح أن استحسان الزمخشري لهذه القراءة الشاذة بسبب موافقتها لمذهب الاعتزال في خلق أفعال العباد وتنزيه الله تعالى عن خلق القبيح.

---

(١) يقصد القراء العشرة.

(٢) ابن المنير، حاشية الانتصاف على الكشاف، ٤/٤٤٠، ٤٤١.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود، ٦/١٧١، الألوسي، روح المعاني، ٢٧/١٣٣.

(٤) انظر: حاشية ابن التمجيد، في ذيل حاشية القونوني، ١٨/٣٣٩، ٣٤٠.

(٥) وهي قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في الشواذ، انظر: ص١٦٦.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ٤/٦٦٧.

قال ابن المنير: "واستحسانه لقراءة أبي السمال لتخيله أن في التقسيم إشعاراً بغرضه الفاسد، وليس كذلك؛ فإن التقسيم يحتمل الجزاء أما شاكراً فمثاب وأما كفوراً فمعاقب ويرشد إليه ذكر جزاء الفريقين بعد"[(١)].

وجاء في حاشية ابن التمجيد على البيضاوي بعد أن ذكر استحسان الزمخشري لقراءة أبي السمال، "هذا بناء على مذهبه" يقصد مذهب الاعتزال الذي يدين به الزمخشري ثم نقل أن هذه القراءة تقوي تأويل أهل السنة والجماعة[(٢)].

وقال الآلوسي: "وهذا التقدير إبراز منه للمذهب"[(٣)].

هذا هو نهج الزمخشري إذا واجه قراءة تصادم مذهبه الاعتزالي فإنه يسارع إلى تأويلها وصرفها عن ظاهرها أو تقديم قراءة أخرى عليها توافق مذهبه حتى لو كانت من الشواذ، ولا شك أن الدافع وراء كل ذلك الهوى والتعصب المذهبي.

---

(١) حاشية الانتصاف على الكشاف، ٦٦٧/٤.

(٢) انظر: حاشية ابن التمجيد في ذيل حاشية القونوي، ٤٧٥/١٩.

(٣) الآلوسي، روح المعاني، ٢٣٧/٢٩.

النتائج

بعـد هذا التطواف بين صفحات كشاف الزمخشري والتنقيب عن الدرر النفائس فيما دبجته يراعه في باب القراءات المتواترة استشهاداً واحتجاجاً وتوجيهاً توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات لم تكن في ذهني قبل هذه الدراسة ولا أعدو الحقيقة إن قلت إن عكسها ما كان في ذهني أو على الأقل عكس بعضها.

١- شكلت القراءات في تفسير الزمخشري جانباً مهماً فلا تكاد صفحة من تفسيره تخلو من ذكر القراءات مما يعني اهتمام الزمخشري بهذا اللون من ألوان علوم القرآن الخادمة للتفسير وعنايته به، بل إنه كان يعقد فصولاً مطولة يتحدث فيها عن القراءات وضبطها وكيفية أدائها وتوجيهها.

٢- إثبات أن الزمخشري فسر القرآن على قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري خلافاً لمعظم المفسرين الذين اختاروا قراءة عاصم برواية حفص.

٣- وظف الزمخشري مختلف العلوم التي برع فيها في اللغة والنحو والبلاغة في توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج لها والكشف عن ثراء النص القرآني وتعدد معانيه بتعدد القراءات في بعض الآيات ولا يخفى مدى تعلق كل ذلك بإعجاز القرآن الكريم.

٤- اهتم الزمخشري برسم المصحف وكان يرى أن هذا الرسم له قدسية كبيرة ومتابعته واجبه مع أن الرسم خالف أحياناً قواعد الرسم في العربية.

٥- الأحكام التي أطلقها بعض العلماء على الزمخشري بالجهل بالقراءات وأنه يرى أنها تؤخذ بالاجتهاد وليست روايات متواترة. أقول مثل هذه الأحكام من المتقدمين والمتأخرين كان يعوزها الكثير من الدقة والتريث، والتحقق مما كتبه الزمخشري فيما يتعلق بالقراءات بشكل استقرائي، لا أن تؤخذ بعض النماذج من تفسيره ثم

يحكـــم على الرجل من خلالها دون النظر في كلامه في مواضع أخرى من تفسيره. صـــحيح أنـــه طعنَ في بعض القراءات ولحن بعضها لكن هذا لا يعني أنه يرى أن القراءات تؤخذ بالاجتهاد، هذا من جهة كما لا ينفي وجود الفوائد الجمة العظيمة في توجيهه للكثير من القراءات في تفسيره من جهة أخرى، فطالما قال لنا بعض العلماء لا تأخذوا القراءات من الكشاف.

٦- طعن الزمخشري وتلحينه بعض القراءات المتواترة ناتج عن دوافع مختلفة منها ما يرجع إلى تعصبه لمذهب البصريين في النحو ومهاجمة سواه. ومنها ما يرجع إلى لغـات القـبائل العربية ولهجاتها واختلافها في الفشو والانتشار وعدمه فكان يفضل القراءة التي جاءت على اللغة الأفشى والأكثر انتشاراً ويضعف الأخرى إلى درجة أنـــه اتهـــم رواة القـــراءات بالخطا في النقل أو الجهل في قواعد العربية. ومنها ما يـــرجع إلـــى تعصبه لمذهب الاعتزال في العقيدة الذي يتبناه ويدعو إليه وحاول أن يوظف القراءات في الانتصار لعقيدة الاعتزال من عقيدة أهل السنة الأمر الذي دفعه إلـــى تضـــعيف بعض القراءات المتواترة التي خالفت أصول عقيدة المعتزلة وتقديم قـــراءات شـــاذة عليها وافق ظاهرها عقيدته، فقمت بجمع هذه النماذج من تفسيره وبينـــت وجه الحق فيها مستنداً إلى الكتاب والسنة وكلام العرب شعراً ونثراً وأقوال العلماء في ذلك كله.

التوصيات:

١. انطلاقـــاً من أهمية القراءات في تفسير القرآن الكريم والكشف عن ثروته وغزارة معانـــيه وبـــيان اعجازه، يرى الباحث أن توجه الجهود بهذا الاتجاه سعياً إلى تجليه المعاني القرآنية ليفيد منها الناس في حياتهم ومعادهم.

٢. مـــن خلال دراستي لأحد جانبي القراءات عند فارس النحو واللغة والبيان وإدراكاً لأهمية هذا التفسير وخطورة ما أودعه الزمخشري فيه من درر ونفائس تعد الأساس لمـــا يمكـــن أن يبـــنى عليه فإنني أوصي بدراسة الجانب الثاني من القراءات وهو القراءات الشاذة في تفسير الزمخشري لأنها شكلت الجزء الأكبر من حجم القراءات فـــي تفسيره ولا تخفى أهمية القراءات الشاذة في تفسير النص القرآني وبيان معانيه لا ســـيما أن هـــذه الشواذ قرأ بها اصحاب النبي ﷺ قبل فشو اللحن والخطأ في اللغة ووظفوهـــا في تفسير آي القرآن الكريم وفهم معانيه وبيان إعجازه وعلى هذا النهج سار العلماء من بعدهم ومنهم الإمام الزمخشري في تفسيره الكشاف.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الآلوسي، محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق محمد الأمد وعمر السلامي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢. ابن الأثير، علي بن محمد، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بيروت-لبنان، دار المعرفة، (د.ت).

٣. ـــــــ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق خليل مأمون، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤. ـــــــ، **اللباب في تهذيب الأنساب**، بيروت - لبنان، دار المعرفة، (د.ت).

٥. المبارك بن محمد ، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود الطناجي، بيروت - لبنان، دار المعرفة، (د.ت).

٦. ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة - مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ-١٩٣٨م.

٧. أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨. أحمد، محمود كامل، **مفهوم العدل في تفسير المعتزلة للقرآن**، بيروت - لبنان، دار النهضة العربية، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩. الأخفش، سعيد بن مسعدة، **معاني القرآن**، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط١، سنة ١٩٧٥ م.

١٠. الأزهري، أبو منصور، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة - مصر، الدار المصرية للتأليف، (د.ت).

١١. إسماعيل، شعبان، **القراءات أحكامها ومصدرها**، بيروت - لبنان، دار السلام للطباعة، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٢. إسماعيل، نبيل محمد، **علم القراءات نشأته وأطواره وأثره في العلوم الشرعية**، الرياض، مكتبة التوبة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٣. الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد الكيلاني، بيروت - لبنان، دار المعرفة، (د.ت).

١٤. الأصفهاني، عمادالدين، **تاريخ دولة آل سلجوق**، بيروت - لبنان، دار الجيل.

١٥. الأفغاني، سعيد، **في أصول النحو**، بيروت - لبنان، دار المعرفة، سنة ١٩٨١م.

١٦. ابـن الأنـباري، كمـال الدين، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، القاهرة - مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط٤، ١٩٦١م.

١٧. ــــــــــ، **البيان في غريب إعراب القرآن**، تحقيق طه عبدالحميد، القاهرة - مصر، الهيئة المصرية العامة، سنة ١٩٦٩م.

١٨. ــــــــ، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة - مصر، دار النهضة، (د.ت).

١٩. الأنصـاري، ابـن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، القاهرة - مصر، مكتبة النصر، ط٥، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

٢٠. ــــــــــ، **قطـر الندى وبل الصدى**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، طبعة ١٩٨٤م.

٢١. أنـيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، القاهرة - مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٥م.

٢٢. ابن الباذش، أبو جعفر، **الإقناع في القراءات السبع**، تحقيق عبدالمجيد قطامش، دمشق - سوريا، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٣. بـازمول، محمـد، **القـراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، الرياض - السعودية، دار الهجرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٤. الباقلانـي، أبـو بكـر، **إعجـاز القـرآن**، بـيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق طه سعد، القاهرة - مصر، مكتبة الإيمان، طبعة جديدة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٦. الـبغدادي، إسـماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، بغداد - العراق، دار العلوم الحديثة، طبعة ١٩٨١م.

٢٧. بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، بيروت - لبنان، دار الجيل، (د.ت).

٢٨. البـياع، خالديـة محمود، **الهمزة في اللغة العربية**، بيروت - لبنان، دار الهلال، ط١، ١٩٩٥م.

٢٩. البيضـاوي، عبدالله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٠. البيلي، أحمد، **الاختلاف بين القراءات**، الخرطوم - السودان، الدار السودانية للكتب، ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣١. الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الصحيح**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، طبعة ١٩٨٤م.

٣٢. ابن التمجيد، مصطفى بن إبراهيم، **حاشية على تفسير البيضاوي**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، في ذيل حاشية القونوي.

٣٣. الجبوري، مي، **القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث**، بغداد - العراق، دار الشؤون الثقافية، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٤. الجرجاني، عبدالقاهر، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق وعناية محمد رشيد رضا، القاهرة - مصر، دار المطبوعات العربية، (د.ت).

٣٥. ـــــــ، **دلائل الإعجاز**، علق عليه محمد التنجي، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣٦. الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.

٣٧. ابن الجزري، محمد بن محمد، **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣٨. ـــــــ، **التمهيد في علم التجويد**، تحقيق علي البواب، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٩. ـــــــ، **غاية النهاية في طبقات القراء**، عني بنشره ج براجستراسر، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٠. ـــــــ، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤١. ـــــــ، **النشر في القراءات العشر**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٢. الجعبري، إبراهيم بن عمر، **كنز المعاني في شرح حرز الأماني**، بيروت - لبنان، دار الجيل.

٤٣. جعفر، عبدالغفور محمود، **القرآن والقراءات والأحرف السبعة**، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار النشر مجهولة.

٤٤. الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، اعتنى بنشره، مطبعة المدني بمصر، (د.ت).

٤٥. ابن جني، عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٥٢م.

٤٦. ـــــــ، **المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة**، تحقيق عبدالحليم النجار، القاهرة - مصر، دار النشر مجهولة.

٤٧. ابن الجوزي، عبدالرحمن، **صفة الصفوة**، تحقيق إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٨. جولــدز يهمر، أجنتس، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة عبدالحليم النجار، بيروت - لبنان، دار اقرأ، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٩. الجوهــري، إســماعيل بــن حماد، الصحاح: **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد العطار، القاهرة - مصر، مطابع دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٥٦م.

٥٠. الجويني، مصطفى الصاوي، **قراءة في تراث الزمخشري**، الإسكندرية - مصر، منشأة المعارف، ط١، (د.ت).

٥١. ـــــــ، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**، القاهرة - مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٩م.

٥٢. الحــاكم، أبــو عــبدالله، **المستدرك على الصحيحين**، بيروت - لبنان، دار الفكر، طبعة ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.

٥٣. حبش، محمد، **القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية**، بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٤. ابــن حجــر، العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥٥. ـــــــ، **تهذيب التهذيب**، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٥٦. ـــــــ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق عبدالوارث محمد، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٧. ـــــــ، **لسان الميزان**، تحقيق محمد المرعشلي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥.

٥٨. الحلبي، السمين، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق أحمد الخراط، دمشق - سوريا، دار القلم، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٩م.

٥٩. ـــــــ، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق محمد التونجي، بيروت - لبنان، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٠. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، تحقيق عمر فاروق، بيروت - لبنان، مؤسسة المعارف، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٦١. ـــــــ، **معجم البلدان**، بيروت - لبنان، دار صادر، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦٢. حمـودة، عبدالوهاب، **اللهجات والقراءات**، الإسكندرية - مصر، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٩٥م.
٦٣. الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق مصطفى عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٦٤. أبـو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.
٦٥. ــــــــ، **الـنهر الماد من البحر المحيط**، تحقيق عمر الأسعد، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٦٦. ابـن خالويــه، الحسين بن أحمد، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق عبدالعال مكرم، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٦٧. ـــــــــ، **مختصـر فـي شواذ القرآن**، عني بنشره ج برجشتراسر، دار الهجرة، (د.ت).
٦٨. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **المقدمة**، تحقيق تركي فرحان، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٤م.
٦٩. ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت - لبنان، دار الثقافة، (د.ت).
٧٠. الداني، أبو عمرو، **التيسير في القراءات السبع**، عناية المستشرق أوتوبرتزل، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
٧١. ــــ، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، دمشق - سوريا، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٧٢. الـداودي، محمد بن علي، **طبقات المفسرين**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٧٣. دراز، محمـد عبدالله، **النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن**، الكويت، دار القلم، ط٣، ١٩٨٨م.
٧٤. دمشـقية، عفـيف، **أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي**، طرابلس - لبنان، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٧٨م.
٧٥. الدمياطي، أحمد البنا، **اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، تحقيق أنس مهرة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٧٦. الذهبـي، شـمس الدين، **تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام**، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٧٧. ــــــ، **تذكرة الحفاظ**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨١م.

٧٨. ــــــ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ورفاقه بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤١٦هـ-١٩٦م.

٧٩. ــــــ، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٨٠. الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، القاهرة - مصر، دار النشر مجهولة، ط٢، ١٩٧٦م.

٨١. الراجحي، عبده، **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، القاهرة - مصر، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٩٨م.

٨٢. الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م.

٨٣. الرازي، محمد بن عمر، **التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨٤. الرماني، والخطابي، والجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، القاهرة - مصر، دار المعارف، ط٤، (د.ت).

٨٥. الزجاج، أبو إسحاق، **معاني القرآن**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٧٨م.

٨٦. الزرقاني، محمد عبدالعظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٧. الزركشي، بدرالدين، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت - لبنان، دار الجيل، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٨. الزركلي، خيرالدين، **الإعلام، قاموس تراجم**، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٤م.

٨٩. الزمخشري، محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، بيروت - لبنان، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٩٠. ــــــ، **الأنموذج في النحو**، شرح جمال الدين الأردبيلي، بيروت - لبنان، دار الجيل.

٩١. ــــــ، **ربيع الأبرار**، بيروت - لبنان، دار المعرفة، طبعة ١٩٩٤م.

٩٢. ــــــ، **الفائق في غريب الحديث**، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، (د.ت).

٩٣. ـــــــــــ، **الكشــاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبدالرزاق المهدي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٩٤. ـــــــــــ، **المفرد والمؤلف في النحو**، تحقيق بهيجة الحسني، بغداد - العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
٩٥. ـــــــــــ، **المفصل في علم العربية**، تحقيق سعيد عقيل، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط١، ٣-٢هـ.
٩٦. ـــــــــــ، **مقامات الزمخشري**، بيروت - لبنان، دار المعرفة، (د.ت).
٩٧. ابن زنجلة، أبو زرعة، **حجة القراءات**، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٩٨. زيدان، جرجي، **تاريخ آداب العربية**، بيروت - لبنان، دار الجيل، ١٩٨٥م.
٩٩. الســامرائي، فاضــل صــالح، **الدراســات النحوية واللغوية عند الزمخشري**، بغداد - العراق، دار النذير للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
١٠٠. السجستاني، أبو داود، **السنن**، بيروت - لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٠١. ابن أبي داود، **كتاب المصاحف**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٠٢. سري، حسن، **الرسم العثماني للمصحف الشريف مدخل ودراسة**، الإسكندرية - مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
١٠٣. أبــو الســعود، **إرشــاد العقــل الســليم إلــى مزايا الكتاب الكريم**، تحقيق عبداللطيف عبدالرحمن، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٠٤. الســكاكي، يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، بيروت - لبنان، المكتبة العلمية الجديدة، (د.ت).
١٠٥. ابــن السلار، عبدالوهاب، **طبقات القراء السبعة**، تحقيق أحمد عزوز، بيروت - لبنان، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٠٦. الســمعاني، عــبدالكريم بــن محمد، **كتاب الأنساب**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٠٧. السندي، عبدالقيوم، **صفحات في علوم القراءات**، مكة المكرمة، المكتبة الإمدادية، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٠٨. سـيبويه، عمـرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت - لبنان، دار القلم، (د.ت).

١٠٩. ابـن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تحقيق محمد علي النجار، دار الفكر، ١٩٧٣م.

١١٠. السـيرافي، أبو سعيد، **مـا ذكره الكوفيون من الإدغام**، تحقيق صبيح التميمي، جدة - السعودية، دار البيان للنشر، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١١. السـيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمود قيسية، أبو ظبي - الإمارات، مؤسسة النداء، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١٢. ـــــــ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة - مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت).

١١٣. ـــــــ، **طبقات المفسرين**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٧م.

١١٤. ـــــــ، **المزهـر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد جاد المولى وأبي الفضل إبراهيم، صيدا - لبنان، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٨٦م.

١١٥. الشـاطبي، القاسم بن فيره، **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تحقيق علي الضباع، القاهرة - مصر، مطبعة البابي الحلبي، سنة ١٣٥٥هـ-١٩٣٧م.

١١٦. الشافعي، محمد بن إدريس، **أحكام القرآن**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م.

١١٧. أبـو شامه، عبدالرحمن بن إسماعيل، **إبراز المعاني من حرز الأماني**، تحقيق إبراهيم عطوة، القاهرة - مصر، مطبعة البابي الحلبي، (د.ت).

١١٨. ـــــــ، **المرشـد الوجـيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، تحقيق طيار قولاج، بيروت - لبنان، دار صادر، ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١١٩. شاهين، عبدالصبور، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، القاهرة - مصر، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٦م.

١٢٠. شـكري، أحمـد، **قراءة الإمام نافع من روايتي قالون وورش**، عمان - الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢١. شكري والقضاة ومنصور، **مقدمات في علم القراءات**، عمان - الأردن، دار عمار، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢٢. شلبي، عبدالفتاح، **رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين دوافعها ودفعها**، جدة - السعودية، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٢٣. ـــــــ، **فـــي الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات العربية**، القاهرة - مصر، مكتبة النهضة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٢٤. ـــــــ، **المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد**، القاهرة - مصر، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٢٥. الشـــنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٨م.

١٢٦. الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد، **عناية القاضي وكفاية الراضي**، حاشية على تفسير البيضاوي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٢٧. أبـــو شـــهبة، محمـــد، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، القاهرة - مصر، مكتبة السنة، ١٤١٤هـ-١٩٩٢م.

١٢٨. الصفاقسي، علي نوري، **غيث النفع في القراءات السبع**، تحقيق محمد شاهين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٢٩. الضـــباع، علي، **الإضاءة في بيان أصول القراءة**، القاهرة - مصر، مطبعة عبدالحميد حنفي، (د.ت).

١٣٠. ضيف، عبدالستار، **جـــارالله الزمخشري حياته وشعره**، القاهرة - مصر، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٤م.

١٣١. طـــاش كـــبرى زادة، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، تحقيق كامل بكري، القاهرة - مصر، دار الكتب الحديثة، ١٤٠٥هـ.

١٣٢. الطـــبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأوي آي القرآن**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٣٣. الطـــبري، أبـــو معشـــر، **التلخيص في القراءات الثمان**، تحقيق محمد عقيل، جدة - السعودية، راسم للدعاية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٣٤. الطحـــان، إســـماعيل أحمد، **من قضايا القرآن: الأحرف السبعة والرسم والقراءات**، القاهرة - مصر، دار التقوى، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٣٥. الطعـــان، هاشم، **الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة**، بغداد- العراق، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م.

١٣٦. ابـــن عاشـــور، الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٣٧. عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني**، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٣٨. ـــــ، **لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن**، بيروت - لبنان، دار النور للنشر، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١٣٩. عبدالباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٤٠. عبدالتواب، رمضان، **مشكلة الهمزة العربية**، القاهرة - مصر، ١٩٩٢م.

١٤١. عبدالرحيم، عبدالجليل، **لغة القرآن الكريم**، عمان - الأردن، مكتبة الرسالة الحديثة، ط ١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٤٢. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تحقيق فؤاد سزكين، القاهرة - مصر، مكتبة الخانجي، (د.ت).

١٤٣. ابن العربي، محمد بن عبدالله، **أحكام القرآن**، بيروت - لبنان، منشورات دار الفكر، (د.ت).

١٤٤. ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المملكة المغربية، طبعة سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٤٥. ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت - لبنان، دار الخير، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٤٦. العكبري، أبو البقاء، **إعراب القراءات الشواذ**، تحقيق زهدي زاهد، بغداد - العراق، مطبعة العاني، (د.ت).

١٤٧. ـــــ، **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٤٨. عمارة، محمد، **المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية**، بيروت - لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٢م.

١٤٩. غزلان، عبدالوهاب، **البيان في مباحث علوم القرآن**، القاهرة - مصر، دار التأليف، (د.ت).

١٥٠. ابن غلبون، **التذكرة في القراءات الثمان**، تحقيق أيمن سويد، جدة - السعودية، دار راسم للدعاية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٥١. ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة - مصر، الدار الإسلامية للنشر، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٥٢. الفارسـي، أبـو علي، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق كامل الهنداوي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٥٣. الفراء، أبو زكريا، **معانـي القرآن**، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النجار، بيروت - لبنان، دار السرور، طبعة، ١٩٥٥م.

١٥٤. الفـرماوي، عبدالحي، **رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين**، القاهرة - مصر، مكتبة الأزهر، طبعة سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٥٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

١٥٦. الفضـلي، عبدالهادي، **القراءات القرآنية تاريخ وتعريف**، جدة - السعودية، مكتبة دار المجمع العلمي، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٥٧. الفـيروزأبادي، محمـد بـن يعقوب، **القاموس المحيط**، بيروت - لبنان، دار الجيل، (د.ت).

١٥٨. ابن القاصح، علي بن عثمان، **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي**، تحقيق محمد شاهين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٥٩. القاضي، عبدالفتاح، **الـبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، القاهرة - مصر، مطبعة البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٥م.

١٦٠. ـــــــ، **القراءات الشاذة، وتوجيهها من لغة العرب**، القاهرة - مصر، مطبعة البابي الحلبي، (د.ت).

١٦١. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، **تأويل وشكل القرآن**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٦٢. قـدوري، غـانم، **الدراسـات الصوتية عند علماء التجويد**، بغداد - العراق، مطبعة الخلود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٦٣. القسـطلاني، أحمـد بن محمد، **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، تحقيق عبدالصبور شاهين وعامر السيد، القاهرة، مطابع الأهرام، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١٦٤. القفطـي، علـي بـن يوسف، **إنباه الرواة عن أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة - مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٩٥م.

١٦٥. القلانسي، أبو العز، **إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر**، تحقيق عمر الكبيسي، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٦٦. قحماوي، محمد الصادق، **طلائع البشر في توجيه القراءات العشر**، القاهرة - مصر، ط١، (د.ت).

١٦٧. ـــــــ، **الكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري**، القاهرة - مصر، المطابع المصرية، (د.ت).

١٦٨. القونوي، إسماعيل بن محمد، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**، تحقيق عبدالله محمود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٦٩. القيسي، مكي بن أبي طالب، **الإبانة عن معاني القراءات**، تحقيق عبدالفتاح شلبي، القاهرة - مصر، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م.

١٧٠. ـــــــ، التبصرة في القراءات السبع، تحقيق محمد الندوي، الهند، الدار السلفية، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٧١. ـــــــ، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد فرحات، عمان - الأردن، دار عمار، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٧٢. ـــــــ، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٧٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت - لبنان، دار المعرفة، (د.ت).

١٧٤. ـــــــ، البداية والنهاية، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٧٥. ـــــــ، تفسير القرآن العظيم، بيروت - لبنان، دار الخير، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٧٦. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق - سوريا، مطبعة الترقي، ط١، ١٩٦٠م.

١٧٧. المارغني، إبراهيم بن أحمد، دليل الحيران على موارد الظمآن في فني الرسم والضبط، تحقيق زكريا عميرات، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٧٨. ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة - مصر، دار المعارف، (د.ت).

١٧٩. محيسن، محمد سالم، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، الإسكندرية - مصر، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٨٠. ـــــــ، القراءات وأثرها في علوم العربية، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٨١. ـــــــ، المغني في توجيه القراءات العشر، بيروت - لبنان، دار الجيل، (د.ت).

١٨٢. ـــــــ، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، بيروت - لبنان، دار الجيل، (د.ت).
١٨٣. ـــــــ، الهادي، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٨٤. المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٩٨٢م.
١٨٥. المطـــرودي، عبدالرحمـــن، القراءات القرآنية، الرياض، جامعة الملك سعود، مركز البحوث التربوية، ١٩٨٥م.
١٨٦. المطلبـــي، غالـــب فاضـــل، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، بغداد - العراق، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م.
١٨٧. المعـــتق، عـــواد، المعـــتزلة وأصـــولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، الرياض - السعودي، مكتبة الرشيد، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٨٨. مكـــرم، عبدالعال، أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، الكويت، مؤسسة علي جراح الصباح، (د.ت).
١٨٩. ـــــــ، القـــرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، القاهرة - مصر، دار المعارف، (د.ت).
١٩٠. مكـــرم، ومختار، معجم القراءات القرآنية، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٩١. ابـــن منظور، لسان العرب، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م.
١٩٢. ابـــن المنير، الإسكندري، حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من اعتزال، في ذيل تفسير الكشاف، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠١م.
١٩٣. المهـــدوي، أحمد بن عمار ، شرح الهداية، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٩٤. أبـــو موســـى، محمـــد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، القاهرة - مصر، دار النهضة الحديثة، (د.ت).
١٩٥. النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق عبدالمنعم خليل، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية،، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٩٦. ابن النديم، الفهرست، بيروت - لبنان، مكتبة خياط، (د.ت).

١٩٧. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٩٨. النسفي، عبدالله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف بديوي ومحيي الدين ديب، بيروت - لبنان، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٩٩. النمر، فهمي حسن، مسائل النحو الخلافية بين الزمخشري وابن مالك، القاهرة - مصر، دار الثقافة، ١٩٨٥م.

٢٠٠. النيسابوري، نظام الدين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، القاهرة - مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م.

٢٠١. هلال، عبدالغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، القاهرة - مصر، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٠٢. الهمداني، القاضي عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبدالكريم عثمان، القاهرة - مصر، مكتبة وهبة، ط٣، ١٩٩٦م.

٢٠٣. ـــــــ، المنية والأمل، جمعه أحمد المرتضي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

٢٠٤. الواسطي، عبدالله بن عبدالمؤمن، الكنز في القراءات العشر، تحقيق هناء الحمصي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٠٥. أبو الوفاء، عبدالقادر بن محمد، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح الحلو، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٠٦. اليافعي، عبدالله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٠٧. ابن يعيش، علي بن يعيش، شرح مفصل الزمخشري، بيروت - لبنان، عالم الكتب، طبعة سنة ١٩٨٤م.

Abstract

Al-doumi, Mohammed Mahmoud, The Cuccessive Readings of Al-Zamakhshari interpretation: Acritical Study. Ph.D. Thesis, Yarmouk University, 2004, Supervised by Prof.Dr Mohammed Ali Hijazi

This study is concerned with Quranic formal accents, one of the important topics of Quranic sciences introduced to serve the exegesis of the Holy Quran and explore its uniqueness. Since researches of the Quranic formal accents are multifarious and cannot be accounted for in one or two or three dissertations, I have preferred to investigate them with one authoritative figure of the pioneering authorities of exegesis science, where intense argumentation has been centered around the subject of Quranic formal accents. For this purpose I have selected the scholar Al-Zamakhshari and his exegesis in Al-kashf, which contributed to all books of exegesis coming afterwards.

The study starts with a preface a bout Al-Zamakhshari and his book Al-kashaf. In the preface I handle Al- Zamakhshari birth and early life in the city of Khawarizem, them his academic life his old mates whom he derives knowledge from, and is influenced by, his students, his writings and the scientific wealth he leaves after his death. Here I also discuss his culture and his faith which he stems from people of Khawarizem.

The discussion in the first part of the thesis is focused on the importance of the Quranic formal accents in the exegesis of Al-Zamakhshari. This is preceded by a preface a bout the formal accents, their meaning, evolution and development as well as the differences between them and a definition of the ten Imams (Senior Scholars) of the consecutive and their narrators.

In the first chapter of this part, I discuss Al-Zamakhshari concern use of them as evidence and exploiting them in the exegesis of the Holy Quranic verses. This is made evident in the second chapter of the same part by exploring Al-Zamakhsharicapability and ingenuity to study the formal accents and direct them to expose the richness of the Quranic text

and its uniqueness. To achieve this objective he follows numerous ways including the grammatical, linguistic and rhetorical aspects.

The above-mentioned material represents the first half of the thesis, which, so to speak, stands for the positive aspect of Al-Zamakhshari discussion of the formal accents in his exegesis. As to the second half, it represent, the negative critical aspect of the formal accents. The second part is therefore entitled: Al-Zamakhshari criticism of formal accents, of which the first chapter presents the position taken by Al-Zamakhshari in tow serious issues related to formal accents: the evolution and origin of the formal accent, and the writing of the Quran. In this regard, I mention the options of scholars about Al-Zamakhshari and his position toward the evolution of the formal accents, discussing there opinions and pointing to the truth about that by making use of a number of examples from Al-Zamakhshari exegesis. I do the same regarding the issue of the Holy Quran.

The second chapter of this part is devoted to the formal accents which Al-Zamakhshari criticises and accuses their reciters and narrators of ignorance, and of making pitfalls and mistakes. I take this position of Al-Zamakhshari to be attributable to several reasons some of which are related to language like his fanatic orientation to the of Basrah school in grammar, or his attempt to reach figurative image, some other reasons are connected with the differences between Arabs dialects in being commonly used, Al-Zamakhshari makes analogy depending on what is more well known and more common as all members of Basrah school do, other reasons relate to Al-Zamakhshari orientation to "Mutazlah", and his commitment to fight for and popularise this faith. I discuss all these issues with Al-Zamakhshari, first stating his evidence for what hi proposes, Quran and its formal accents as well as the speeches of the prophet (peau go upon him) and what linguistic books contain of poetry and prose.

Finally, the conclusion of the study comes, where I include the most important findings, which I reach of in this investigation, stating the most important recommendations as well.